لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩١٤م

الشاهنامه

نظمها بالفارسية
أبو القاسم الفردوسى

و

ترجمها نثرا
الفتح بن على البندارى

و

قارنها بالأصل الفارسى، وأكمل ترجمتها فى مواضع، وصححها وعلّق عليها، وقدّم لها

الدكتور
عبد الوهاب عزام
المدرّس بالجامعة المصرية

الجزء الثانى

مع فهرس المراجع، ومعجم الكلمات الفارسية والفهرس الهجائى العام

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م

الشاهنامه

الجزء الثاني

اسكندر وملوك الطوائف والساسانيون

فهـــرس الجـــزء الثانى

صفحة

القسم الثالث — ملوك الطوائف

القسم الرابع — الساسانيون

صفحة

صفحة

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٠ — ذكر الخبر عن سلطان الاسكندر بممالك إيران وكانت مدة ذلك أربع عشرة سنة §

قال : (١) لما جلس الاسكندر على سرير السلطنة وعظ من حضر، ونصح وقال : إن أبوابنا مفتوحة للتظلمين . ولو أتونا فى جنح الظلام لكنا بأيديهم آخذين . واذ توجنا الله بتاج السيادة وفتح لنا أبواب السعادة لحق علينا أن نحسن الى الرعية برا وبحرا وحزنا وسهلا . وقد أعفيناهم عن خراج خمس سنين . ولا نتعرّض إلا لمن يدعى مشاركتنا فى الملك أو كان من المارقين . وسنغنى بأيادينا جميع الفقراء، ولا نمدّ بأيدينا الى ما فى أيدى الأغنياء .

ثم استحضر الكاتب فكتب الى إصبهان الى زوجة دارا كتابا يعزيها فيه، وشحنه بأنواع من التلطف والتعطف، وقال فيه أن دارا زوجه ابنته روشنك . وشهادات الحاضرين بذلك ناطقة .

---

٢٠ — الاسكندر §

يستمد الفردوسى فى هذا الفصل وفصلى داراب ودارا السابقين، الروايات اليونانية .

وسيرة الاسكندر التاريخية والخرافية معروفة فى المشرق والمغرب، لا أجد حاجة الى بيانها هنا، ولا يتسع المجال لقياس ما فى الشاهنامه منها بما فى الكتب الأخرى العربية واليونانية وغيرها .

لما رحل الإسكندر لغزو المملكة الفارسية، والانسياح فى المشرق استصحب طائفة من العلماء بين مؤرّخ وجغرافى ونباتىّ وغير ذلك . فأنتجت رحلته طائفة من الكتب، فى بعضها ضرب من المبالغة والتوهم . ورأى الجند فى هذه المغازى البعيدة، من البلاد والأمم والمرائى المختلفة والحوادث ما بهرهم . ثم رجعوا الى ديارهم يغلون فى وصف مارأوا، ويتزيدون فى القول، ليروا الناس أنهم قتحموا من المهالك ورأوا من العجائب ما لم يره أحد . ثم أضافت العصور الى القصة قصصا =

---

(١) حذف المترجم هنا أبياتا فى مدح السلطان محمود ليس فيها فائدة تاريخية .

فجهزوها وأرسلوها فى مهدها الى اصطخر فى صحبة مو بذ إصبهان وأكابر ايران . وكتب فى هذا المعنى كتابا آخر الى روشَنَك . ونفذ الكتاب على يدى فيلسوف . فلما وصل أكرمته زوجة دارا فأحسنت[1] اليه . وأحضرت الكاتب وأمرته أن يكتب جواب كتابه . فكتب كتابا يشتمل على ذكر توجعها على صاحبها وتسليها بمكان الاسكندر بعده ، وأنها تسأل الله تعالى إدامة ملكه . وقالت : قد بلغنا ما عاملت به الملك وظهر منك من الشفقة والعاطفة ، وما أقمته من مراسم عزائه ، وصنعته من الاقتصاص له من أعدائه . وأنت الآن لنا بمنزلة ذلك الملك الدارج . فلا زلت ممتعا بشرف المواتب ورفعة المعارج ، مخلد الذكر على تعاقب الأيام وترادف الشهور والأعوام . وأما ما ذكرت من حال روشَنَك فانا قد سررنا بهذه المصاهرة المباركة . فالله تعالى يقرنها بالخيرات والسعادات . وهى أمتك ونحن جواريك مصرّفات تحت أوامرك ونواهيك » . وردّوا الفيلسوف بجواب الكتاب . فلما عاد الى الاسكندر أخبره بجلالة قدر روشنك وفخامة شأنها ، وما شاهد فى دارها من البهاء والأبهة والرواء والروعة . فأعجبه ذلك . ثم نفذ الى عمورية واستقدم أمه . فلما قدمت عليه أرسلها الى إصبهان . وأصحبها تاجا وسوارا وطوقا مع أحمال من الثياب وغيرها ، وثلاثين ألف دينار برسم

= وزادت كل أمة شيئا من أخبارها وأساطيرها . فصار الاسكندر بين الأمم بطل الوقائع وبطل الأساطير .

وفى مصر التى فتحها الاسكندر وورثها بطليموس أحد قواده ، فى الاسكندرية التى بناها ودفن فيها — ألفت أخبار الاسكندر وجمعت أشتاتها ، واتخذت صورة قصة طويلة مفصلة . ويظهر أنها ألفت فى القرن الثالث الميلادى .

ومؤلف القصة مجهول ، ولكنها تنسب فى بعض النسخ الى المؤرخ كلِستِنِيس أحد أقرباء أرسطو ، الذى صحب الاسكندر فى غزواته[2] .

وقد ترجمت القصة الى اللاتينية والأرمنية وغيرهما . ثم ترجمت فى القرن السابع الميلادى الى الفهلوية ثم ترجمت منها الى السريانية . والترجمة السريانية موجودة ومنها استدل الأستاذ نُلدكه على أن ترجمة فهلوية كانت ، ونقلت السريانية عنها .

وقد ألفت فى القرن الخامس الميلادى قصة للاسكندر فيها صبغة نصرانية ، ونظمها بعد قليل الشاعر السريانى يعقوب السروجى[3] المتوفى عام ٥٢١ م . وقد عرفت هذه القصة بين العرب بعدُ =

---

(١) طا : وأحسنت . (٢) ودنيه ج ٦ ص ١٣ (٣) ـ ص ١٤ وما بعدها .

النثار، وثلثمائة من الجوارى الروميات . وصحبها عشرة من علماء الفلاسفة ليترجموا بين يديها . فلما قربت من إصبهان استقبلها أعيان المدينة وأكابرها وعلماؤها وأماثلها . وتلقتها[1] زوجة دارا فدخلت بها وأنزلتها فى إيوانها . ثم هيأت جهاز ابنتها وفيه من الذهبيات والفضيات والملابس والمفارش أحمال محملة مع ما انضم الى ذلك من الخيل والأسلحة . ورتبت أربعين مهدا لمن يصحب مهدها من النساء من الحرائر والإماء . قال : وأعدّت لها خاصة مهدا على رأسه مظلة مرصعة . فخرجت مع أم الاسكندر متوجهة الى اصطخر . فلما وصلت و رآها الاسكندر تعجب من جمالها وكمالها وحسن سمتها وحيائها . ولما تمت له هذه الوصلة وطنت ملوك إيران وأكابرها النفوس على طاعته وملازمة الإخلاص فى خدمته . فعمر من تلك الممالك ما خرب من بلادها، وغمر بالعدل والإحسان أهل رباعها وديارها — قلت : ومن آثار عمارة الاسكندر فى ممالك إيران مدينة بإصبهان يقال لها جىّ بنيت على مثال الحيّة[2] وثلاث مدائن بخراسان منهن مدينة هراة ومدينة مرو، ومدينة سمرقند .

قال : ولما استتبت أموره بإيران عزم على قصد ملك من ملوك الهند[3] يسمى كَيدا، وجرّ العساكر اليه، وسار الى أن وصل الى مدينته التى تسمى ميلاب . فنزل عليها وكتب اليه كتابا يأمره فيه بالخروج الى خدمته، والدخول تحت طاعته . فلما وصل اليه الرسول ووقف على الكتاب أكرم

= وكانت منشأ ما فى الكتب العربية من أساطير الاسكندر أو ذى القرنين ، وفى الشاهنامه صورة منها .

وقد تغير رأى الفرس فى الاسكندر على مر القرون : كان يسمى الاسكندر اللعين الذى دمر المملكة وأحرق كتب زردشت، فصار الاسكندر ذا القرنين الموحد العابد، الفارسى ابن الملك داراب وأخا دارا . وبذلك صالحوا الاسكندر وغسلوا عن تاريخهم عار الهزيمة أمامه . كما ادعاه المصريون وجعلوه ابن الملك نِخت نِبف آخر الفراعنة الذى هزمه أرتخشيرشا أُخوس الملك الفارسى سنة ٣٤٣ ق م . وقصة ذهابه الى مقدونية وسحره أُليمپياس امرأة فيليب ، وتزيينه لها ولزوجها أن تلد ولدا من الإله أمون ذى القرنين ، وتمثله هو فى صورة هذا الإله الخ . قصة عجيبة معروفة .

ثم قصة الاسكندر فى الشاهنامه ١٩٥٥ بيت فيها العناوين الاتية :

(١) فاتحة القصة . وقد حذف منها المترجم مدح السلطان محمود . (٢) كتاب الاسكندر الى دلاراى أم روشنك (دلاراى زوج دارا) . (٣) جواب دلاراى الى الاسكندر . (٤) إرسال =

(١) صل : وتلقته . والتصحيح من طا . (٢) طا : الجنة . (٣) صل : قصد ملوك الهند . والتصحيح من طا .

الرسول وأجلسه بجنبه وأحسن اليـه . وكان قد رأى رؤيا فقصها على معبر من البراهمة فأشار عليه في تعبيرها بطاعة الاسكندر وترك مخالفتـه . فكتب جواب كتابه ، وذكر فيه أن له أربعة أشياء لا يملكها أحد غيره ، ولا مثل لهـا في جميع العالم . قال : وإن أمر الملك نفذتها اليـه ثم حضرت بنفسي بين يديه . فبعث الاسكندر اليـه يسأله عن الأشياء الأربعة . فقـال : أحدها بنت وراء سترى[1] ليس لهـا نظير في الحسن والجمال وكمال الآداب . والثاني جام اذا ملأته بالمـاء أو بالشراب[2] لم ينقصه الشرب منـه وإن شربت منه مع الندماء عشر سنين . والثالث طبيب إن أقام[3] مع الملك لم يصبه داء مدّة حياته . والرابع فيلسوف يخبر الملك بجميع ما يكون قبل وقوعه . فنفذ اليه الاسكندر تسعة أنفس من ثقاته ومشايخ فلاسفته ليستوضح ما قال ، ويقف على صحته . فلما أتوه أمر بتزيين ابنتـه ثم أذن لهم في الدخول اليهـا . فلما وقعت أبصارهم عليها بهتوا لمـا شاهدوا من صورتها وجمالها ، واعترتهم حيرة ، وغشيتهم سكرة حتى بقوا عندها زمانا طويلا وهم لا يشعرون . فلما أبطئوا على الكيد أرسل اليهم يستحضرهم . فلما حضروا قال لهم : قد أطلتم عندها المقام . فقالوا : أيهـا الملك ! إنا لم ننظر اليها ، ولمـا تمت رؤيتنا لهـا ، ولا لبثنا عندها أكثر من سلام وجواب . ثم إنهم كتبوا الى الاسكندر يعلمونه بصفة البنت . فأرسـل يطلبها مع الجـام والطبيب والحكيم . فبادر

= الاسكندر أمه ناهيد الى روشنك وتزوجها . (٥) رؤيا كيد ملك الهند وتعبير مهران إياها . (٦) ذهاب الاسكندر الى كيد وكتابته اليه . (٧) جواب كيد وعرضه وإرساله أربع عجائب . (٨) إرجاع الاسكندر الرسول لأخذ العجائب . (٩) إرساله عشرة من الحكماء لرؤية العجائب الأربع . (١٠) إحضارهم بنت كيد والطبيب والحكيم والكأس . (١١) امتحان الاسكندر الحكيم والطبيب والكأس . (١٢) قيادته الجيوش الى فور الهندى وكتابته اليه . (١٣) اجابة فور . (١٤) صف الجيوش لحرب فور ، وصنع خيل وفرسان من الحديد وملؤها نفطا . (١٥) محاربته فورا وقتله ، ونصب سَونُك مكانه . (١٦) حج الاسكندر بيت الله الحرام . (١٧) سوق الجيوش من جدّة الى مصر . (١٨) كتابه الى قيدافه ملكة الأندلس ، وجوابها . (١٩) قيادته الجيوش الى الأندلس وفتحه قلعـة الملك فريان . (٢٠) الاسكندر يذهب رسـولا الى قيدافه فتعرفه . (٢١) نصح قيـدافه الاسكندر . (٢٢) طينوش بن قيدافه يغضب على الاسكندر فيحتال الاسكندر له . (٢٣) معاهدة الاسكندر قيدافه ورجوعه الى جيشـه . (٢٤) ذهابه الى أرض البراهمة وسؤاله عن أسرارهم ، وإجابتهم . (٢٥) ذهابه الى البحر الغربى ورؤيته =

(١) طا : ستورى . (٢) صل : بالمـاء والتراب . والتصحيح من طا . (٣) صل : قام . والتصحيح من طا .

كَيد الامتثال، وجهز بنته، ونفذها اليه مع الأشياء الأخر . فبنى بالعروس وأعجبه ما رأى من جمالها وكمالها . ثم تفرغ لتجربة الفيلسوف فنفذ اليه جاما مملوءا من السم، وأمره أن يطلى به أعضاءه حتى يزول عنه تعب الطريق ونصبه . فرمى العالم فى الجام ألف إبرة، ورده اليه . فأمر الاسكندر فسبكت الإبر وجعلت بيضة حديد ونفذها الى الحكيم . فعمل الحكيم منها مرآة مصقولة وبعثها اليه . فأخذها الاسكندر ودفنها تحت الأرض حتى نديت وصدئت ثم ردها اليه . فأخذها وجلاها وصقلها بأدوية مركبة بحيث لا يعود جوهرها[1] يصدأ بعد ذلك، وردها الى الاسكندر . فأحضره الاسكندر وسايله عن مقاصد ما جرى من الرموز . قال : أردت بإلقاء الإبر فى السم الإشعار بأن السم ينفذ فى المسام ويتغلغل حتى يبلغ اللحم والدم والعظم مثل صنيع الإبر . وأما سبك الملك الإبر واتخاذها بيضة حديد فهو إشارة منه الى أن قلبه قد صار فى هذه الخطوب والوقائع مثل بيضة الحديد، فهو لا يدرك المعانى الدقيقة والرموز الخفية . فعملتُ منها مرآة إشارة الى أنى بحذق فى صناعتى ومهارتى فى علمى أصيّر قلب الملك كالمرآة فى الصفاء . وأما ردّ الملك إياها صدئة فهو إشارة منه الى أن قلبه كان[2] كالمرآة ولكنه صدئ من كثرة إراقته الدماء . فصقلتها ثانيا ورددتها اليه إشعارا منى بأنى سوف أجلو بالعلم السماوى قلبه، وأنفى عنه كل غين ورين . فاستحسن الاسكندر ذلك منه وأمر باحضار جملة من الذهب والفضة والثياب مع جام مملوء جوهرا . وأمر بدفع جميع ذلك الى الفيلسوف . فامتنع من قبوله وقال : إن معى جوهرا مكنونا لا يحوجنى فى الليل الى حارس،

(١٣٢)

= أعاجيب . (٢٦) ذهابه الى أرض الحبش، ومحاربته وانتصاره . (٢٧) ذهابه الى أرض نرم پاى، وانتصاره عليهم، وقتله تنينا، وصعوده جبلا، وإنذاره بالموت . (٢٨) ذهابه الى مدينة النساء مدينة هروم، ورؤيته أعاجيب هناك . (٢٩) ذهابه فى الظلمات طالبا عين الحياة، وتكلمه مع الطير وإسرافيل . (٣٠) ذهابه الى المشرق ورؤيته أعاجيب وبناء سدّ يأجوج ومأجوج . (٣١) رؤية ميت فى قصر من الياقوت الأصفر . (٣٢) قصده بلاد الصين وذهابه رسولا الى فغفور ورجوعه بالجواب . (٣٣) رجوعه من الصين ومحاربة السند وذهابه الى اليمن . (٣٤) سيره الى بابل وعثوره على كنز كيخسرو فى مدينة . (٣٥) كتابته الى أرسطاليس وتلقى جوابه . (٣٦) كتاب الاسكندر الى أمه . (٣٧) موت الاسكندر وحمل تابوته الى الاسكندرية . (٣٨) رثاء الحكماء الاسكندر . (٣٩) نحيب أمه وزوجه . (٤٠) شكاية الفردوسى من الشيخوخة والدهر . وقد حذفها المترجم . =

(١) طا : جوهر المرآة . (٢) طا : كان مرة كالمرآة .

ولا أخشى عليه فى الطريق من سارق . ويكفينى من هذه الدنيا مطعم وملبس، ولا تسرنى الزيادة عليهما ، وأكره أن أكون حارسا لغيرهما . فتعجب الاسكندر من ذلك وقال : إنى مؤثر لرأيك الثاقب وكلامك الناقع وعلمك الوافر . §

قال : وأمر باحضار الطبيب فسأله عن أعظم أسباب الأمراض . فقال : أن يأكل الرجل فاضلا عما يحتمله المزاج، ولا يضبط نفسه عند حضور الطعام . ثم قال : وإنى سأركب لك دواء اذا استعملته كنت أبدا صحيح الجسم، قوى النفس، مسرور القلب، مشرق اللون، منجذب الطبع الى أعمال الخير، ثم لايعتريك معه الشيب، ولا يضرك كثرة الأكل، ويزيد فى شهوتك وحفظك ودمك، ولا تحتاج بعده الى شرب دواء آخر . فقال الاسكندر : إن فعلت ذلك كنت عندنا الموقر المكرم . وخلع عليه وأكرمه، وقدّمه على جميع من بحضرته من الأطباء . فصار الى بعض الجبال وجمع الحشائش التى هى أخلاط ذلك الدواء . ولما فرغ من عمل الدواء الجبلى غسل به عقب الملك . وكان من بعد يلازمه ويحفظ صحته . قال : وكان الاسكندر كثير الباه مكثرا من الاستمتاع بحظاياه . فأحس الطبيب بضعف فى مزاجه، وقال : إن مضاجعة النساء تجعل الشبان شيبا . ولا أشك أنها قد أثرت فى الملك . فأنكر الاسكندر ما توهمه الطبيب من ضعفه، وقال : أنا نشيط النفس قوى المزاج . فلم يقبل الطبيب ذلك منه . وركب دواء يزيل الضعف . فنام الاسكندر تلك

---

§ كيد الذى يسميه المسعودى كند ، ويسميه اليعقوبى كيهان يظهر أنه الملك الذى يذكره مؤرخو اليونان باسم أُمفيس ملك تكسيلا ، وكان مسالما موادّا للإسكندر .

وأما الفيلسوف الذى أرسل الى الاسكندر فقد حكى أُنِسِكريتوس أن الاسكندر أرسله الى طائفة من عباد الهند فرأى خمسة عشر رجلا بين قائم وقاعد ومضطجع عراة فى الشمس ، وأنه كلم اثنين منهم : كلانوس ومندانِس وكان مندانس أسنهما وأحكمهما[1] . وكان كلا الفيلسوفين يقيم فى تكسيلا أيضا .

وقد صحب كلانوس الاسكندر حينما رجع الى فارس ثم مرض فأَحرق إجابة لرغبته . وقد تناقلت الروايات اليونانية هذه القصة فى صور مختلفة[2] .

وقد أطال المسعودى فى مروج الذهب ، الكلام عما كان بين الاسكندر وكيد والفيلسوف ، بعنوان « ذكر جوامع من حروب الاسكندر بأرض الهند » .

(١ و ٢) ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦١

الليلة وحده ولم يقرب أحدا من نسائه . فلما أصبح الطبيب دخل بالدواء عليه فنظر الى دليله فأراق ذلك الدواء، وقعد مع ندماء الملك فى مجلس العيش والطرب . فقال الاسكندر : ما الذى أوجب إراقتك للدواء بعد أن تعبت فى تركيبه؟ فقال : إن الملك قد نام البارحة وحده فزال عنه ذلك الضعف . واذا نمت أيها الملك منفردا لم تحتج الى الدواء أبدا . فضحك الاسكندر وتعجب من حذقه . ثم أمر له بخلعة و بدرة من الذهب، وفرس أدهم ذهبى السرج واللجام .

ثم إنه أمر بإحضار الجام الأصفر فجاءوا به مملوءا من الماء البارد . فجعل الحاضرون يشربون منه من أول النهار الى وقت النوم فلم ينقص ماؤه . فتعجب الملك . وقال : إنه لا نظير للهنود فى الصناعات والعلوم ، و إنهم و إن كانوا قد حرموا حسن الوجوه فقد رزقوا حسن الأفعال . ونحن بعد هذا لا نقول فى بلادهم بلاد الهند بل نقول بلاد السحر . فالتفت الى الفيلسوف وسأله وقال : زيادة الماء فى هذا الجام مستندة الى النجوم أم الهندسة[1]؟ فقال أيها الملك! لا تستصغر شأن هذا الجام . فقد صرفوا الى صنعته زمنا طويلا ، وقاسوا منه تعبا كثيرا . ولما عزم الكيد على اتخاذه جمع عليه حذاق المنجمين ، واستحضر من أهل كل إقليم أعلمهم بصناعة التنجيم . فطبعوه على طبائع النجوم فهو يجذب بخاصيته الماء من الفلك باذن الله ، و يستدره من الهواء بحيث لا تدركه حاسة نظر الانسان . وهو كحجر المغناطيس فى جذبه الحديد . فلا يزال مملوءا لا يتطرق اليه نقصان . فتعجب الاسكندر وقال : إنا نكتفى من الكيد بهذه الأشياء الأربعة ، ولا ننقض عهده أبد الدهر، ولا نطالبه بشىء آخر مدة العمر . ثم إنه أوقر مائتى دابة ذهبا وجوهرا ، وصار بها الى بعض تلك الجبال وحفر فيها حفائر كثيرة ، وكنز فيها تلك الأموال الوافرة ، وأهلك الذين تولوا حفرها وقاسوا أمرها .

ذكر مسير الاسكندر الى قنوج وما جرى بينه وبين ملكها[2] §

قال : ثم ارتحل الاسكندر من ميلاب وتوجه الى قنوج . وكان لها ملك يعرف بفور . فكتب اليه كتابا قال فيه : واذا وقفت على هذا الكتاب فتحول من ظهر التخت الى ظهر الفرس ، وأقبل

---

§ الذى كتبه مؤرخو اليونان أن الاسكندر بعد أن عبر نهر السند وصالح ملك تكسيلا[3] ترك حامية فى هذه المدينة ثم سار الى نهر جيلم وكان پروس (فور) قد حشد جنده وأفياله ليحول دون عبور النهر . وعمى الاسكندر سيره على فور ثم عبر ليلا والريح عاصفة والمطر هاطل فأسرع اليه ابن الملك فور فهزمه =

(١) طا : مسندة الى النجوم أم الى الهندسة . (٢) طا : ملكها فور .

(٣) كانت أعظم مدينة فى البنجاب . ولا تزال أطلالها بين أتوك وروال پندى . سيكس (Sykes) ج ١ ص ٢٧١ .

الى الخدمة، ولا تشاور أحدا فى ذلك حتى لا يطول عليك الأمر . فلما وصل الكتاب اليه استشاط الهندى وهاجت ز براؤه وتمر . فأجاب عن كتابه وقال فيه : الحمد لله الذى لم يجعلنا ممن يتعدّى فى كلامه طوره، ولا ممن يتهجم على أمر لم يسبر غوره . كيف تستنهض مثلى الى خدمتك ولا تشاور نفسك ولا تراجع عقلك؟ وكأنك لا تعلم أنى فور بن فور الذى لم يحتفل قط بأحد من القياصرة . فإن كان أبوك تجاسر من أبى على مثل ذلك فتجاسر عليه. وكأنك اغتررت بنكبة دارا حين انقضت أيامه، وأُخفِر ذمامه، فأقبلت مدلا بباسك وشدّة مراسك. فلا تظهرن فى الإقدام علينا جسارة، ولا تأمنن فى الجرأة على معاملة الملوك خسارة» . فلما وقف الاسكندر على جوابه استعدّ لقتاله وسار اليه . وكانت الطرق الى بلاده وعرة فأبدع بأكثر عساكره . فضج الروم منهم اليه وقالوا : الرأى أن  نرجع عن هذا الوجه . فاغتاظ الاسكندر وزجرهم وقال : حسبي الله ناصرا ، ثم فرسان إيران أنصارا . فارجعوا أنتم فما لى فيكم من حاجة . فاعتذروا اليه عند ذلك واستقالوه العثرة فصفح عنهم الملك (١) . ثم إنه قدّم مائة ألف فارس من الايرانيين وأتبعهم بأربعين ألفا من الروم . ورتب خلف الروميين أربعين ألفا من فرسان مصر وآسادهم المذكورين . وسار بنفسه خلفهم فى اثنى عشر ألفا من أكابر إيران، وأقارب دارا المنتمين الى الشجرة الكيانية والدوحة الخسروانية، ومعه ستون نفسا من فلاسفة الروم وعلمائهم المنجمين . فلما بلغ الخبر بذلك الى فور حشد واحتشد و برز فى جنوده وفيلته . فقال للاسكندر من كان معه من دهاة الهند : إن مع فُور فيلة عظاما لا تستطيع خيلنا بين يديها ثباتا ومقاما . فاجتمع أصحاب الرأى وتفكروا فى الاحتيال لدفع معرة تلك الفيلة . فعملوا صورا من الحديد مجوّفة على أشكال الخيل ، وعليها ركابها بصفتها وكيفيتها لكى يحشوها نفطا و يطرحوا فيها النار عند الملاقاة . حتى اذا صدمتها الفيلة احترقت خراطيمها وولت . فارتضى الاسكندر ذلك واستحسن ما عملوا . فأمر من كان معه من صناع مصر والروم

= الاسكندر وقتله . ثم كانت الموقعة بين الاسكندر وفور . وقد قدّم فور مائتى فيل أمام جيشه فاحتال الاسكندر حتى باغت الهند من خلفهم . وانتهت الملحمة بهزيمة الهند وأسر فور فأكرمه الاسكندر و ردّ اليه ملكه . وذلك سنة ٣٢٦ ق م .

فالذى قتل فى الحرب ابن فور لا فور نفسه كما تقص الشاهنامه . وأما الخيل النحاسية ومبارزة الاسكندر فورا فمن الخرافات .

(١) المعروف فى التاريخ أن إباء الجند التقدّم مع الاسكندر إنما كان بعد محاربة فور، والتوغل فى الهند . وأن الاسكندر اضطر الى الاذعان لهم فرجع الى الغرب .

وغيرهم فعملوا صورا كثيرة على ذلك المنوال وحشوها بالنفط، واجتروها الى المعترك . ولما كان يوم القتال صف منها الاسكندر صفوفا مرصوصة فأقبل فور فى جموعه وفيوله، وشياطين رجاله وخيوله . فأمر الاسكندر بإلقاء النار فى أجواف الصور فاضطرمت . فتقدّمت الفيلة فأشرعت خراطيمها نحوها لتختطفها . فلما وجدت مس النار نكصت على أعقابها، وقلبت ظهر المجنّ على أصحابها، وأنحت عليهم بخراطيمها وأنيابها . فانهزموا وركب الاسكندر بأصحابه أكتافهم، وأتبعهم الى أن غربت الشمس فنزل بين جبلين، وبث الطلائع وأمر بحفظ الطرق . ولما تنصب حاجب الشمس وتشعشعت أنوارها ارتجت الأرض بأصوات البوقات ونفخات القرون والنايات، واصطفت عساكر الهند كظلمات بعضها فوق بعض . فتلقاهم الإسكندر بصفوفه وجنوده . فلما تقابل الفريقان وتوازى الجمعان خرج الاسكندر من الصف وبيده سيف مهند فنفذ فارسا الى فور يسأله أن يبرز اليه من الصف ويسمع كلامه شفاها . فخرج اليه فقال له الاسكندر : إنى وإياك ملكان متنازعان، وكل واحد منا يمت بشجاعته، ويدل بقوّته فلا ينبغى أن يكون القتل والقتال نصيب عساكرنا . والرأى أن نتبارز، وكل من غلب منا يكون له الأمر على عساكر صاحبه . ليستريح هذا العدد الكبير والجمّ الغفير من القتل والفتك . فأفكر فور فرأى نفسه فى قوّته[1] كركن من علم، ورأى الاسكندر فى نحافته كشقة قلم . ورأى تحته فرسا كثعبان، ورأى تحت الاسكندر فرسا كقضيب بان . فاغتنم إجابته الى المبارزة، ووثق من نفسه . فتقدّم الاسكندر، وكأنه خاطبه بما عبر عنه الشاعر حيث يقول :

هلم الى نحيف الجسم منى ⁂ لتنظر كيف آثار النحاف
ألم تر أن طائشه لظاها ⁂ نتيجة هذه القُضُب العجاف
ولى جسد كواحدة المثانى ⁂ له كبد كثالثة الأثافى

قال : فتبارزا وتصاولا ساعة فأوجس الاسكندر خيفة فى نفسه وندم على مبارزته إياه . فآتفق أن سمع الفور جلبا وشغبا من خلفه فآلتفت فضربه الاسكندر بسيفه ضربة نزلت من عاتقه الى صدره، فخرّ قتيلا . وماج الهنود بعضهم فى بعض فعزموا على الثبات للحرب . فنادى منادى الاسكندر : يا أكابر الهند ! ما بالكم تقدمون على إراقة الدماء وتخوضون غمرة الهيجاء ؟ اعلموا أن الإسكندر قد صار فورا، فلا تستشعروا منه حذارا ولا نفورا . وآستأمنوا إليه، وعوّلوا فى حفظ نفوسكم عليه . فلما علموا بقتل ملكهم طرحوا الأسلحة فبادروا الى خدمة الإسكندر حاسرين، وتمسكوا بعصم الأمان مستجيرين . فردّ الإسكندر عليهم أسلحتهم، ووعدهم ومناهم وقال : إن

(١) صل : فى قومه . والتصحيح من طا .

خزائن صاحبكم على حرام، وسأفرقها عليكم . فلا تطرقوا الى قلوبكم حزنا، وثقوا منى بالحسنى . فإنى سأجذب بأضباع الهنود، وأجعلهم أصحاب الأعلام والبنود . ثم إنه دخل الى دار ملك فور وجلس على تخته وأقام بها شهرين . وفرق جميع ذخائره ودفائنه على العسكرين . وكان فيهم بهلوان كبير يسمى شورك فولاه ممالك الهند، وأقامه فيها مقام نفسه ، وأوصاه وقال : إياك وآكتناز الذهب فإن للذهاب ، ولا تعمر خزائنك فان مصيرها الى الخراب . ثم ارتحل منها موصول الحاجة بالنجاح[1] وسار قاصدا قصد الحجاز .

ذكر وصول الاسكندر الى بيت الله الحرام (ا)

قال : فسار الإسكندر موليا وجهه شطر المسجد الحرام لزيارة بنية إسماعيل عليه السلام التى أضافها الله المتنزه عن المكان الى نفسه ودعا بيته الحرام . وإنما نسبه الى نفسه ليعرف الناس طهره، ولكى يولوا وجوههم شطره، ويأتوه من كل فج عميق، وينثالوا عليه من كل مرمى سحيق . ولم يزل منذ كان موطنا للطاعات ومهبطا للخيرات . قال : ولما وصل الإسكندر الى القادسية بلغ الخبر الى نصر ابن قتيب، وكان ممن يتزين به الحرم، فركب فى جماعة من فرسان العرب، وأقبل الى الاسكندر ولما قرب من مخيمه تقدمه فارس وأخبره بوصول نصر، وأعلمه أنه من أولاد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن[2] . فاستقبله الإسكندر وأوسعه تبجيلا وإعظاما ، وتفخيما وإكراما . فسر نصر بذلك ثم أخبره بنسبه وأفضى إليه بعجره وبجره، وسأله الإسكندر ذات يوم وقال : أيها السيد الصادق من الذى يتولى أموركم ويتقلد السلطنة فى بلادكم ؟ فقال أيها الملك ! إن صاحبها رجل يقال له خزاعة، وإن إسماعيل[3] لما توفى جاء قحطان من البادية فى عسكر كثير فآستولى على ممالك اليمن والحجاز وآنتزعها من أيدى آل إسماعيل فملأها ظلما وجورا، وقتل خلائق من أهلها صبرا . ولما مات قحطان خلفه خزاعة فبقيت البلاد تحت ظلمه وحكمه فهى الآن من أقصى اليمن الى بحر مصر فى يده وبأمره . وآل إسماعيل[4] مستشكون من جوره وحيفه . فلما سمع الاسكندر ذلك قهر خزاعة ومن ينتسب إليه فآنتزع الملك منهم وقرره[5] فى ذرية إسماعيل[6] . ثم قصد الكعبة المعظمة راجلا وطاف بها . وأفرغ على أهل الحرم أموالا كثيرة حتى أغناهم أجمعين . ثم أعطى نصرا كنزا من الذهب وارتحل من مكة مشكور السعى موفور الأجر .



(ا) هذا الفصل مما زاده المسلمون على قصة الاسكندر . وفى الأخبار الطوال أن الإسكندر سار الى اليمن ثم مكة، وأن الذى كان هناك النضر بن كنانة .

(١) طا : بالنجاز . (٢) طا : صلوات الله وسلامه عليهما . (٣) طا : صلوات الله عليه .

(٤) طا : عليه السلام . (٥) صل : قرزها . والتصحيح من طا . (٦) طا : صلوات الله عليه .

ذكر عبور الإسكندر إلى ديار مصر وما جرى بينه وبين قَيذافه ملكة الأندلس §

قال: بخبر العساكر إلى جُدّة، وأمر أصحابه باتخاذ السفن والزواريق، وركب البحر وعبر إلى ديار مصر. فاستقبله ملكها، وكان يسمي قَيطون، بالهدايا والتحف والمباز والخدم. فدخل مصر وأقام بها سنة. قال: وكان مُلك الأندلس إلى امرأة كانت تسمى قيذافه. وكانت ذات شوكة عظيمة وعساكر كثيرة وممالك فسيحة. وكانت قد نفذت إلى مصر مصورا وأمرته أن يبصر الاسكندر ويرسم صورته على حريرة يحملها اليها. فجاء المصور وصوّر صورة الاسكندر قائما وقاعدا وراكبا، متبذلا ومتجملا، حاسرا ومتسلحا. فانصرف بها إلى صاحبته.

فاتفق أنه جرى ذات يوم عند الاسكندر ذكر قيذافه فسأل الاسكندر عن حالها قيطون ملك مصر. فوصف له ما تخصصت به هذه المرأة من بسطة ملكها ونفاذ حكمها. وذكر أن لها مدينة من الحجارة طولها أربع فراسخ فى عرض مثلها. وهى مشحونة بالأموال والرجال. فكتب اليها

---

§ يعجب القارئ من هذا العنوان ومما تضمنه هذا الفصل، حين يجد مصر والأندلس تذكران معا كأنهما بلدان متجاوران، وحين لا يجد فى الأسطورة ذكرا لما بين مصر والأندلس من البلاد. والظاهر أن كلمة « الأندلس » وضعت هنا غلطا. ومن أجل ذلك تنفرد بها الشاهنامه. والروايات اليونانية تجعل مكان القصة "مملكة سميراميس" وتجعل قيذافه من ذرّية سميراميس.

وفى الأخبار الطوال تسمى مرة ملكة المغرب ومرة ملكة سمرة، ومن أجل ذلك يذكر فتح القيروان قبل المسير الى قيذافه. ويسميها الثعالبى فى الغرر ملكة القبط.

فاذا فرضنا أن مكان الأسطورة بلد قريب من مصر فهل فى التاريخ أحداث أو أسماء يمكن أن تكون منشأ هذه القصة؟

الملكة قيذافه تذكر فى الروايات اليونانية والسريانية باسم كندكه. واذا كتبت هذه الكلمة بالقاف بدل الكاف كانت قندقه. ويسهل تحريفها فى الخط العربى الى قيدافه. وليس بعيدا أن الفردوسى أخذ هنا عن رواية عربية. واذا عرفنا أن قيذافه فى الشاهنامه محرّفة عن كندكه، ألفينا صلة بين الأسطورة والتاريخ: يعرف التاريخ منذ عهد بعيد أن ملكات بلاد الجزيرة من السودان المصرى كن يسمين كنداسه (Candace) وكأنه اسم الأسرة التى ينتسبن إليها. =

الاسكندر كتابا يأمرها فيه بالتزام الخراج له وأدائه اليه، وتوعدها بأنها إن لوت رأسها عن ذلك لم يخاطبها إلا بالسيف . وجعل ينبهها على الاعتبار بدارا، وفور فإن في الاعتبار[1] بهما ما يغنيها عن ناصح يرشدها إلى سبيل الطاعة . فلما وصل الكتاب إلى قيذافه أجابت عنه[2] على مقتضى غلوائها بما لم يرضه الاسكندر . فارتحل في عساكره قاصدا قصدها وسار مسيرة شمس فوصل إلى مدينة حصينة من حدود ممالكها . وكان عليها ملك يسمى قيران صاحب شوكة وثروة . فحاصرها الإسكندر ونصب عليها العرادات والمجانيق ففتحها بعد أسبوع . ولما دخل المدينة منع عساكره عن إراقة الدماء . وكان صاحب هذه المدينة قد زوّج ابنة له من ابن لقيذافه يسمى قيدروش(أ) ، وكان قد جاء اليه لاقامة رسم العرس فوقع هو وزوجته في يد رجل من أصحاب الاسكندر يسمى شهركير فبلغ ذلك الاسكندر[3]، فسنح له رأى فاستحضر وزيرا له يسمى بيطقون(ب) وأعطاه تاجه وتخته وأمره أن يقعد في مكانه من منصب السلطنة في مجلس خاص لا يحضره عامة أصحاب الاسكندر وواطأه على أنه اذا أتوه بابن قيذافه، يأمر بضرب رقبته فيشفع اليه الاسكندر وهو واقف على رسم الخدمة فيهبه له . ثم يدعوه يعني الاسكندر ويرسله إلى قيذافه مع عشرة فرسان ، ويأمره بأن يوصل رسالته ويعجل الرجوع بجوابها . قال : فلما[4] كان الغد لبس وزيره التاج وجلس على التخت ووقف الاسكندر ماثلا في الخدمة فجاء شهركير بابن قيذافه مع عروسه، ودخل بهما عليه . فلما رآه قال : من ذا الرجل؟ قال الشاب : أنا ابن قيذافه . وكنت تزوجت بابنة صاحب هذه المدينة فقدمتها بسبب العرس فأصبحت أسيرا في يدى شهركير، جريحا منكوس الطالع . فتغضب عليه

= وقد كشف الحفر مقابر لهؤلاء الملكات[5] .

ثم يروى بعض المؤرخين أن الاسكندر حينما حاصر مدينة مزاكه في شمال الهند الغربي خرجت اليه ملكة المدينة في جماعة من النساء فصالحها الاسكندر وترك لها ملكها .

فليس بعيدا أن تكون هذه الحقائق المختفية خلقت القصة التي نجد رواية منها في قصة قيذافه في الشاهنامه .

(أ) هو في الروايات اليونانية كندولس، وفي الروايات السريانية كندارس . أنظر ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦٠

(ب) كذلك في نسخ الترجمة والشاهنامه . وأحسبها محرفة عن نيطقون بالنون كما في ترجمة ورنر . فان الاسم في الروايات اليونانية (Antigonus) .

(١) صل : بالاعتبار . والتصحيح من طا . (٢) طا : أجابت على . (٣) كلمة "الاسكندر" من طا .

(٤) طا : ولما . (٥) انظر ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦٥



قيدافة ملكة الأندلس، وفى يدها صورة الاسكندر التى أمرت بتصويرها لتعرفه اذا قابلته متنكرا

[منقولة من (الكتاب الاسلامى The Islamic Book) لسير توماس أرنولد والأستاذ أدلف كرهمان رقم ٨٠]

بيطقون وأمر بضرب رقبته مع زوجته . فبادر الاسكندر وقبل الأرض بين يديه وتشفع فيه واستوهبه منه فوهبهما له . ثم التفت الملك المعمول إلى ابن قيذافه وقال : قد تخلصت برأس كاد يفارق جسدك . والآن أرسلك مع الشفيع فيك إلى أمك كى تبلغها رسالتى ، وتخبرها بعظم ملكى وشدة شوكتى ، وتحثها على التزام الخراج وأدائه . وهو دستورى وصاحب رأيى فاعمل معه ما عمل معك . واذا سمع الجواب من الملكة فسرحه إلىّ كما يليق بك . فقال : ما حفظ علىّ حياتى سواه . ولا أعامله إلا بما عاملنى[1] . فاختار الاسكندر عشرة أنفس من ثقات أصحابه وحفظة سره ، واستصحبهم وأمرهم ألا يسموه إلا بيطقون . فتقدمه ابن قيذافه ، وسار الرسول مقتفيا أثره فى سير حثيث فوصلوا فى طريقهم الى جبل أحجاره بلور ، وعلى الجبل ثمار كثيرة من كل نوع ، وشاهد عليه قرودا كثيرة . فعبروا وساروا الى قرب المدينة فاستقبلت الملكة ولدها . ولما اجتمع سرد عليها جميع أحوال الاسكندر وما عمل فى مدينة فيران من الأسر والنهب . ثم سرد عليها قصة أسره مع صاحبته ، وما هم به الاسكندر من قتله وإراقة دمه ، وأنه ما خلص إلا بشفاعة هذا الرسول . فارتعدت فرائصها من الفزع .

ثم استحضرت الرسول الى إيوانها وسايلته وأكرمته ثم أنزلته فى موضع يليق به ، وأدرت عليه الأنزال ، ونفذت إليه[2] التحف والمبارّ . ثم إنه لما أصبح ركب الى خدمة الملكة فرفعت دونه الحجب وأدخلوه راكبا الى الدهليز . فدخل ورأى الملكة قاعدة على تخت من العاج معتصبة بتاج من الفيروزج ، وعليها قباء صينى منسوج بالذهب ، وهى كأنها فى إشراق الشمس ، فى مجلس سواريه من البلور ، وسقوفه من الجزع المرصع بالجوهر ، على رأسها جواريها فى زينتهن . فبهت الاسكندر لما شاهد إذ لم يكن رأى مثل ما رأى فى بلاد الروم ولا فى بلاد ايران . ولما قرب من الملكة قبّل الأرض وخدم فأكرمته وأكثرت من مسايلته . ثم مدّوا السماط وطعموا . ولما خلا المجلس من الأجانب أمرت بإحضار الشراب والمغنين . وكان أول شربهم على اسم الملكة وكانت فى أثناء الشرب تكثر النظر الى الاسكندر ، فأمرت خازنها بجاء بالحريرة التى فيها صورة الاسكندر مصورة . فلما أحضرت نشرتها وجعلت تنظر فيها وتنظر الى وجه الاسكندر فعلمت أنه الاسكندر وأنه جاءها فى زى رسول . فقالت له : أيها الرسول المسترسل ! هات ما حملك الاسكندر . فقال : إنه أمرنى وقال : قل لقيذافه الطاهرة لا تطابى غير سبيل السداد ، ولا تخالفى أمرنا ، ولتكن يقظتك لك نافعة ، واعلمى أنا لما تحققنا من عقلك ورأيك ودهاءك وحزمك لاطفناك فى المقال ولم نبدأك بالقتال . والأصوب



(١) طا : عاملنى به . (٢) صل : عليه . والتصحيح من طا .

لك بذل الخراج والتزامه لنا . فانه لا يخفى عليك أنه ليس لك بمقاومتنا يدان » . فغاظها ما سمعت منه لكنها آثرت السكون والسكوت . وصرفته الى منزله ووعدته بأن تجاوبه غدا عن رسالته .

فانصرف الاسكندر وعاد اليها من الغد فدخل عليها فى مجلس من البلور منجد بالعقيق والزبرجد، أرضه من العود والصندل، وسقفه من الجزع والزبرجد . فأدهشه ما رأى وبهره ذلك المنظر الأنيق . ثم تقدم حتى قرب من الملكة فأجلس عند التخت على كرسى من الذهب . فقالت له : كأنك قد قضيت العجب من هـذا المجلس . فمدحها الاسـكندر وقال : إنك أعلى الملوك شرفا ومنصبا وأبهرهم جلالة ورفعة ، وإن بحرك لحاو لكل جوهر، وإنك مجتمع كل عز ومفخر . فضحكت لقوله . ثم انتفض المجلس وخلت به وقالت : يابن قيلقوس ! إن قتـالك سرور ، وإنـ نعيمك بوس (١) . فعرفته بذلك أنها عرفته . فاصفر وجهه، وأرعب قلبه فأنكر ما ذكرته . فجاءت بصورته فلما رآها تحير وأظلم فى عينه النهار وقال : لو كان معى خنجر لقتلتك أو قتلت نفسى لصنيعى وتغريرى بروحى . فضحكت وقالت : لا تحتد أيها الشهريار ولا تغتر بنفسك . أين صحة دعواك فيما تزعم أنك عالم الأرض؟ وأى قيمة لعلمك وقـد حملك على أن قدمت بنفسك بين أشداق الثعبان، وعرضتها لباثقة لا تبق ولا تذر؟ ولكنى أعاف إراقة دماء الملوك . فكن آمنا على نفسك فانى لا أسميك مادمت هاهنـا إلا بيطقون، محافظـة على سرك . ولكن لا ينبـغى أن يقف ولدى طينوش على أنك محب للاسكندر أو ناصح له أو قريب منه . فانه رجل خفيف الرأس . وهو ختن قتيلك فور ملك الهند . وأخشى أن ينالك منه مكروه . وانصرف الآن مسرور القلب منشرح الصدر آمن النفس . فانصرف الاسـكندر .

ولـما كان من الغد ركب الى الخدمة فدخل عليها فى مجلس من العاج منجد بألوان الجواهر ، وعندها ولداها طينوش وقيذَروش . ولـما قعد فى مكانه سايلته وقالت له : اكشف لنـا عن سرك، وأخبرنا بما يريد منا الاسكندر . فقال : أيتها الملكة ! قد طال مقامى عنـدك . والذى أمرنى به الاسكندر أن أدعوك الى طاعتـه والتزام الخراج له ، وإن لم تفعلى ذلك رجعت وأتاك بجنوده التى لا قبل لك بها . فلما سمع ذلك طينوش استشاط والتهب كالنار المحرقة ، وقال : كأنك أيها اللئيم الجاهل لا تدرى عنـد من تتكلم . ولا أشك فى خفـة رأسك وامتلائه من العجب . أما تقـول

---

(١) الترجمة غير واضحة . وعبارة الشاه : سواء لديك الهيجاء والمأدبة، والنعمى والبؤس :

بد وكفت كاى زادهٔ فيلقوس همت بزم ورزمست همت نعم و بوس

(انظر مول ج ٥ ص ١٧٢) .

من صاحبك ، وبماذا يعرف بين الملوك ؟ ولولا روعة هذه الحضرة لقطعت رأسك كأترجة تقطف من شجرة . فصاحت عليه أمه وأمرت بإخراجه . وقالت : هل هو إلا رسول بلغ ما حمل؟ ومن سمع برسول قتل ؟ ثم لما خرج ابنها قالت : إن هذا صبي نزق، وأخاف أن يصيبك منه مكروه . وأنت أعقل الناس فأشر علىّ برأيك فيه . قال : فردّيه(١) الى خدمتك . فأمرت بردّه الى الحضرة . فلما عاد تملق له الرسول وفيّل رأى الاسكندر، وسفه عقله فى إنفاذه إلى تلك الحضرة بمثل تلك الرسالة . وأظهر بغضه له وكراهته لأمره . ثم قال له : إن أخذت بيد الاسكندر وأضعها فى يدك أعزل فردا ليس معه سلاح ولا عسكر فأى شئ يكون لى عندك ؟ فانخدع بما قال وسرّ به وقال : إن وفيت بذلك جعلتك على جميع عساكر الغرب أميرا واتخذتك دستورا . ثم قال له : وكيف تقدر على ذلك؟ فقال : تنتخب ألف فارس من شجعان أصحابك، وتأتى معى، ومعك مال كثير وتحف فاخرة . فأتقدمك اليه وأعلمه بمجيئك وأحمله على أن يركب فى جماعة من فلاسفته الى استقبالك . فتخرج اليه من المكمن فتأخذه وترى فيه رأيك . فجعلت قيذافه تتعجب من حيله(٢)، وتعض على شفتها وتبتسم . فتصافقوا على ذلك وخرج الاسكندر إلى منزله . ولما أصبح عاد إلى الخدمة فدخل عليها وخلا بها فحلف بالله وروح القدس، قال : وبدين المسيح والصليب الأكبر(ا) وسائر الأيمان المغلظة أنه بعد ذلك لا يقصد أرض الأندلس لا بنفسه ولا بعسكره ولا يغدر بولدها، وأن يعاملها بالوفاء ولا يسلك معها طريق الجفاء، وأن يكون لصديقها صديقا ولعدوها عدوا .

فلما ظهر للملكة صدقه استحضرت أكابر حضرتها وأركان دولتها فجلسوا على كراسى من الذهب وضعت لهم فى إيوانها . ثم أحضرت ابنيها وجميع أقاربها ثم فاوضتهم واستشارتهم فيما جاء به رسول الاسكندر، وذكرت لهم أن مصالحته أولى وأجدر، وكف عاديته بالمال أحرى وأحزم . فاستصوبوا رأيها واستحصفوا عقلها، ودعوا لها بحسن نظرها لهم . ثم إنها فتحت أبواب كنوزها، وأخرجت تاج أبيها، وكان مرصعا بجواهر لا يعرف قيمتها أحد . فقالت للاسكندر : إن هذا لايصلح إلا لك . ولما رأيتك مستحقا لهذا التاج آثرتك به على ولدى . وأحضرت تختا فى سبعين قطعة بعضها يركب فى البعض عند نصبه ، وهو مرصع باللؤلؤ والياقوت والزبرجد يشتمل من كل جنس منها على أربعمائة قطعة وازنة . وكان حمل أربعين جملا . وأخرجت أربعمائة قطعة من أنياب الفيلة ، وأربعمائة عدد من جلود النمور البربرية ، وألف عدد من جلود الأوعال الملمّعة ، ومن أنواع الثياب ثمانمائة

(ا) هذا من أغلاط الفردوسى فى التاريخ ، كما تقدم

(١) طا : فقال رديه . (٢) طا : حيلته .

تخت . وكان بعض التخوت منحوتا من خشب الشيزى وبعضها منحوتا من العود الرطب الذى لو طبع بطابع لبان فيه أثره، وألف قطعة من السيوف الهندية، وألف جوشن ومغفر، مع مائة فرس بآلاتها، ومائتى جاموس برعاتها، ومائة كلب سلوقى يسبق السهم المرسل فى الصيد. ثم أمرت بتسليم ذلك كله الى بيطقون الرسول، وأمرته بالانصراف من الغد .

فلما طلع الصبح ركب الإسكندر وركب طينوش فى فرسانه، وساروا متوجهين نحو الاسكندر . وكانوا يحطون ويرحلون الى أن قربوا من المعسكر، وانتهوا الى غيضة كثيرة الماء والشجر. فأنزل طينوش وقال : أنا أسبقك الى المعسكر، وأدبر فى إنجاز ما سبق به الوعد . وسار الى أن وصل الى مخيمه فتلقته الأمراء والملوك، واستبشروا بمقدمه، وقد كانوا أيسوا منه حين أبطأ عليهم . فانتخب منهم ألف فارس شاكى السلاح ورجع الى تلك الغيضة، وأحدق بمن معه بها . فلما رأى طينوش ذلك ارتعد فزعا، وعض على يديه ندما . فقال : أيها الشهريار! إنك عاهدت أمى على غير ما أرى منك . فقال : لا تفزع فاست أنقض عهد أمك أبدا . وقد حلفت أن أضع يد الاسكندر فى يدك . وقد أبررت يمينى حين ضربت بيدى على يدك عند أمك، وقد خرجت عن عهدة القسم فى ذلك اليوم . وأنا الاسكندر والرسول معا . وعلمت الملكة بذلك ولم يخف عليها . ثم جلس تحت تلك الأشجار وأمر بترتيب المجلس . ومدوا السماط وطعموا وشربوا . ثم خلع عليه خلعة خسروانية تليق به، وأعطى أصحابه عطايا كثيرة وخلع عليهم خلعا رائقة، وصرفه الى أمه .

(١٣٦)

ذكر تطواف الاسكندر فى أقطار العالم وما رأى فيها من العجائب

قال صاحب الكتاب : ثم إن الإسكندر سار فى عساكره الى أن وصل الى مدينة البراهمة § فلما علموا بوصوله خلصوا نجيا، واجتمع رأيهم على أن كتبوا اليه كتابا يقولون فيه : أيها الملك : ماذا تريد من مدينة سكانها عباد الله ؟ فإن كنت تريد منهم المال فما أنقص عقلك . وهم قوم ليس عندهم سوى الصبر والعلم . وذلك مما لا يسلبونه . ولو أقمت هاهنا لا حتجت أن تأكل الحشيش كما يأكلون .

§ فى الروايات اليونانية والسريانية أن الاسكندر لقى البراهمة بعد حرب فور ولقى قيذافه بعد البراهمة . وكأن قصة الذهاب الى الكعبة التى أدخلها المسلمون غيرت نسق الحوادث، واقتضت أن يأتى الاسكندر من الهند الى بلاد العرب والمغرب ثم يعود الى الهند ليلقى البراهمة . على أن المسعودى يروى حديثا مثل هذا عن الاسكندر وأمة من قوم موسى بالمغرب[1] .

(١) الاشراف ص ٨٤ — ٨٦

وكان الواصل بهذا الكتاب الى الاسكندر رجلا حافيا حاسرا ملتحفا بإزار منسوج من الحشيش . فلما قرأ الكتاب ترك العسكر فى مكانه، وركب فى جماعة من فلاسفته، وصار اليهم الى مدينتهم . فاستقبلوه وأحضروه من قوتهم الذى كانوا يزجّون به وقتهم، ودعوا له وأثنوا عليه . فرآهم قوما حفاة عراة قد ستروا عوراتهم بأُزُر من الحشيش ، ورأى فيهم عابدا قد اتّزر بجلد غزال . فخاطبهم الاسكندر فى أمر ملبوسهم فقال : من ولد عريانا فلا ينبغى له أن يكون حريصا على الملبوس على أنه اذا واراه التراب فهو على خوف من العذاب والبوس . فسأله الاسكندر عن أعظم الذنوب فقال: الحرص على الدنيا . وإن أردت أن تقف على حقيقة ذلك فاعتبر بنفسك . فانك مع احتوائك على جميع ممالك الأرض طالب اليها الزيادة غير قانع بعظيم ما أوتيت من الملك والسيادة . ثم قال لهم : ارفعوا إلىّ حوائجكم فلن أدخر عنكم شيئا، وأسعفكم بمطالبكم عفوا . فقال له أحدهم : أيها الملك! أغلق دوننا باب الشيب والموت . فقال له : كيف تسلم من الموت وهو لا محالة يهدم بناء عمرك وان كان من حديد؟ وكيف تنعم بالشباب ومشرعه لابد أن يكدّر برنق المشيب؟ فقال له البرهمى[١] : اذا كنت تعلم أنه لا مفرّ من الموت ولا سلامة من غصة الشيب فما بالك[٢] تطلب الاحتواء على العالم بجهدك ، وتعرض للسم القاتل نفسك ، وتتعب لغيرك، وتجمع لمن يفرقه من بعدك ؟ والشيب بين يدى الموت نذير، واذا طمعت فى الحياة بعده فليس لك عذير . ثم إن الاسكندر وهب لهم هبات كثيرة فما قبلوها، واستعرضهم حوائجهم فما عرضوها . فانصرف عنهم .

وسار حتى وصل الى بحر عظيم فرأى عنده رجالا متنقبين كالنساء لا يعرف لسانهم عربى ولا فهلوى (ا) . وكان قوتهم من السمك وحيوان البحر . ثم إنه لمح وسط البحر جبلا أصفر

= وقد حدث ونسيكريتوس أن الاسكندر أرسله الى البراهمة ، وأنه لقى خمسة عشر منهم بين قائم وقاعد ومضطجع، عراة فى الشمس، وأنه حادث اثنين منهم الخ[٣] .

وقد ذكر بلوتارك المؤرخ أن حديث الاسكندر والبراهمة كان أثناء مسير الاسكندر فى نهر السند الى المحيط . وذكر محاورة الاسكندر إياهم . وهى محاورة تختلف فيها الروايات بعض الاختلاف[٤] .

(ا) فى الشاه : ليس لسانهم العربية ولا الفارسية القديمة ولا الفهلوية ولا التركية ولا الصينية .

زبانها نه تازى ونه خسروى نه چينى نه تركى ونه پهلوى

(١) طا : البرهمن . (٢) طا : فما بالك قد صرت تطلب الخ . (٣) ، (٤) ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦١ و ٦٧

كالشمس فأمر بالقاء سفينة فى المـاء ليركبها و يشاهد عجائب ذلك الجبـل . فمنعه من ذلك بعض[١] الفلاسفة وقال : لا تخاطر بنفسك وليركبها غيرك ممن يأتى بخبره . فأركب تلك السفينة ثلاثين شخصا من الروم وغيرهم . فلما قربت السفينة من الجبـل تحرك . واذا به حوت فالتقم السـفينة بمن فيها . وانساب فى البحر . فتعجب وقال : العلماء حفظة أرواح الملوك . فطوبى لمن عرف قدرهم واتبع أمرهم §.

فسار الاسكندر الى أرض قصباء كبيرة القصب[٢] كأنها أشجار الدُّلب عِظَما . وفيها غدير عظيم ماؤه زعاق كأنه سم ذعاف . فعبر منه .

وانتهى الى ساحل بحر آخر عظيم فصادف أرضا طيبة العرف كأنها تتأرّج بأريج المسـك، وماء عذب المذاق فى حلاوة الشهد . فنزلوا واستراحوا[٣] فبيناهم فى منزلهم إذ خرجت من المـاء أفاع كثيرة، وطلعت من الأجمـة عقارب كالنار ملتهبة وأتتهم[٤] من جميع جوانبهم فحول من الخنازير ذوو أنيـاب كالحراب، وضوارى سباع ما لأحد بها طاقة . فهلك من الأكابر والأمراء خلق كثير . فارتحـلوا وانحازوا عن ذلك المكان . وطرحوا النار فيما كان هناك من القصب حتى احترق . وقتلوا كثيرا من[٥] السـباع .

§ يظهر أن القوم المذكورين هنا هم أهل الساحل فى بلوخستان . وقد وصفهم المؤرّخ أريان بأنهم يشبهون الهند فى اللباس والسلاح، ويخالفونهم فى اللغة والعادات . وقد نقل المؤرّخ المذكور عن نرخوس قائد أسطول الاسكندر، ووافقه السياح فى عصرنا الحاضر، أن أهل الساحل المذكورين يعيشون على السمك ليس لهم طعام غيره بل يطعمونه دوابهم كذلك الخ . ويقول أريان أن بيوتهم من عظام الحيتان . وقد سماهم اليونان "آكلى السمك"[٦] .

وذلك يوافق ما يقال عن أهل مكران أن بلاهم سميت مكران لكثرة أكلهم السمك، وأن أصل الكلمة بالفارسية "ماهى خوران" أى "أكلة السمك" .

(١) كلمة «بعض» من طا . (٢) طا : عظيمة القصب . (٣) طا : فاستراحوا وأراحوا .
(٤) صل : فأتتهم . والتصحيح من طا . (٥) طا : من تلك السباع .
(٦) ورنر ج ٦ ص ٦٩ وما بعدها .

فسار من ذلك المكان الى أرض الحبشة § فاجتمعت منهم آلاف مؤلفة من كل غرابج ترتج الأرض بنعيبه ، ويمتلئ الجو بنعيقه . فقاتلوه برماح أسنتها من العظام فقتلوا كثيرا من أصحابه . فأمر عند ذلك رجاله بالجد فى قتالهم فتدججوا وصافّوهم فكانت الدبرة على الحبشة فأفناهم القتل .

ولما جن الليل سمعوا صوت الكركدن فتصدّى لهم . وهو حيوان أعظم من الفيل له قرن فى أم رأسه فى لون النيل . فأهلك خلقا من أصحابه . ثم رشقوه بالسهام فانهد كأنه جبل من حديد .

ثم لما أصبح رحل وسار حتى وصل الى أرض فيها خلق (١) عراة كأنهم أشجار باسقة . فلما رأوا الاسكندر صاحوا واجتمعوا وقاتلوهم بالحجارة وأمطروها عليهم . فواقعهم أصحاب الاسكندر وقتلوهم حتى لم يبق منهم إلا قليل .

وسار حتى وصل الى مدينة كبيرة بين يديها جبل عظيم يكاد يمس السماء فاستقبله أهلها بالتحف والمبارّ والخِدم فأحسن اليهم . ثم سايلهم عن الطريق فقالوا : أيها الملك : كان الطريق على هذا الجبل . وقد قطعه الآن ثعبان عظيم لا يتجاسر معه أحد على العبور فيه . وله علينا كل يوم وظيفة خمسة ثيران نلقيها اليه فيبتلعها وينكف بذلك عن أن يتقدّم الى هذا الجانب . فأمر الاسكندر بخمسة ثيران فذبحت وسلخت جلودها وحشيت سما ونفطا . فأمر بإصعادها الى الجبل وإلقائها الى الثعبان . فابتلعها فلم يلبث (١) أن تقطعت أمعاؤه من السم . وصعد بخار السم والنفط الى دماغه فأخذ يضرب برأسه على الجبل حتى انفلق وتشقق . فقطعوه بالسيوف .

---

§ كان اليونان يتخيلون أن الهند هى بلاد الحبش الشرقية التى تمتد الى نهاية العالم، وأن أهلها، كأهل بلاد الحبش الغربية، قد اسودت وجوههم بوهج الشمس . وقد ذكر هيردوت بلاد الحبش الشرقية كذلك ولكنه ميزها من الهند . وذكر سترابو أن الاسكندر نفسه حينما رأى نهر السند توهم أنه النيل (٢) . وقد عرّفت أسفار الاسكندر اليونان أن الهند غير الحبش . ولكن بقى فى الأساطير آثار الأوهام القديمة .

ومن أجل ذلك نرى الاسكندر فى قصة الشاهنامه يسير، بعد لقاء البراهمة، فى أرض تؤدّيه الى أرض الحبش، كما يرى القارئ .

(أ) . اسمهم فى الشاهنامه نرم پاى أى ذوو الأقدام اللينة . وقد تقدّم ذكر نرم پاى فى وقائع مازندران (فصل كيكاوس ص ١١٥ حاشية) .

(١) طا : ينشب . (٢) ورنر (Warner) ج ٦ ص ٦٨

وعبر الاسكندر بعساكره وسار حتى وصل الى جبل آخر عال فى السماء فأصعدوا فيه فرأوا على رأس الجبل تختا من الذهب منصوبا وعليه شيخ ميت مسجّى بديباج على رأسه تاج(١) مرصع بجواهر تزهر للعيون . فلم يتجاسر أحد على القرب منه . وكان كل من يقدم اليه تأخذه الرعدة فى مكانه ويموت فى وقته . فلما صعد الاسكندر ذلك الجبل ورأى التخت سمع هاتفا يقول : أيها الملك ! قد جهدت زمانا طويلا وأفنيت من الملوك كثيرا . وقد دنا وقتك وحان حينك » . فعظم عليه ذلك واصفر لونه .



وسار قاصدا قصد مدينة هروم . وهى مدينة سكانها بنات أبكار لا يمكّن أحدا من القرب من المدينة ، لم يخلق للواحدة منهن إلا ثدى واحد وهو الأيمن فحسب ، وهن فى الأيسر كالرجال . قال : فكتب الاسكندر اليهن كتابا يدعوهن الى الطاعة ، ويذكر أنه ماجاء لقصد قتالهن ولا لنهب بلادهن ، وأنه لم يرد سوى رؤية المدينة والاعتبار بأحوالها . ونفذ بالكتاب فيلسوفا وأمره بأن يلاطفهن فى الخطاب ويرجع اليه بالجواب . فصادف الرسول أهل المدينة نساء كلهن ليس فيها رجل . فاستقبلنه على الخيول فى آلات الحرب فقرأن الكتاب وقلن فى جوابه : إنك رجل كبير ، وصيتك عال رفيع . فلا تفسدنه بأن يقال أنك قاتلت النساء وانهزمت منهن . فان ذلك يجر عليك عارا لا يزول أبدا . ولكن إن جئت للتطواف فى مدينتنا والنظر اليها والوقوف على أحوالها أكرمنا مقدمك وتلقينا بالجميل موردك . وختمن الكتاب وأنفذنه على يدى امرأة عاقلة فى ملابس الملوك ومعها عشر فوارس منهن . فلما أتت الاسكندر ووقف على ما صحبها من الجواب أكرمها وقال : مالى حاجة فى مدينتكن سوى النظر اليها . وإذا حصل ذلك عبرت وتجاوزت الى طرف آخر . فعادت وأعلمت صواحبها بما جرى . فاجتمعن واتفقن على إعداد تحف برسم الملك ، من التيجان المرصعة والجواهر النفيسة وغير ذلك مما يصلح أن يخدم به الملوك .

ثم رحل الاسكندر من منزله وسار فهاج عليهم بعد مرحلتين هواء شديد وتغيمت السماء وسقط عليهم ثلج أهلك خلقا من أصحاب الاسكندر . فسار فى ذلك الزمهرير منزلين . ثم شاهدوا دخانا مرتفعا فى السماء وسحابا أسود كأنه يمطر النار فحمى الهواء وعظم الحرّ حتى حميت الدروع على أكتاف الرجال فأحرقتها . فسار على ذلك فوصل الى مدينة فيها ناس سود الوجوه كالسَّبَج ، هدل الشفاه ، تتوقد النار من أحداقهم وتخرج من أفواههم . فاستقبلوا الاسكندر وخدموه بفيلة عظيمة وتحف كثيرة وقالوا : إنا لم نر أحدا وصل الى هذه المدينة ، ولم نر راكب فرس قط . فأقام الملك فيها شهرا .

---

(١) كلمة « تاج » من طا .

ثم سار قاصدا قصد مدينة النساء فعبر اليه البحر جلائل أهلها فى ألفين من فوارسهن مستقبلات له فقدّمن اليه برسم الهدية تيجانا مرصعة وجواهر نفيسة وثياب وَشْى . ثم ركب الاسكندر ووصل إلى المدينة فأكرمن مقدمه ونثرن عليه نثارات، وخدمنه بتحف ومبرات . ولما رأى المدينة وأهلها، ووقف على أحوالها خلع عليهن وأحسن اليهن، وارتحل .

وسار قاصدا قصد مغرب الشمس فوصل الى مدينة فيها ناس حمر الوجوه صفر الشعور فسايلهم الاسكندر عمن يعرف عجائبها . فقال له من أهل تلك المدينة شيخ طاعن فى السن : إن وراء مدينتنا عينا كبيرة فيها تغرب الشمس وتغيب . ووراء هذه العين ظلمات، وفيها من العجائب ما لا يحيط به الوصف . وقد قال بعض عبادنا : إن فيها عينا يقال لها عين الحياة من شرب منها يخلد ولا يموت . لأن مدد مائها من أنهار الفردوس. ومن اغتسل فيها تساقطت عنه ذنوبه (أ) . فقال له الاسكندر: كيف تسلك الدواب طريق هـذه الظلمة ؟ فقال : من أراد أن يسلك طريقها لا ينبغى أن يركب إلا مهرا . فأمر الاسكندر بجمع الخيل فاختار منها عشرة آلاف مهر رباع قوى . وسار فى عساكره حتى وصل الى مدينة كبيرة فيها نعم كثيرة وبساتين وسيعة وقصور رفيعة فنزل فيها . وصار وحده الى مغرب الشمس فبقى ينتظر غروبها . فلما كان عند الغروب شاهد قرص الشمس وهى[1] تغيب فى تلك العين . فجعل يسبح الله تعالى ويقدّسه . ثم انصرف الى معسكره فانتخب من أصحابه من عرفه بالعقل والصبر. وتزوّد لأربعين يوما، واختار من يصلح أن يتقدّم أمامهم ويسير بين أيديهم . فوقع الاختيار على الخضر[2] فانه كان سيد الجماعة وصاحب الرأى فيما هم بصدده . ففوّض الاسكندر اليه أمره، وقال : أيها الرجل المتيقظ ! نبه قلبك لهذا الأمر . فإنا إن عثرنا على ماء الحياة بقينا نعبد الله تعالى الى آخر الأبد . وإن معى خرزتين تتقدان كالشمس فى جنح الليل . فخذ إحداهما، وسر قدّام القوم، وتكون الأخرى معى . وأنا والعسكر نقتفى أثرك ونبصر ماذا قسم الله تبارك وتعالى لنا . فتقدّم الخضر، وسار الاسكندر فى أثره حتى سار فى الظلمات مرحلتين . ولما كان المنزل الثالث عرض لهم فى الظلمات طريقان فسار الخضر فى إحدى الطريقين ، ووصل الى عين الحياة فشرب منه واغتسل وفاز بالمطلوب وضل الاسكندر عنه فسلك[3] الآخر فأفضى به الى الضوء، وخرج من الظلمة فرأى جبلا شاهقا فى السماء على رأسه أشجار من العود، وعلى كل شجرة طائر أخضر، فلما

(أ) قصة الظلمات وعين الحياة فى الشاه تخالف الروايات اليونانية فى كثير من التفصيل . والخضر لا يذكر فى القصة اليونانية التى تشبه فى بعض مواضعها قصة موسى والخضر شبها أدى الى ذكر الخضر فى الشاهنامه والروايات العربية .

(١) طا : وهو يغيب . (٢) طا : صلوات الله وسلامه عليه . (٣) طا : الطريق الآخر .

رأته الطيور نطقن باذن الله باللسان الرومى . فدنا من طائر وأصغى ليسمع كلامه فقال له : ماذا تريد أيها الشعبان من الدنيا الفانية ؟ وأنت لو بلغت السماء لم يكن لك بد من الموت . ثم قال للاسكندر: هل حدث للزنا وهل استعمل الآجرّ فى البناء؟ فقال نعم . فقال : وهل قرع سمعك صوت المزهر، وصياح السكران، ونغم الغناء ؟ فقال نعم . فنزل اليه الطائر عند ذلك وقال : أيما أكثر : العلم مع السداد أم الجهل مع الفساد ؟ فقال العالم بين الناس عزيز . فرجع الطائر الى مكانه وقال له : هل يسكن العباد فى بلادكم الجبال ؟ فقال : وهل لهم سكنى إلا فى الجبال ؟ ثم قال له : اصعد الى رأس هذا الجبل وحدك راجلا ليس معك أحد فابصر ما هنالك، فصعد الاسكندر وحده فرأى إسرافيل عليه السلام (أ) . على رأس ذلك الجبل و بيده الصور، وقد نفخ شدقيه، وملأ من الدموع عينيه ينتظر متى يأتيه الأمر فينفخ قال : فلما نظر الى وجه الاسكندر صاح عليه وقال يا عبد الحرص! لا تجهدن هذا الجهد فسوف يأتيك الأمر بالمسير، ويقرع سمعك النداء بالرحيل. فقال الاسكندر: (١٣٨) لم يقسم لى غير الحركة والطواف فى أقطار الأرض . ثم نزل من الجبل حليف كآبة ورنين . وعاد القهقرى الى الظلمات . فلما توغلها هتف هاتف من الجبل الأسود الذى كان هنالك وقال : من يحمل من حجارة هذا المكان يندم ومن لا يحمل منها فهو أيضا يندم . فحمل منها بعضهم وأعرض عنها بعضهم . فلما خرجوا من تلك[1] الظلمات رأوا تلك الحجارة جواهر ويواقيت فندم من حمل حيث لم يستكثر، وندم من لم يحمل حيث لم يحمل .

قال : ثم إن الاسكندر أقام بعد خروجه من الظلمات مقدار أسبوع[2] . ثم ارتحل متوجها نحو المشرق فسار حتى انتهى الى مدينة كبيرة فاستقبله أكابر أهلها فأكرمهم الاسكندر وأحسن اليهم . ثم سايلهم عن عجائب ما هنالك فأجهشوا اليه بالبكاء وقالوا : أيها الملك! إن أمامنا أمرا عظيما لا بدّ لنا من عرضه على رأيك . ونحن منه فى عناء وتعب شديد . وذلك أن وراء هذا الجبل يأجوج ومأجوج . وهم يفسدون فى أرضنا ويعيثون فى بلادنا . وهم فى خلقهم بحيث لا تتجاوز قامة أحدهم شبرا . ومع ذلك فقد ملئوا الأرض فسادا وشرا . ولهم وجوه كوجوه الإبل، وأنياب كأنياب الخنازير. ألسنتهم سود وأعينهم حمر . وعلى أبدانهم شعور فى لون النيل، ولهم آذان كآذان الفيلة . اذا نام أحدهم افترش إحدى أذنيه والتحف بالأخرى . لا تموت الأنثى منهم حتى تلد ألف مولود . وهم فى الكثرة بحيث لا يعرف عددهم إلا الله عز وجل . واذا كان فصل الربيع وجاش البحر وأرعد الجو

(أ) ذكر اسرافيل من زيادات الروايات العربية أيضا .

(١) طا : من الظلمات . (٢) طا : أسبوعين .

احتمل السحاب التنين من البحر فألقاه اليهم . فيجتمعون اليه ويأكلون منه حتى تعبل أجسامهم وتسمن أبدانهم . ويكون ذلك من السنة الى السنة . وفى سائر السنة يجترئون بنبات الأرض وبما يختطفونه من كل جانب، واذا كانت أيام الشتاء اعتراهم الضعف حتى يصير صوت أحدهم فى رز صوت الحمام . واذا أقبل[1] أيام الربيع عادوا كالذئاب الضارية . فان أنعم الملك بالتدبير فى كفاية شرهم وكف معرتهم شكر سعيه بكل لسان، ودام ذكره الى آخر الزمان. فتعجب الاسكندر مما أوردوا واهتم لذلك . ثم غاص فى بحر الفكر فقال لهم : إنى أعاونكم منى بالأموال والكنوز فعاونونى بنفوسكم حتى أعمل دونهم سدّا بقدرة الله الذى لا إله إلا هو سبحانه وتعالى . فدعوا له وقالوا : إنا كلنا عبيدك فيما تأمر به . فجاء الاسكندر فى علماء فلاسفته وأصحاب رأيه فنظر الى الجبل فأمر باستدعاء الحدّادين والفعلة، وأمر باحضار النحاس والرصاص والجص والحجارة والحطب . فجمعوا من كل واحد ما لا يحيط به الحصر . وحشر صناع الأقاليم فسدّ ما بين الجبلين بسدّين من قرار الأرض الى رأس الجبل . وجعلوا الأساس فى عرض مائة ذراع . فكانوا يصفون من زبر الحديد صفا فى مقدار ذراع، ويضعون عليه الفحم والنحاس، ويجعلون الكبريت فوقه، ثم صفا آخر فوقه كذلك ثم آخر وآخر حتى انتهى الى رأس الجبل وساوى ما بين الصفين[2] . ثم خلطوا النفط والدهن وأفرغوه على رأس الجميع ثم صبوا عليه الفحم ثم ألقوا فيه النار . واجتمع عليه مائة ألف حدّاد ينفخون فيه فارتفع الدخان فى السماء وتمكنت النار فيه وبقيت كذلك تتقد زمانا حتى تراصّت الأجزاء وتهندم البناء . فتخلص العالم بالسدّ الاسكندرى من شر يأجوج ومأجوج وعاديتهم ولله الحمد . § قال : وطول هذا السدّ خمس خمسمائة ذراع فى عرض خمسمائة ذراع .

---

§ تصف كتب التاريخ والبلدان سدودا بين بلاد الترك والبلاد المجاورة . منها سدّ بين إيران وبلاد الخزر يصل ما بين جبال القوقاس وبحر الخزر[3] . ومنها سدّ فى جرجان بناه الساسانيون[4] . ومنها سور بخارى الذى بناه "ملك من ملوك الصغد فى سالف الدهر مانعا لغارات أجناس الترك ودافعا لأذيتهم . وجدّد فى أيام المهدى، وكان قد تهدّم، على يدى أبى العباس الطوسى أمير خراسان[5]".

وأكثر الكتب على أن سدّ الاسكندر أو سدّ يأجوج ومأجوج هو السدّ الذى بين جبال القوقاس وبحر الخزر . ولكنه لا يلائم ما وصف به سدّ يأجوج ومأجوج أنه بين جبلين . وأقرب =

(١) طا : أقبلت . (٢) أظنها محرفة عن الصدفين . كما فى القرآن . (٣) أنظر البلدان ص ٢٨٨ و ٢٩١، ومروج الذهب ج ١ ص ١٦٤ ونزهة ٢٤٣، والبيرونى ص ٤١ (٤) البلدان ص ٣٠٤، فارس نامه ص ١٥٩ (٥) الإشراف ص ٦٥

ولما أحكم الاسكندر ذلك ارتحل من تلك المدينة وسار مسيرة شهر فوصل الى جبل من اللازورد، على رأسه بيت من الياقوت الأصفر، فيه قناديل معلقة من البلور، وفى وسطه عين ماء مالح فيه جوهر أحمر له أشعة تثبت أنوارها على الماء فيمتلئ البيت منه بالأضواء . وعند العين تخت من الذهب منصوب عليه شخص مسجّى مضطجع، رأسه كرأس خنزير، وبدنه كبدن إنسان، قد فرش تحته الكافور، وكان من قصد أخذ شىء من ذلك البيت تأخذه الرعدة ويموت فى مكانه . فسمع الاسكندر هاتفا من تلك العين يقول : أيها الرجل الحريص! لا تحرضنّ هذا الحرص كله فقد رأيت مالم يره أحد . فالواجب أن تصرف[1] عنانك فقد دنت أيامك، وشارف الانقضاء ملكك . ففزع الاسكندر وأسرع الانصراف الى معسكره .

ثم ارتحل وسار حتى خرج من البرية وانتهى الى مدينة آهلة ففرح حين سمع صوت الإنس واستأنس . فتلقاه أهل المدينة وأظهروا السرور بمقدمه، ونثروا عليه النثار الكثير، وقالوا : نحمد الله حين جعل عبورك علينا . فإنه لم يأت هذه المدينة عسكر قط، ولا سمع فيها اسم ولا ذكر لملك . فسايلهم عن عجائب مدينتهم فقال بعضهم : أيها الملك ! إن هاهنا عجبا لا يوجد فى العالم مثله . وذلك أن هاهنا شجرتين (ا) ذكرا وأنثى ينطق الذكر بالنهار والأنثى بالليل . فركب الاسكندر واستصحب ترجمانا منهم فى جماعة من أصحابه . فسأل الترجمان، وقال : متى تتكلم الشجرة ؟ فقال : اذا عبر تسع ساعات من النهار تكلم الذكر . واذا جن الليل تكلمت الأنثى . فقال له : واذا تجاوزنا هاتين[2] الشجرتين فما الذى نراه بعدهما؟ قال إن الدنيا تنتهى عند ذلك، وما بعدهما[3] يسمى طرف العالم . ولما قرب من الشجرتين رأى الأرض ملأى من جلود السباع فسأله عن ذلك فقال: إن لهاتين الشجرتين عبادا يعبدونهما واذا جاءوهما[4] للعبادة فلا يأكلون إلا لحوم السباع . قال : فلما

= منه الى هذا الوصف أن يكون السد فى شعب دريَل فى جبال القوقاس . وهو الممرّ الوحيد فيها . وقد حصن منذ زمن بعيد . وعليه الآن قلعة روسية تحميه . وكان العرب يسمونه باب اللان. وهو نفنف بين جدارين من الصخر يرتفعان زهاء ستة آلاف قدم[5] .

والصحيح أن السدّ الذى بين القوقاس وبحر الخزر هو سدّ كسرى أنوشروان .

(ا) فى الشاهنامه : شجرة ذات جذعين ذكر وأنثى . ولعل هذا سبب اضطراب نسخ الترجمة فى تثنية الضمير العائد الى الشجرتين وإفراده .

(١) طا : تصرف الآن عنانك . (٢) صل : ما بين . والتصحيح من طا . (٣) صل : وما بعدها . والتصحيح من طا . (٤) صل، طا : جاءوها . (٥) ورنر، ج ٦ ص ٧٩، ودائرة المعارف البريطانية (Darial)



اسكندر والشـــجرة المتكلمـــة

[منقولة من كتاب النقش فى الاسلام (Painting In Islam) لسير توماس أرنولد ص ١١٦]

انتصف النهار سمع الاسكندر من إحدى الشجرتين صوتا أزعجه . فسأل الترجمان عما قالت فقال : إنها تقول : ما بال الاسكندر يجول فى أقطار الأرض وقد استوفى نصيبه من العيش ، وعند استكمال أربع عشرة سنة من سلطانه يحين حين ارتحاله ؟ فبكى الاسكندر وامتلأ هما وحزنا ، وبقى واجما لا يتكلم الى نصف الليل . فتكلمت الشجرة الأنثى . فسأله عما قالت فقال : إنها تقول : إنك تجول حول الأرض من حرصك ، ولم يبق إلا قليل من عمرك . فلا تتعب نفسك ولا تضيق عليها أمرك . فقال له الاسكندر : سلها هل تكون أمى حاضرة عند رأسى اذا أتانى أمر ربى؟ فسألها عن ذلك . فقالت : شدّ رحالك وأقصر عن ظنك . فإنه لا تحضرك أمك ولا قرائبك[1] ولانساء بلدك . ولا تموت إلا غريبا فى بلاد غيرك . فانصرف الاسكندر وقيذ القلب منخزل النفس نحو معسكره . فقدّم اليه أهل تلك المدينة جواشن ودروعا وتحفا كثيرة فيها مائة بيضة من الذهب وزن كل بيضة ستون منا ، وصورة كركدن من الذهب مرصعة بالجوهر . فقبل هداياهم وارتحل نحو الصين .

فلما قرب منها نزل فى عسكره واستحضر الكاتب فأمره أن يكتب[2] الى بغبور كتابا مملوءا بالوعد والوعيد ، وختمه . واستصحب بعض ثقاته وأصحاب رأيه ، وركب منهم فى خمسة فرسان حتى أتى ملك الصين فى زىّ رسول . فلما وصل اليه أكرمه وأنزله فى موضع يليق به . ثم لما كان من غده أنفذ اليه مركوبا خاصا بآلات الذهب واستحضره . فحضر وأدّى الرسالة ، ودعاه أن يبادر الى خدمة الاسكندر ويسارع الى حضرته . فإن لم يفعل ذلك فلينفذ اليه طوائف الصين من خيل وأسلحة وثياب وذهب وفضة ليصرفه بذلك عن أذاه . فضحك بغبور وسأله أن يصف له الاسكندر ، وينعت صورته وشكله ، ويصف مكارمه وسيرته . فاندفع الرسول يورد ذلك ويسرده . ثم إنه استحضر الطعام والشراب ، ولما ثملوا صرف الرسول وقال : سنجيب غدا عن رسالة صاحبك . فانصرف الى منزله وهو بين الصاحى والسكران وبيده أترجة . ولما طلعت الشمس من غده ركب الى حضرة بغبور فسايله ولاطفه . ثم استحضر الكاتب وأجاب عن كتاب الاسكندر . وفتح أبواب خزائنه وأخرج خمسين تاجا مرصعا بالجواهر وعشرة تخوت من العاج ، وأوقر ألف جمل من الديباج والخز والحرير والكافور والمسك والعبير الى غير ذلك من الذهبيات والفضيات وجلود السنجاب والقاقم والسمّور . ثم اختار رجلا من أكابر الصين موصوفا بالعقل والرأى ، ونفذه بكل ذلك فى صحبة الرسول . فلما انتهى الى ساحل البحر بادر الملاح فحمله فى مركب وعبر به الى المعسكر . فلما أحس أصحابه بوصوله استقبلوه . ولما رأوه ترجلوا وسجدوا بين يديه . فعلم رسول بغبور أنه هو الاسكندر

(١) طا : قرابتك . (٢) طا : فأمره فكتب .

نفسه فنزل وسجد له . ثم لما أصبح الاسكندر جلس مجلسه من تخت السلطنة نخلع على رسول يغبور وأعطاه عطايا كثيرة وصرفه الى صاحبه . ثم أقام الاسكندر فى ذلك الموضع شهرا من الزمان .

فلما برد الهواء ارتحل وسار حتى وصل الى مدينة جغوان ورحل منها قاصداً قصد السند . فركب ملكهم وكان يسمى بنداه فى رجاله السود، وبرز[1] الى قتاله فى أمثال الأسود . فجرت ملحمة أفنت السودان عن آخرهم وأتى الأسر والنهب على نسائهم وذراريهم . ثم سار الاسكندر الى نيم روز، وصار منها الى اليمن (أ) . فاستقبله صاحب اليمن بالهدايا الجليلة والتحف الكثيرة . فأكرمه الاسكندر وأحسن اليه .

ثم ارتحل من اليمن قاصدا قصد بابل فوصل فى طريقه الى جبل عظيم فأتعبهم العبور فيه . فلما قطعوه وأسهلوا أفضوا الى بحر عظيم فعثر بعض أصحابه فى ساحله على رجل متسربل البدن بالشعر، له أذنان كآذان الفيلة . فاجتروه الى خدمة الاسكندر . فقال له الاسكندر : ما اسمك ومن أنت ؟ فقال : أيها الملك إن أبى وأمى سميانى بستركوش (ب) يعنى لحافى الأذن . فقال له : ما هذا الذى نرى فى وسط البحر؟ فقال مدينة طيبة، وفيها خلق طعامهم من السمك وأبنيتهم من عظام السمك . فان أمر الملك عبرت اليهم وأخبرتهم بمقدمه وحملت منهم جماعة الى خدمته . فأذن له الملك فى ذلك فعبر اليهم[2] فى ساعة وانصرف ومعه ثمانون شخصا من عقلاء تلك المدينة فى ملابس الخز والحرير، بعضهم شبان وبعضهم شيوخ، مع كل شيخ منهم جام مملوء من الدر ومع كل شاب تاج من الذهب . فحضروا بين يدى الملك نخدموه وسايلهم عن أمور أجابوه عنها . وأقاموا فى منزله على البحر الى طلوع الفجر من الغد . فارتحل متوجها نحو بابل وقد علم أن أجله قد قرب .

وكان يخاف من الكيانيين على بلاد الروم بعد موته فعزم ألا يبقى منهم أحدا . فكتب كتابا الى الحكيم أرسطاليس[3]، وذكر فيه حاله وما هم به . ثم استقدم جميع أكابر الكيانية من أوطانهم وأمرهم بالمبادرة الى حضرته . فوصل كتاب أرسطاليس وهو يقول فيه : قد آن لك أن ترتدع عن الشر. فاستسلم لأمر الله عز وجل، وفوض اليه أمورك، ولا تزرع فى ملكك غير الحسنى . وما أشرت اليه فلا تجزع منه ولا تهتم له . فإنا لم نولد إلا للموت، وما استصحب أحد فارق الدنيا مالا ولا ملكا .

(أ) يحدث التاريخ أن الاسكندر بعد حرب فور لقى عداء من ابن أخى فور، وقد ساءه صلح الاسكندر وعمه . وكذلك يعرف التاريخ أن بعض جند الاسكندر رجعوا من الهند بطريق نيم روز .

(ب) هذه كلمة فارسية : بستر الفراش، وكوش الأذن .

(١) طا : برزوا . (٢) صل : اليه . والتصحيح من طا . (٣) طا : أرسططاليس .

وإياك أن تمس أحداً من الكيانية فإنه لا يحسن غرس العداوة فى القلوب . فاتق الله ولا تسفك دماء الأكابر . فإنه يثمر اللعن الى يوم القيامة، ولا يورث غير الحسرة والندامة . والرأى أن تستحضر أكابر بيت الملك، وتملك كل واحد منهم بلداً أو إقليما، ولا تجعل لبعضهم على بعض حكما ولا يداء، ولا تسمين منهم للسلطنة أحدا حتى تشغلهم بحربهم عن بلاد الروم . فلما قرأ الإسكندر كتاب الحكيم استحضر الأكابر الكيانيــة وأجلسهم فى مراتبهم فى خدمتــه ثم فرّق عليهم الممالك ، وأمرهم أن يكتب كل واحد منهم كتاب عهــد يعاهد فيــه على ألا يطلب الزيادة على ما فى يده، ولا يتعرّض لمملكة غيره، ويجترى بمـا فى حكمه وتحت يده، فاستتب منهم ذلك فسموا ملوك الطوائف

ذكر وفاة الإسكندر

قال صاحب الكتاب : ثم إنه وصل الى بابل فاتفق أنه ولد فى تلك الليلة مولود له رأس كرأس الأسد، وحافر كحافر الدواب، وذنب كذنب الثور، لا يشبه الإنس إلا[1] فى صدره وكتفه . فلما وضعته أمه مات فى الحال . فحملوه الى حضرة الملك فتطير منــه واستحضر المنجمين وسألهم عن طالع ذلك المولود وما تدل عليــه أحكام النجوم فى ولادته . فأظلمت الدنيـا فى عيونهم لمـا فهموه ، وكتموا الاسكندر ما علموه . فأوعدهم وهدّدهم فقال له بعض المنجمين : أيها الملك ! إنك ولدت على طالع الأسد . فاذ قد رأيت رأس المولود الميت مثل رأس الأسد فقد دل على زوال ملكك وانتهاء عمرك . واتفقت كلمة سائر المنجمين على ذلك . فاغتم الاسكندر ثم قال : إنه لا بد من الموت، ولست أهتم لذلك . ثم مرض فى يومه ذلك وهو ببابل فاستحضر كاتبه وكتب الى أمه كتابا يعزيها فيه عن نفسه، ويوصى اليها ويأمرها بالصبر والرضاء بما قدّر له من قصر العمر، والتسليم لقضاء الله النافذ فى الخلق . وقال : إنى قد أمرت أكابر الروم، اذا انصرفوا من هذه البلاد، بالتمسك بطاعتك والانقياد لأمرك . وأما أكابر ايران الذين كان يخاف على بلاد الروم من معرتهم فقــد ملكت كل واحد منهم إقليما من الأقاليم حتى يمنعه الشغل بما فى يده عن بلاد الروم . واذا مت فادفنونى فى تراب مصر، وفرّقوا من خزائنى مائة ألف دينار فى هذه السنة على المشتغلين بأنفسهم من عباد الله . وروشنك — يعنى زوجته — إن ولدت ابنا فهو ملك الروم لا غير . وإن ولدت بنتا فلتزوّج من ابن فيلقوس ، وأتخــذيه ولدا ، وجدّدى به ذكر الاسكندر أبدا . وأما ابنة كيد ملك الهند فردّوها، إن أرادت، إلى أبيها مع خزائنها التى جاءت معها، فى عماريتها، ومع تاجها وتختها . وأنا قد استسلمت للموت عن رأس العجز بعد

(١٤٠)

---

(١) كلمة "إلا" من طا .

أن فرغت من أشغالى كلها . وقد أمرت أن يعمل لى تابوت من الذهب ، ويملأ من العسل ثم أضجع فيه مكفنا فى الديباج والحرير . وعند الانتهاء الى ذلك ينتهى الكلام . ثم احفظى وصيتى ، ولا تخالفى موعظتى ، ولا تمسكى من الأموال التى جمعتها من الهند والصين وسائر الأقاليم أكثر من القوت ، وفرقى الباقى على المحتاجين . ثم حاجتى اليك ألا تجزعى علىّ ولا تؤذى نفسك ، واشفعى الى الله عز وجل وأغيثينى بدعائك فانه لا يأخذ بيدى غير ذلك» ثم ختم الكتاب ونفذه الى الروم على يدى بعض المسرعين .

قال : ولما علم العسكر بمرض الاسكندر تسارعوا الى خدمة تخته واجتمعوا على بابه وضجوا من وراء حجابه . فأمر الاسكندر بإخراج تخته من إيوانه الى الفضاء فلما رأوه على مابه من الضعف أجهشوا اليه بالنحيب والبكاء . فقال لهم الاسكندر : استشعروا الخوف ، وتسربلوا لباس الحياء ، ولا تعدلوا عن المحجة البيضاء ، واحفظوا وصيتى ، ولا تخلعوا ربقة طاعتى . فلما فرغ من كلامه خرجت روحه فوقع العويل والنحيب فى العسكر ، وقام الصراخ عليه . فأحرقوا داره التى كانت مستقره ، وحذفوا من دوابه ألف فرس . ثم جاءوا بتابوت من الذهب مملوء من العسل ، وغسله سكوبا بالماورد ، وغمره بالكافور ، وكفنه فى ثوب ديباج مذهب ، ووضعه فى وسط العسل من الرأس الى القدم ، وأطبقوا عليه التابوت . فلما رفعوه من ذلك المكان اختلفت الفرس والروم فقالت الفرس : لا يدفن الاسكندر إلا حيث مات . وقالت الروم : لا يدفن إلا حيث ولد . فقال شيخ من فارس : إن هاهنا موضعا يقال له جرم (أ) ، وهناك جبل من سأله عن شىء أجابه عنه بإذن الله(١) ، فاسألوا الجبل حتى يحكم بينكم . فتوجهوا نحو الجبل فسألوه فأجاب وقال : مالكم تحبسون تابوت الملك؟ إن تراب الاسكندر فى أرض الاسكندرية التى بناها فى حياته . فبادَروا عند ذلك الى حمله وحملوه الى الاسكندرية . فلما وصلوا اليها خرج الخلائق واجتمعوا على تابوته حتى لو حسبهم المهندس لوجدهم يزيدون على مائة ألف . فجاء الحكيم أرسطاليس(٢) ووضع يده على تابوته وقال : أين رأيك وعقلك أيها الملك حتى صار مسكنك هذا المكان الضيق ؟ وكيف أفضيت بنضارة الشباب الى مضاجعة التراب ؟ وقال آخر : أيها الملك ! ما زلت تدفن الذهب حتى دفنت فيه ووقعت فى خطب لا سبيل الى تلافيه . واجتمع(٣) علماء الروم فخاطبه كل واحد منهم بحكمة ، وأبنه بموعظة .

(أ) هو فى الشاه : خرم . وفى الروايات اليونانية أنهم سألوا الآله زفس البابلى فأوحى بالذهاب الى منفس . فلما بلغوها حسن لهم الكاهن الأعظم أن يدفنوه فى الاسكندرية .

(١) طا : باذن الله عزّ وجل . (٢) طا : أرسطاطاليس . (٣) طا : اجتمعت .

ثم جاءت أمه ووضعت وجهها على تابوته وهى تبكى وتنتحب وتقول : ما أبعدك منى مع قربك ! وما أعظم خطبك على محبك ! ثم جاءت زوجته روشنك بنت دارا ، وطفقت تبكى وتندبه وتنتحب وتنوح عليه (ا) . ثم دفنوه ولم تكن أيامه إلا كبرق ومض ، وطرف غمض .

وهذا آخر الخبر عن قصة الاسكندر . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين[(١)] وصحبه .

[شكاة (ب) الفردوسى من الشيخوخة والدهر :

أيا فلكا معجبا عاليا غدوت على كبرى زاريا

حدبت علىّ وعمرى قشيب وأنحيت بالذل يوم المشيب

ويذوى على الدهر كل نضير وكالشوك يصبح مس الحرير

حنى الدهر سرو الرياض السوىّ وأطفأ ذاك السراج البهىّ

وقد كنت كالأم لى مكرما وهأنذا منك أبكى دما

وما إن وفيت ولم تحلم فويلاه من صرفك المظلم

فليتك لم ترعَنى ناشئا وليتك لم تنقلب شانئا

اذا حُم تركى هذا الظلام أبث شكاتى رب الأنام

سأشكو الى الله هذا العذاب برأسى مما جنيتَ التراب

رأى الدهر غمّى يوم الكبر فأضعف لى إثمه . وا كفهر

* * *

فردّ الجواب الىّ الفلك : كفى أيها الشيخ . ما أجهلك!

لماذا تردّ الىّ الأمور ؟ أهذى الشكاة مقال البصير؟

ومن لى بأوج تبوّأته ؟ لك العقل بالعلم ربيته

(ا) انظر فى مروج الذهب الثلاثين قولا التى قيلت عند موت الاسكندر ، ووصف قبر الاسكندر كما رآه المسعودى .

(ب) حذف المترجم هذه القطعة فترجمتها لِما تُبين عن سن الفردوسى وحاله حينما نظم تاريخ الاسكندر .

(١) طا : على سيدنا محمد وآله أجمعين .

طعام ونوم وعيش رغد وحكمك بين الهوى والرشد
ومالى يدان بهذا الخطر ولا الشمس تدرى ولا ذا القمر
فسل عن سبيلك رب السبيل ورب الدجى والضحى والأصيل.
أجل! واحد ظاهر لا ينام ولا بدء فى فعله أو ختام
له ما يشاء اذا قال : كن . ومنكر هذا غوىّ أفن
وإنى فى الخلق بعض العبيد أوجه وجهى كيف يريد
وما إن أطعت سوى حتمه ولا أصرف الوجه عن حكمه
الى الله سر وعليه اتكل وسل راضيا خير من قد سئل.
فما غيره قد أدار الفلك وأذكى مصابيحه فى الحلك.
ومنه السلام على المرسل وأصحابه السادة الكمل]

القسم الثالث

ملوك الطوائف

---

§ ذكر ملوك الطوائف

قال الفتح بن على مترجم الكتاب : وحين أنهى الفردوسى أخبار الاسكندر، وانتهى إلى هذه الترجمة أورد فى مقدمتها أبياتا نظمها فى وصف حاله ، وتخلص منها إلى مدح السلطان السعيد أبى القاسم محمود رضى الله عنه، وذكر خلاله الحميدة وسيره المرضية، وأطال فى ذلك نفسه. فاقتديت به وجريت على الطريقة المسلوكة فى إقامة فرائض العبودية ومراسم الخدمة لمن طرزت باسمه فى كتابى هذا أسامى سلاطين الأرض، وجعلته عنوانا لصحائف(١) مآثر ملوك الشرق والغرب، مولانا السلطان الملك المعظم، ملك ملوك العرب والعجم، أبى الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبى بكر ابن أيوب، الذى هو فى عهده الاسكندر الثانى، ومفيض الفضل على القاصى والدانى — لا زال ممتعا بالملك والشباب ، آخذا بأعضاد ذوى العلوم والآداب ، رافعا أعلام الملة الزاهرة ، ناصرا رايات الشريعة الطاهرة، محييا آثار الملوك السالفة بفضله غامرا أذكارهم بإحسانه وعدله .

عقاد ألوية الجلال معظم — من جيشه التأييد والتمكين
هو فى دمشق على مبوأ عزه — وبصيت هيبته تجيش الصين

§ القسم الثالث ملوك الطوائف

تنازع خلفاء الاسكندر وتحاربوا على الملك، وتقلبت بهم الغير حتى استولى سليوكس على بابل سنة ٣١٢ ق م . وتوطد سلطانه فى آسيا الغربية ثم امتد سلطانه إلى نهر سيحون ونهر السند . واستمرت دولة السلوقيين قوية زهاء قرنين ثم اضمحلت بعد أنطيوكس السابع .

ولكن سلطان السلوقيين لم يمتد على إيران طويلا فان دولة نشأت فى القسم الشمالى الغربى من إيران سنة ٢٤٨ ق م. واتخذت حاضرتها حوالى دامغان فى قومس . ونازعت السلوقيين السيطرة على إيران وغيرها وكانت الحروب سجالا بينهما : يمتد سلطان هذه الدولة أحيانا حتى يعم ميديا وفارس وبابل، ويحسر أحيانا حتى لا يتجاوز مهدها . حتى دارت الدائرة على السلوقيين فعجزوا أن ينازعوا هذه الدولة سلطانها .

فلما ظهرت روما فى آسيا تصدت لها هذه الدولة فتنازعها السلطان على ما بين النهرين وغيره حتى انتهى الجلاد الطويل بهزيمة الرومان عند نصيبين أمام أرطبانوس (أردوان) آخر ملوك هذه الدولة سنة ٢١٧ م .

=

(١) طا : بصحائف .

فأثبت هاهنا كلمة خدمت بها مقامه الأعلى فى مقتبل استسعادى بتقبيل عتبته الرفيعة وسدّته المنيعة ، ليقف الناظرون فى هذا الكتاب على فضائله الزاهرة التى هى درارىّ سماء السناء ، ودرر دأماء المجد والعلاء . وأول الكلمة :

طغى فى التصابى مغرم القلب هائمه	فأقصر واشيه وأخفق لائمه
لديغ هوى قد أسلمته رقاته	له عائدات من هموم تلازمه
سبى قلبه خشف من الإنس عاقد	غرير الصبى ما حل عنه تمائمه
حليف جمال يفضح البدر وجهه	وتضحك عن زهر النجوم مباسمه
كغصن من الريحان أغيد ناعم	سقاه فأرواه من الغيث ساجمه
هتفت به والليل قد شق سجفه[1]	ورق إلى أن نم بالسر كاتمه :
أيا ثمل الأعطاف مالك صاحيا ؟	ألم ترسوق العيش قامت مواسمه ؟
أضاء نهار من محياك شامس	فما بال ذاك الطرف ينعس نائمه ؟
فقم نصطبح واجل الزجاج قد اكتست	أساور من ذوب النضار معاصمه
تحيط بأفلاذ الحريق ضلوعه	ويسعر مهما شج بالماء جاحمه

= هذه الدولة التى حاربت السلوقيين ثم الرومان وبق سلطانها خمسا وسبعين وأربعمائة سنة (٢٤٩ ق م — ٢٢٦ م) هى التى يسميها الأوربيون دولة پرثيا[2] ويسمون الأسرة التى قامت بها أسرة الأرساسيين[3] ، ويسميها مؤرخو العرب والفرس دولة الأشكانيين (أو الأشغانيين أو الأشقانيين) ، ويسمون أول ملوكها أشك وينسبونه ، كدأب الفرس فى وصل الأسر الحديثة بالقديمة ، إلى كيقُباد أو كيكاوُس . وتختلف الروايات فى عدد ملوكهم ومدّة حكمهم بين أحد عشر وعشرين ملكا ، وبين ٢٦٦ و٥٢٣ سنة . وقد ذكر البيرونى روايات مختلفة فى عددهم وسنيهم ثم انتهى به التحقيق إلى أن أصح الروايات ما فى كتاب الشابورقان أن ما بين الاسكندر إلى أردشير ٥٣٧ سنة . وذلك قريب جدا من الحقيقة . وقد بين العلامة المسعودى سبب هذا الاختلاف فى مدة دولة الأشكانيين فيما يأتى :

"وبين الفرس وغيرهم من الأمم فى تاريخ الاسكندر تفاوت عظيم . وقد أغفل ذلك كثير من الناس . وهو سرّ ديانى وملوكى من أسرار الفرس لا يكاد يعرفه إلا الموابذة والهرابذة وغيرهم من =

(١) طا : شف . (٢) Parthia. (٣) Arsacids.

رحيقا كميت اللون يركض فى حشا خليع عذار لم ترضه شكائمه
لدى كل مخضر الذلاذل ناضر يفتق أكمام الشقيق نسائمه
يفوح أريج المسك فيه كأنما يشتت فى كف النهاب لطائمه
بأرجائه يشدو الهزار مغردا فيرقص أعطاف الغصون زمازمه
يرجع ألحان الغريض سجيرة يشق عن الورد الجنى كمائمه
كمداح مولانا المعظم كلما أظلت عليهم من نداه غمائمه
ثمال سلاطين البسيطة من غدت ترفع بنيان المعالى عزائمه
إذا أظهروا غر الفعال لمفخر يكون له أفراده وتوائمه
له حكم ذى القرنين فى بسط علمه وبحر نوال فيه يغرق حاتمه
خزائن مال فرقتها يمينه وكنز علوم ضمهن حيازمه
ومرقى علو حلق الوهم طائرا اليه فخانته هناك قوادمه
برأفته طاب الزمان فقد غدت تخاصر آرام الصريم ضراغمه

—

= ذوى التحصيل منهم والدراية ، على ما شاهدناه بأرض فارس وكرمان وغيرهما من أرض الأعاجم . وليس يوجد فى شىء من الكتب المؤلفة لأخبار الفرس وغيرها من كتب السير والتواريخ : وهو أن زرادشت بن بورشب بن اسبيمان ذكر فى الأبستا ، وهو الكتاب المنزل عليه عندهم ، أن ملكهم يضطرب بعد ثلثمائة سنة ، ويبقى دينهم . فاذا كان على رأس ألف سنة ذهب الدين والملك جميعا . وكان بين زرادشت والاسكندر نحو من ثلثمائة سنة . لأن زرادشت ظهر فى ملك كيبشتاسب بن كيلهراسب — على ما قدمنا من خبره فيما سلف من هذا الكتاب — وأردشير ابن بابك حاز الملك وجمع الممالك بعد الاسكندر بخمسمائة سنة وبضع عشرة سنة . فنظر فاذا الذى بقى إلى تمام الألف سنة نحو من مائتى سنة . فأراد أن يمد الملك مائتى سنة أخرى . لأنه خشى إن تمت مائتا سنة بعده أن يترك الناس نصرة الملك والذب عنه ثقة بخبر نبيهم فى زواله . فنقص من الخمسمائة سنة والبضع عشرة سنة التى بينه وبين الاسكندر نحوا من نصفها . وذكر من ملوك الطوائف مَن مَلك هذه السنين ، وأسقط من عداهم . وأشاع فى المملكة أن ظهوره واستيلاءه على ملوك الطوائف وقتله أردوان أعظمهم شأنا وأكبرهم جنودا إنما كان فى سنة مائتين وستين بعد الاسكندر . فأوقع التاريخ بذلك الخ . =

وتربض فى حِجر السراحين شاؤه ... وتفــرخ فى وكر العقاب حمائمه
اذا هاج يوم الروع تلقى ضــبارما ... براثنــه أســيافه ولهـا ذمــه
يطــوف به للنصر كل مشــيع ... تناذره وســط العرين ضــياغمه
على كل نهـد يســبق اللحظ راكضا ... كبرق ســريع الخطو يحسر شائمه
فلو وطئت أجفان وســنان لم تكد ... تنبهــه يــوم الرهان قوائمــه
بجحافــل قد ســدّوا السكاك بعثير ... تلبــد حتى باض فيــه قشاعمــه
هم أشرعوا الأرماح فى ثغر العــدى ... كما زحفت فى بطن واد أراقمــه
فيامن به الأيمـان قر أساســه ! ... ويا من به الاسلام طالت دعائمه !
ويا من حوى ملك المغـارب مذعنا ... له كل من فى الشرق حتى قماقمه !
اذا صمــدت صــوبا طلائع خيلكم ... فلا شىء منها دون أمرك عاصمــه
لقــد جاءك الفتح الغــريب مبشرا ... بفتح قــريب تســتفيض مغانمــه

= ويقول مؤرّخو العرب والفرس أن الأشكانيين كانوا أعظم ملوك الطوائف الذين نبغوا فى بلاد الفرس بعد الاسكندر، وأن هؤلاء كانوا يقرون بزعامتهم، وأن ملوك الطوائف كانوا زهاء تسعين[1]. وفى كارنامك أنهم كانوا أربعين ومائتين .

وكانت إيران إذ ذاك قسمين : أحدهما خاضع للأشكانيين بغير واسطة . وفيه أربع عشرة ولاية . والثانى فى سلطان ملوك يقرون بزعامة الأشكانيين . وبعضهم يسيطر على ملوك أصغر منه أيضا[2] .

والأشكانيون كانوا، فيما يظن، تورانيين، وكانوا يتأثرون الحضارة اليونانية. ولم يكن لهم سلطان نافذ يعم بلاد الفرس كلها . وكأنه من أجل هــذا لم تعن بهم القصص الفارسية عنايتها بالأسر الفــارسية . بل سلبتهم بعض وقائعهم وأسمائهم لتحلى بها وقائع البيشداديين والكيانيين؛ فقارن وكودرز وكيو وبيژن الذين تقدّم ذكرهم ليسوا إلا من أمراء الأشكانيين .

ويقول الفردوسى بعــد ذكر بعض ملوكهم : "كان قصيرا أصلهم وفرعهم فلم يحدّث أهــل التجارب بتاريخهم . ولم أسمع عنهم إلا الاسم ولا رأيتهم فى كتاب الملوك" . =

(١) انظر الآثار البــاقية ص ١١٣ وما بعدها ، والطبرى ج ٢ ص ١١ وما بعدها ، وفارس نامه ص ١٦ ، والتنبيه والاشراف ص ٩٨ ، وحمزة الأصفهانى ص ٣٠ ، والأخبار الطوال ص ٤٠ وما بعدها ، والغرر للثعالبى ص ٤٥٦

(٢) ورنر (Warner) ج ٦ ص ١٩٨ .

فنادى على أطواد عزك معلنا ... على رغم من يحشو حشاه سخائمه:
ألا إن عيسى وارث الأرض كلها ... تقام له بالعدل فيها معالمه
سيخطب فى أقصى خراسان باسمه ... وتنشر فى تلك البلاد مراسمه
فقولوا لبغبور وراى وقيصر: ... حذاركم فالسيل قد جاء هاجمه
وقد أصحر الليث الغضنفر كاشرا ... فإن عنّ عن خشف فهو لا بدّ حاطمه
فبلغت ما نرجوه فيك من العلى ... وشانيك تشتم التراب مراغمه

ومنها(١) :

لك الحمد عن عبد غمرت رجاءه ... بأمواج جود لا تزال تلاطمه
اذا قام فى نادى معاليك منشدا ... وكفك تهمى بالأيادى براجمه
فأين ابن حمدان وأين نواله ؟ ... وأين الذى قد قال : "أشجاه طاسمه"
كما أعجز الأملاك من عهد آدم ... الى عهدك الميمون ملك تلائمه
كذلك أعيا كل من هز مقولا ... بديع قريض عبدك اليوم ناظمه

= ثم فصل الأشكانيين فى الشاهنامه ٧٦٠ بيت، منها ٤١ فى مدح السلطان محمود . وفيها العناوين الآتية :

(١) مقال فى مدح السلطان محمود . (٢) بدء قصة الأشكانيين . (٣) رؤيا بابك فى أمر ساسان . (٤) ولادة أردشير بابكان . (٥) مجىء أردشير إلى قصر أردوان . (٦) رؤية كلنار أردشير وموت بابك . (٧) هرب أردشير وكُلنار . (٨) علم أردوان بأمر كلنار وأردشير . (٩) أردشير يجمع جيشا . (١٠) محاربة أردشير بهمن وانتصاره . (١١) حرب أردشير وأردوان وقتل أردوان . (١٢) حرب أردشير والكرد . (١٣) قصة دودة هفتواد . (١٤) حرب أدرشير وهفتواد، وانهزام أردشير . (١٥) نهب مهرك ابن نوشزاد دار أردشير . (١٦) قتل أردشير دودة هفتواد . (١٧) قتل أردشير هفتواد .

---

(١) كو : تزيد هنا هذه الأبيات :

يقولون عاطيت الدواء فلا يكن ... بك الداء حتى قيل ذلك حاسمه
نعم يصمد الصمصام فى الضرب برهة ... فيصقل منه باتر الحد صارمه
ترعرع غصن المجد لما شربته ... فها هو منه مورق العود ناعمه
سقيت به ماء الحياة ولم تزل ... تشاطر خضرا عمره وتقاسمه

وبعد تحرير هذه الكلمة[١] المقدّمة وتقريرها اقتداء بالفردوسى رحمه الله § عاد بنا الحديث الى ترجمة الكتاب ، قال : قد سبق ما اختاره الاسكندر من تفريق الملك والممالك على جماعة متفرقة ، وقصده بذلك صيانة حوزة الروم عن معرة الملوك الذين ملكوا بعده على هذه الصفة . وهم الذين سموا ملوك الطوائف ، وهم الاشغانيون . وكانت مدة ملكهم مائتى سنة . وكانت الأدوار تتصرم وكأنه ليس فى العالم ملك . وكان المقدّم أشك (أ) بن أشك . وهو من نسل كيقباذ .

وذكر غير صاحب الكتاب ، وهو الطبرى ، أن أشك هذا من ولد دارا الأكبر . وكان مولده ومنشؤه بالرى . ملك من الموصل الى الرى الى أصبهان . وسائر ملوك الطوائف يعظمونه لنسبه وشرفه فيهم . فعرفوا فضله وبدأوا باسمه فى مكاتباتهم ، وسموه ملكا من غير أن يكون اليه تولية أحد منهم أو عزله .

قال صاحب الكتاب : و يليه سابور ثم جوذرز ، ثم بيزن ، ثم أورمُزد ، ثم خُسرو ، ثم أردوان ، وكان ذا عقل ورأى ، ثم بهرام ، وكان يسمى أردوان الكبير ، وكان اليه ملك شيراز وأصبهان .

§ يفتتح الفردوسى تاريخ ملوك الطوائف بقصيدة فى مدح السلطان محمود الغزنوى يصفه فيها بأنه ملك إيران وزابلستان ، وما بين قنوج الى كابل . ثم يمدح القائد الأمير أبا نصر ويسميه أبا المظفر . وأظن أنه أخو السلطان . ثم يذكر أن السلطان أسقط خراج سنة عن أهل الدين والصلاح فى ١٤ شوال . ثم يقول :

"أنظر هذا الكتاب[٢] فسيبقى أبدا لواء على رءوس العقلاء . وسيكون نسلا كيومرثيا[٣] ينطق الألسنة بالثناء . كذلك قال أنوشيروان بن قباد : الملك اذا أعرض عن العدل سوّد الفلك منشوره ، ولم تدّعه النجوم من بعد ملكا . وما الجور إلا كتاب العزل للملوك . بما يكسر القلوب البريئة . أدام الله هذه الأسرة فى فضلها وعدلها وعلمها . إن الدنيا لا تبقى لانسان ، وإنما يخلد الخير على الزمان . أين فريدون والضحاك وجم ، وعظماء العرب وملوك العجم ؟ وأين أكابر بنى ساسان ، وعظماء بنى بهرام وبنى سامان ؟ لقد هوى بالضحاك ظلمه الى الدرك الأسفل ، وذهب فريدون بالثناء ، ومات ولكن اسمه الخالد فى الأحياء . سمع الناس منشور الملك العادل — أبقاه الله منعما على سرير الملك — فهرعوا الى البرية يجأرون بالدعاء متجاوزا أعنان السماء الخ .

(أ) أشك معناه : الطاهر أو الحكم . وهو عند المؤرخين الأوربيين : (Arsaces) .

(١) طا : تحرير هذه المقدمة . (٢) يعنى منشور إسقاط الخراج . (٣) أظنه يريد أنه كأفعال كيومرث .

وبابك جدّ أردشير كان باصطخر فى عهده . قال : ولقصر أيامهم لم تتقل أحوالهم ولم يذكر إلا أسماؤهم . (١٤٢)

وذكر الطبرى أيضا أنه ملك العراق وما بين الشام ومصر، بعد الاسكندر، تسعون ملكا تملكوا على تسعين طائفة، كلهم يعظم من يملك المدائن . وهم الاشغانيون . ولم يزل ملك فارس متفرقا حتى ملك أردشير .

ذكر الساسانية ومبدأ أمر أردشير (أ)

قال صاحب الكتاب : لما قتل دارا بن دارا[١] كان له ولد عاقل يسمى ساسان . فلما رأى ماحل بأبيه هرب الى بلاد الهند . ومات بها وخلف ولدا سمى باسم ساسان . وتسمى بهذا الاسم مَن وُلد منهم . فلما كان الولد الرابع، وسمى أيضا ساسان، أقبل الى اصطخر، وكان المتملك بها بابك، فعرض نفسه على بعض الرعاة ليستخدمه فى الرعى فاسترعاه . ولما عرف بحسن الأثر فيما عاناه من ذلك ترقى حتى صار رأس الرعاة الموسومين بخدمة بابك . فاتفق أن بابك رآه(ب) ذات ليلة فى المنام على فيل هائج وبيده سيف مهند، وكلّ[٢] من رآه يسجد له ويخدمه . فتعجب بابك مما رأى منه . فلما كانت الليلة الثانية رآه وكأن بعض من يعبد النار أتاه بثلاث نيران من نيرانهم المشهورة (ج)، وأوقدوها[٣] بين يديه بالعود الرطب . فاهتم بابك فلما أصبح أحضر العلماء والموابذة، وقص عليهم رؤياه . فقالوا : أيها الملك! من رأيت له هذا المنام يملك ايران، وإن لم يملك هو فسيملك ولده . فسرى عنه . ثم استقدم ساسان فجاء من الصحراء فى عباءه وقد ضربه الثلج والصقيع . فخلا به واستخبره عن حاله ونسبه . فقال : إن أعطيت الراعى الأمان ، وحلفت ألا تناله بسوء أفضى اليك بسره وأطلعك على حاله . فأعطاه الأمان وحلف له . فقال : أنا ابن ساسان حافد الملك بهمن بن إسفنديار بن كُشتاسب . وأعلمه بالحال . فبكى بابك وأحضر له دستا من الثياب البهلوانية، ومركوبا من المراكب الخسروانية، ونفذه الى الحمام . فطرح العباء ولبس تلك الملابس الفاخرة . وأخلى له قصرا وأخدمه الغلمان والخدم . ثم زوجه ابنته

(أ) هذا العنوان ليس فى نسخ الشاه نامه، والذى فيها : رؤية بابك ساسان فى المنام، وتزويجه ابنته .

(ب) فى كرنامك أن بابك رأى أول ما رأى — أن الشمس تضىء العالم من رأس ساسان .

(ج) النيران الثلاث فى الشاه : آذر كَشَسپ وخرّاد ومِهر . وفى كارنامك : فروبا، وهى نار الموابذة، وكُشاسب وهى نار الجند، ومِهر برزين، وهى نار الزراعة .

(١) كو : داراب . (٢) صل : كل . وزيادة الواو من طا ، كو . (٣) طا : وأوقدها .

فولدت ابنا فسماه أردشير . وهو الذى يقال له[1] أردشير بابكان . فترعرع الصبى وكبر وتعلم الفروسية والآداب الملوكية حتى صار واحد زمانه وأجل أقرانه . فتناهى خبره الى أردوان فكتب اليه وقال : بلغنا أن ولدك أردشير فارس ذو شجاعة ، ومتكلم صاحب فصاحة . فاذا قرأت الكتاب[2] فأرسله الينا حتى نجذب بضبعه ، وننوه بذكره ، ويكون عندنا بمنزلة الولد . فلما وصل الكتاب الى بابك نفذ أردشير الى الرى الى خدمة أردوان ، وأصحبه رسولا مع جملة من الهدايا والتحف . فلما[3] وصل الى أردوان أكرمه وأجلسه عند تخته . ثم أخذ يربيه تربية الولد ولا يكاد يصبر عنه . فاتفق يوما مع أردوان فى الصيد، ومع أردوان بنوه الأربعة . فركضوا خلف حمار وحش، وركض أردشير . ولما قرب منه رماه بنشابة مرت فيه الى فُوقها . فحضر أردوان فرأى النشابة فأعجبته الرمية . فسأل عن راميها فقال أردشير : أنا صاحبها . وزعم ابن أردوان أنى صاحبها . فقال له أردشير : إن هذه الصحراء ملآى من اليعافير. فارم آخر إن كنت صادقا . فغضب أردوان حين رفع صوته على صوت ولده . وصرفه عن مكانه ذلك، وفوّض اليه سالارية الاصطبل والخيل . فرجع الشاب منكسر القلب ولازم خدمة خيل الملك . وكتب الى جدّه كتابا يعلمه فيه بحاله . فلما وصل الكتاب الى بابك اهتم فكتب اليه يعيره ويعنفه ويسفه عقله حين راكض ولد الملك وجاراه فى الصيد . ونفذ اليه قدرا من الذهب ليستعين به فى نفقته . فاتخذ دارا عند اصطبل[4] الملك ولازم بيته . ولم يكن له شغل غير الأكل والشرب . وكان هذا البيت تحت قصر الملك أردوان ، وكان له فى القصر جارية تسمى الجلنار . وكانت خازنته ودستوره . فأشرفت يوما على أردشير فعشقته . ولما أمست أخذت حبلا وعقدت فيه عقدا وربطته فى بعض شرفات القصر ونزلت منه الى منزل أردشير فصادفته وهو فى غمار النوم ممتلئا من الأسف والهم ، فرفعت رأسه ووضعته فى حجرها . فلما استيقظ ضمته الى صدرها وألصقت خده بخدّها . ثم شغف كل واحد منهما بصاحبه . وجعلت تختلف هكذا الى أردشير .

ثم اتفق موت بابك باصطخر . وامتدّت أطماع الأكابر الى ملك فارس . فعين أردوان لذلك ولده الأكبر، ونفذه اليها . فلما بلغ ذلك أردشير أظلمت الدنيا فى عينه ، وعزم على أن يهرب من عند أردوان . فاتفق أن الملك أحضر جميع من كان عنده من المنجمين ونفذهم الى قصر الجلنار لينظروا فى طالع الملك ، ويفتشوا عن أسرار الفلك فى ملكه وفيمن يتولى بعده[5] . فقعدوا ثلاثة أيام يطالعون الزيجات ويبحثون عن قضايا النجوم . ولما كان اليوم الرابع حضروا عند أردوان وقالوا :

---

(١) كلمة "له" من طا ، كو . (٢) طا : هذا الكتاب (٣) طا : فلما دخل على .
(٤) طا : عند خيل الملك ، (٥) طا : من بعده .

إنه سينتزع خاطر الملك فى هذا القرب ، ويهرب صغير من كبير، ويكون الهارب من المنتمين الى عرق كريم فيصير ملك الأرض وصاحب التاج والتخت . فعظم ذلك على أردوان وامتلأ هما وحزنا . ولما كان الليل نزلت الجارية الى أردشير وأخبرته بما سمعت من قول المنجمين . فصمم عند ذلك عزمه على الفرار، وعرض ذلك على الجارية فوافقته عليه . فرجعت وأخذت من خزانة الملك ما احتاجت اليه من الجواهر النفيسة، وأخذت قدرا من الذهب . ولما كانت الليلة الثانية نزلت الى أردشير فأسرج فرسين أشهب وأدهم فركب هو أحدهما وركبت الجارية الآخر . فطار بهما الركض .

ولما أصبح أردوان ووقف على الحال توقد مثل النار من[1] فعل الجلنار . وأحضر الوزير والمدبر والمشير وفاوضهم فى أمر أردشير . فركب فى جماعة من فرسانه وأطلق من عنانه، وطار فى أثره مسرعا حتى انتهى الى مدينة . فاستقبله أهلها فسايلهم عن الهاربين فقيل له : قد مر علينا وقت المغرب فارسان[2]: أحدهما على فرس أدهم، والآخر على فرس أشهب . وفى أثر أحد الفارسين أيّل يجرى كالريح المرسلة (أ) . فقال له الوزير عند ذلك : الرأى أن تثنى عنانك فتستعد لقتال أردشير . فانه قد فاتك والسعادة تجرى فى أثره . فرجع أردوان وكتب الى ولده الذى أرسله الى اصطخر ، وكان يسمى بهمن ، وأعلمه بالحال، وأمره بالتيقظ وألا يطلع أحدا على ذلك الأمر . وأما أردشير فانه مر حتى انتهى الى ساحل البحر فأمن عند ذلك من الطلب . وبث الزواريق الى أطراف فارس ، فانضوى اليه كل من كان من أصحاب جدّه بابك حتى كثف سواده وكثر جنده وهو عند ذلك البحر . فقال له بعض الموابذة : إن كنت تريد الملك فالرأى أن تستولى على ممالك فارس ثم تقصد الرى وتقاتل أردوان . فانه أعظم ملوك الطوائف قدرا ، وأعلاهم أمرا ، وأكثرهم جنودا وكنوزا . فاذا قهرته وملكت خزائنه لم يبق أحد يقاومك فى جميع الممالك . فاستصوب أردشير رأى الموبذ، وركب فى أصحابه وصار نحو اصطخر . فلما علم بهمن بن أردوان بإقباله ركب فى عساكره، وتأهب لقتاله . وكان فى جملته بهلوان كبير يسمى بياك[3] وهو صاحب مدينة جهرم ، وله سبع بنين، وكان صاحب شوكة وقوّة . فانحاز الى أردشير وانضم الى جملته بجميع أصحابه وعساكره . فأكرمه أردشير وقبله أتم قبول غير أنه توهم أنه إنما[4] انحاز اليه لاحتيال واغتيال فأوجس منه خيفة فى نفسه . فكان يحترز منه

(١٤٣)

(أ) فى الشاه : جناحه كجناح العنقاء، وذنبه كذنب الطاووس . وكالحصان القوى فى رأسه وأذنه وحافره، لونه أحمر، يعدو كالريح العاصف .

(١) طا : من صنيع . (٢) كو : فارسان يغذان السير . (٣) هو فى الشاه : تباك .

(٤) صل : لما . والتصحيح من طا ، كو .

ولا يسترسل اليه . فأحس البهلوان المحنك بما هجس فى ضمير أردشير فأخذ كتاب الزند، ودخل عليه وحلف له أنه لم يضمر له سوءا، ولم يبطن له مكروها، وأنه لم يحمله على قصده إلا خلوص الطوية ومحض المحبة . فلما علم منه ذلك استنام اليه، وعوّل فى جميع أموره عليه، واتخذه أبا شفيقا وناصحا أمينا . فسار فى جموعه حتى قرب من بهمن فالتقوا ودارت بينهم رحى الحرب، وجرت وقعة عظيمة انكشفت عن هزيمة بهمن . فهرب فى خف من عدده، ونجا بجُرَيعة الذقن . فصار أردشير الى اصطخر، وملكها وملك بملكها فارس . فاجتمع اليه أهل تلك الممالك فدلوه على خبايا بهمن وذخائره فاستولى عليها وفرقها على عساكره .

ولما انتهى الخبر بذلك الى أردوان ضاقت عليه الأرض بما رحبت . فحشد الجموع وجند الجنود وسار من الرى قاصدا قصد اصطخر . فتلقاه أردشير، واتصلت الحرب بينهما أربعين يوما متوالية . ثم تبدت مبادى الدبرة على أصحاب أردوان، وعصفت فى وجوههم ريح كادت منها الجبال تمور مورا، فأصبح ماء أردوان غورا . واستأمن جميع أصحابه الى أردشير . وحُمل أردوان اليه أسيرا فأمر به فوسط بالسيف فى ذلك المعترك . وأسر من بنيه اثنين، وفر آخران الى بلاد الهند . فاستعلى أمر أردشير، وحصل من عساكر أردوان على نعم وافرة وأثقال كثيرة ، ففرقها على جيوشه . وأتاه بياك وقال له : الرأى أن تتزوج بابنة أردوان حتى تدلك على كنوزه ودفائنه ، ويكون ذلك سببا لكمال السلطنة لك . فاستصوب رأيه وسار الى الرى وتزوج بها، وأقام فى إيوانها شهرين . ثم انصرف الى اصطخر فبنى بها مدينة تسمى أردشير خرّه، وأجرى اليها الأودية والأنهار، وعمر حوالى المدينة رستاقا أجرى اليها الأنهار أيضا . وأنشأ بها بيوت نار، ووكل بها الهرابذة والموابذة .

ثم إنه عزم على قتال الأكراد (١) ، وكانوا يعيشون فى أطراف البلاد، فاجتمع منهم عساكر عظيمة[(١)] بحيث كان بازاء كل فارس فارسى ثلثون منهم . فالتقوا وجرت بينهم وقعة عظيمة، وكثر القتل فى أصحاب أردشير . فعلم أنه لا يطيق مقاومتهم فاتخذ الليل جملا وانهزم . فرأى فى ظلمة الليل نارا من بعيد فقصدها . فلما أتاها صادف جماعة من الرعاة وقد نال منه العطش . فاستسقاهم فأتوه بماء وحليب ونزل عندهم . فلما أصبح سألهم عن الطريق فدلوه على ضياع وقرى متصلة على أربعة فراسخ من مكانه ذلك . فجاء اليها ونزل فيها ونفذ جماعة الى مدينته المسماة أردشير خرّه . فأقبل اليه العساكر

---

(١) يظهر أن الحرب كانت مع الميد لا الكرد ، ففى كارنامك أردشير أن اسم ملك الكرد "ماديك" . ومعنى هذه الكلمة "ميد" وهذا يوافق روايات الفرس التى تجعل حاضرة أردوان فى ميديا . (ورنر ج ٦ ص ٢٠٣) .

(١) طا : كثيرة .

ففرق الجواسيس ليأتوه بخبر حلل الأكراد ومنازلهم . بخاءته الأخبار بأنهم نازلون فى بيوتهم وأنهم مسترسلون غير متحفظين ولا محتفلين بأردشير . و بلغه أنهم يزعمون أنها دولة عرضت فأعرضت ، وأيام قضت بالسعادة ثم انقضت . فانتهز أردشير الفرصة، واهتبل غرتهم، وسرّ بما أتاه عنهم ، وانتخب من أصحابه ثلاثين ألف فارس وسار اليهم فكبسهم ووطئهم وطأة قهر، فانقسموا قسمين ما بين قتل وأسر، واستباح جميع حللهم . فخلص العالم من عبثهم، وسلم الناس من عاديتهم، وأمنت الجواد والطرق، وتردّدت السابلة والرفق، وصارت كما قال أبو الطيب :

تُذم على اللصوص لكل تجر ... وتضمن للصوارم كل جان

اذا طلبت ودائعُهم ثقات ... دفعن الى المحانى والرعان

فباتت فوقهن بلا صحاب ... تصيح بمن يمرّ : ألا ترانى؟

ثم إنه انصرف إلى اصطخر فأمر أصحابه بالإراحة والاستراحة، والتزوّد من الراحة ليوم شدّة وعناء، والاستظهار لما سوف يعرض من يوم كريهة ولقاء .

ذكر الخبر عن دودة هفتواذ §

قال صاحب الكتاب : كان فى بلاد فارس مدينة تسمى كُجاران (أ) على ساحل البحر . وكانت كثيرة الخلق ضيقة الساحة . من عادة بنات أهلها أنهن يوافين باب المدينة كل صبيحة ، فاذا اجتمعن توجهن نحو سفح جبل هناك قريب، ومعهن مغازلهن . فيقبلن على الغزل ثم ينصرفن بالعشى إلى مساكنهن . وكان فى هذه المدينة رجل يسمى هفتواذ . وإنما سمى بذلك لأنه كان له سبعة

§ يرى مول أن هذه القصة ذكرى مبهمة من جلب دود القز إلى إيران، وازدهار صناعة الحرير والثراء الذى تيسر للناس منها[1] . ويرى درمستتر ونُلدكه أنها شعبة من أساطير التنين عند الأمم الهندية — الأوربية . ويروى درمستتر قصة اسكندناقية تشبه هذه القصة بعض الشبه :

أعطى الكونت هرّدر ابنته الجميلة تورا[2] ثعبانا وجده فى بيضة نسر . وأعجبت تورا بالثعبان فاتخذت له مهادا من الذهب فى صندوق . ويكبر الثعبان فيكبر الذهب معه حتى يضيق به الصندوق ومسكن الصبية . وشرس الثعبان فلم يجرؤ على الدنو منه أحد إلا الرجل الذى كان يطعمه . وكان طعامه ثورا كاملا كل يوم . =

(أ) هى فى نسخة ورنر : بكاران . وفى الطبرى : كوجران .

(١) مول (Mohl) حـ ٥ ص IV . (٢) (Thora، Herraudr) .

بنين . وكانت له بنت تخرج كل يوم مع البنات إلى الجبل المذكور . فحضرت المكان يوما فسقطت من بعض الأشجار التى كانت هنالك فى حجرها تفاحة . فعضتها فوجدت فى وسطها دودة فأخذتها ووضعتها فى وعاء[1] برسم المغزل من الخلنج، وقالت : سأغزل اليوم على سعادة هذه الدودة . فغزلت شيئا كثيرا من القطن فوق المعهود منها، وغلبت أترابها . ولم يزل ذلك دأبها حتى استغنت بكثرة غزلها . وكانت تطعم الدودة كل يوم قطعة تفاح . فقالت لها أمها يوما : كأن الجن معك حتى تهيأ لك هذا الغزل الكثير. فأخبرتها بحال الدودة، وعلم بذلك أبوها أيضا . فتيمنوا بالدودة وجعلوا يعتنون بأمرها ويربونها حتى كبرت وضاق عليها وعاء المغزل . فعملوا لها صندوقا ووضعوها فيه . وظهرت آثار بركتها على حال هفتواذ وأولاده فكانوا يزدادون كل يوم ثروة ونماء وترفعا واعتلاء حتى استظهر بكثر[2] غمر ومال دثر . فطمع أمير تلك المدينة فى ذات يده واغتصابه كل أمواله . فاجتمع أهل المدينة مع هفتواذ، وخرجوا على الأمير وتصدّوا لقتاله . فوقعت بينهم وقعة عظيمة أفضت إلى قتل الأمير . واستبد هفتواذ بذخائره وأمواله . وخرج من تلك المدينة، وبنى على رأس بعض جبالها قلعة حصينة وتحول اليها بخيله ورجله وأهله وولده ودودته . وحصن القلعة حتى عمل لها سورا من حديد . ثم إن الصندوق ضاق على الدودة فحفروا لها فى الصخر حوضا فى القلعة، ووضعوها فيه، ووكلوا بها خدما ومستحفظين . وكانوا يطعمونها كل يوم قدرا من الأرز، ويغذونها بالشهد واللبن حتى أتت

= وعد الكونت أن يعطى ابنته والذهب من يقتل التنين . فانتدب لهذا غلام فى الخامسة عشرة اسمه ركنر، وقتله وتزوج تورا[3] .

وفى الطبرى[4] أن أردشير حارب ملكا اسمه بلاش فى كرمان فأسره واستولى على مدينته . وأنه « كان فى سواحل بحر فارس ملك يقال له أبتنبود كان يعظم ويعبد فسار اليه أردشير فقتله وقطعه بسيفه نصفين وقتل من كان حوله، واستخرج من مطامير كانت لهم كنوزا مجموعة فيها » . فإن فرضنا أن أحد الملوك الذين حاربهم أردشير فى هذه النواحى كان يربى دود القز ويصنع الحرير فليس بعيدا أن يكون لأسطورتنا هذه منشأ من الحقيقة . ويرى نُلدكه أن استواد (ذكر هذا الاسم فى بعض النسخ مكان أبتنبود) تحريف اسم فهلوى هو أصل "هفتواد" الذى فى الشاهنامه .

ثم فى كارنامك "هفتان بُخت" بدل "هفتواد". وقد يحرف الثانى عن الأول فى الخط الفهلوى . فتفسير الفردوسى "هفتواد" بسبعة أولاد ليس بعيدا من الصواب . لأن «هفتان بخت» يحتما .

(١) كو، طا : فى وعاء كان معها برسم . (٢) صل : بمال غمر . والتصحيح من طا . وفى كو : بكثير غمر .
(٣) ورنر (Warner) جـ ٦ ص ٢٠٣ (٤) طبرى جـ ٢ ص ٥٧

عليها خمس سنين فصارت من الكبر والضخامة كالفيل . واستفاض خبرها بين الناس فسميت تلك الناحية كرمان(١) (أ) .

قال : واجتمع لهفتواذ جيش عظيم حتى كان بنوه السبعة يركبون فى عشرة آلاف فارس . وكانوا مظفرين على جميع من ينهض لقتالهم من الملوك . فلما وقف أردشير على حال هفتواذ، وأنه لا يفكر فى بيت كيقباذ نفذ اليه بعض الإصبهبذين فى عسكر عظيم كثيف . فكسرهم هفتواذ كسرا، وأوسعهم قتلا وأسرا . فعاد من سلم من الوقعة الى أردشير فأعلمه بما جرى على أصحابه . فالتهب غيظا وسار فى عساكره قاصدا قصد هفتواذ . فلما دنا بعضهم من بعض كادت الأرض تمور من كثرة العساكر فقامت الحرب بينهم على ساق، وجرت بينهم وقعة عظيمة . ولما أمسى أردشير تأخر ونزل . ثم إن هفتواذ أخذ عليه الطرق من جميع جوانبه، وضاق على عسكره الطعام حتى جهدوا . وبلغ أردشير أن صاحب جهرم المسمى مِهرك (ب) هجم على مدينته المستحدثة التى تسمى أردشيرخُرّه فنهبها واستولى على ذخائره وخزائنه بها . فضاق أردشير بذلك ذرعا، واستحضر أصحابه وشاورهم فى حاله، وفاوضهم فيما دهاه من مهرك . ثم أمر بمد السماط فوضع بين يدى أردشير حمل مشوىّ . فلما اشتغل الحاضرون بالأكل جاءت نشابة حتى وقعت فى الحَمَل الذى بين يدى أردشير . فاستعظموا ذلك وكفوا أيديهم عن الطعام . فقام بعضهم ونزع النشابة من الحمل فوجدوا عليها كتابة فهلوية فقرئت فاذا فيها ذكر أن النشابة رمى بها من القلعة، ولو أراد راميها أن يصيب بها أردشير لتيسر له . وفى الكتابة : اعلم أيها الملك العالم ! أن ثبات هذه القلعة من سعادة الدودة . ولا ينبغى لشهريار مثلك أن يكون من قتلاها . قال : وكان ما بين القلعة ومنزل أردشير مسافة فرسخين . ففرح أردشير(٢) وحمد الله تعالى وشكر مرسل تلك النشابة . فارتحل راجعا الى فارس فأتبعه عسكر هفتواذ، وقتلوا من أصحابه خلقا كثيرا، وتفرق الباقون آخذين نحو بلادهم . ووقع أردشير فى جماعة من خواصه الى قرية فصادف رجلين من أهل تلك القرية فقال لهما : فى أى طريق أخذ أردشير؟ وكيف عبر؟ وقصد بذلك التعمية عليهما . واسترشدهما عن الطريق فأرشداه اليه، ودعواه الى ضيافتهما . فنزل أردشير ودخل الى منزلهما فقدما اليه طعاما، وطفقا يحدثانه ويلاطفانه ويهونان عليه أمر هفتواذ، وأنه سوف يخمد جمره وتركد ريحه . فعلق كلامهما بقلبه واستحسنه فأخبرهما بنفسه . فوثبا وقبلا الأرض بين يديه . فخاضوا فى حديث هفتواذ واستيلائه على ذلك الطرف واستظهاره بالعدد والعُدد، فقالا :

(أ) كِرم بالفارسية : الدودة . والجمع كرمان .

(ب) هو فى كرنامك : مثرك . وفى الطبرى أنه كان ابرساس ، من أردشيرخرّة .

(١) كو، وطا : كرمان من أجل تلك الدودة . (٢) طا : ففرح أردشير بالسلامة وحمد .

أيها الملك ! إن الدودة التى استعلى بها أمر هفتواذ شيطان لا يقاومه أحد، ولا يمكن الظفر بها إلا بالحيلة. فليفكر الملك فى ذلك . فركب الملك من تلك الضيعة وتوجه نحو أردشير خُرّه، واستصحب الرجلين .

فلما وصل اليها جمع عسكره، وأطلق أرزاقهم، وركب وسار نحو مدينة جهرم قاصدا قصد مهرك الغادر . فلم يقدر على الثبات بين يديه فهرب . فنزل أردشير فى جهرم وأرسل وراءه الطلبة حتى ظفر به فقتله وقتل جميع من كان ينتسب اليه من أولاده وأقاربه، ولم يهرب منهم سوى بنت له، فإنها نجت ولم يظفر بها .

ثم إنه سار من ذلك المكان فى اثنى عشر ألف فارس حتى نزل على منزل من قلعة هفتواذ . وسلم العسكر الى بعض أمرائه وأوصاه بحفظهم و بأن يبث الطلائع و يفرق الجواسيس. وقال : إنى أريد أن أحتال حيلة لقتل هذه الدودة اقتداء بجدّى إسفنديار فى قتل أرجاسب — على ما سبق — فاذا أخبرك الديدبان بأنه شاهد بالنهار من القلعة دخانا و بالليل نارا فانهض فى العسكر حتى تنتهى الى باب القلعة . ثم استحضر دواب وأوقرها بالثياب والجواهر والذهب والفضة، وحمل قدرا كبيرة من الحديد مع جملة من الرصاص والنحاس ، واستصحب طائفة من ثقاته وفيهم الفلاحان اللذان أضافاه . ولبسوا ملابس الصوف، وتوجهوا نحو القلعة فى زى التجار . فصعد اليها بأحماله ورجاله . وتيسر له النزول عند حرس الدودة ومستحفظيها . وقال : إنى تاجر خراسانى قد أتيت بجملة من القماش والذهب والفضة والجوهر لأبيع وأبتاع فى مدينتكم هذه على سعادة الدودة . ثم قال لهم : إنى أريد أن أفتتح البيع والشرى بضيافتكم. فكونوا أضيافى ثلاثة أيام. ففعل ذلك وأضافهم . وقال لهم : دعونى أتبرك بخدمة الدودة و إطعامها. قال: فأطعمهم يوما وسقاهم حتى سكروا وغمرهم السكر أجمعين. فنصب قدر الحديد وأذاب فيها ما كان معه من الرصاص والنحاس، وقدّمها الى حوض الدودة على مثل عادتهم فى تقديم قدر الأرز اذا أرادوا إطعامها . ففغرت فاها فأفرغ ما فى القدر فى حلقها فانشق حلقومها، وسمع منه صوت عظيم ارتج منه الجبل. و بادر الى السكارى فى أصحابه بالسيوف فقتلوهم عن آخرهم.

وكان الديدبان قد شاهد ارتفاع الدخان بالنهار حين أوقد نار الضيافة فأخبر سالار عسكره فركب وسار بهم الى القلعة (١) . فوافق وصولهم اليها طلوع الصبح . فلما علم هفتواذ بمجىء العسكر بادر الى باب القلعة فرأى أردشير عليه كأسد هصور فأحس بالشر . ونزل أردشير وانضم الى أصحابه ، وتناوشوا الحرب ساعة فأسروا هفتواذ وولده الأكبر سابور . فأمر بهما فصلبا ورشقا بالسهام . واستولى على القلعة وذخائرها ودفائنها فاصطفى البعض لنفسه وفرّق الباقى على عساكره . ثم سلم ذلك الاقليم الى الفلاحين المذكورين، وعاد الى بلاد فارس. ثم ارتحل وسار منها الى شهر زور ومنها الى مدينة طيسفون وقعد مقعد السلطنة .

(١) لم يذكر الأمارة الثانية وهى رؤية النار ليلا، كما تقدم فى قصة إسفنديار .

القسم الرابع

الساسانيون

§ ٢١ — ذكر نوبة أردشير بابكان، وكانت مدّة ملكه اثنتين وأربعين سنة (أ)

وهو الذى يقال له أردشير بن بابك . وهو أردشير بن ساسان . وبابك جدّه لأمه — كما سبق .

قال : فجاء أردشير بن ساسان إلى بغداد(ب) . واعتصب بالتاج وجلس على تخت العاج محييا معالم الملوك الماضين، وسادا مسد آبائه الأوّلين ، كأنه كُشتاسب روعة وبهاء ورفعة وسناء . وتلقب بشاهنشاه .

ومما جرى له أن بهمن بن أردوان الذى هرب عند مقتل أبيه[1] دس إلى أخته (ج) التى كانت تحت أردشير قطعة سم على يد بعض ثقاته وأمره أن يقول لها : لا تشفقى على عدوك وقاتل أبيك، ولا تقطعى حنوك على أخيك[2] ، وإذا أمكنتك الفرصة فى زوجك فانتهزيها وأطعميه من هذه الهُلاهل . فلما أتاها الرسول برسالة أخيها تحرّقت عليه وعلى سائر إخوتها الذين قسمتهم يد الأسر

§ القسم الرابع — الساسانيون

٢٢٦ — ٦٥٢ م

هذا القسم من الشاهنامه يعدّ تاريخا وإن ضمن كثيرا من الأساطير . فكل الملوك المذكورين فيه يعرفهم التاريخ على النسق الذى فى الكتاب، ويعرف كثيرا من مآثرهم وأخبارهم المسطورة فيه . ولكن فى الكتاب أساطير ينكرها التاريخ، وفيه أغلاط فى سنى الملوك، وفى نسبة الوقائع إلى أصحابها .

وتاريخ الساسانيين معروف، وفى الكتب العربية كثير من أنبائهم وأقوالهم وآدابهم ورسائلهم وأساطيرهم . فلست أجد هنا حاجة إلى البيان الذى لم أجد منه بدا فى الفصول السابقة .

وحسبي أن أقول هنا : إنها دولة دامت أربعة قرون، وامتدّ سلطانها على إيران وما صاقبها، وساجلت الرومان الحرب نزاعا على الجزيرة وسورية عصورا متطاولة ، وإن لها أثرا فى الحضارة لا ينكر ولا سيما وصلها حضارة المشرق القصىّ بحضارة الساميين والأوربيين ، وإنها جمعت الفرس تحت سلطان واحد بعد أن فرقتهم الحادثات أكثر من خمسمائة عام — منذ غلب الاسكندر المقدونى =

(أ) الصواب أن حكم أردشير كان من ٢٢٦ إلى ٢٤١ م . ويروى الطبرى أنه حكم ١٤ سنة أو ١٤ سنة وعشرة أشهر.

(ب) كان فى العصر البابلى مدينة فى العراق تعرف بهذا الاسم . وقد عرف أيام الفتح الاسلامى اسم سوق بغداد قرب المدينة الحالية . والمدينة المقصودة هنا بهرسير (به أردشير) وهى سلوقيا القديمة (Seleucia) .

(ج) اسمها فى كرنامك : زجانك .

(١) كو : أبيه إلى الهند . (٢) طا : عن أخيك .

والنهب . فأخذت السم الذى أتاها به الرسول . فاتفق أن أردشير ركب يوما إلى الصيد، وعاد وقت الظهر وقد نال منه العطش والحر. فأخذت جاما من الياقوت الأصفر، وجعلت فيه سويقا وسكرا، ودست فيه شيئا من ذلك السم، وناولته الملك . فلما تناوله وقع من يده وانكسر وتبدّد ما فيه . فانزعجت المرأة من ذلك وارتعدت . فنظر الملك فى وجهها فاتهمها وساء ظنه ، واستحضر أربع دجاجات فأرسلها على ذلك السويق . فلما تناولن منه متن للوقت والساعة . فتعجب الملك من تلك الحالة، وجعل يقول : من ربى الكاشح حتى يسكر من النعمة والترف لم ير منه غير الهلاك والتلف . فاستحضر وزيره (١) وقال له : ما جزاء هذه الغدّارة ؟ فقال : أن يقطع رأسها حتى يعتبر بها غيرها . فأمره أن يرميها فى بئر ويطمها عليها . فأقبل الموبذ بها ليمضى فيها أمر الملك . فلما خرج بها قالت له : إنى مشتملة على حمل من الملك . وإن أكن مستحقة للقتل فما جرم هذا الجنين ؟ فأمهلنى حتى ألد ثم امتثل ما أمرت به . فعاد الموبذ إلى الملك وأخبره بذلك . فقال له : لا تسمع كلامها وافرغ منها سريعا . فعظم ذلك على الموبذ وقال فى نفسه : إن الملك ليس له ولد، وإنه وإن طال عمره فمصيره إلى الموت، ومهما لم يكن له ابن انتقل ملكه إلى عدوه . فالأولى أن أستعمل الرفق فى أمر هذه المرأة وأستأنى بها حتى تضع حملها ثم أمتثل فيها أمر الملك . فإن ذلك أمر لا يفوتنى . ولأن

= على ديارهم حتى استقل أردشير بأعباء الملك، وإنها بعثت دين زردُشت وجمعت بين الملك والدين جمعا له أثر بيّن فى تاريخها، فكان أردشير يرفع قواعد الدولة والدين معا، ودعاته يدعون له باسم الدين والسياسة . ولا تزال رسالة تنسر إلى ملك طبرستان ناطقة بهذا (١) .

ويرى القارئ أن الفردوسى يوجز الكلام فى هذا القسم إذ كان ينظم ما يجد ، ولم تفسح له الأساطير مجال القصص هنا إفساحها فى الأقسام السالفة .

ويمتاز عهد أردشير بما كتب عنه فى كتاب فهلوى يعرف باسم كرنامك أردشير پاپكان، أى كتاب أعمال أردشير بن بابك . وقد ذكره المسعودى فى مروج الذهب باسم الكرنامج (٢) . ويظهر أنه كتب فى القرن السابع الميلادى . وفيه أربعة أقسام :

(١) قصة نشوء أردشير. (٢) وقصة أردشير والكرد. (٣) وقصة الدودة. (٤) وقصتان عن سابور . وهى تخالف الشاهنامه فى تفصيل بعض الحوادث . =

(١) اسمه فى الطبرى ابرسام (ج ٢ ص ٥٧) .

(١) انظر تاريخ طبرستان لابن إسفنديار، والإشراف ص ١٠٠ (٢) ج ١ ص ١٥٤

أتبع العقل خير من أن أتبع الجهل . فحملها الى بيته وأخلى لها موضعا . وأمر زوجته بخدمتها والقيام بأمرها و إخفاء سرها . ثم إنه تدبر وقال فى نفسه : إن هذا الأمر يطلق فى ألسنة الأعداء، ويوقفنى فى مواقف التهم . والأولى أن أتحرز من ذلك . فانفرد وجب نفسه مستأصلا أنثييه وصاحبيهما، ونثر عليهما الملح، ووضعها فى حقة وختمها وكتب عليها تاريخ يومه . ثم كوى موضع الجب . فضعف واصفر لونه . وأراد الدخول على الملك فأمر فحمل فى مهد، وأقبل حتى دخل على الملك . فلما رآه ورأى ما به من الضعف سأله عن حاله . فقال: إنى لما أمضيت ما أمرنى به الملك هالنى ذلك وغمرتنى الرقة فضعفت، وحال لونى . ثم قال : وهذه الحقة وديعتى . فليأمر الملك الخازن بحفظها . فسلمها اليه .

قال : ثم[1] هذه المرأة وضعت ابنا كأنه ملك قاعد على تخته . فأخفاه عن الناس ورباه حتى شب وترعرع وأتت عليه سبع سنين . فاتفق أنه دخل ذات يوم على الملك فصادفه واجما مهموما . فقال : أيها الملك ! ما هذا الهم ؟ وهذا أوان نشاطك وسرورك حين ملكت الأقاليم وبلغت من الملك غاية السؤل . فقال : أيها الناصح ! إن ملك العالم قد استقام لى، وقد أتى على من العمر إحدى وخمسون سنة، واشتعل رأسى شيبا وصار مسك عارضى كافورا، وليس لى ابن يخلفنى ويرثنى الملك . فأنا أتأسف على الملك وأخاف انتقاله بعدى إلى العدو، وألا يبقى معى غير الحسرة والتعب . فانتهز الوزير فرصة الكلام وقال : إن وجدت الأمان على روحى أرحت الملك من هذا الهم . فقال : أى شىء يكون أنفع من رأى الحكماء ؟ فأعرب عما فى ضميرك ولا تخف . فقال : إن لى

= ثم قصة أردشير فى الشاهنامه ٦٦٠ بيتا فيها العناوين الآتية : وما بين الأقواس محذوف من الترجمة :

(١) جلوس أردشير على العرش . (٢) واقعة أردشير وبنت أردوان . (٣) مولد سابور ابن أردشير . (٤) لعب أردشير بالكرة ومعرفة أباه إياه . (٥) أردشير يسأل كيدًا الهندى عن طالعه . (٦) تزوج سابور بنت مهرك — مولد أورمزد بن سابور من بنت مهرك . (٧) تدبير أردشير المملكة . [(٨) نصح الملك أرشير عظماء إيران . (٩) إيصاء أردشير الناس . (١٠) ثناء خراد على أردشير] . (١١) خلع أردشير المملكة على سابور .

وفى نسخة تبريز وترجمة ورنر فصل آخر فى حمد الخالق، والثناء على السلطان محمود .

(١) كو، طا : ثم إن هذه .

عنـد الخازن أمانة . فأشر إليه بإحضارها . فأحضر الحقة . فسأل الملكُ عما فيها فقال : إن الذى فيها مادة حياتى . وإنى لمـا أمرتنى بقتل ابنـة أردوان أطعت الله وخالفت أمرك لمكان حملها . بجببت نفسى حتى لا يسوء ظن العدو بى، ولا أقع فى بحر الريبة والتهمة . وقد رزقك الله أيها الملك ! ابنـا، وهو الآن ابن سبع سنين، سميته سابور . وأمه بعد باقية تربيه (أ) . فتعجب الملك من ذلك وقال : أيها النـاصح الشفيق ! تحملت عناء عظيما . وستجد ثمرته . فأخرج هذا الصبى إلى الميـدان ما بين مائة غلام يساوونه فى القدّ والسن والزى، ومرهم باللعب بالكرة والصولجان حتى أخرج أنا إلى الميدان وأنظر هل أعرف ولدى من بين هؤلاء الصبيان. ففعل الوزير ذلك . ولمـا دخل أردشير الميـدان ورأى الصبيان يتلاعبون عرف ولده سابور ، وتنفس الصعداء، وأشار إليـه بيده وقال للوزير : هذا ولدى . ثم أمر بعض غلمانه أن يتوسط الصبيان ويلعب معهم ثم يسلب منهم الكرة ويرميها الى[1] ما بين يدى الملك . ففعل الغـلام ذلك ، فلما حصلت الكرة فى موكبه[2] لم يتجاسر أحـد من الصبيان على التقدّم لأخذها سوى سابور . فانه هجم ولم يحجم، وتقـدّم غير مفكر، وأخذ الكرة من بين يدى أردشير وعاد بها إلى أترابه . فتهلل وجه أردشير حتى كأنه عاد إلى عوده ماء الشباب . فبادره الفرسان فأخذوه من الأرض وجاءوا به إلى أردشير . فاعتنقه وضمه إلى صدره، وقبل ما بين عينيه، وعاد به إلى إيوانه . ثم أمر فنثروا عليه من الدرّ والياقوت ما غمر الصبى وعلاه حتى غطى وجهه . وعمل مثل ذلك مع الوزير، وأكرمه إكراما عظيما حتى بلغ به إلى أن أمر أن ينقش اسمه على إحدى صفحتى الدينار والدرهم واسم الملك على الصفحة الأخرى (ب) . وعفا عن ابنة أردوان وأمر بردّها إلى مكانها . ثم سلم سابور إلى المعلمين فعلموه الآداب الشاهنشاهية والمراسم السلطانية. ثم أمر ببناء مدينة على اسم ولده سابور . وهى التى تسمى جند يسابور .

(١٤٦)

قال : فكبر سابور وكان لايفارق خدمة أردشير ساعة، وصار له وزيرا ودستورا ومدبرا ومشيرا. وكان هو وأبوه لا يستريحان ساعة من مقاتلة الأعداء والركض إلى أطراف البـلاد فى حسم مادتهم ودفع عاديتهم . وكان كلما دفع عدوّا من جانب ظهر له عدوّ من جانب آخر . فقال أردشير ذات يوم لوزيره : إنى أسأل الله تعالى أن يملكنى الأقاليم ويطهر ساحة الأرض ممن ينـازعنى فى الملك حتى أتفرّغ لعبادته تعالى وتقدّس . فقال له الوزير : أرسل إلى كيد صاحب الهند فانه رجل عالم

(أ) أنظر قصة أم سابور فى الأخبار الطوال والطبرى وغيرهما وهى فى كارنامك تخالف ماهنا فى بعض التفصيل .

(ب) التاريخ لا يؤيد هذا . وعلى بعض سكة أردشير صورة بابك وعلى بعضها صورة سابور .

(١) صل : الى بين . والتصحيح من طا . (٢) طا : فى موكب الملك .

يخبر عن الأحوال الكائنة، وسله متى تحصل لك هذه السعادة . فكتب إليه وسأله عن ذلك فأجاب وقال : إذا حصل امتزاج بين نسـل الملك ونسل مِهرَك بن نوش زاذ استراح الملك حينئذ واطمأن فى مستقر الملك ، فينقص تعبه وعناؤه وتنمو كنوزه وأمواله، ولا يحتاج إلى تجهيز جيش، ويفرغ لكل لهو وعيش . فعظم ذلك على أردشير وقال : لا كان يوم أحتاج فيه إلى مواصلة العدوّ . ونفذ عند ذلك إلى جهرم فى طلب ابنة مهرك التى هربت . فلم يقدر عليها، والتجأت إلى بعض الضياع واختفت .

ذكر قصة سابور بن أردشير مع ابنة مِهرَك بن نوش زاذ المذكورة

قال : ثم بعد مدّة من الزمان اتفق أن ركب أردشير إلى الصيد ، ومعه ولده سابور . فصاروا إلى متصيدهم فأجروا خيولهم فى طلب الصـيد وتفرّقوا فى الصحراء . فوقعت عين سابور على ضيعة كثيرة المـاء والشجر ، وكان عطشان فيممها . ولمـا انتهى اليهـا رأى بستانا عنـد منزل رئيس الضيعة فدخله يطلب المـاء . فرأى جارية كالقمر ليلة البدر تستقى من بئر هناك . فلما رأت وجه ابن الملك جاءته لتستقى له ماء باردا . فمنعها فانصرفت وجلست على حافة نهـر هناك . فأمر سابور بعض غلمـانه أن يتزع له ذنوبا فوجدها غربا فلم يقـدر . فجاءت الجـارية ونزعت له ذنوبا أو ذنوبين . فتعجب سابور من قوّتها وبهت من حسنها[1] فسألها عن أصلها فقالت : إن أعطيتنى الأمان أعلمتك بذلك . فأعطاها الأمان فأخبرته بأنها ابنة مهرك (أ) طلبـة الملك أردشير . وذكرت أنها من خوفها منه وقعت الى تلك الضـيعة . فآمنها سابور ، وخطبها الى زعيم الضيعة فزوّجها منه . ثم إن الجارية حملت من سابور فوضعت ابنا كأنه إسفنديار قدّا وشكلا فسماه أورمُزد . فشب ونما ولمـا بلغ سبع سنين صار كأنه ليس له نظير فى العالم . وكانوا يكتمونه ولا يخلونه أن يخرج من البيت . فاتفق أن أردشير خرج الى الصيد ذات يوم ومعه ولده سابور . فانسل الصبى وخرج الى الميدان وأخذ يلعب بالكرة مع الصبيان . فاتفق أن أردشير انصرف من طريقه لحاجة فدخل الميدان ، والصبيان غائصون فى غمرة اللعب ، فوقعت الكرة إلى قريب منـه فلم يتجاسر الصبيان على التقدّم لأخذها سوى أورمزد . فانه تقدّم واستلب الكرة من بين يدى جده غير محتفل بخيله ورجله ، وصاح فى أثر الكرة . فتعجب الملك وسأل عن اسم الصبى . فسكتوا من حيث لم يكن فيهم أحد يعرفه فأمر بأن يحمل إليه فسأله عن أبيه فقال بصوت رفيـع : أنا ابن ولدك سابور بالنسب الصحيح ، من بنت مهرك . فتعجب أردشير

(أ) فى تاريخ حمزة أن اسمها كردزاد (الكردية) انظر ص ٣٥

(١) طا ، كو : لحسنها .

وضحك، واستحضر سابور فسايله وضحك إليه . فاعترف بأنه ولده، وأخبره بقصته مع أمه . فاستبشر الملك وامتلأ سرورا . وعاد به إلى إيوانه وأمر فنثروا عليه الجوهر حتى انغمر الصبي فيه . ثم تناول الملك بيـده واستخرجه من وسط النثار . وفرّق أموالا كثيرة على الفقراء ، وزين إيوان بيت النار بالديباج وألوان الثياب . وجلس مع أركان دولته وخواص حضرته فى مجلس الأنس وقال: إن العاقل لا ينبغى له أن يعـدل عن قول عالم الهند . فإنه أخبر أنه لا يستقر تحت سلطتنا، ولا تستمر سعادة أيامنا، ولا تنتظم أحوال ملكنا ولا تلتئم مصالح دولتنا إلا حين يختلط نسبنا بنسب مهرك . وقد صح الآن ذلك . فإنه منذ ثمـان سنين، من حيث ولد أورمزد، لم يدر علينا الفلك إلا بمـا نريد . وقد استتب لنا ملك الأقاليم السبعة، وأدركنا قصارى البغية ونهاية المنية .

ذكر نبذ من سير أردشير

حكى أن أردشير جد واجتهد، فأسس مبانى العدل ومهد، ورفع قواعد السياسة وشيد . قال : فاسمع[1] الآن ما نورد من سـيره ومستحسن تدبيره ونتاج رأيه وعقله : فمن ذلك أنه أحب أن تتكاثر جنوده وتتضاعف جيوشه فنفذ إلى أطراف بلاده وأقطار ممالكه، وألزم كل من رزق ابنا أن يعلمه آداب الفروسية ومراسمها . حتى اذا استكمل أسباب ذلك وأحكمها واسـتوفى أقسامها واستوعبها صار إلى باب الملك فكتب العارض فى جريدة الجيش اسمه ويعطيه من المعيشـة رسمه، فاذا عرض حرب أو حدث خطب سار تحت راية بهلوان الجيش. ووكل على كل ألف منهم موبذا خبيرا بالأمور عارفا بأحوال الجمهور، وجعله عليهم كالرقيب يخبره بما يرى من غنائهم، ويطلعه على شجاعهم وجبانهم. فيأمر الملك حينئذ بإكرام الشجاع وإثباته فى ديوان الجيش، وبإسقاط الجبان وتعريضه لمـا يتأتى منه من الحرف والأشغال . ولم يزل ذلك دأبه حتى جمع جنودا كاد يغص بهم فضاء الأرض ولا يسعهم نطاق العدو والحصر . ومن سيرته أنه كان لايستخدم فى ديوانه جاهلا ولا يستعمل فيه إلا من كان عالمـا. وكان ذا عناية بمن يكون حسن الخط فصيح القلم بارعا فى البلاغة. فمن كان حظه من الأدب والفضـل أوفر كان بنيل أفضاله أحرى وأجدر . وكان يعظم الكتبة ويكرمهم ويقول : إنهم خزنة سرى، وأنسباء روحى . وكان إذا أنفذ منهم واحدا الى طرف من أطراف المملكة أوصاه وقال: لا تبع جواهر الرجال بأعراض الأموال، ولا يكن لك مطلوب سوى الصلاح والسداد، وتجنب عن مظان الحرص والفساد، ولا تستصحب من أولادك وأقاربك أحدا، وحسبك بمن نضم اليك عونا وملتحدا، واجعل عليك للفقراء كل شهر راتبا لا تخل به . ومن يحسدك فاحرمه معروفك ولا تعتن بأمره .

(١) طا، كو: فاستمع الآن الى

ومن سيرته أنه كان اذا حضر بابه متظلم أو ذو حاجة من طرف من الأطراف بادره بجماعة من ثقاته قد رتبهم لذلك فسايلوه عن ولاة ناحيته وعمالها، واستخبروه عن حالهم فى العدل والظلم. فمن وقف من حاله على كسر جبر، ومن عثر منه من أولئك على خلل غيّر.

ومن سيرته أنه كان اذا أراد أن ينفذ عسكرا الى عدو يختار رجلا عاقلا كاتبا عالما حافظا لأسرار المُلك فيرسله الى ذلك العدو برسالة تشتمل على إعذار وإنذار حتى لا يأتيه على غرة. فإن أجاب المرسل إليه وسمع وأطاع ولم يؤثر الاقتحام على الشر ولا مباشرة الحرب أكرمه بخلعه ومبارّه، وأعطاه المنشور على ممالكه ودياره. وإن كان غير ذلك أعطى عسكره الأرزاق وأطلق لهم العطايا والصلات وجهزهم اليه تحت راية بهلوان عاقل موصوف بالسكون والتؤدة راغب فى حسن الأحدوثة، ونفّذ معه كاتبا معروفا ذا غنى وغناء وسنا وسناء، يكون ضابطا للجيش حافظا لهم من النزق والطيش، كافا إياهم عن الظلم والغشم. ثم يأمر مناديا فيركب ظهر فيل وينادى فى العسكر بصوت جهير ويقول: يا وجوه العسكر! لا تحاملوا على أحد، وأحسنوا الى الرعية، ولا تمدوا أيديكم الى ما فى أيدى غيركم. واعلموا أن كل من أحجم منكم فى القتال عن عدوه لا يرى الخير من بعد؛ فاما أن يلقى فى القيد والحبس وإما أن ينقل الى الناووس والرمس. ثم يوصى مقدّم الجيش ويقول: لا تكن فى أمرك متوانيا ولا نزقا ولا بادئا بالقتال. واذا عبيت الصفوف فلا تجعل الفيلة إلا أمام الكل. وفرّق الطلائع الى أربعة أميال. واذا قامت الحرب فطف بنفسك على العسكر، وصغّر أمر العدو فى أعينهم، وقوّ قلوبهم وعِدهم بعواطفنا ومبارّنا، ومنّهم بأعطيتنا وصلاتنا. واحفظ قلب العسكر عند اللقاء واثبت مكانك. وإياك أن يخرج منهم أحد وإن كثر العسكر وكثف الجمع. واجهد أن تحمل ميمنتك على ميسرة العدو فيفرغوا وسعهم ويبذلوا جهدهم، ثم تحمل ميسرتك على ميمنتهم بقلوب متحدة وقوى متعاضدة، ولا يزايل قلب العسكر مكانه ويكون شبه البنيان المرصوص لا يتحرك منهم أحد إلا أن يتحرك قلب العدو. فحينئذ تزحف بقلبك اليهم. واذا رزقت الظفر وانهزم العدو فلا تسفك الدماء. ومن استأمنك منهم فأعطه الأمان. واذا ولاك العدو ظهره فلا تمكن عسكرك من النهب والغارة. ولا تأمن أن يخرج العدو عليك من المكمن. ثم اجمع، بعد أن تأمن العدو، المغانم واقسمها على من باشر الحرب بنفسه، وعرض للهلاك مهجته. ثم من حصل فى يدك أسيرا فجهزهم الىّ حتى أبتنى لهم مدينة وأسكنهم إياها. واحفظ هذه الوصية، ولا تعدل عن مقتضاها حتى تسلم وتغنم.

ومن سيرته الموصوفة سيرته فى ترتيب الرسل الواردة عليه من الأطراف: فكان الرسول اذا وصل الى طرف بلاده رتبت له الأنزال منزلا منزلا الى أن يصل الى الحضرة، بعد تقدّم إنهاء أمره

اليها قبل . ويأمر باستقباله ويجلس على تخت الفيروزج فى إيوانه، ويصطف الملوك والرؤساء على رأسه سماطين، فى الملابس المنسوجة بالذهب . فاذا وصل الى الباب أمر بإدخاله عليه . فاذا حضر أجلسه عند تخته فسايله عن سره وجهره وخيره وشره . ثم يحضره فى مجلس أنسه ، ويخرج به الى متصيده، وهو راكب فى العدد الدهم من عسكره . ثم يجاوب عما صحبه من الرسالة، ويأمر أن يخلع عليه، ويتقدّم الى الرسول دار(١) بحمل ذلك اليه وصرفه .

ومن سيرته أنه فرق جماعة من الموابذة فى أقطار المملكة وأمرهم بأن يبحثوا عن أحوال الرعية فى السر . فاذا عثروا منهم على غنيّ قوم غاضت جمة ماله ، وصاحب ثروة تغيروجه حاله أنهوا ذلك الى الملك بخبر كسره ولمّ شعثه بحيث لا يرتفع ستر الحشمة عن وجهه، ولا يطلع أحد من أهل بلده على سره . فلم يبق فى دولته ذو خلة إلا من طوى حاله فى تضاعيف الكتمان ورضى لنفسه بالحرمان.

ومن سيرته أنه كان يفرق ثقاته فى أقطار ممالكه حتى إن رأوا ضيعة متشعثة أمر بإسقاط خراجها والنظر فى حال أهلها ، وإن رأوا دهقانا يتقاعد حاله عن الإنفاق على عمارة ضياعه عاونه بالمال والدواب ليرتاش وينتعش . ومن سيرته أنه كان يحضر الميدان صبيحة كل يوم فترفع اليه قصص المظالم فينتصر من المظلوم للظالم .

قال صاحب الكتاب مخاطبا لمحمود أو غيره : فالآن أيها الشهريار ! إن كنت تريد انتظام أحوالك فانسج على هذا المنوال، ولا تؤثر غير راحة الرعية لتكون مشكورا عند البارى والبرية .

(١٤٨) قال : ثم إن أردشير مرض بعد أن أتت عليه ثمان وسبعون سنة. فاستحضر ولده سابور وعهد اليه§ وأوصاه وصية قال فى آخرها : وإنى ملكت اثنتين وأربعين سنة، وبنيت ست مدائن كالجنان

---

§ عهد أردشير الى سابور طويل نظمه الفردوسى فى ستة عشر ومائة بيت . وقد بالغ المترجم فى اختصاره كما حذف قبل هذا فصلا يتضمن نصح أردشير أهل إيران وثناء رجل اسمه خراد على أردشير . وأريد أن أعرض على القارئ ما عهد به أردشير الى ابنه فى أمر الدين والدولة ليرى، كما قلت فى مقدّمة هذا الفصل، أن أردشير رفع قواعد ملك إيران ودين زردشت معا . يقول أردشير:

”لا يقوم الدين بغير سرير الملك ، ولا يقوم الملك بغير الدين ، وإن العاقل يرى أحدهما محوكا فى الآخر؛ لا الدين فى غنى عن الملك، ولا الملك محمود بدونه . كلاهما حارس الآخر كأنهما مقيمان فى سرادق واحد . لا يستغنى هذا عن ذاك ولا ذاك عن هذا ، فهما شريكان صالحان . إن رجل الدين اذا أسعده العقل والرأى يظفر بالدنيا والآخرة جميعا . الملك حارس الدين فلا تدْع الدين والمُلك إلا أخوين . ومن اجترأ على ملك عادل فلا تسمه ذادين، ومن يحقد عليه فلا تعدّه تقيا .

(١) الرسول دار : القائم بأمر الرسل .

المزخرفة . وهأنا أرتحــل الى الناووس ثم إما الى نعيم و إما الى بوس . فعليك بالعدل بين الرعيــة ، والإحسان الى الخليقة . ثم مضى الى سبيله . والمدائن إحداها أردشير خرّة ، وهى جور . والثانية أورمزد أردشير، وهى سوق الأهواز . والثالثــة رام أردشير . ومدينتان عنــد ميسان والفرات . والسادسة مدينة أخرى وهى على غربى المدائن على ما قال غير صاحب الكتاب (أ) .

٢٢ — ذكر نوبة سابور بن أردشير . وكانت مدّة ملكه ثلاثين سنة (ب)

وهو الذى تسميه العرب سابور الجنود (ج) . قال : ثم اعتصب سابور بتاج السلطنة، واجتمع اليه عظماء المملكة فوعد الناس خيرا ، والتزم لهم أن يتقيل أباه فى الاحسان الى الرعية والترفرف عليهم بجناح العاطفة والرأفة، وألا يتوخى فيهم إلا ما يتضمن مصالحهم وألا يأخذ من الدهاقين أكثر من الثلث، ولا يغلق على متظلم باب العــدل . فقام أكابر الحاضرين ودعوا له وأثنوا عليه، ونثروا عليه الجواهر، وانفض المجلس .

ثم سارت الأخبار فى أطراف الأقاليم بموت أردشير وقعود سابور فى مكانه من الملك . فأطاع بعض واستعصى بعض . وأنهى الخبر بأن أهل قيذافه عصوا وامتنعوا من أداء الخراج فسار فى عساكره الى أن نزل على التونية فخرج عسكر عظيم من قيذافه وانضم اليهم عساكر التونية . وكان بهلوان الكل رجل يســمى برانوس . وهو فارس بطل وجيه عنــد قياصرة الروم . فالتقى سابور و جرت بينهم على باب[1] المدينة وقعة عظيمة أسر فيها برانوس مع ألف وستمائة نفس، وقتل منهم ثلاثون ألفا . فأرسل قيصر عند ذلك الى سابور ، وتضرع اليــه وطلب الصلح، والتزم الخراج على أن ينصرف عن باب التونية . فأجابه سابور الى ذلك . فنفذ اليــه ملء عشرة من جلود البقر ذهبا من الدنانير القيصرية وألف وصيف ووصيفة وأنواعا كثيرة من الثياب . فارتحل سابور وعاد وراءه حتى وصل الى الأهواز فأمر ببناء مدينة تسمى سابور كرد، وأنفق فى بنائها أموالا كثيرة حتى فرغ منها . ثم بنى مدينة أخرى وأسكنها أسارى الروم، وهى على رأس الطريق المسلوك من بلاد الخوز . و بنى بفارس مدينة أخرى كبيرة. و بنى قُهُندُز نيسابور . وكان برانوس أسيرا يحمله معه وهو مع ذلك يصغى الى كلامه و يشاوره.

(أ) فى نسخة تبريز وترجمة ورز هنا فصل فى حمــد الله ومدح محمود الغزنوى . وليس فيه ما يفيــد المؤرخ إلا قوله عن السلطان : شاب فى العمر وشيخ فى الحكمة .

(ب) ملك من ٢٤١ — ٢٧٢ م . وقصــته فى الشاه ٨٨ بيتا .

(ج) هذه الجملة من عند المترجم .

(١) طا ، كو : على باب التونية .

قال : وكان بتستر واد كثير المـاء عميق جدا فقال لبرانوس : إن كنت مهندسا فاعقد قنطرة فى طول ألف ذراع على هذا المـاء . واذا فرغت فارجع الى بلادك . فاشتغل برانوس بذلك طلبا للخلاص ، بعد أن حكمه الملك فى خزائنـه لينفق على العمارة ما يريد . فجدّ برانوس واجتهـد وجمع الصناع من جميع البلاد وأحضر لها المهندسين ففرغ من بنائها . وعاد الملك من وجهه وعبر على تلك القنطرة مع جنوده وأطلق برانوس فعاد الى بلاده § .

قال مترجم الكتاب : ومما أغفل الفردوسى رحمه الله من وقائع سابور قلعة[1] الحضر . وهى مدينة كانت بجبال تكريت ، ما بين دجلة والفرات . وكان ملكها رجل من العرب يسمى الضيزن بن معاوية . وكان قد ملك أرض الجزيرة وبلغ ملكه الشام ، واجتمع عليه من قضاعة وبنى العبيـد وغيرهم من قبائل العـرب ما لا يحصى . وإنه تطرف بعض السواد فى غيبة غابها سابور بن أردشـير . فلما عاد وأعلم بما أقدم عليه صاحب الحضر شخص اليه وحاصره فى حصنه ونزل عليه أربع سنين وهو لا يقدر عليـه . ثم إن بنتا للضيزن يقال لهـا النضيرة عركت فأخرجت الى الربض . وكانت من أجمل نساء زمانها . وكذلك كان يفعل بالنساء اذا حضن . وكان سابور من أجمل الرجال صورة . فرآها ورأته

§ سابور بن أردشير أو سابور الأول حارب الرومان مرتين : الأولى انتهت سنة ٢٤٤ م بعد أن هُزم سابور وعبرت جيوش الروم الفرات ، وقاربت المدائن . والثانية كانت بعد أربع عشرة سنة من الأولى وفيهـا أسر سابورُ الأمبراطور ڤلريان (Valerian) فبقى فى الأسر حتى مات . وقـد خلدت الواقعـة فى صورة يظهر فيهـا سابور فارسا والامبراطور جاث أمامه . وهى فى النقوش التى تعـرف فى إيران اليوم باسم نقش رستم[2] .

ويسمى الأمبراطور فى الشاهنامه برانوس ، ويجعل قائدا مقرّبا عند القياصرة .

ويسمى فى الأخبار الطوال أليريانوس ويوصف بأنه خليفة صاحب الروم[3] ، والطبرى يقـول عن سابور : « وأنه حاصر ملكا كان بالروم يقال له أليرنانوس بمدينة أنطاكية فأسره » .

وأما تكليف سابور أسيره ببناء قنطرة ، كما فى الشاهنامه وغيرها ، فليس بعيـدا أن يكون سابور سخر أسارى الروم فى بناء قنطرة تسـتر التى لا تزال قائمة ويسمى بعض السدود والقناطر قرب تسـتر باسم قيصر ، وفى هذا ذكرى بناء الروم قنطرة هناك[4] .

---

(١) طا ، كو : فتح قلعة . (٢) سيكس (Sykes) ج ١ ص ٤٠٠ (٣) الأخبار الطوال ص ٤٧

(٤) انظر فى وصف القنطرة سيكس (Sykes) ج ١ ص ٤٠٤ ، ودائرة المعارف البريطانية (Shushter) .

فعشقها وعشقته فأرسلت اليه وقالت : ما تجعل لى إن دللتك على ما تهدم به سور هذه المدينة وتقتل أبى ؟ قال : لك حكمك وأرفعك على نسائى وأخصك دونهن بنفسى . قالت : عليك بحمامة ورقاء[1] فاكتب على رجلها بحيض جارية بكر زرقاء ثم أرسلها فإنها تقع على حائط المدينة فيتداعى . وكان ذلك طلسما[2] لا يهدمها إلا هو . ففعل ذلك وتأهب لهم فتداعت المدينة ففتحها عنوة وقتل الضيزن وأباد بنى العبيد وأفنى قضاعة حتى لم يبق منهم باق . وفى ذلك يقول شاعرهم :

ألم يحزنك والأنباء تنمى	بما لاقت سراة بنى العبيد
ومصرع ضيزن وبنى أبيه	وأحلاس الكتائب من يزيد
أتاهم بالفيول مجللات	وبالأبطال سابور الجنود
فهدم من أواسى الحضر صخرا	كأن ثقاله زبر الحديد

قال : فخرب سابور الحضر، واحتمل النضيرة بنت الضيزن فأعرس بها بعين التمر . فلم تزل ليلتها تتضور من خشونة فُرُشها، وكانت من حرير محشو بقز . فالتمس ما كان يؤذيها فاذا هى ورقة آس ملتصقة بعكنة من عكنها قد أثرفيها . قال : وكان ينظر الى مخها من لين بشرتها . فقال لها سابور: بأى شىء كان يغذوك أبوك ؟ قالت : بالزبد والمخ وشهد الأبكار من النحل وصفو الخمر . فقال : وأبيك ! لأنا أحدث عهدا بمعرفتك، وأوتر لك من أبيك الذى غذاك بما تذكرين . فأمر رجلا فركب فرسا جموحا فضفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعا . فلذلك قال الشاعر وهو عدى ابن زيد :

أقفر الحضر من نضيرة فالمر	باع منها فجانب الثرثار (١)

قال الفردوسى : فبقى سابور مستقرا على سرير الملك موطئا للرعية أكناف العدل والأمن حتى أتت عليه من ملكه ثلاثون سنة فطلعت عليه طلائع المنية فاستحضر ولده أورمزد ، وهو هرمز . فعهد اليه وأوصاه بأن يعدل[3] الى الرعية وألا يرفع صوته فوق كل ذى صوت خافض، ولا يسلك غير طريق العدل، ولا يحرص على جمع الكنوز واقتناء الأموال، وأن يكون متيقظا فى جميع الأمور . ثم قضى نحبه وسلك سبيل الذاهبين ، وورد موارد الأولين . وصلى الله على[4] محمد وآله الطاهرين أجمعين .



---

(١) أنظر القصة مفصلة فى الطبرى، وقد ذكرت فى الأخبار الطوال منسوبة الى سابور ذى الأكتاف الآتى ذكره . وانظر فصل سابور ذى الأكتاف .

(١) طا : بحمامة مطوقة ورقاء . (٢) طا، كو : طلسمها . (٣) طا، كو : بأن يحسن .

(٤) طا، كو : سيدنا محمد .

٢٣ — ذكر ملك هرمز بن سابور بن أردشير . ولم يملك سوى سنة وأربعة أشهر(١)

وكان يلقب بالجرىء . ولم يحصل له روعة الملك لقصر مدّته . ولما جلس فى مقام السلطنة مهد قواعد المعدلة، وبسط ظل الرأفة على الرعية حتى اتفق الذئب والشاة فى المورد . ومما يؤثر من كلامه ماقال : إن ثبات أسرّة السلاطين لا يحصل إلا بأصحاب العقل والرأى والدين ، وإن العقل ماء والعلم أرض لا ينبغى لأحدهما أن يفارق الآخر ، وقوله : إذا ذكرت الملوك عند العاقل فلا ينبغى إلا أن يكون كلامه بمعيار العقل موزونا فإن ما يقوله لا يبقى مكنونا ؛ فإن نطق فى حقهم فلينطق بالحسن وإن أسمع فيهم قبيحا فليزم(١) سمعه بالصمم . فان قلب الملك يرى سره ويسمع رزه .

قال : ولما دنت وفاته استحضر ولده، وكان يسمى بهرام ، وعهد إليه وأوصاه وقال : أيها الولد الطاهر المستعلى على الخلق بالرجولية والعلم ! أصغ الى المتظلمين ، واصفح عن المسيئين ، وإياك والحقد والكذب . ومن يكن نماما أو جاهلا أو محتالا فلا يجدن له عندك مجالا . واعلم أن قلة الحياء وكثرة الكلام يسوّدان وجه صاحبهما بين الأنام . واتخذ العقل سيدا والغضب عبدا ، ولا تحتد على المتقين . وتجنب الحرص فانه يورث الجبن والغيظ . وآثر الحلم والسداد، وتجنب الالتواء والفساد . وإياك وما يورث قبح الأحدوثة . وإياك والعجلة فانها تورث الندامة . وعليك بالرفق فهو مادة الاستقامة . ولا تكن نزقا حديدا ولا متوانيا بليدا وليكن عقلك بين هاتين الحالتين وسيطا . ولا تقربن طالبا للمثالب والمعايب ولا تطمع فى صداقة العدوّ الموارب . قال : ثم قضى نحبه فقعد بهرام فى مجلس العزاء أربعين يوما ثم قعد بعد ذلك مقعد أبيه من السلطنة .

٢٤ — ثم ملك بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير . وكانت مدّة ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر

§كان رجلا ذا حلم وتؤدة فاستبشر الناس بولايته . وأحسن السيرة فيهم واتبع فى ملكه وسياسة الناس آثار آبائه . ولم تطل مدّته . ولما قربت وفاته أحضر ولده ، وكان يسمى بهرام أيضا، فأقعده عند تخته فعهد اليه وأوصاه ومضى لسبيله .

---

§ بهرام الأول (٢٧٢ — ٢٧٥ م) كان ابن سابور لا ابن هرمز كما هنا . وهو الذى قتل مانى؛ يقول الطبرى ، ويوافقه حمزة الأصفهانى : « فأمر بقتله وسلخ جلده ، وحشوه تبنا وتعليقه على باب من أبواب مدينة جنديسابور ، يدعى باب المانى . وقتل أصحابه ومن دخل فى ملته » . وقصته فى الشاه ٤٨ بيتا .

(١) ملك (٢٧٢ — ٢٧٣ م) . وقصته فى الشاه ٩١ بيتا .

(١) طا : فليرم .

٢٥ — ثم ملك بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير تسع عشرة سنة (١)

قال : فجلس فى مأتم أبيه أربعين يوما وحضرته أكابر المملكة وجلسوا معه على التراب يبكون ويضجون . ثم أتاه الموبذ ليجلسه على تخت السلطنة فما انشرح صدره لذلك . ولم يزل به حتى أجاب بعد تسعة أيام فاستوى على تخته وعقد التاج على رأسه ، وحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ودعا له الحاضرون بمثل ما كانوا يدعون لآبائه فردّ عليهم مردّا حسنا . ولم ينقل صاحب الكتاب شيئا من أخباره أيضا . قال : ومات بعد استكماله تسع عشرة سنة وخلفه ولده ، وكان يسمى بهرام بهراميان .

٢٦ — ثم ملك بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير وكان ملكه أربعة أشهر §

ولما جلس على تخت الملك وعقد التاج على رأسه أتته الموابذة ونثروا الجواهر على رأسه ولقبوه كرمان شاه(ب)، واجتمع اليه أكابر المملكة ودعوا له بالبركة وطول العمر . فردّ عليهم أحسن ردّ، ووعدهم من نفسه بكل خير . ثم أنه لما علم أن وقته قرب عهد الى نرسى — وهو أخو بهرام الثالث (ج) على ماقال غير صاحب الكتاب فانه لم يكن له ولد — وأوصاه . فصرم الأجل حبله ولحق بمن مضى قبله .

---

§ فى المسعودى والبيرونى (جدوّل أبى الفرج) أنه ملك أربع سنين وأربعة أشهر . وفى الطبرى أربع سنين . ويظن نُلدكه أنه ملك أربعة أشهر فى دار ملكه ، وملك زمنا آخر فى بعض الأصقاع ، ولعل هذا كان من أجل محاربة نرسى الخارج عليه .

ويعرف من التاريخ أنه بعد قليل من ولاية بهرام الثالث ثار النزاع على الملك بين هرمزد ونرسى . ويظهر أنهما من أبناء سابور الأول (Sykes) ج ١ ص ٤٠٩) . ثم قصته فى الشاه ١٧ بيتا .

(١) ملك (٢٧٦ — ٢٩٣ م) وقصته فى الشاه ٣٥ بيتا . أنظر قصة هذا الملك وو زيره والبوم ، فى مروج الذهب .

(ب) فى البيرونى وحمزة الأصفهانى أن لقبه سكان شاه ، أى ملك سجستان ، وأن الملقب كرمان شاه هو بهرام بن شابور الآتى ذكره .

(ج) فى الشاه : أنه ابنه .

٢٧ — ثم ملك نرسى (ا) بن هرمز بن سابور بن أردشير وكانت مدّة ملكه تسع سنين

قال : ولما فرغ من مأتم بهرام تسنم سرير[١] الملك وعقد التاج على رأسه فدخلت عليه العظماء والأشراف ونثروا عليه الجواهر ودعوا له وأثنوا عليه فوعدهم الخير . وسار فيهم مدة ملكه بأحسن سيرة وأعدل طريقة . ثم لما حان حينه عهد إلى ولده هرمز، وولاه الملك وأوصاه ثم سلك سبيل الغابرين ولحق بآبائه الأولين .

٢٨ — ثم ملك هرمز بن نرسى بن هرمز (ب) بن سابور بن أردشير وكان ملكه تسع سنين أيضا (ج)

قال : ثم إنه جلس على تخته وعقد التاج على رأسه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم نصح الحاضرين ووعظهم ووعدهم بكل خير .

وكان الناس، على ما قال غير صاحب الكتاب (د)، قد وجلوا منه إذ قد أحسوا منه بفظاظة وشدّة من قبل . فلما ملك أعلمهم أنه قد علم خوفهم مما كانوا يرون من شكاسة طبعه وشراسة خلقه، وذكر أنه قد أبدل تلك الغلظة والفظاظة رقة ورأفة . فساسهم بأرفق سياسة وسار فيهم بأحسن سيرة وكان حريصا على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل ما بين الرعية .

قال : فهلك ولم يكن له ولد . فجلس أشراف المملكة في عزائه أربعين يوما . ثم وجدوا في جواريه جارية حبلى فعقدوا التاج على رأسها . فلما أتت عليها أربعون يوما وضعت ابنا كالشمس الزاهرة . (١٥٠) فسماه الموبذ سابور فاستبشر الناس وفرحوا بمولده .

(ا، ب) في الشاه : نرسى بهرام أى نرسى بن بهرام . وكذلك في المسعودى والطبرى وحمزة والبيرونى . ويجعله الطبرى أخا بهرام الثالث . وقد ملك (٢٩٣ — ٣٠٢ م) . وقصته في الشاه ٢٦ بيتا .

(ج) ملك (٣٠٢ — ٣٠٩ م) . فالصواب ما في البيرونى والطبرى والمسعودى : أن ملكه كان سبع سنين وخمسة أشهر ثم قصته في الشاه ٢٥ بيتا .

(د) انظر الطبرى .

(١) طا : تخت الملك .

٢٩ — ذكر نوبة سابور بن هرمز بن نرسى، وهو سابور ذو الأكتاف، وكانت مدّة ملكه ثمانين سنة §

قال : ولما أتى على سابور أربعون يوما من ولادته نصبوا له تختا فى إيوانه وجاءوا به ملفوفا فى حريرة، ووضعوه على التخت، وعقدوا عليه التاج فحيوه بتحية الملوك ودعوا له ونثروا عليه الجواهر، كما جرت عادتهم عند قعود الملوك مقاعد السلطنة . وكان فى أركان دولته موبذ يقال له شهرويه[1] . فتولى التدبير، وتقلد التقديم والتأخير، وقام بسياسة الملك فملأ كنوزه وكثر جنوده حتى نشأ الصبى . فلما بلغ خمس سنين كان ذات يوم جالسا فى مكانه من مدينة طيسفون فسمع صياحا وشغبا ولغطا كبيرا . فسأل عن ذلك فأخبر بأن ذلك من عبور الناس على جسر دجلة وازدحامهم فى الرواح والمجىء . فأقبل على موابذته وقال : ليعقد على دجلة جسر آخر ليكون أحدهما معبرا لمن أقبل والآخر معبرا لمن أدبر حتى لا يتزاحموا ولا يتأذى أجنادنا ورعايانا . فتعجب الموابذة من قوله واستدلوا به على نجابته وذكائه . فعقدوا جسرا آخر كما أمر . ثم إنه تعلم آداب الملوك وترعرع ولم يزل يزداد روعة واستعدادا للسلطنة . قال : وآثر المقام باصطخر لأنه كان مستقر أسرة السلاطين فتحوّل اليها[2] .

---

§ شابور ذو الأكتاف من أعظم الملوك الساسانيين، حكم (٣٠٩ — ٣٧٩ م) . ولقبه بالفارسية، كما فى تاريخ حمزة والبيرونى، « هويه سُنبا » أى ثاقب الكتف .

وقصته فى الشاهنامه ٦٧٩ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) ملك شابور ذى الأكتاف، ٧٢ سنة . (٢) أسر طائر العربى بنت نرسى وذهاب شابور لحربه . (٣) مالكة بنت طائر تعشق شابور . (٤) مالكة تسلم قلعة طائر الى شابور، ويقتل طائر . (٥) ذهاب شابور الى بلاد الروم، ووضع قيصر إياه فى جلد حمار، وخيطه عليه . (٦) تخليص الجارية شابور، من جلد الحمار . (٧) فرار شابور من الروم، و بلوغه ايران . (٨) لقاء الايرانيين شابور، وجمعه الجيش . (٩) تبييت شابور الروم، وأسر قيصر . (١٠) قيادة شابور الجيش الى بلاد الروم ومحاربته أخا قيصر . (١١) الروم يجلسون برانوس على السرير، فيكتب الى شابور . (١٢) ذهاب برانوس الى شابور ومعاهدته . (١٣) ظهور مانى وادعاؤه النبوة . (١٤) شابور يولى أخاه أردشير العهد .

---

(١) فى نسخة مول (Mohl) مهرويه . (٢) كذا فى نسخ الترجمة . والصواب : لأنها كانت .

§ ثم خرج ملك من العرب من آل غسان فى عساكر كثيرة فشن الغارات على أطراف ممالك فارس، وأخذ مدينة طيسفون ونهب ما كان فيها من الذخائر والخزائن، وسبى منها عمة لسابور، وتسرى بها، ورزق منها بنتا من صفتها وجمالها كيت وكيت، وسماها مالكة . ثم إن سابور لما أتى عليه ثلاثون سنة من ملكه وعمره تشمر للركض الى بلاد العرب . فاختار اثنى عشر[1] ألف فارس من أعيان أبطاله، وأمرهم بأن يتجردوا ويركبوا النُّجب والهُجن، ويجنبوا الخيل . فركض بهم إلى الملك الغسانى فقتل منهم مقتلة عظيمة حتى ثل عروشهم ونهب أموالهم وسبى نساءهم وقتل رجالهم . وهرب الغسانى إلى قلعة باليمن وتحصن بها فتبعه سابور وحاصره فيها شهرا . فاتفق أن ابنة الملك التى هى من عمة سابور رأته فعشقته فراسلته وراسلها ، واحتالت وسقت الحرس تلك الليلة الخمر حتى ثملوا، ونفذت إلى سابور وأشارت عليه بالهجوم عليهم . فهجم سابور عليهم وقتلهم وأخذ القلعة ونهبها، وأسر الغسانى وقتله ، وأمر بوضع السيف فى العرب فقتلوا منهم خلقا كثيرا . ثم قال : من وجدتموه منهم فاقطعوا يديه وانزعوا كتفيه . ففعلوا ذلك فلقبته العرب من أجل ذلك "ذا الأكتاف".

ثم إنه عطف عنانه وعاد إلى بلاد فارس، واستقر على سريره . فاتفق أنه تفكر ذات ليلة فى عاقبة أمره ومآل ملكه فاستحضر بعض المنجمين، وأمره أن ينظر فى طالعه ويخبره بما يؤول اليه

§ كثيرا ما يلبس الرواة سابور الأول بسابور الثانى ذى الأكتاف . كلاهما كان ملكا عظيما، وكان الثانى أطول ملكا ، وأشد بأسا فنسب اليه بعض وقائع سابور الأول . وقصة الغسانى التى يذكرها الفردوسى هنا إحدى الوقائع المحرفة عن موضعها . فهى قصة الحضر التى يذكرها الطبرى والمسعودى فى عهد سابور بن أردشير . وكأن الروايات لبست قصة الحضر وقصة أذينة ملك تدمر — إحداهما بالأخرى وصاغتهما قصة واحدة، وزاد الفردوسى أن جعل الحصن الذى حاصره سابور فى اليمن . ولم أجد فى الكتب الأخرى أن سابور جاوز اليمامة الى الجنوب .

فأما الحضر فمدينة كانت فى الجزيرة تبعد عن دجلة الى الغرب أربعين ميلا وعن الموصل الى الجنوب كذلك ومن بغداد الى الشمال مائتى ميل . ويظهر من أطلالها أنها كانت مدينة حصينة يحيط بها سور قوى يتلوه فى الداخل خندق عميق ثم سور آخر عليه أبراج . وفى وسط المدينة بناء يحميه سور ذو أبراج كان قلعة فيها قصر ومعبد . ويقول الهمذانى أنها كانت مبنية بالحجارة المهندمة — بيوتها وسقوفها وأبوابها . وكان فيها ستون برجا كبارا، وبين البرج والآخر تسعة أبراج صغار. =

(١) صل، طا : اثنا عشر .

على ما تقتضيه أحكام النجوم . فنظر[١] له وقال : أيها الملك ! إن أمامك أمرا صعبا لا أستطيع أن أذكره لك . فقال : أيها العالم ! فهل شيء يدفع ذلك عني ؟ وكيف الطريق إلى صرف هذا النحس عن طالعي ؟ فقال المنجم : إن الكائن لامحالة كائن . فقال سابور : إنا بالله نستعين فهو الحافظ من كل سوء، والمجير من كل مكروه . ثم إنه بعد سنين عدّة دعته نفسه إلى دخول بلاد الروم ومشاهدتها ومعاينة أحوال قيصر . فخلا ببعض أمرائه وأطلعه على سره، وجعله بهلوان جيشه . ثم استحضر جمالا وأوقرها بالذهب والجوهر والثياب وسائر الأمتعة والأقمشة، وخرج بها فى زى التجار إلى بلاد الروم . فلما وصل إلى مدينة قيصر حضر بابه . فسأله حاجب الباب عن حاله فقال : أنا رجل تاجر من بلاد فارس . ومعى أحمال من الخز والبز . وحضرت باب الملك أريد الوصول اليه . فإن معى جواهر لا تصلح إلا له ، وأرجو أن يقبلها منى، وحينئذ أتصرف وأبيع وأبتاع بسعادته . فدخل الحاجب وأنهى حاله إلى الملك . فرفع دونه الحجاب فدخل وخدم . فنظر اليه قيصر وأعجبه[٢] شكله وبهاؤه فأكرمه . وأمر بإحضار الطعام والشراب[٣] . قال : وكان فى خدمة قيصر رجل من أرض إيران فنظر إلى سابور فعرفه . فسارّ قيصر وقال : إن هذا التاجر هو سابور ملك فارس . فتعجب قيصر مما قاله فوكل به جماعة من أصحابه، وأمرهم بحفظه . واستمروا على حالهم حتى تمل

＝ ويقول ياقوت : «فأما فى هذا الزمان فلم يبق من الحضر إلا رسم السور وآثار تدل على عظمه وجلاله[٤]» وقد حاصر الحضر تراجان وسفروس من ملوك الرومان فلم ينالا منه . ثم استولى عليه أردشير بن بابك أو ابنه سابور .

وأما واقعة أذينه ملك تدمر (Odenathus) فإنه أغار على جيش سابور الأول قافلا من حرب الامبراطور فلريان الذى أسره سابور ، فأصاب من الغنائم كثيرا وأوقع بالفرس وأسر بعض زوجات الملك ، ثم استولى على العراق حتى حاصر المدائن وعظم شأنه، ولقبه الرومان «أغسطس» . فيظهر أن الغسانى الذى تصفه الشاهنامه وتذكر أنه أسر عمة سابور وأخذ المدائن هو أذينة . وفى معجم ياقوت أن الأسيرة التى أخذها الضيزن أخت سابور الأول واسمها ماه .

وقد نبه ياقوت إلى غلط بعض الناس فى هذه الواقعة فقال، بعد ذكر ماتقدم : «وإنما ذكرت هذا لأن بعضهم يغلط ويروى أنه ذو الأكتاف[٥]» .

(١) صل : فنظروا ، والتصحيح من طا . (٢) كو : فأعجبه . (٣) طا ، كو : والشراب ، وأخذ فى الأكل والشرب .

(٤) ورنر ، ج ٦ ص ٣٢٢ ، والبلدان للهمذانى ص ١٢٩ ، وياقوت : « الحضر » . (٥) انظر القصة وما قيل فيها من شعر فى مروج الذهب والطبرى فى الكلام عن سابور الأول ، ومعجم البلدان : « الحضر » .

سابور فقام ليتصرف إلى منزله . فعدلوا به إلى بعض حجر[(١)] قيصر فشدّوا يديه ، وجعلوه فى جوف جلد حمار ، وأودعوه بيتا مظلما فى تلك الدار ، وأغلقوا بابه عليه ، وسلموا مفتاحه إلى صاحبة الدار[(٢)] . فأمرها الملك بأن تعطيه كل يوم من الخبز[(٣)] ما يسدّ رمقه حتى يعرف قدر التاج والتخت إن عاش ، وليعتبر به من بعده فلا يطمع فى ملك الروم . فأغلقت امرأة قيصر باب ذلك البيت وسلمت مفتاحه إلى جارية لها كانت خازنتها ، وكانت كالدستور بين يديها ، ذات عقل ورأى ، وكان أبوها من الإيرانيين ، فأمرتها بحفظه والقيام عليه وعلى قوته . قال : ولما حصل سابور فى أسر قيصر جمع عساكره وسار إلى بلاد الفرس فاستولى عليها وقتل رجالها وسبى نساءها ، وأكره من نجا من أهلها من القتل على الدخول فى دين النصرانية . فشدّوا الزنانير ودخلوا فيها ولم يبق على الملة الفهلوية سوى من كان يخفيها . وأقام مستوليا على تلك الممالك سنين عدّة ، وسابور مقيم فى حبسه على حاله . فاتفق أنه حصل بينه وبين الجارية الموكلة به توالف وتوافق فالتمس منها أن تدبر فى خلاصه ، وسألها أن تأتيه كل يوم بقدح حليب[(٤)] ليصبه على مخارز تلك الجلدة فلعلها تلين فيتمكن من فتقها والخروج منها . فلبثت أسبوعين تأتيه كل يوم بقدح لبن حار فيفعل به ذلك فلانت وتهيأ له الخروج منه[(٥)] . ثم سأل الجارية عن طريق الخلاص فقالت له : إن للنصارى غدا عيدا يخرجون فيه إلى الصحراء ولا يبقى فى المدينة منهم أحد . وأنا أدبر أمرك إن شاء الله . قال : فخرج الناس إلى عيدهم ، وخرجت صاحبة الحجرة فى نسائها وجواريها وخدمها ، على عادتهم فى الأعياد . ولم يبق فى الدار إلا هذه الجارية الموكلة بحفظه . فمضت إلى الاصطبل وأخرجت فرسين ، وجاءت بعدّة وسلاح . ولما جن الليل أخرج[(٦)] سابور من محبسه فخرج خروج القدح قدح ابن مقبل ، وركب مع الجارية فى ليل لستر الدجنة مسبل . وأغذ السير طردا وركضا . فأحس بالحال شخصان من الحرس فأتبعاه حتى لحقاه . فأخذا بعنانه فتناول سابور رأس أحدهما بيمينه ورأس الآخر بيساره ، واقتلعهما من مغرز رقابهما ، واستمر فى طريقه . فلم يزالا يركضان ليلا ونهارا حتى انتهيا إلى إحدى مدن خوزستان (ا) فوقفا على باب بستان وقد بلغ منهما الجهد كل مبلغ وأعيت دوابهما . فقرع باب البستان فجاء الباغبان (ب)

(١٥١)

(ا) يعجب القارئ من أن ينتهى سابور إلى خوزستان فى فراره ، ولا يعرج على بلد أقرب منه . وفى مروج الذهب أنه كان أسيرا مع الجيش الرومى ، وأنه فر قرب جنديسابور .

(ب) الباغبان البستانى ، مركب من باغ أى الحديقة وبان أى القائم على الشيء .

(١) طا ، كو : حجر نساء قيصر . (٢) كو : الحجرة . (٣) طا : من الخبز والماء .

(٤) طا ، كو : قدح لبن حليب . (٥) كو : منها . (٦) كو : أخرجت .

فرأى فارسين مدججين قد لوحهما السفر، وسفع وجوههما النصب. ففتح لهما الباب واستبشر بهما وتهلل في وجوههما فقال لسابور : من أين جئت ؟ وهل عندك من سابور ملك فارس خبر ؟ فقال : أنا رجل من أرض إيران موجع القلب من قيصر . وقد هربت منه متوجها إلى هذه المدينة . وأنا الليلة ضيفك . فأكرمه الباغبان وأنزله وأحضره ما عنده من الطعام . ثم أخذ بقطينة كانت عنده وخرج يطلب له الشراب فأبطأ . فرأى سابور صبيا في البستان فقال له : أين أبوك ؟ فقال : خرج يطلب لك شيئا إن وجده سربه[1] وتناولته أنت وهو معا، وإن لم يأت به تناولت أنا وأمي وأبي معك جميعا . فتعجب سابور من كلام الصبي ولم يفهم معناه . فجاء الباغبان بيقطينته، وصب منها في الجام شرابا، وقدمه إلى سابور. فقال له : يبدأ بالشراب من جاء به . فقال الباغبان: من كان أبهى منظرا فهو الشارب أولا ، وينبغي أن تكون المقدم لبهائك وأبهتك . فضحك سابور فتناول القدح فشربه ورده إليه . ثم سأله عن معنى كلام الصبي . فقال له أيها الضيف[2] المبارك : اعلم أن لي خابية من الشراب مثل الذهب المذاب قد خبأتها تحت التراب، ونذرت أن لا أفض ختامها ولا أحط لثامها إلا إذا رأيت وجه الملك سابور طالعا في كوساته (١) الراعدة وبوقاته الناعقة . فخرجت لأطلب من جيراني من الشراب ما يكفيني ويكفيك عازما على أنه إن لم يتيسر ذلك أخرجت من السر[3] المكتوم، وفضضت عن الرحيق المختوم . ولا يحملني على ذلك إلا بهاؤك ولطفك وفتوتك. فقال سابور: فض الختام، وأقر ذلك المدام عني السلام، وأحضرها على يمينك فانا سنكفر عن يمينك . فشربا ما حضر ثم سعى نحو سره المكنون فكشف قناعه، ونبش رمسه، وأطلع شمسه . فصار بيته بالطرب واللهو آهلا . ولما دارت الكؤوس وطابت النفوس أقبل سابور على الباغبان وقال : هات ما عندك من أخبار إيران . فأخبره الباغبان بما جرى على أهلها من القتل والأسر والنهب، وقال : إن أكثر من بقي منهم ترك الملة الفهلوية وأطفأ نارها، ودخل في دين النصرانية وشد زنارها . وقد رأوا مطر العذاب سكوبا فتمسكوا بدين المطران واعتصموا بملة سكوبا . § فقال له : ففي أي مطار طار

---

§ في هذه القصة لبس وقائع شتى في أزمنة مختلفة . فأما ذهاب سابور إلى الروم في زي تاجر فخرافة لها شبه من أسطورة گشتاسب في بلاد الروم التي ذكرت آنفا[4] ولعل فرار هرمزد أخي سابور إلى بلاد الروم أو أسر أحد أبناء سابور في معركة سنجار وتعذيب الروم إياه حتى الموت، أو أسر أذينة =

---

(١) كوسات : جمع كوس . وهو الطبل العظيم .

(1) كو : شربته . (2) صل : قال له الضيف . والتصحيح من طا . (3) كو : الشراب المكتوم .

(4) أنظر ص ٣١١

سابور بن هُرمز ؟ وإلى أى مصير صار ؟ فبكى بالأربعة السجام على الإبريق والجام ، وقال : إنه غاب فلم نسمع له خبرا ، ولم نرله عينا ولا أثرا . ثم إن سابور أعلمه بنفسه فكاد يطير سرورا وقام وسجد له ، وقال : الآن برقسمى . وحمد الله تعالى وأثنى عليه . ثم قال : وهل تدرى أين منزل موبذ الموبذان ؟ فقال نعم . فطلب منه طينة وطبع عليها خاتمه ، وأعطاه إياها ، وقال له : اذهب بها الى موبذ الموبذان . فحمل الباغبان ذلك إلى داره . فلما رأى الختم عليه علم أنه علامة سابور فتعجب وسأله عنه . فقال : إنه ضيفى ، وهو نازل فى بستانى مع جارية كالشمس البازغة . فسأله عن حليته وشكله وقدّه وقالبه فسرد عليه الباغبان ذلك كما هو . فعلم الموبذ بخلاصه . فكتب فى الحال كتابا إلى بهلوان عساكر سابور (وكان قد هرب مع نسائه ورجاله إلى مرو)[1] وأمره بالمبادرة إلى إيران فى جميع من عنده من العسكر . فلما وصل كتابه إليه أقبل إلى فارس . فلما وصل إلى المكان الذى فيه سابور ظهر لهم . وكان قد فرّق الجواسيس يتعرّف حال قيصر وعسكره فأتوه وأعلموه بأنه نازل على ظهر طَيسفون ، وأنه مكب على الصيد والطرد واللهو واللعب ، ما له ربيئة بالنهار ولا طليعة بالليل ، وأن عساكره متفرقة فى أقطار الممالك مقبلين على أشغالهم وأعمالهم . فانتخب ثلاثة آلاف فارس من المراوزة وغيرهم ، وركض بهم الى مخيم قيصر فهجم على معسكره ليلا فلم يحسوا

= ملك تدمر بعض زوجات سابور الأول — لعل واحدة من هذه الحادثات حرفت إلى أسر سابور فى بلاد الروم وقد ذهب إليها فى زى تاجر .

وأما سير قيصر إلى بلاد الفرس وقتل الرجال وسبى النساء وإكراه الناس على النصرانية فهو ذكرى ما فعله جوليان امبراطور الروم إذ أغار على العراق حتى اجتاز دجلة قرب المدائن وهزم الجيش الفارسى ، وتعقبه إلى أبواب المدينة . ثم سار الى الشمال فأتبعه سابور وحاربه مرة بعد مرة حتى طعن جوليان فى موقعة قرب سامرا فمات (١٦ يونيه سنة ٣٦٣ م) ، فانتخب الجند جوڤيان للملك . فراسله سابور للصلح فاصطلحا على أن ترد للفرس الولايات التى أخذها الروم من نرسى ، وعلى ردّ سنجار ونصيبين التى حاولها سابور ثلاث مرات فلم ينل منها والتى كانت موئل الروم فى هذه الأرجاء .

ويؤيد هذا رواية الطبرى فقد سمى الملك الرومانى لليانوس ، وذلك قريب من جوليان ، وقال أنه احتوى على مدينة طيسبون ، وأنه كان جالساذات يوم فى حجرته فأصابه سهم غرب فى فؤاده ، وأن الروم ملكوا عليهم يوسانوس ، وكان قائدا فى الروم ، وأن سابور فاوض الروم فى الصلح فصالحوا =

---

(١) ما بين القوسين من طا ، كو .

إلا برواعد الطبول وصواعق السيوف محيطة بهم . فلم يزل السيف يعمل فيهم حتى طلع الفجر . وأخذوا قيصر أسيرا مع جماعة من عظماء الروم وأشرافهم، وسلسلوهم وقيدوهم . ولما متع النهار قعد سابور واستحضر كاتبه فكتب كتب البشائر مخبرة بظهوره وعوده الى سلطانه، وأن الله تعالى قد ردّ به حق الملك الى نصابه ، وملكه نواصى أعدائه ، وبلغه أقاصى آماله ، وجعل قيصر فى يده أسيرا ، ويسر له من الأمر ما كان عسيرا . وقال لهم : ألا من وجدتموه من الروم فى بلادكم فاقتلوهم ولا تبقوا عليهم، وبادروا الى الحضرة ، واستأنفوا مراسم الخدمة . وطير الكتب على أيدى النجابين الى أقطار الممالك وأطراف المشارق والمغارب .

ولما فرغ من ذلك دخل الى مدينة طيسفون فاستقر على تخت السلطنة ، واعتصب بتاجها . واستحضر الباغبان وخلع عليه على رءوس الأشهاد (١) ، وأزال الخراج عن ضيعته، وجعله أعظم أهل ناحيته . ثم نفذ الكاتب الى السجن وكتب أسماء المأسورين ، وكان عدد أكابرهم المذكورين ألفا ومائة وعشرة أنفس ، كلهم من أقارب قيصر وأركان دولته وأعيان مملكته . ثم أمر بإحضار

= على رد نصيبين الخ[٢] . فهذا قريب مما يعرفه التاريخ، وبه يمكن رد قصة الشاهنامه إلى الحادثات التاريخية . وأبين من هذا رواية فارس نامه أن ليانوس هذا تولى بعدقسطنطين وأبطل النصرانية وأخرب الكنائس[٣]، ويعرف التاريخ أن الذى فعل هذا هو جوليان . ويزيد المسألة وضوحا قول حمزة الأصفهانى : «وأما يوليانس ابن أخى قسطنطين فانه فارق النصرانية وعاود الأصنام، وغزا العراق فى ملك شابور بن أردشير فقتل بالعراق . وملك شابور على الروم رجلا من البطارقة نصرانيا يقال له يونيانس فردّ الروم إلى أرضهم»[٤] . ولا ريب أن يوليانس هو جوليان ويسميه البيرونى "يوليانوس الكافر" . ولكن حمزة خلط هنا بين سابور الأول وسابور الثانى .

وأما أسر الأمبراطور فى هذه القصة فهو غلط وذكرى محرّفة من أسر الأمبراطور ڤلريان أيام سابور الأول . على أن الطبرى وفارس نامه لا يذكران أسر قيصر بل يقولان أنه أصيب بسهم . والتاريخ ينبئ أن جوليان طعن فى معركة سامرّا . على أن الروم غزوا العراق أيام سابور الأول حتى قاربوا المدائن أيضا ثم ارتدوا حينما سمعوا بمقتل الامبراطور فى بلادهم . ولكن قصة الشاهنامه هى قصة جوليان وسابور الثانى .

---

(١) لم يذكر المترجم ما فعل سابور بالجارية التى أطلقته . وفى الشاه : أنه أحسن جزاءها وسماها "دل افروز فرخ پاى" أى ضياء القلب مباركة القدم .

(١) لفظ «إلا» من طا . (٢) الطبرى، ج ٢ ص ٦٩ (٣) فارس نامه ص ٧٠ (٤) حمزة ص ٥١

قيصر فبادره الحرس وجاءوا به . فلما وقعت عينه على وجه الملك بكى وأهوى بوجهه الى الأرض . فقــال له سابور : يامادة الشر و ياعدوّ الله ، إلذى يثبت الولد لمن لا شريك له وليس لملكه بداية ولا نهــاية ! إن كنت من القياصرة فأين ذهب عقلك ورأيك حين حضرتُ فى زى تاجر بين يديك غير جالب اليك شرا فقابلت حق وفادتى عليك بإخفار الذمار ، وأدرجتنى فى جلد الحمــار . فسوف تذوق و بال أمرك ، وتصلى بمــا أوقدت من جمرك . فقال : أيها الملك ! من الذى يقدر على مخالفة القدر المقدور، وينجو من القضاء المحتوم؟ والآن إن قابلت الإساءة بالحسنى حصلت ذكرا لا ينسى، وأدركت ما تريد وتهــوى . وإنك اذا آمنتنى(١) واستبقيتنى سلمت اليك مقاليــد كنوزى ، وأصبحت لك عبدا لا أخالف لك أمرا . فاقترح سابور عليه أن يرد جميع أسارى إيران ، وجميع ما أخذ منها من مال وغيره ، وأن يعمر البلاد التى خربهــا و يغرس الأشجار التى قلعها ، وأن يسلم اليه عن عوض كل رجل قتــل من الإيرانيين عشرة من رجال الروم . ثم أمر به فشقت أذناه وثقب أنفــه وخزم بخزام وقيد بقيدين ثقيلين وأودع الحبس .

ثم إنه أمر كتاب الجيوش بجمع العساكر و إطلاق أرزاقهــم . ثم سار فيهــم قاصدا قصد بلاد الروم كالنــار المحرقة لا يبقى ولا يذر . فلما بلغ الروم أظلمت الدنيا فى عيونهــم إذ لم يجدوا من يقوم بأمورهم . فاجتمعوا على أخ لقيصر أصغر منه يسمى يانس فملكوه عليهم فخرج بالصليب الكبير، والعدد الكثير مستعدًا للقاء سابور. فلما التقوا جرت بينهم وقعة عظيمة فغلبت الروم وأصبح يانس من الظفر يائسا ، وصار غرس سعادته يابسا ، وانهزم بمن معه . فتبعهم سابور ووضع فيهم السيف وقتل منهم خلقا كثيرا وغنم غنائم لا يأتى عليها العدّ والحصر. فلما رأت الروم ما ابتلوا به من شر سابور اجتمعوا على برانوس وقالوا : إنه رجل عاقل قد جرب الأمور ومارس الدهور، وجعلوه قيصر فتولى أمورهم وتقلد تدبيرهم . وعلم أنه لا يقدر على مقاومــة سابور فكتب اليه كتاب ذى عجز وضراعة يذكر فيه أنهــم مطيعون قائمون بتلافى خلل بلاد إيران وجبره . وشحنوا الكتاب بأنواع من الاستعتاب والاستعطاف . فلما وصل الكتاب الى سابور أثر فيــه وخفض منه ، وأجاب عنــه وقال : إن كنت تسلك سبيل العقل فأقبل الى الخدمة مع أساقفة الروم وفلاسفتها . وقد أمنتكم فكونوا آمنين . فلما وقف برانوس على جواب سابور أوقر ستــين جملا من الجواهر والثياب ، واستصحب ثلاثين ألف دينــار برسم النثار ، وركب فى مائة نفس من الأساقفة والفلاسفة ، وحضروا باب سابور كاشفين ومتنصلين عن ذنوبهم . فأحسن اليهم سابور وأكرمهم . ثم شكا اليهم سوء صنيع قيصر فى ممالك إيران وما خرب منها وأفسد . وقال : إنى أريد منكم الآن عوضا عن ذلك . فقال له برانوس : ما الذى تلتمس ؟

(١) طا : فانك إن آمنتنى .

قال : أن تلتزموا كل سنة ثلاثة آلاف ألف دينار، وأن تفرجوا[1] عن مدينة نصيبين عوضا عما خربه قيصر . فالتزم برانوس ذلك . فتعاهدوا وتعاقدوا وانصرف سابور الى بلاد فارس . ثم إن أهل نصيبين لم يرضوا بسلطان سابور فنفذ اليها عسكرا عظيما ، وأخذها عنوة فقتل من أهلها خلق عظيم ، وأسر مثلهم[2] . فكتبوا حينئذ الى سابور وبذلوا له السمع والطاعة وسألوه أن تنصرف عنهم العسكر ففعل . وانضمت نصيبين إلى ممالك فارس .

وقد قال غير الفردوسى : إن أهل نصيبين لما بلغهم أن مدينتهم صارت إلى سابور كرهوه لمخالفته لدينهم فجلوا عنها وتحوّلوا إلى مدن الروم . فحشد اليها سابور اثنى عشر ألف أهل بيت من أهل إصبهان واصطخرو سائر كور ممالكه ، ونفذهم اليها وأسكنهم إياها . قال : وبقى قيصر فى أسر سابور حتى مات فى الحبس . فأمر فحمل تابوته إلى بلاد الروم .

ثم إن سابور بنى بأرض الحوز مدينة سماها خرّم آباد ، وأسكنها الأسارى . وبنى فيما يلى الشام مدينة أخرى وسماها فيروز سابور. وذكر غير صاحب الكتاب أنها الأنبار، وأنه سماها برزخ سابور . وبنى بالأهواز مدينة أخرى وأسكنها أسارى الروم خاصة وهى التى سمتها العرب السوس . وهى مدينة الى جانب الحصن الذى فيه تابوت فيه جثة دانيال النبى صلعم . وهو الذى بنى بأرض خراسان مدينة وسماها نيسابور .

§ ثم إنه بعد خمسين سنة من ملكه ظهر مانى المصوّر من أرض الصين ، وادعى النبوّة . فجاء الى سابور واستعان به فى إظهار دينه . وكان رجلا عذب الكلام حلو البيان يخلب القلوب و يسحر العيون . فساء ظن سابور[3] وأحضر الموابذة وقال : انظروا فى أمر هذا المصوّر[4] . فإنى قد وقعت من شأنه فى شك . فناظروه وباحثوه فانقطع المصوّر المزوّر، وظهر للملك أنه من حلية الصدق عاطل،

---

§ هذا خلط آخر بين تاريخ سابور الأول وسابور الثانى . مانى ولد حوالى سنة ٢١٥ م . وبدأ تعليمه أوّل ولاية سابور بن أردشير فنفاه سابور . ثم أذن له هرمزد فى العود الى ايران ثم قتله بهرام بن هرمز .

انظر الطبرى ومروج الذهب فى الكلام عن بهرام بن هرمز، وفارس نامه فى تاريخ سابور الأول . وانظر تفصيل الكلام عن مانى فى الآثار الباقية ص ٢٠٧

---

(١) طا : تفرجوا لى . (٢) طا : فقتل من أهلها خلق وأسر خلق . (٣) طا : ظن سابور به :
(٤) طا : المصوّر المزوّر .

وأن كلامه زور و باطل . فأمر به فسلخ جلده وحشى تبنا وصلب على باب المدينة[١] . فأصبح للبطلين قاطبة عبرة صامتة ناطقة .

واتسقت أمور ممالك سابور ، ولم يبق له عدو فى جميع الأطراف . وكانت أحواله مستمرة على وفق المرام متسقة فى سلك النظام[٢] الى أن شارف سبعين سنة ، وحان وقت رحيله . فاستحضر أخاه المسمى أردشير، وكان أصغر منه ، وكان لسابور ولد صغير يسمى سابور أيضا . ودعا بموبذ الموبذان فقال لأخيه : إنى أسلم اليك تاج[٣] السلطنة على أن تعاهدنى على أن[٤] تسلمه الى ولدى عند بلوغه مبلغ الرجال ، وتكون له دستورا ومدبرا ومشيرا . فعاهده أردشير على ذلك بمحضر من العلماء والأكابر ، وأبرموا العهود والمواثيق . ثم قضى سابور نحبه وصار الأمر الى أخيه أردشير .

٣٠ — ذكر نوبة أردشير أخى سابور ذى الأكتاف ، الملقب بالمحسن . وكانت مدّة ولايته عشر سنين (أ)

قال : ولما جلس أردشير على تخت الملك واعتصب بتاج السلطنة استحضر أكابر الايرانيين ونصحهم ووعظهم ثم قال : إن سابور قد سلم الىّ الملك لأقوم بتدبيره وأنهض بأعباء أموره الى أن يترعرع ولده سابور ويصلح لأن يتقلد أمر التاج والتخت فأفوّضه عند ذلك اليه ، وأقرر حقه من ذلك عليه . فأنا اليوم كالنائب بين يديه . ثم إنه سار فيهم بأحسن سيرة وأعدل طريقة . وأسقط عنهم الخراج وقال : لا آخذ منكم شيئا و إنما أقوم بسياسة أموركم تبرعا . فسموه أردشير نيكوكار ، ومعناه ذو الأفعال الحسنة الرضية . ثم إنه بعد عشر سنين من ملكه سلم التاج والتخت الى ابن أخيه سابور بن سابور وصار له وزيرا ومشيرا .



٣١ — ثم ملك سابور بن سابور ذى الأكتاف (ب)

قال : فقعد مقعد عمه ، وعقد التاج على رأسه ، وحضرته أكابر الفرس فخاطبهم بخطاب نصحهم فيه ووعظهم ووعدهم من نفسه الخير . فدعوا له وتفرقوا من ذلك المجلس . ثم إنه قام بأمر الملك خمس سنين وأربعة أشهر . فاتفق أنه ذات يوم خرج[٥] الى الصيد فصار الى متصيده فضربت

(أ) فى الطبرى وفارس نامه أنه خلع بعد أربع سنين ، وأنه كان ظالما سفاكا للدماء . وفى البيرونى أن لقبه الجميل . ملك (٣٧٩ — ٣٨٣ م) . وقصته فى الشاه ١٧ بيتا .

(ب) ملك (٣٨٣ — ٣٨٨ م) . وفى الطبرى أن بعض الكبراء أسقطوا عليه الخيمة . انظر فى مروج الذهب حروبه مع قبيلة إياد وغيرها . وقصته فى الشاه ٣٣ بيتا .

(١) طا : باب مدينته . (٢) طا : الانتظام . (٣) صل : التاج والسلطنة . والتصحيح من طا ، كو .
(٤) طا : على أنك تسلمه . (٥) طا ، كو : خرج ذات يوم .

خيمة ومدّ السماط بين يديه . فلما طعموا وانتشروا أراد أن يقيل ساعة فنام فعصفت الريح وهو نائم
فوقع عليه عمود الخيمة فمات .

٣٢ — ثم ملك ابنه بهرام بن سابور بن سابور (١)

فلما فرغ من عزاء أبيه تسنم سرير الملك . وحضرته أكابر الفرس فوعدهم من نفسه العدل
وأنه يسير فيهم بأحسن سيرة . فقام بالملك أربع عشرة سنة . ثم مرض ولم يكن له ابن، وكانت له
خمس بنات، وأخ أصغر سنا منه يسمى يزدجرد، فعهد اليه ومات .

[أيها (ب) الشيخ الذى بلغ من السنين ثلاثا وستين! حتام تهيم بذكر الراح؟ لا بدّ أن يفجأك الأجل،
فبادر التوبة وأصلح العمل . ليرض الملك عن هذا العبد، وليكن رأس ماله العقل وربحه القول
الأسدّ . فانه يشقق فى القول الشعر، وينسج فى الظلام محمود الأثر . ولا عجب أن يشدو بالشعر على
الكبر فقد سما به الملك العظيم، ورفعه فوق الناس أجمعين . فليسر الزمان فيما يشتهى المليك الأغر
وليكن تحته تاج القمر، وليقرّ به سرير الملك فمنه تنال الرغائب وبه يرفع الذكر . ولتكن العظمة
والمعرفة سبيل عليائه، ولا تنله يد أعدائه . أدام الله دولة محمود، وجعل سريره غرة السخاء والجود] .

٣٣ — ذكر نوبة يزدجرد بن سابور بن سابور ذى الأكتاف
وكانت مدّة ملكه سبعين سنة §

وهو يزدجرد الملقب بالأثيم . وكان فظا غليظا يستعظم فى الثواب ردّ الجواب، ويستصغر
فى العقاب ضرب الرقاب . ولما استوى أمره وانتظم ملكه زاد ظلمه ونقص عدله فعطل مراسم

§ يزدجرد الأول (٣٩٩ — ٤٢٠م) الذى يلقب الأثيم (بزه كار) والخشن، كان ملكا مسالما يكره
الحرب، وضرب على سكته اسمه "يزدجرد المسالم" .

وقد سنحت فى عهده فرص كثيرة لمحاربة الروم والاستيلاء على أرضهم فى آسيا فلم ينتهزها،
وبلغ من مسالمته إياهم أن الامبراطور أركديوس (Arcadius) أوصى اليه بحماية ابنه ثيودسيوس
(Theodosius) فقبل يزدجرد الوصية وأرسل أحد الخصيان من أولى العلم ليكون حارسا له . =

(١) ملك (٣٨٨ — ٣٩٩ م) . وفى الطبرى وفارس نامه أنه ابن سابور ذى الأكتاف . واذا نظرنا الى سن سابور
ابن سابور يوم ولى الملك والى مدة حكمه عرفنا أن محالا أن يخلفه ابن كبير يخطب الناس . ويوافقهما البيرونى على أنه الملقب
"كرمان شاه" لابهرام الثالث، كما تقدّم . وقد وجد خاتم له عليه « فرهران كرمان ملكا » . وفى الطبرى أنه رمى بنشابة
فمات . وقصته فى الشاه ٣٥ بيتا .

(ب) فى الشاه هنا أبيات يذكر فيها الفردوسى عمره، ويثنى على السلطان محمود حذفها المترجم وترجمتها وأثبتها بين قوسين .

الملوك، واستهان بذوى الألباب والعقول، واستوى عنده العالم والجاهل، والبر والفاجر. فانتسخت فى عهده شريعة الإحسان، واستطالت يد الظلم والعدوان. وكان أصحابه ووزراؤه وأعوانه خائفين من سوء عشرته وبائقة سطوته. فلا يعرضون عليه لمتظلم قصة، ولا يستقضون[1] لذى حاجة حاجة.

قال: ولما استكمل من ملكه سبع سنين ولد له ابن على أيمن طالع وأسعد طائر(أ) فسر بولادته وسماه بهرام. وكان على بابه منجم هندى وآخر فارسى، وهما أبرع أهل زمانهما فى صناعة التنجيم. فاستحضرهما وأمرهما فنظرا فى طالع بهرام فبشراه بأنه سيصير ملكا كبيرا وسلطانا جليلا، ويملك الأقاليم السبعة. فسر الملك بذلك وخلع عليهما وأحسن اليهما. ثم إن الموابذة والعلماء وأكابر الحضرة اجتمعوا وقالوا إن نشأ هذا الصبى فى حجر أبيه وتخلق بأخلاقه لم يبق من هذه

= وقد سالم المسيحيين فى بلاد الفرس وأحسن اليهم بعد الذى لاقوا أيام سلفه لا سيما أيام سابور ذى الأكتاف. وقد جاء اليه مروثا (Marutha) أسقف العراق رسولا يخبره بولاية ثيودسيوس. ثم داوى الملك من علة كانت به فحظى عنده، وقوى سلطانه عليه حتى أمر سنة ٤٠٦ م أن يمكن المسيحيون من العبادة جهارا ومن إعادة كنائسهم، بل اضطهد المجوس فى هذه السبيل. ولكنه اضطر بعدُ أن ينصر المجوس على المسيحيين[2].

ولعل المجوس لقبوه الأثيم والخشن من أجل سيرته فى محاسنة النصارى ومخاشنة المجوس، كما لقبوا كسرى «أنو شروان» من أجل شدّته على مزدك وأصحابه.

وقصة يزدجرد فى الشاه ٦٩٢ بيت، فيها العنوانات الآتية:

(١) جلوس يزدكرد. (٢) ولادة بهرام بن يزدكرد. (٣) تسليم ابنه بهرام الى المنذر والنعمان لتربيته. (٤) قصة بهرام والجارية العوّادة فى الصيد. (٥) مهارة بهرام فى الصيد. (٦) ذهاب بهرام مع النعمان الى أبيه. (٧) حبس يزدكرد بهرام ورجوع بهرام الى المنذر. (٨) ذهاب يزدكرد الى طوس، وقتل فرس الماء إياه. (٩) إجلاس الملأ خسرو على العرش. (١٠) علم بهرام كور بموت أبيه. (١١) رسالة الايرانيين الى المنذر وجوابها. (١٢) مجىء بهرام كور الى جهرم وذهاب الايرانيين اليه. (١٣) حديث بهرام مع الايرانيين عن جدارته بالملك. (١٤) بهرام يرفع التاج من بين الأسود.

(أ) كو: وكان مولده يوم هرمزد من فروردين ماه، لسبع ساعات مضين من النهار. وكذلك فى الشاه إلا ذكر الساعات.

(١) طا: يستقضونه. (٢) سيكس (sykes) ج ١

الممالك عين ولا أثر، ولا حجر ولا مدر . والرأى أن يبعد عنه (١)، و يشار عليه بأن يكفله غيره لنأمن شره وضره[(١)] . فدخلوا عليه وكلموه كلام رجل واحد وقالوا : أيها الملك ! إن ممالك الشرق والغرب تحت حكمك، وملوك الأقاليم كلهم فى رق أمرك . فاختر منهم من يصلح لحضانة ولدك وكفالته حتى يقوم بها و يعلمه الآداب الملوكية والمراسيم الشاهية فيخرج منه ملك يفتخر به الزمان، وينتشر به الأمن والأمان . فقبل ذلك منهم، وفرق الرسل فى أطراف الممالك فى التماس أهل الدربة والدراية . فأقبلوا من أقطارهم متوجهين الى بابه . ووفد عليه المنذر بن النعمان (ب) ملك العرب، وولده النعمان صاحب الخورنق فى جماعة من أمراء العرب وفرسانهم وأبطالهم . فقال المنذر : نحن عبيد الملك مخلصين له فى المشايعة والعبودية . ولا يخفى عليه ما خصصنا به من آداب الفروسية . وعندنا جماعة من المتبحرين فى العلوم النجومية والهندسية . وسأل الملك أن يكفله بهرام ففعل وسلمه إليه . فحمله وانصرف به إلى بلاد اليمن . واختار له أربع نسوة ذوات أجسام صحيحة وأنساب صريحة وأذهان ذكية وآداب مرضية . اثنتان منهن من بنات أشراف العرب، واثنتان من بنات أكابر العجم . فكنّ يرضعنه ولم يفطمنه[(٢)] إلا بعد أربع سنين . ولما طعن فى السنة السابعة قال للمنذر : لا تعدنى صبيا رضيعا، وسلمنى إلى من يعلمنى الأدب والعلم، ولا تتركنى منهمكا فى البطالة والكسل . فقال له المنذر : إنك بعدُ صغير السن، ولم يأن لك ذلك . وإذا بلغت سنا تطيق فيه التعلم والتأدب أحضرتك من يعلمك[(٣)] ذلك . فقال : أيها الرجل لا تستصغرنى، وانظر إلىّ بعين الكبر . فالذنب للعين لا للنجم فى الصغر . فإنى وإن كنت صغير السن فعقلى وافر . وأنت وإن كنت طاعنا فى السن فعقلك ناقص . وغريزتى مباينة لغريزتك . فلا تنظر إلىّ نظرك إلى نفسك . وإنك إذا انتظرت زمانا آخر لتعلمنى وتؤدبنى[(٤)] فات الوقت ولم يثمر عند ذلك الجدّ والجهد . فعلمنى ما يليق بالملوك من الآداب . فإن التعلم رأس مال ذوى الألباب[(٥)] . وطوبى لمن عنى بخاتمة أمره فى ريعان عمره . فتعجب المنذر من كلامه، وسمى الله عليه، ونفذ الى بلاد ايران من أتاه بأربعة من الموابذة : أحدهم ليعلمه الخط والكتابة . والثانى ليعلمه الصيد والطرد . والثالث من يعلمه الرماية واللعب بالكرة

(أ) فى الطبرى فى سبب بناء الخورنق أن يزدجرد كان لا يبقى له ولد فسأل عن منزل برى ، مرى ، صحيح من الأدواء والأسقام الخ . ج ٢ ص ٧٢

(ب) يؤخذ من كتاب حمزة أن ملك الحيرة أيام يزدجرد هو النعمان بن المنذر، وفى الطبرى التصريح فى بعض المواضع أن يزدجرد سلم ابنه إلى النعمان لا إلى المنذر .

(١) طا : وضيره . (٢) صل : ولا يفطمنه ، والتصحيح من كو . وفى طا : ولم يفطمه . (٣) كو : يعلمك ماتريد .

(٤) طا : لتعليمى وتأديبى . (٥) صل : رأس ذوى الألباب . والتصحيح من طا .

والصولجان ومطاردة الأقران فى الضراب والطعان، وتصريف الأعنة وعطفها يمنة ويسرة فى المعترك والميدان، والرابع من يسرد عليه سير الملوك وتواريخهم ويخبره عن أفعالهم الحميدة وأقوالهم السديدة . قال : فلما حصلوا عند المنذر سلم بهرام اليهم فأخذوا فى تعليمه حتى برع فى جميع ما قصدوا لتعليمه إياه.

ولما بلغ سنه ثمانى عشرة سنة استغنى عن المعلمين فأشار على المنذر بأن يردّهم . فخلع عليهم المنذر وأعطاهم أموالا وافرة، وردّهم الى بلادهم مسرورين مغبوطين . قال : فسأل بهرام المنذر أن يأمر فرسان العرب بأن يجروا بين يديه خيولهم العراب ليشترى منها ما يريد . فقال : أيها الشهريار ! إذا كنت تشترى الخيل فلمن أعددت الجرد العتاق والحصُن العراب ؟ هل هى إلا لك[1] وصاحبها بين يديك ؟ فقال : إنى ما أريد من الخيل إلا ما أعدّيه فى المهابط[2] ثم أضمره حتى يصير والريح طليق عنان، وشريكى رهان . وإذا لم يكن المركوب مجربا فلا ينبغى أن يعتمد عليه الراكب . قال : فنفذ المنذر ولده النعمان الى قبائل العرب ليختار له الخيل . فاختار مائة فرس وجاء بها الى بهرام . فخرج الى ميدان المنذر، وأجراهن فاختار منها فرسين : كميتا وأشقر قد جلبا من أرض الكوفة . فاشتراهما له المنذر ووهبهما له . ثم إنه قال ذات يوم للمنذر : إن وجوه الرجال لتصفر من ضيق الصدور، وإنما تحسن مناظرهم بالنشاط والسرور . وليس شئ أجلب للفرح والانشراح من النظر الى الوجوه الصباح . والمرأة سكن الرجل مالكا كان أو مملوكا . وهى التى تلجم الشباب بشكيمة العقل، وتصونهم[3] عن الغباوة والجهل . فمر بعرض الجوارى علىّ لأختار منهن واحدة أو اثنتين ليكون الرب عنى راضيا، وأكون بين الناس محمودا . فأمر الملك فجاءوا بأربعين من الوصائف الروميات . وعرضهن عليه فاختار منهن جاريتين أحسن ما يكون من البشر، إحداهما[4] جنكية (أ) . فشغف بهما بهرام فلم يكن له شغل سوى مطاردة الأقران واللعب بالكرة والصولجان ومداعبة النسوان . فخرج يوما الى الصيد ومعه الجارية المغنية . وكان له هجين مسرج بسرج مغطى بالديباج، له أربعة رُكُبُ : ركابان من الذهب وركابان من الفضة . فيركبه ويرتدف الجارية وفى حجرها الجنك، ومعه العدّة، وتحت ركابه قوس البندق . فبينا هو يعدى الهجين فى الصحراء إذ عنّ له غزالان ذكر وأنثى فقال للجارية : أى الغزالين أرمى ؟ فقالت : إن رمى الغزال أمر هين . ولكن اجعل بنشابك الأنثى منهما ذكرا والذكر أنثى . ثم ارم الذكر وهو يعدو ببندقة فى إحدى أذنيه فانه يرفع رجله فيحك بها أذنه . فارمه عند

(أ) يعنى تضرب على الجنك وهو الرباب .

(١) طا، كو : هى لك . (٢) كو : فى المصاعد والمهابط . (٣) كو : وتصونه .

(٤) كو : إحداهما جنكية، والأخرى مغنية . (٥) كو : وملاعبة الخرائد الحسان .

ذلك بنشابة أخرى تخيط بها رجله الى أذنه الى رأسه . قال : فوتر قوسه واستخرج نشابة ذات مشقص برأسين . فسدّدها نحو الذكر فاختطف قرنيه من رأسه فصار بذلك أنثى أى أجم . ثم أخرج نشابة أخرى فأصاب بها ورك الأنثى فنفذت النشابة فيها حتى خرج نصلها من أم رأسها، وأعقبها بأخرى مثلها . فصارا فى رأسها كالقرنين لها . فعادت بذلك الأنثى ذكرا، أى ذات قرنين كالذكر . ثم رمى الغزال الأول فى أذنه ببندقة فخدرت فرفع ظلفه يحكها به . فرماه حينئذ[1] أخرى خاط بها رجله وأذنه ورأسه جميعا . فرقت الجارية عند ذلك للغزالين فمدّ يده اليها فألقاها من خلفه الى الأرض، وأوطأها الهجين فداسها بأخفافه حتى ماتت . وأنكر اقتراحها عليه مثل ذلك مع صعوبته وقال : لو لم أصب كما قلتِ لضاقت علىّ الأرض برحبها، وكدت أهلك أسفا . ثم لم يستصحب بعد ذلك جارية الى الصيد .

قال : وبعد أسبوع آخر خرج الى الصيد بالبزاة والفهود فرأى فى سفح بعض الجبال أسدا قد افترس حمار وحش فرماه بنشابة أنفذها فيهما حتى مرقت . فتعجب المنذر من قوته واشتداد يده، وأمر بإحضار المصوّر فأمره فأخذ ثوب حرير وصوّر عليه صورة بهرام راكبا على الهجين، وصورة الغزالين المذكورين على هيئتهما، وصورة الأسد وحمار الوحش والنشابة النافذة فيهما، الى غير ذلك من أفعاله العجيبة فى صيد النعام والسباع والوحوش . ثم نفذها الى أبيه يزدجرد . وكان كلما رأى منه شيئا عجبا أمر المصوّر بتصويره ونفذ الصورة الى الملك . ثم إن بهرام قال للمنذر ذات يوم : قد اشتقت الى لقاء الملك فردّنى اليه . فهيأ أسبابه وجهزه الى أبيه، ونفذ فى خدمته ولده النعمان . فلما أتى الخبر يزدجرد بوصول بهرام والنعمان أمر أكابر الدولة وأعيان الحضرة باستقبالهما فتلقوه . ولما دخل على الملك تعجب من شكله وقدّه وقالبه، وبهت لجماله وبهائه ورونقه . فسايله وسايل النعمان، وأكثر مسايلته وأكرمهما . فأنزل بهرام فى قصره وأنزل النعمان فى منزل يليق به . فصار بهرام يلازم أباه ويقف فى خدمته ليلا ونهارا حتى لا يقدر أن يحك رأسه . ثم استحضر الملك النعمان بعد شهر وأقعده على التخت عنده وقال له : إن المنذر قد تحمل فى تربية بهرام عناء كبيرا، وعلىّ مجازاته . فأعطاه خمسين ألف دينار، وخلعة من ملابسه الخاصة، وعشرة أفراس بآلات الذهب، وعدّة من الجوارى والغلمان . وصرفه الى أبيه وكتب اليه كتابا يشكره فيه . ثم لما انصرف النعمان شيعه بهرام، وشكا اليه سوء أخلاق أبيه، وسأله أن يبلغ ذلك الى المنذر . فسار النعمان وبقى بهرام يخدم أباه ليلا ونهارا . فاتفق أنه ذات[2] ليلة كان واقفا على رأسه فغلبه النوم . فالتفت اليه فرآه قد غمض عينيه

(١) طا، كو : بنشابة أخرى . (٢) طا : كان ذات ليلة

فصاح عليه، وأمر بعض الحرس بأن يلزمه فى بيته(١)، ولا يدعه أن يخرج بعد ذلك . فاحتبس بهرام فى إيوانه لا يخرج الى صيد ولا الى ميدان. فاتفق أن ورد على يزدجرد رسول من الروم(ا) فأرسل بهرام اليه وسأله أن يخاطب أباه فيه ويستأذن له فى الرجوع الى المنذر ومعاودة بلاد العرب. ففعل الرسول ذلك فأذن له . فركب ولحق بمن رباه لاعنا أباه . فأعاده المنذر الى ما كان عليه من الكرامة والإعزاز . ثم إن يزدجرد سأل بعض المنجمين عن عاقبة ملكه وخاتمة أمره، وعن أمارات تدل على اقتراب أجله . فقال : اذا حصل الملك عند عين الماء المعروفة بعين السوء(ب) — وهى عند بيت نار لهم فى خراسان عند مدينة طوس — فقد قرب أجله . فحلف ألا يأتى تلك العين أبدا . فلما كان بعد مدة أخرى مرض وابتلى بالرعاف الكثير المتواتر فعالجه الطبيب فلم ينجع فيه . فأشار عليه بأن يصير الى عين السوء ويغتسل فيها ليسكن رعافه . فاضطر عند ذلك الى المصير اليها . فسار فى العماريات(٢) الى تلك العين . فنضح من ذلك الماء على رأسه فسكن الرعاف وعوفى، وأقام عند تلك العين مسرورا . فلما كان ذات يوم خرج من ذلك الماء(ج) فرس أشهب نهد كالأسد ، يصهل ، فى أحسن صورة وأجمل هيئة . فأمر أصحابه بأن يحدقوا به ويأخذوه فلم يقدروا عليه . فوثب بنفسه واتبعه . فوقف له فألجمه ووضع على ظهره السرج، وشدّ حزامه ولببه، وهو واقف بين يديه مستكينا له كالحمار الدبر . فاستدار من خلفه ورفع من ذنبه ليثفره فرفسه فى صدره برجليه فخر فى الحال ميتا . وعاد الفرس الى الماء ، وانغمس فيه حتى غاب . فوقع الضجيج فى العسكر وهم ما بين شامت يظهر الجزع، ومتباك يضمر الفرح . قال : ثم جاء الموبذ وشق عن صدر يزدجرد وخاصرته ورأسه . ووضعوه فى تابوت من الذهب . وحملوه فى مهد من الساج . ونقلوه الى بلاد فارس . وعملوا له ناووسا ووضعوه فيه .

ولما فرغوا من ذلك كله اجتمعت أكابر الفرس وعلماؤهم وموابذتهم، وتشاوروا فيمن يقوم مقامه . فصاروا يدا واحدة على ألا يولوا أحدا من شجرة يزدجرد لما نالهم من ظلمه وجوره (د) . وكان

(ا) فى الطبرى وفارس نامه أنه أخو قيصر . واسمه فى الشاه طينوش . وفى الطبرى ثياذوس . وامبراطور الروم إذ ذاك اسمه ثيودسيوس (Theodosius) . انظر مقدّمة هذا الفصل .

(ب) هى فى الشاه : عين سَو . انظر صورتها فى سيكس (Sykes) ج ١ ص ٤٣٠

(ج) فى الطبرى أنه كان فى جرجان ، وفى الطبرى وفارس نامه أن الفرس جاء الى قصره .

(د) فى الطبرى وفارس نامه : أنهم كرهوا بهرام لأنه نشأ بين العرب وتأدب بآدابهم ، ولم يعرف آداب الفرس . ويزيد الطبرى أنهم كرهوه لسيرة أبيه ، وأنهم لم يجربوه فى ولاية .

(١) كو : يلزمه بيته . (٢) صل : فى العمارات . والتصحيح من طا ، كو .



بهرام كور يرمى أسدا يفترس حمار وحش فتمرق النشابة منهما

[منقولة من الشاهنامه — طبع تبريز سنة ١٢٧٥ — بعد حذف الأبيات]

(٤٤٥) فيهم رجل كبير من الشجرة الكيانية يسمى خُسرو. فاتفقوا عليه وأقعدوه على تخت السلطنة، وحيوه بتحية الملوك . فبلغ الخبر بهرام فأخذه المقيم المقعد فجلس فى عزاء أبيه، وحضره المنذر والنعمان فى جميع أمراء العرب . فقال بهرام[١] : إنه إن استمر حال الإيرانيين على ما هم[٢] عليه قصدوا ممالك العرب، ونالوهم بكل سوء ومكروه . فعاونونى عليهم حتى أخلص منهم حقى وأخلص الى سرير أبى . فجمع المنذر ثلاثين ألف فارس، وسار مع بهرام متوجها الى طيسفون، وأخذ يعيث فى أطراف ممالك الفرس . فأرسلوا اليه رسولا . فلما وصل اليه الرسول أمره بأن يصير الى مخيم بهرام . فلما رأى الرسول بهرام وشكله وبهاءه وأبهته تعجب منه، وقال : من يصلح للملك غيره ؟ ثم أدى عنده الرسالة فأحال بالجواب على المنذر فأجابه المنذر ورده . ولم تزل الرسل مترددة حتى استقر الأمر بين أكابر فارس وبهرام والمنذر على أن ينصبوا تختا ويضعوا عليه التاج وزينة الملك، ويشدوا الى قائمتى التخت سبعين ضاريين مجوعين. ثم ينتدب لهما بهرام وخسرو . فمن قهر السبعين منهما ، وتناول التاج من التخت فهو الملك . ففعلوا ذلك . وحضر بهرام فى عدته ، وحضر خسرو ، واجتمع جميع أكابر المملكة . فقال بهرام لخسرو: تقدم . فقال : أنا بيدى الأمر، ومعى التاج والطوق، وأنت الطالب . فتقدم أنت . فتناول الجرز فقال له موبذ الموبذان : إنا برآء من دمك أيها الشهريار . فقال نعم ! وأقدم على السبعين . فقال له الموبذ : تب الى الله تعالى ، وانو الخير حتى ينصرك الله على السبعين . فتقدم كأنه ركن من جبل . فوثب اليه أحد السبعين فتلقاه بجرزه وضربه على أم رأسه فرضه وخر كأنه خباء مقوض . ثم أقبل الى السبع الآخر وضرب جبهته بذلك الجرز فأثخنه فخر أيضا كجلمود صخر حطه السيل من عل . فتناول عند ذلك التاج وعقده على رأسه وتسنم التخت فكان خسرو أول من حياه بتحية الملك[٣]، ودعا له وأثنى عليه، وقال : أنت الملك ونحن عبيدك، وأنت السلطان ونحن جنودك . ونثرت عليه الجواهر وضربت البشائر وقيل ما معناه قول الشاعر :

قد رجع الحق الى نصابه وأنت من دون الورى أولى به

(١) طا : بهرام للنذر .

(٢) طا : ما هى عليه .

(٣) طا : بتحية الملوك وسجد له وهنأه بالملك ودعا له الخ .

٣٤ — § ذكر نوبة بهرام بن يزدجرد المعروف ببهرام جور . وكانت مدة ملكه ستين سنة

قال صاحب الكتاب : فجلس بهرام للناس سبعة أيام متوالية يعدهم الخير من نفسه، ويأمرهم بتقوى الله وطاعته . ولما كان اليوم الثامن استحضر الكاتب وأمره أن يكتب الى كل واحد من ملوك الأقاليم، وأصحاب الأطراف كتابا يخبره فيه بأن بهرام قعد مقعد أبيه من تخت السلطنة، وأن الناس قد دخلوا له فى ربقة الطاعة ، وأن الخلائق قد استظلوا بظلال معدلته واستمسكوا بحبل خدمته . فكتب[1] الكتب ونفذت على أيدى الرسل اليهم . واجتمعت أكابر الفرس الذين تحالفوا وتعاهدوا على مخالفة بهرام فدخلوا على المنذر بن النعمان وسألوه مخاطبة الملك فى حقهم حتى يتجاوز عما بدر منهم من سوء الأدب، ويغفر لهم تلك الزلة . فدخل المنذر على بهرام وكلمه فى حقهم، ولم يزل به حتى عفا عنهم . ثم جلس من الغد وأذن لهم فى الدخول عليه فأقعد كل واحد منهم فى مرتبته من خدمة السرير، ثم مدّ[2] السماط . ولما طعموا جلس[3] للشراب . و بقى كذلك ثلاثة أيام . ثم ذكر للحاضرين حسن صنيع المنذر وولده النعمان، وشكرهما على رءوس الأشهاد . وقام[4] الحاضرون فأثنوا على المنذر وشكروه ودعوا له . ثم أمر بإحضار جملة وافرة من نفائس الجواهر والخيل والأسلحة والذهب والفضة والملابس والمفارش والجوارى والغلمان فأمر بتسليم ذلك كله الى المنذر والنعمان . وخلع على جميع أمراء العرب

---

§ بهرام جور أو بهرام الخامس ولى (٤٢٠ — ٤٣٨م) وذلك يوافق رواية الطبرى والبيرونى أنه حكم ثمانى عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما و يخالف رواية أخرى فى الطبرى ومروج الذهب أنه حكم ثلاثا وعشرين سنة . وقد أطالت الأساطير حكمه وسيرته، كما فى الشاهنامه، اذ كان ملكا شجاعا محببا الى رعيته فاخترعوا له قصصا تبين عن مكانته فى نفوسهم ، كدأب العامة مع كل ملك عظيم أو بطل كبير .

وكان بهرام موفقا فى سياسته فقد صالح الروم على شروط عادلة بعد أن هزموا جيشه . وهزم الهياطلة . وساس رعيته عادلا لا يحابى، وحث الناس على الزراعة وأعانهم عليها ، ونفّق العلوم والآداب . ولم يمنعه حب اللهو والصيد أن يؤدى ما يجب عليه . ولما مات كانت فارس فى أوج عظمتها[5] . =

---

(١) طا : فكتبت . (٢) طا ، طر : مدوا . (٣) طا ، طر : جلسوا . (٤) طا ، طر : فقام .

(٥) سيكس (sykes) ج ١

الذين كانوا فى خدمتهما، وخص كل واحد منهم بعطية سنية . ثم صرفهم الى بلادهم شاكرين غانمين . ثم خلع على خسرو وأعطاه عطايا كثيرة وتحفا نفيسة، وجعله ملك حجابه وسالار بابه . وقلد أخاه نرسى بن يزدجرد قيادة الجيوش وتدبيرهم، وجعله بهلوان العساكر . ثم أمر للجند بأرزاقهم حتى صلحت أحوالهم . ثم استحضر الكاتب والدستور وأمرهما بالكشف عن البقايا الواجبة على رعايا ايران، وإحصائها وعرضها لديه . ففعلوا فكان المجموع ثلاثة وتسعين ألف ألف دينار . فأمر بإسقاطها كلها عنهم، وأحرق الجرائد الناطقة ببقائها عليهم . فاستفاضت هذه المكرمة الجليلة، واستبشر بها جميع أهل المملكة فدخلوا بيوت النار ونثروا المسك عليها، وسألوا الله تعالى ثبات ملكه ودوام دولته . ثم أمر بتفريق ثقاته فى أقطار الممالك حتى يسترجعوا الذين تفرقوا فى أيام أبيه من عسفه وجوره الى أوطانهم . فعادوا آمنين وادعين .

ثم إنه لما استتب أمره، واستقام ملكه، وشمل البر والبحر حكمه تفرغ للصيد والطرد واللهو والطرب؛ فيوما فى الميدان للعب بالكرة والصولجان، ويوما فى البستان بين الراح والريحان، ومرة خلف غزلان الإنس، وآونة خلف غزلان الوحش . فاتفق[1] أنه خرج ذات يوم الى الصيد فعبر

= وقد ذكرت فى الفصل السابق سيرة بهرام فى صباه وتربيته بين العرب فى الحيرة . وقد بقيت ذكرى هذا فى الأدب الفارسى والعربى . فالفرس يقولون أنه أول من قال الشعر، وأنه أخذه عن العرب، ويروون له أبياتا فارسية . والعرب يروون من شعره العربى والفارسى[2] .

وقصة بهرام كور فى الشاهنامه عشرون وتسعمائة بيت فيها العناوين الآتية . وما بين الأقواس ليس فى الترجمة :

(١) الفاتحة : ملك بهرام — ثلاث وستون سنة . (٢) توديع بهرام المنذر والنعمان، وهبة باقى الخراج للايرانيين . (٣) بهرام ولنبك السقاء . (٤) بهرام و براهام اليهودى . (٥) تقسيم بهرام مال براهام اليهودى . (٦) بهرام ومهر بنداد . (٧) بهرام وكبروى، وتحريم الخمر . (٨) الإسكاف الصغير والأسد وتحليل بهرام الخمر . (٩) [إخراب موبد بهرام قرية وتعميرها . (١٠) بهرام وأربع الأخوات .] (١١) عثور بهرام على كنز جمشيد . (١٢) [بهرام مع التاجر وصبيه .] (١٣) قتل بهرام تنينا وقصته مع امرأة الدهقان . (١٤) ذهاب بهرام الى الصيد وتزوج بنات برزين الدهقان . (١٥) بهرام يظهر مهارته فى الصيد ويتزوج بنت الجوهرى . (١٦) [بهرام مع فرشيدورد والرجل قالع الشوك .] (١٧) ذهاب بهرام الى الصيد وقتله =

(١) فى حاشية الأصل هنا : قصة بهرام مع لنبك السقاء واليهودى . (٢) مروج الذهب والغرر ومعجم شمس قيس الخ .

عليه شيخ بيده عصا فذكرله أنه ها هنا يهودى (أ) ذو ثروة واسعة وأموال جمة، وهو مع ذلك لئيم جاهل، وعن حلية المروءة عاطل . وقيل : ها هنا[1] رجل آخر سقاء فقير يطعم الأضياف ولا يخشى الإسراف . فسأل عنه الملك فقيل : إن من عادته أن يدور بقرب الماء على الأبواب الى نصف النهار . ثم يطلب الضيف ويحمله الى بيته وينفق عليه كسب يومه ولا يترك شيئا الى غده . فأمر الملك بأن ينادى فى السوق أن من اشترى ماء من لبنك السقاء لم يلق خيرا . ولما تورست الشمس ركب متنكرا وجاء الى بيت السقاء وقرع الباب وقال : أنا من مماليك السلطان وقد تخلفت عنه وأمسيت ، وأريد أن أبيت الليلة فى هذا البيت حتى اذا أصبحت لحقت به . قال : فرحب به السقاء وقال : انزل متع الله بك الملك، ويا طوبى لو كان معك عشرة آخرون فكنت أحملهم على رأسى وعينى . فنزل الملك، وأخذ السقاء بعنان فرسه، ونفض عنه الغبار وحط سرجه ومسح ظهره.  ثم عدا وسعى فى إصلاح طعام له فقدّمه بين يديه . فلما رأى بهرام ذلك ضحك ثم اشتغل بالأكل . ولما فرغ جاء بالشراب فكان الملك يشرب ويقضى العجب من سعة صدره مع ضيق يده . ثم نام ولما أصبح جاء السقاء واعتذر اليه وسأله أن يقيم عنده ذلك اليوم ليقوم بحق ضيافته . فأجابه الى

= آسادا . (١٨) براعة بهرام فى صيد حمر الوحش . (١٩) إغارة خاقان الصين على إيران، وطلب الإيرانيين الصلح . (٢٠) هجوم بهرام على خاقان الصين . (٢١) نصب بهرام ميلا على حدّ إيران وتوران . (٢٢) رسالة بهرام الى أخيه نرسى والإيرانيين . (٢٣) رجوع بهرام الى ايران . (٢٤) وصية بهرام الى عماله . (٢٥) بهرام يدعو اليه رسول قيصر الروم و يسأل الرسول المو بذ فيجيبه عن أسئلته . (٢٦) بهرام يأذن لرسول قيصر فى السفر، ثم ينصح عماله . (٢٧) شنكل يأخذ كتاب بهرام ويجيب عنه . (٢٨) شنكل يأدب لبهرام، وبهرام يظهر قوته . (٢٩) شنكل يرتاب فى بهرام ويمنعه الرجوع الى ايران . (٣٠) بهرام يقاتل الذئب بأمر شنكل ويقتله . (٣١) بهرام يقتل تنينا . (٣٢) شنكل يحتار فى أمر بهرام ويزوّجه ابنته . (٣٣) فغفور الصين يكتب الى بهرام ويجيبه بهرام . (٣٤) بهرام يفرّ من الهند الى ايران مع بنت شنكل . (٣٥) شنكل يتبع بهرام، ويعرف من هو ويصالحه . (٣٦) شنكل يعود الى الهند وبهرام الى ايران . (٣٧) شنكل وسبعة ملوك يزورون بهرام . (٣٨) شنكل يعود الى الهند، وبهرام يسقط الخراج عن الأرض . (٣٩) بهرام يجلب اللورية (الغجر) من الهند . (٤٠) كيف انتهى عهد بهرام .

(أ) اسمه فى الشاه : براهام

(١) طا، طر : وها هنا .

ذلك فأخذ قربته وأداته، ودار بالماء ساعة فلم يشتر أحد منه . فغمه ذلك فخلع قميصه، واتزر بمئزر كان يلبسه تحت القربة ، فباعه واشترى لحما وكشكا وأصلحهما له ثم قدّمه اليه فطعم . فأحضره[1] الشراب وأخذ يسقيه حتى ثمل ونام . ولما أصبح جاءه وسأله أن يقيم عنده اليوم الثالث أيضا ، وقال : إن أقمت عندى اليوم فقد أحسنت إلىّ وأنعمت علىّ . فأجابه بهرام الى ذلك فأخذ قربته وسائر أداته ، ورهنها على ما احتاج اليه ، ودخل البيت فرحان مسرورا . ووضع اللحم وقال لبهرام : عاونى على إصلاح الطعام . فأخذ بهرام يقطع اللحم . ولما استوى طبيخهم أكلا واشتغلا بالشرب حتى نام بهرام . ولما أصبح أتاه السقاء واعتذر اليه وقال : إن كنت تصبر عن الملك فأقم عندى أسبوعا أو أسبوعين فى هذا المنزل الرث وان كان لا يليق بك . فشكره بهرام وأثنى عليه وقال: سأحدث بحديثك حيث ينفعك . فأسرج فرسه وركب مغلّسا ، وصار الى متصيده وأقام فى معسكره . ولما أمسى ركب وجاء الى بيت اليهودى وقد جنّ الليل، فقرع بابه وقال : إنى تأخرت عن السلطان، وقد هجم الليل ، وقد أضللت الطريق . فإن آويتمونى الليلة لم أحملكم كلفة، وتقلدت لكم منة . فجاء الغلام وأخبر اليهودى بالطارق الذى طرق وبقوله . فصاح عليه وقال له : قل[2] ليس عندنا موضع . فبلغه الغلام ذلك . فقال بهرام : لا بدّ من ذلك . فأخبر اليهودى فقال : قل له إن موضعنا موضع ضيق، وصاحبه يهودى فقير جائع لا يقعد إلا على الأرض، وهذا الموضع لا يصلح لمثلك . فذكر له الغلام ذلك فقال بهرام : إنى أبيت خلف الباب ولا أكلفكم شيئا ، واذا أصبحت خرجت . فأتاه اليهودى بنفسه وقال : أيها الفارس! قد صدعتنى الليلة . وكأن الدنيا ضاقت عليك حتى جئت الى بيتى . فعاهدنى الآن على أنك اذا دخلت البيت لا تطلب منى شيئا ولا تحملنى مؤونة، وإن كسر فرسك بحافره شيئا من الآجر أعطيتنى عوضه ، وأنك[3] تكنس غدا زبله وترميه الى خارج. فحلف له بهرام على ذلك . ففتح الباب وأدخل فرسه فحط عنه سرجه ووضعه تحت رأسه، وفرش لبده تحته ونام عليه . وبقى الفرس بلجامه صافنا خلف الباب . وأغلق اليهودى الباب، وقعد فى مجلس له، وأحضر طعامه وأخذ يأكل وحده ولا يدعو ضيفه . فقال له[4] : أيها الفارس ! احفظ عنى هذا الكلام : إنه قيل كل من كان له شىء يأكل، ومن لم يكن له شىء ينظر . فقال بهرام : قد بلغنى ذلك سماعا، ورأيته الليلة عيانا . ثم لما فرغ من الطعام جاء بالشراب وأخذ يشرب. فلما تمكن منه السكر قال: أيها الفارس التعبان ! اسمع هذا المثل الآخر : قد قيل من كان يملك شيئا فليأكل، ومن لم يكن له شىء فليبت جائعا نائعا مثلك . قال : فلما طلع الفجر أسرج بهرام فرسه ليركب فجاءه اليهودى وقال:

---

(١) كو : وأحضره . (٢) طا، كو، طر : وقال : قل له . (٣) طا، طر : وعلى أنك .
(٤) كو : وقال فى أثناء أكله أيها الفارس .

أيها الفارس ! أما تفى بقولك ؟ ألم تشترط أنك تكنس زبل الدابة ؟ فلم تخالف ؟ فقال بهرام : اطلب لى أجيرا يفعل ذلك ، وأعطيه أجرته . فلم يفعل فأخرج بهرام منديل حرير كان معه فحمل فيه الزبل ورماه الى خارج . وركب وعاد الى إيوانه . ولما أصبح استحضر السقاء واليهودى [(١)] ونفذ الى بيت اليهودى بعض ثقاته ، وأمره بأن يحمل اليه كل ما فى بيته على الجمال والبغال . فرأى بيته مملوءا من الجواهر والرغائب من الذهب والفضة والثياب والحلى والحُلل . فاستعظم ذلك واستكثره ، وجاء بألف جمل فأوقرها من بيته بأمواله وذخائره ، وعاد الى حضرة الملك . فأمر الملك بتسليم مائة حمل [(٢)] منها الى السقاء ، وأعطى اليهودى أربعة دراهم [(٣)] وقال : يكفيك هذا رأس مال . ثم فرق الباقى على الفقراء والمحتاجين . وأصبح اليهودى من أخسر الخاسرين .

(أ) حكاية أخرى [(٤)]

ذكر صاحب الكتاب أن بهرام كان ذات يوم جالسا بين ندمائه وجلاسه فدخل عليه بعض أكابر (ب) أهل القرى بأحمال من الفواكه . فأكرمه بهرام وأجلسه بين أصحابه . فرأى قدحا فيه خمسة أمناء من الشراب فأخذه وقال : أشرب سبعة أقداح من هذه ولا أسكر ، وأرجع صاحيا الى ضيعتى . ففعل ذلك غير مكترث بكثرته . ثم استأذن الملك وخرج منصرفا الى ضيعته ، وسار فى طريقه فغلى الشراب فى صدره فلم يطق الركوب . فعدل عن الطريق (ج) الى ظل شجرة فنام وغمره النوم والسكر . فنزلت عليه غربان سود من الجبل فاقتلعن عينيه . وأتاه أصحابه فوجدوه ميتا مفقوء العينين ، وفرسه مربوطا بين يديه . فأنهوا خبره الى الملك فعظم ذلك عليه فحرم الخمر عند ذلك وقال : لا يشربها وضيع ولا شريف . وصار الملك اذا جلس فى مجلس الأنس يحضر عنده كتب الملوك وتواريخهم وسيرهم فيشتغل بذلك عوضا عن الشرب . فمضت سنة على ذلك فاتفق أن تزوج ابن إسكاف بامرأة ذات مال وجمال . فلما كانت ليلة الزفاف أخرجت أمه قطعة شراب كانت قد خبأتها . وقالت لابنها : اشرب من هذه سبعة جامات فلعلك تفض الليلة الختم ، ولا تقرف بين

(أ) حذف المترجم قبل هذه حكاية بهرام فى الصيد مع رجل اسمه مهربنداد . وفى ورنر : مهر بيداد .

(ب) اسمه فى نسخة مول : كبروى . وفى ورنر : كيروى .

(ج) فى الشاه : أنه لما أحس حر الشراب ركض فرسه عامدا الى جبل فنزل فى ظل شجرة وأن أصحابه ركضوا خلفه فأدركوه ميتا . (انظر نسخة مول وترجمة ورنر) .

(١) كلمة السقاء هنا من الشاه ، كو ، طا .

(٢) صل : جمل . والتصحيح من الشاه ، طا .

(٣) صل : قال . وزيادة الواو من طا ، كو .

(٤) فى حاشية الأصل هنا : قصة تحريم الخمر .

عشيرتك . فشرب الإسكاف منها سبعة أو ثمانية فاشتدّت عروقه وأعصابه . ولما أسبل عليه حجابه تفتح دون مراده بابه . فخرج الى باب داره وهو سكران فرأى أسدا قد قطع السلاسل وأفلت فوثب على ظهره، وعلاه واستمسك بأذنيه . فجاء السبّاع[1] و باحدى يديه السلسلة وبيده الأخرى الحبل يريد إمسا كه فرأى الإسكاف على ظهره كراكب حمار . فانصرف ودخل على الملك وأعلمه بذلك . فقضى بهرام منه العجب فقال لبعض موابذته : كأن هـذا الاسكاف ينتسب الى أصل كريم . ففتش عن نسبه وأخبرنى به . ففتش عنه فاذا به قد ورث صناعته أبا عن جد، وكل آبائه أساكفة . فلما طال فى بابه الحديث حضرت العجوز وأعلمت الملك بما جرى . فضحك وحلل الخمر، وأذن أن يشرب منها مقدار ما يتقوى به شاربه حتى يصير بحيث يقاوم السباع، ولا يسرف حتى يصير شاربها عرضة للغربان وأشباهها . فارتفعت أصوات البشائر بتحليل الراح والترخص فى إدارة الأقداح وجلب السرور والأفراح .

(١٥٧)

(١) حكاية أخرى

قال صاحب الكتاب : وخرج بهرام ذات يوم الى متصيده ومعه جماعة من موابذته ووزرائه وخواص حضرته . فاعترض الموكب فلاح وبيده مسحاة، وسأل عن الملك فسأله موبذ عن حاله . فقال : لست أتكلم حتى أرى وجه الملك . فأتوا به الملك فقال : إن معى سرا أريد أن أبوح به اليك . فثنى بهرام عنانه، وعدل عن الطريق وخلا بالفلاح . فقال له : أيها الملك! إنى كنت أسقى زرعا فى هـذه الأرض فامتلأ القراح ماء فاذا بثقبة فى وسط الأرض ينزل فيها الماء ويسمع منه صوت يشبه صوت الصنج . وكأن المكان فيه كنز . فمضى معه الملك الى ذلك المكان، وضربت له خيمة هناك فنزل . وأحضر الفعلة فأمرهم بحفر ذلك المكان فانتهوا الى أزج مبنى بالآجر والنورة . فظهر له باب ففُتح ودخل فيه موبذ مع شخص آخر فرأيا بيتا واسعا واذا بجاموسين مصوغين من الذهب الأحمر مربوطين على معلف كبير من الذهب مملوء من الزبرجد والياقوت مخلوطا بعضه بالبعض[3]، وقد ركبت فى عيون الجاموسين يواقيت تتقد كالجمر، والجاموسان مجوّفان مملوءة أجوافهما باللآلئ الشاهية، وحواليهما تماثيل كثيرة قد صيغت على صور[4] السباع واليعافير والتداريج والطواويس مرصعة بالجواهر

(١) فى مول، ورنر، نسخة تبريز، قبل هذه الحكاية حكايتان ليستا فى هذه الترجمة :
١ — هدم موبذ بهرام قرية وتعميرها . ٢ — وقصة بهرام مع الأخوات الأربع .

(١) صل : فجاء الأسد . وفى طا، كو : السباع . وهو ترجمة شيربان فى الشاه .

(٢) فى حاشية الأصل هنا : قصة فتح الكنز . (٣) طا، طر : بعضه ببعض . (٤) كو : على وجوه ،

واليواقيت . فخرج الموبذ وهو ممتلئ فرحا وسرورا فقال لبهرام : أيها الملك ! قد أعطيت كنزا من الجواهر لم ير ولم يسمع بمثله . فقال له بهرام : من كنز كنزا فلا بد أن يكتب عليه اسمه . ففتش فلعلك تجد اسم صاحب هذا الكنز مكتوبا فى شىء . فدخل الموبذ فرأى ختم جمشيذ عليها[1] . فخرج وأعلم بهرام بذلك . فقال للموبذ : أيها العالم العاقل ! مالى أفرح بكنز كنزه جمشيذ من قبل ؟ لا كان مال لم يعن بجمعه السيف والعدل . وأمره أن يفرق جميعه على الفقراء والمحتاجين والمدينين والغارمين ، بعد أن يسلم عشره الى الفلاح الذى دل عليه . وقال : لا حاجة لعسكرنا الى تفرقة هذا المال عليهم . فان الجواهر يمكن تحصيلها وابتياعها من الأرامل وعجزة الرجال . وينبغى أن يكتز الملوك ذكرا جميلا ، ويدخروا أجرا جزيلا . ثم رجع وفتح أبواب كنوزه ودفائنه التى أخذها من الأعداء بسيفه ، وجمعها بعدله ، ففرقها على عساكره حتى أغناهم أجمعين . وقال : معاذ الله أن أكنز دفائن الماضين ، وأفرح بما خلق للفناء أو أفتخر إلا باكتساب المجد والسناء . فدعا له الحاضرون وقرظوه وشكروه وحمدوه .

(ا) حكاية أخرى[2]

ذكر صاحب الكتاب أيضا أن بهرام خرج يوما الى الصيد[3] فانفرد من أصحابه فرأى ثعبانا عظيما كأنه سبع ضار . فى رأسه شعر طويل بطول قده ، وله ثديان كثدى النساء . فوتر قوسه ورماه بنشابة أصابت رأسه فسقط . فنزل عليه وشق بالخنجر صدره فاذا برجل شاب فى جوفه قد ابتلعه . فرق له قلب بهرام حتى بكى . فأظلمت عينه من بخار سمه . فركب كما هو ، ومضى حتى انتهى الى ضيعة . فرأى امرأة على باب دار وبيدها جرة تريد الماء فغطت وجهها من بهرام . فقال لها بهرام : هل عندكم من مبيت؟ فقالت المرأة : الدار دارك فانزل . فدخل بفرسه الدار . فدعت المرأة بزوجها وقالت له : اربط فرسه وامسح ظهره وقدم له تبنا . ودخلت مجلسا له[4] وكنسته وفرشت حصيرا ووضعت مخدة[5] . فدخل بهرام وتمدد مستريحا مما عاناه من مقاتلة الثعبان وقتله وما خامر دماغه من روائح سمه . فقدمت المرأة اليه طبقا من خلاف عليه خل وبقل ولبن وخبز فتناول منها لقيمات ونام . فخلت المرأة بزوجها وسارته وقالت : أيها القبيح الوسخ ! إن هذا الفارس أمير كبير فاذبح له حملا . فامتنع وتعلل بالفقر والعجز . فلم تزل به حتى أجاب وذبح له حملا كان فى بيته فطبخته وقدمته اليه

(ا) حذف المترجم قبل هذه الحكاية ، حكاية بهرام مع التاجر وصبيه .

(١) كو : على جبهة الجاموس . (٢) فى حاشية الأصل هنا : قصة قتل الثعبان ونزوله بيت صاحب ضيعة .

(٣) طا ، طو : المتصيد . (٤) طا ، كو ، طو : مجالسا لهم . (٥) كو : وسادة .

بالعشى فأكل بهرام وغسل يده . وكان منكسر البدن من أثر التعب فقدّمت اليه بقطينة فيها شراب مع قليل من الغبيراء برسم النقل . فأخذ بهرام يشرب ثم قال للمرأة : حدّثينى حتى أشرب على حديثك . ثم قال لها : كيف حالكم مع هذا السلطان ؟ فقالت : إنه لاجور علينا من الملك ولا حيف سوى أنه يأخذ من كل جان يجنى خمسة دراهم (أ) . وليس منه تحامل علينا إلا من هذه الجهة . فاستقل الملك ذلك المقدار وأضمر الزيادة عليه .

وذكر غير صاحب الكتاب أنه رأى بستانا كبيرا عند دارها فسألها عن خراجها[1] ومقـدار ما عليها كل سنة . فقالت : للسلطان كل سنة على هـذا البستان وعلى أمثاله خمسـة دراهم . أو كما قال[2] . فاسـتقل بهرام المقدار المذكور فى نفســه ، ونسب عمـاله الى التقصير فى حقه ، ونوى الكشف من عنده وأن يزيد فى مقداره . فنام على هذه النية الظالمة .

ولمـا أصبح أرادت المرأة أن تصلح له لبنية فقامت الى بقرة كانت لهـا لتحلبها فمسحت ضرعها فلم تدرّ ووجدت ضرعها خاليا من اللبن . فقالت لزوجها : إن قلب السلطان قد تغير، وكأنه قد نوى سوءا وأضمر ظلما . فقال لها الزوج : ما هذا التطير؟ فقالت : أما تعلم أن الملك إذا صار ظالمـا جفت الألبان فى الضروع، ولم يأرج المسك فى النوافج، وشاع الزنا والربا فى الخلق، وصارت القلوب قاسية كالحجر الصلد، وعاثت الذئاب وضريت بالإنس، وتخوف ذوو العقول من ذوى الغواية والجهـل . ولولا حدث حدث لمـا تغير لبن هذه البقرة الحلوبة . فلما سمع بهرام ذلك من المرأة ندم على ما أضمر واستغاث فى سره الى الله تعالى وتاب عما عزم عليه . ثم عادت المرأة الى البقرة تسمى الله تعالى ، ومسحت ضرعها فدرت بلبن غزير . ففرحت المرأة وقالت : إنك يامستغاث الخلق ! قد قلبت الظالم عادلا حتى عاد لى ضرع هذه البقرة حافلا . فحلبت وأصلحت لبنية وقدّمتها الى ضيفها فطعم متعجبا من الحالة التى شاهدها . ثم قال للمرأة : خذى هذه السوط وعلقيها على قضيب من الشجرة التى على باب الدار . ففعلت فاذا بعسكر بهرام مقبلين . فلما رأوا السوط نزلوا وقبـلوا الأرض واجتمعوا على باب الفلاح . فعلمت المرأة وصاحبها أنه الملك وعادا الى إيوانه[3]، وقبلا الأرض بين يديه، واعتذرا اليه برثاثة حالها وضيق أيديهما . فقبل عذرهما وأحسن اليهما، ووهب لهما تلك الضيعة، وأوصاهما بإطعام الأضياف . وركب منشرح الصدر مسرورا . والسلام .

(١٥٨)

(أ) فى الشاه — نسخة تبريز ومول وترجمة وزنر: أن المرأة شكت الى بهرام أن عماله يمرّون بالقرية فيتهمون الناس ليأخذوا منهم بعض الدراهم . فقال فى نفسه إن الناس لا يخافون الملك العادل . واعتزم أن يشتد على الناس ليميزوا العدل من الجور الخ . وعبارة المترجم هنا غامضة .

(١) طا ، طو : خراجه ومقدارها عليه . (٢) كو : أو كما قالت . (٣) كو : خدمته . وفى الشاه : ذهبا عنده .

حكاية(١) أخرى لبهرام مع برزين الجوهرى (أ)

قال صاحب الكتاب: ثم بعد ثلاثة أيام نشط للصيد، واجتمع على بابه ثلاثمائة فارس من أكابر الفرس ليخرجوا فى خدمته، ومع كل واحد منهم ثلاثون غلاما . فخرج بهرام فى ثلاثمائة غلام فى عدد الصيد وأسبابه . وأخرج عشرة نجب برحال مرصعة باللؤلؤ، وركب من الذهب، وهى مجللة بالديباج والحرير، وعشرة بغال من المراكب الخاصة، وسبعة أفيال على ظهورها تخوت فيروزجية، مع كل فيل ثلاثون فارسا بمناطق الذهب، ومائة بغل عليها المغانى والمسمعات. وخرجت البازدارية بمائة وستين من البزاة، ومائتين من الصقور والشواهين يتلوها جارح أسود يسمى طُغرى، وهو أكرم الجوارح على الملك . وكان سَبَجِيّ الجسم ذهبيّ المخلب والمنسر . كان الخاقان ملك الصين أهداه إلى بهرام مع جملة من الهدايا والتحف وسائر ما يجلب من أرض الصين . ووراء هؤلاء الفهادون بمائة وستين فهدا بسلاسل الذهب والأطواق المرصعة بالجوهر . فلما صاروا إلى متصيدهم صادفوا طيرا كثيرا فابتهج الملك لذلك وتهلل وجهه . وأرسل طغرى فى الهواء فرمى عدّة من الطيور . ثم رأى طغرى كركيا فقصده وطلبه وأبعد حتى غاب عن عين الملك . فتبعه بعض البازدارية، وتبعه الملك أيضا فى عدّة من خواصه على حس صوت الجرس الذى كان فى رجله . وبقى العسكر فى المتصيد . فعرض للملك باغ (ب) فيه قصر فدخله فرأى فيه مماليك وجوارى وإذا بشيخ قاعد عند حوض ماء وعنده ثلاث بنات كالأقمار الطلع، على رءوسهن تيجان من الفيروزج، على(٢) يد كل واحدة منهنّ جام من البلور مملوء بسلاف كذوب البلخش . فوثب الدهقان، وكان يسمى برزين، فجاء وقبل الأرض بين يدى الملك، ودعا له وسأله أن يشرفه وينزل عنده . فقال الملك : إن طغرى قد غاب عنا ، وقد ضقت ذرعا لذلك . فقال : إنى قد رأيت الساعة طائرا أسودا كالقار أصفر المخلب والمنقار قد وقع على هذه الشجرة . وسيؤخذ(٣) بسعادة الملك . فأمر بهرام غلاما فصعد الشجرة فنادى وبشر الملك بأنه وجده قد نشب وتعلق ببعض أغصان الشجرة فسرّ بهرام . ولما جىء به قام برزين فهنأه بسروره وسأله أن يقيم فى ضيافته ويشرب عنده بقية يومه . فأجابه بهرام إلى ذلك فأصلح له مجلسا شاهيا، وقال لبناته الثلاث : إن ضيفنا الليلة أكرم الأضياف . وأمرهنّ أن يحضرن عنده ويطيبن قلبه. وكانت الواحدة منهن مغنية طيبة الصوت، والأخرى رقاصة، والثالثة جنكية . فحضرن عنده وأخذن فى أشغالهنّ وأخذ هو يشرب حتى امتلأ طربا . ثم سأل برزين عنهنّ فقال: إنهنّ بناتى وإماؤك.

(أ) فى نسخ الشاه التى عندى : برزين الدهقان . (ب) باغ : بستان .

(١) فى حاشية الأصل هنا : قصة تزوج بنات برزين البستانى . (٢) طا ، طر: وعلى يد الخ . (٣) طا ، طر: وسيوجد

فاستظرفهنّ الملك واستملحهنّ فأشار برزين على المغنية بأن تغنى بما فيه مدح بهرام وصفته . فغنت بما يقرب معناه من قول بعض الشعراء فى المأمون :

ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهر وأحسن منه ما أسر وأضمرا
يناجى له نفسا تريع بهمة إلى كل معروف ، وقلبا مطهرا
ويخشع إجلالا له كل ناظر ويأبى لخوف الله أن يتكبرا
طويل نجاد السيف مضطمر الحشا طواه طراد الخيل حتى تحسرا
رِفَلّ إذا ما السلم رفّل ذيله وإن شمرت يوما له الحرب شمرا

فلما سمع بهرام ذلك شرب على صوتها جاما كبيرا كان على كفه ثم أقبل على برزين وقال : أيها الرجل الجواد ! إنك لا تجد ختنا مثلى فزوّجهن منى . فقال برزين : من يتجاسر على أن يخطر بباله ما ذكره الملك ؟ وأنا أصغر خدمك ، وإنهن تراب قدمك ، وقد وهبتهن لك على رسم جيومرت وأوشهنج . فأمر فجاءوا بمهود أربعة من الذهب ، فقعدت العرائس الثلاث فى ثلاثة منها وحملن إلى دار الملك . وأقام هو يشرب حتى اجتمعت أصحابه على باب برزين فقعد فى المهد الرابع وهو سكران وعاد الى إيوانه .

قال الفردوسى مخاطبا للسلطان أبى القاسم محمود رحمه الله : لا شىء أحسن فى السر والإعلان من سلوك طريق العدل والإحسان . وما من ملك كان للرعية بفضله غامرا ، ولبلاده بعدله عامرا إلا وقد بقى حيا اسمه وإن أضمره رمسه . فكن عادلا أيها الملك المطاع ! ولا تحمل الرعية ما لا يستطاع . ألا ترى بهرام كيف بقى على تعاقب الأيام ذكره فى جميع الأقطار متداولا بين الصغار والكبار ؟ على[1] أنه لم يكن من دينه على منهج قويم وصراط مستقيم . وما ذاك إلا لكونه باسطا لظلال المعدلة على البرية ، وناظرا بعين التعطف الى الرعية . لا جرم أنه طوى أيام عمره وأنفاس حياته فى النعيم والترف ، وعاش ما عاش تحت تاج الجلال وفوق تخت الشرف (١) .

حكاية أخرى له فى وصف خروجه الى متصيده فى صحراء جز[2]

(١٥٩)

قال صاحب الكتاب : وأمر بهرام ذات يوم بأن يخرج تخته الى بستانه . فأخرجوا تخته الفيروزجى ، ونصبوه له تحت أشجار الورد ، وأحضروا له الشراب والمغانى ، وحضر الندماء والخواص . فقال

---

(١) حذف المترجم بعد هذه القصة قصة عنوانها : قتل بهرام الآساد ، وذهابه الى بيت جوهرى ، وتزوج بنته . ثم قصة بهرام وفرشيدورد .

(1) كو : على أنه ماكان من دينه . (٢) فى حاشية الأصل فى هذا الموضع : قصة قتل السبعين وصيد اليعفور وسبب تسميته بهرام جور .

للموبذ : إن الأيام لا تطيب إلا بالناس، والشَّمول لا يشمل سروره إلا بشمائل الجلاس ، وحسبنا بوحدة القبر وحدة.(١) ونحن لو صعدنا الى السماء شرفا وعزا لم يكن لنا بد من الهبوط بعد الصعود. وقد بلغت الآن من السنّ ثمانيا وثلاثين . واذا بلغ عمر الشاب الأربعين دخل قلبه هم الممات، وبدل شمل سروره بالشتات . فلننتهز فرصة الأطراب ونهتبل غرة الشباب، ولايخلو(أ) جامنا من الشراب. فأقام بهرام على ذلك الى أن دخل وقت المِهرجان، ورقت أرواح الراح فى أشباح الدنان، واصفرت وجنات التفاح فى عذَب الأغصان، ونهدَ الرمان خيرىّ الجلباب، وصار منها الغصون كالكواعب الأتراب، وبدا وجه السفرجل فى الخمار المخمل، وعاد الماء فى لون اللازورد وصفاء السجنجل، واكتنز لحم اليعفور وعبلت أجسام الفور. فاختار عشرة آلاف فارس وصار بهم الى صحراء جزوآجامها وغياضها. وكانت مأوى السباع والوحوش . فلما نزل فيها قال : نستريح الليلة ونركب غدا ونفتتح بصيد السباع . فاذا أخلينا الأجمة منها اشتغلنا بصيد حمر الوحش . فلما أصبح صار بعسكره الى أجمة من الطرفاء هناك . فلما توغلها خرج اليه سبع عظيم فقال لأصحابه : إنى لا أرميه بالنشاب ، وإنما أقتله بالسيف حتى لا أنسب الى الجبن . فلبس قباء مبلولا من الصوف، وركل فرسه نحوه . فلما قرب منه انتصب السبع وهمّ أن ينشب براثنه فى نحر فرسه . فتلقاه بسيفه وقدّه من رأسه الى منتهى ذنبه بنصفين . فخرجت لبوة تزئر، وثارت نحو بهرام فتلقاها وأبان بخنجره رأسها من جسدها . فقال له بعض من معه : أيها الملك ! إن هذا الفصل فصل الخريف، ووقت تمرآساد الغريف . وإن هذه الأغيال مملوءة بضوارى الليوث مع الأشبال . وطول هذه الأجمة ثلاثة(٢) فراسخ، ولا تقدر أن تفنى سباعها ولو أقمت عليها سنة كاملة. فلا تتعبن نفسك . ولم تخرج الا على عزيمة صيد الوحوش(٣) . فما بالك تجهد نفسك فى صيد الأسود ؟ فقال : أى قدر لضوارى السباع عند رجال الحروب(٤) ؟

ثم إنه انصرف ونزل فى سرادقه وغسل عنه ما ترشش عليه من دم السبع . فوضع سالار الخوان موائد الذهب من أول السرادق الى آخره . وحضر الأمراء والأكابر وطعموا ثم اشتغل بالشرب .

ولما علم أهل مدينة جز وبرقُويه بنزول الملك فى تلك الصحراء خرج أهل الأسواق منهم ببضائعهم وأمتعتهم، وأقاموا فى تلك الصحراء أسواقا عظيمة تشتمل على طرائف كأسواق بلاد الصين فى المواسم.

(أ) كذا فى النسخ . وينبغى حذف الواو من "يخلو" .

(١) كو : اذا صرنا الى اللحود . (٢) صل : ثلث فراسخ. والتصحيح من كو، طا . (٣) طا، كو: الوحش.

(٤) كو : وغدا نشرع فى صيد اليعافير. وكذا فى الشاه .

ولما كان الغد ركب بهرام في عسكره لصيد حمر الوحش فقال: من أراد أن يرمى يعفورا فلا يرمينه[١] إلا في كفله، ولينفذ سهمه حتى يخرج نصله من صدره . فقال له بهلوان عسكره : أيها الملك ! من يقدر على هذه الرمية سواك ؟ فقال : إن تلك قوة[٢] الهية . ومن بهرام لولا حول الله وقوته ؟ ثم إنه أثار فرسه راكضا خلف يعفور، ورماه في كفله بنشابة خرجت من صدره فركب ذلك اليعفور ردعه . فاجتمع عليه الفرسان يقضون العجب من تلك الرمية . فقال : إن الله هو الذى خصنى بهذه القوة . ومن لم يكن معه عناية من الحق فلا أهون منه بين الخلق . ثم ركض خلف يعفور آخر فوسطه بالسيف . وتراكضت الفرسان خلف اليعافير حتى رموا منها ملء ذلك الفضاء حتى[٣] كأنهم أخلوا تلك الأرض منها . فأمر الملك بتفريقها على الحاضرين من السوقية والتجار من أهل المدينتين . ثم إن أكابر جز، و برقويه جاءوا حضرة بهرام بهدايا من الخز والديباج وغيرهما فقبلها الملك منهم، وأمر بإسقاط الخراج عن المدينتين . ثم كشف عن أحوال الرعية بها وعن أهل البيوتات والمتسترين منهم بملابس القنوع ففرق عليهم أموالا وافرة حتى أغناهم أجمعين .

ثم إنه ارتحل من ذلك المتصيد، وسار نحو بغداد، وأقام مقدار أسبوعين بين نسائه وجواريه بها على جملة السرور والنشاط . ثم سار منها الى اصطخر دار الملك ومطلع التاج ومستقر التخت فدخل حجر نسائه بها وتفقدهن . فمن صادف منهن غير معتصبة بالتاج قاعدة على التخت العاج[٤] أمر بذلك لها وإنفاق الخزائن عليها . وقال للقائم بأمرهن : إنا قد جعلنا خراج الروم والخزر برسم حُجَر اصطخر. فان لم يكفهن ذلك فاستدع أحمال الدنانير من إصبهان والرى .

قال : وبقى بهرام كذلك مدة من الزمان لا يشتغل إلا باللهو والطرب والصيد والطرد . وإنما سمى بهرام جور لملازمته صيد حمر الوحوش . (١) واسم حمار الوحش في لسان الفرس كور . فقيل له بهرام كور من أجل ذلك . وعربته العرب فقالوا بهرام جور[٥] .

(١) هذه الجملة الى آخر الفصل ليست فى نسخ الشاه التى بيدى . وظاهر أنها من عند المترجم

(١) طا : فلا يرميه . (٢) كلمة «قوة» من طا ، كو ، طر . (٣) طا ، طر : وحتى

(٤) كو : سرير العاج . (٥) طا ، طر : والسلام .

ذكر قصة قيصر الروم وخاقان الصين مع بهرام §

قال صاحب الكتاب : ثم تواترت الأخبار واستفاضت فى بلاد الروم والهند وممالك الترك والصين بإقبال بهرام بكليته على اللعب واللهو، واشتغاله بذلك عن الخلق، وإهماله لأمر الجيش ، وأنه لا يهمه ترتيب الجند فليس على بابه بهلوان ولا طليعة ولا ديدبان . فجمع الخاقان عند ذلك عسكرا عظيما، وأقبل طامعا فى ممالك إيران ، وحشد قيصر أيضا وأقبل من الجانب الآخر فى جنوده قاصدا للتوغل فى بلاد إيران أيضا . فلما تناهى الخبر بذلك إلى أرض إيران اجتمع الأكابر والأمراء والأعيان والقواد، ودخلوا على بهرام وعنفوه وعيروه ، وأخبروه بامتداد الأطماع الى ممالكه . فقال لهم بهرام : إن الله ناصرى . وأنا بحول الله وقوته ونصرته حافظ لايران وذائد عنها كل مكروه . وسأصرف شرهم عن هذا الإقليم بالمال والجيش والسعادة والسيف . واستمر فى ظاهر الأمر على لهوه ولعبه كما كان . فأيس من ملكه الإيرانيون وكادوا يتلفون من الجزع والأسف عليه . وهو فى السر يهيئ أمر عسكره، ويستعد بحيث لا يطلع عليه أحد . فجاء الخبر بهرام بدخول[1] الخاقان الى ممالك ايران . فاستحضر بهلوانه كستهم، وهو[2] قائد جيشه ودستور ملكه[3] ومتولى حله وعقده، ففاوضه فى أمر الخاقان فيما أقدم عليه . واستدعى وجوه قواده وأعيان أمرائه، وانتخب من خُلّص عساكره والمذكورين منهم ستة آلاف فارس، وسلم التاج والتخت الى أخيه نرسى بن يزدجرد، وكان صاحب دين وروعة ومعدلة ورأفة، وركب فيهم وأخذ فى طريق آذربيجان فحسب الناس أنه قد هرب ، حيث لم يستصحب من العسكر إلا ذلك المقدار اليسير .

---

§ الهياطلة الذين سماهم الصينيون "يتها" وسماهم الرومان (Ephthalites) أو الهون البيض ، وسماهم الفرس هيتال اجتازوا جيحون سنة ٤٢٥ م وعاثوا فى البلاد فهلع الناس منهم وحاربهم بهرام كور وهزمهم . والظاهر أن الهياطلة هم الذين ذكروا هنا فى قصة خاقان الصين .

وأما الروم فقد حاربوا بهرام من أجل شدّته على النصارى فى بلاده، وغلبوه ، ولكن بهرام استطاع أن يصالحهم على شروط عادلة منها ألا يضطهد النصارى ولا يمنعوا من الفرار الى سلطان الروم، وألا يضطهد المجوس من رعايا الروم كذلك . وكان هذا الصلح سنة ٤٢٢ م . وقد أدى هذا الى استقلال الكنيسة الشرقية سنة ٤٢٤ م[4] .

---

(١) طا، كو، طر : عساكر الخاقان . (٢) طر : وكان قائد . (٣) طا، كو، طر : مملكته .

(٤) سيكس (Sykes) ج ١ .

قال : ولما سار بهرام وصل رسول قيصر ملك الروم فأنزله نرسى فى موضع يليق به . ثم إن الايرانيين اجتمعوا على مو بذ المو بذان، وأخذوا يسفهون رأى بهرام فيما كان عليه من قبل من التغافل والانكباب على اللهو واللعب، والتساهل فى أمر العدو حتى صاروا عرضة للتلف . وقالوا : بعد أن هرب بهرام فالرأى أن نكاتب الخاقان ونلتزم له الخراج حتى تسلم البلاد والعباد. فمنعهم نرسى من ذلك فخالفوه وكتبوا إلى الخاقان كتاب ذوى عجز وضراعة، وسألوه ألا يتوغل بلادهم وديارهم حتى يلتزموا له الخراج ويحملوا اليه الإتاوة . وأرسلوا اليه الكتاب على يد موبذ يسمى هُماى . فلما وصل إلى الخاقان كاد أن يطير من الفرح والسرور، وقال لأمراء الترك : من قدر أن يملك بلاد إيران بغير قتال سواى ؟ فقد ملكتها . وذلك بالرأى والعقل والتؤدة والرفق . فخلع على المو بذ، وأجاب عن الكتاب، وقال : إنا قد اجترينا منكم بأداء الخراج، وأنا صائر إلى مرو مقيم فيها إلى أن يصل ما التزمتم به من الخراج . فانصرف الرسول ونزل الخاقان فى عساكره على ظاهر مرو، وأقام بها مستريحا من التعب ومستروحا[1] إلى اللهو واللعب ومنتظرا وصول خراج إيران اليه .

وأما بهرام فانه كان متيقظا فى أمره . وكان قد فرّق الجواسيس والعيون حتى يخبروه بحال الخاقان . فلما علم[2] بنزوله على مرو أمر أصحابه الذين كانوا معه فلبسوا السلاح، وجنب كل واحد منهم فرسين. فسار بهم من آذر بيجان سالكا طريق أردَبيل إلى آمُل ومنها الى جُرجان ومنها الى مدينة نسا، وبين يديه دليل خِرّيت يسلك به شعاب الجبال ومخارمها وعوادل الطرق ومجاهلها . فطار على هذه الصفة بقوادم الركض حتى قرب من مرو . فأتاه فارس من جواسيسه وأخبره بأن الخاقان ركب للصيد الى كُشمَيهَن وهو فى خِفّ من أصحابه بلا عدّة ولا سلاح . فامتلأ بهرام سرورا بما سمع، ونزل واستراح فى يومه ذلك وأراح . ثم ركب فى عسكره وسار تحت ظل الليل قاصدا قصد الخاقان حتى هجم عليه (١) وعلى أصحابه فى ذلك المتصيد فلم يحسوا إلا بأصوات البوقات، واصطفاق الأعلام والرايات ، وصليل الأسياف فى[3] الجماجم والهامات فأسر الخاقان رجل يقال له خزوروان (ب) وعملت السيوف فى الخاقانية حتى تلاطمت أمواج الدماء فى ذلك الفضاء، وأتى القتل والأسر عليهم أجمعين . فعطف بهرام عنانه الى مرو فدخلها وأخلاها عن الترك[4] فقتل بعضهم وأسر

(١) انظر فى الأخبار الطوال وفارس نامه احتيال بهرام كور لهزيمة الخاقان .

(ب) فى الشاه : خزروان .

(١) طر : ومتروّحا . (٢) طا ، كو : فلما أعلم . (٣) طا : على الجماجم .

(٤) كلمة "وأخلاها" من طا ، كو ، طر .

بعضهم، وهرب الباقون فاتبع أثرهم حتى سار ثلاثين فرسخا . ثم عاد ونزل فى مخيم الخاقان ، وأمر بجمع الغنائم ففرّقها على عسكره . ثم لما استراح واستراح أصحابه ركب وسار بهم فى يوم وليلة الى آمُل الشط . ولما أصبح من الغد عبر الماء وتوغل فى[1] أطراف ممالك توران يقتلهم ويأسرهم حتى اجتمع أمراء الترك ومن بقى من قوادهم وأعيانهم ، واستأمنوا اليه والتزموا له الخراج . فتعطف عليهم وعفا عنهم وأجابهم الى ما التمسوا . وأقام أسبوعين ثم انصرف وراءه حتى وصل الى فرّبر(أ) فبنى هناك ميلا وجعله واسطة بين ممالك الترك والفرس، وجعل جيحون أيضا فيصلا بين المملكتين. وكان فيهم رجل يسمى شمرا (ب) فقلده ممالك توران . فسار اليها ولبس تاجها وتسنم تختها .

قال : ولما فرغ من ذلك كتب الى أخيه نرسى بن يزدجرد كتاب الفتح يذكر فيه ما يسره الله له ويقول فى كتابه بعد حمد الله والثناء عليه : من لم يشاهد وقعة الخاقان فليسمعها ممن شهدها[2] . إنه كان من جموعه وعساكره فى سواد سدّ ما بين الأفقين بالعجاج الأكدر حتى كأن السماء طليت بالقار من النقع المثار . وكان مصيره الى الآخرة[3] ومصير ذلك الجيش اللهام الى الأسر والكسر . فهاهو مربوط على قتب عار، وأنا قادم به عليكم على أثر هذا الكتاب . ونفذ الكتاب على أيدى النجابين . فلما وصل الى أخيه نرسى كاد يطير فرحا وسرورا . فجاءه موبذ الموبذان فى جميع أكابر الفرس فأظهروا السرور والاستبشار بما أتاهم من ذلك الخبر المبهج وهم خجلون مما بدر منهم من مكاتبة الخاقان . فسألوا نرسى أن يكاتب بهرام[4] فى حقهم ويسأله أن يعفو عنهم . وندبوا لذلك موبذا يسمى بُرزمهر . فلما وصل الكتاب اليه شفع أخاه، وعفا عنهم وقبل معاذيرهم . ثم أتته أكابر ممالك توران بما التزموا له من الخراج كل سنة فانصرف عند ذلك متوجها نحو اصطخر وبين يديه ألف ومائة وستون قنطارا من الدراهم والدنانير فى جلود البقر على ظهور الفيلة . ولما حصل فى دار ملكه أمر ببسط النطوع وإفراغ[5] تلك الأموال عليها . وأمر بصرفها فى عمارة القناطر والربُط والخانات وإنفاقها على الفقراء[6] الذين معاشهم من كد أيديهم، وعلى الأرامل والأيتام، وعلى المشايخ الطاعنين فى الأسنان الذين عجزوا عن المكاسب ، وعلى أهل البيوتات ، وعلى عابرى السبيل . ثم أمر بتفريق المغانم على الجنود

(أ) فى الشاه : فرب، ويظهر أنها تخفيف فربر .

(ب) فى ترجمة ورنر : شهرا . وهو من جند ايران .

(١) طا ، طر : توغل أطراف . (٢) طا ، طر : شاهدها . (٣) طا ، كو، طر : بالآخرة .

(٤) كلمة "بهرام" من طا ، كو، طر . (٥) صل : وأفرغ . والتغيير من طا ، طر . (٦) طا ، طر : على الفقراء والذين .

والعساكر. ثم أمر بإحضار تاج الخاقان فقلعوا جواهره ووضعوا بها حيطان بيت النار (أ) ولما فرغ من ذلك كله سار نحو طيسفون فتلقاه أخوه وموبذ الموبذان وسائر من كان بها من الموابذة والأمراء والأكابر. فلما أشرق عليهم تاجه ترجلوا له ووضعوا وجوههم له على الأرض. ثم دخل إيوانه وجلس على تخت من الذهب وعمل فيه دعوة لأكابر الممالك وأمراء البلاد الذين كانوا فى حضرته فخلع عليهم أجمعين. ولما كان اليوم الثالث[1] جلس بهم فى مجلس الأنس وأحضر الكاتب وأمره أن يكتب الى أطراف البلاد وجميع أقاليم المملكة باسقاط الخراج عن أهلها سبع سنين شكرا لما منّ الله به عليه حين أظفره، مع ضعفه وقلة عدده، بعدوّ مثل الخاقان فى قوته وشوكته وكثرة عدده وعُدده. فلما بلغتهم كتبه قامت فيهم مواسم الفرح والطرب، وخرجوا الى الصحراء بالنساء والرجال والصغار والكبار، ورفعوا أصواتهم بالدعاء لبهرام والثناء عليه. ثم اشتغلوا بالشرب واللهو حتى صار لا يقدر على قضيب من الخلاف بدينار، ولا على طاقة نرجس بدرهم. فعمّ الأمن والأمان وطابت القلوب حتى عادت المشايخ كالشبان. ثم إنه ولّى[2] أخاه نرسى بلاد خراسان، وعقد له عليها فسار اليها بعد أسبوعين. ثم قال لموبذ الموبذان: قد طال عندنا مقام رسول صاحب الروم، وسأله عنه وعن حاله ومرتبته فى العلم والعقل. فقال الموبذ: إنه رجل طاعن فى السنّ ذو رأى وحياء ومنطق حسن وصوت لين. وكيف يكون من أستاذه أفلاطون الحكيم؟(ب) فقال بهرام: إن قيصر ملك كبير أصيل ينتمى الى سلم الذى توّجه أفريذون. وما أساء الأدب كما فعل الخاقان. فينبغى أن نحضره غدا، ونحسن اليه ونردّه الى صاحبه على جملة التوقير والاحترام. ثم لما طلعت الشمس من اليوم الثانى استحضر الرسول فدخل على الملك واضعا إحدى يديه على الأخرى فجلس عند التخت جاثيا على ركبتيه. فأكرمه بهرام وسأله وقرّبه من مجلسه وأقعده على تخت الفيروزج. فقال له: قد طال مقامك هاهنا، ولا شك أنك مللت هذه الديار، وقد شغلنا عنك محاربة الخاقان. وقد ذكرناك الآن، وعلمنا بتأخرك، ونحن الآن مجيبون عن رسالتك وصارفون لك. فأثنى عليه الرسول ودعا له وقال: لاخلا منك المكان والزمان، ودام لك الملك والسلطان. وقال: وأنا وإن كنت رسول

(أ) فى الطبرى أنه علق جواهر التاج وسيفا مرصعا فى بيت نارشيز، وأخدمه خاتون امرأة الخاقان. وفى الغرر: فأمر بتعليق التاج من بيت النار، وألزم خاتون سيدة نساء خاقان وجواريها خدمة بيت النار. وهذا يذكرنى — من غير تشبيه — بتيجان الملوك المعلقة فى مسجد النجف الأشرف.

(ب) هذا من أغلاط الفردوس فى التاريخ أيضا.

(١) كلمة الثالث من طا، طر. وفى كو: الثانى.

(٢) كلمة "ولى" من طا، كو.

قيصر فانى خادم لعبيد الملك . وإنما أرسلنى قيصر لأبلغ الملك سلامه وأسأل علماء حضرته عن سبعة أشياء[١] فأرجع بجوابها اليه (أ) . فاستحضر الملك موبذ الموبذان وسائر الحكماء والعلماء فأدى الرسول رسالة قيصر ثم سأل الموبذ وقال : أخبرنى ما الداخل وما الخارج؟ وما العالى وما السافل؟ وما الشىء الذى ماله نهاية ؟ وما الجوهر الذى هو فى ذاته واحد وله أسماء متعددة ؟ وما الشىء السهل الذى يستصعبه الخلق؟ فقال الموبذ: الداخل هو الهواء، والخارج هو الفلك، والعالى هو الجنة، والسافل هو النار، والشىء الذى لانهاية له هو علم الله تعالى، والجوهر المتحد ذو الأسماء المتعددة هو العقل فانه يعبر عنه بالحلم والوفاء والنطق والسعادة وحفظ الأسرار والتؤدة والسكون وليس فى الوجود جوهر أنفس منه[٢] . فانه مثل الرأس وسائر المحاسن كالبدن . وهو الذى يتغلغل إلى ضمائر الأسرار التى لا تدركها الأبصار . والسهل المستصعب هو علم النجوم . فإن صاحبه يعلم أسرار الفلك ، ويسهل عليه معرفة طول الفلك وعرضه ومسافة ما بين السماء والأرض . فهذا جواب ما سألت عندى ، والله أعلم بما وراء ذلك . فقبل الرسول عند ذلك الأرض بين يدى الملك وقال : لا تطلب فوق ما أعطيت من الجلالة والسيادة . وكما أنك ملك الملوك والسلاطين فوزيرك ملك العلماء والحكماء فى جميع الأقاليم . فهو السيد وجميع الفلاسفة كالعبيد له . فسر الملك واستبشر . ثم أمر للرسول بعشر بدر وثياب وخيل وأحسن اليه وبالغ فى إكرامه . فقام الرسول وعاد إلى منزله . ولما كان اليوم الثانى حضر مجلس بهرام وحضر الموبذ وأخذوا[٣] بأطراف الحديث . فقال الموبذ : أخبرنى أيها الحكيم ! عن أضر شىء تُمرى عليه الجفون ، وعن أنفع شىء تَقر به العيون . فقال الرسول : أما الأول فهو العلم ، وأما الثانى فهو الجهل . فقال الموبذ : أنعمنّ الفكرَ فيه وأجب بالصواب ، ولا تظنن أن السمك يصاد على التراب . فقال الرسول : هذا هو الذى عندى من الجواب . فان كان عندك غيره فهات . فقال : اعلم أن كل من هو أقل أذى فموته أكثر ضيرا ، ومن هو أكثر شرا فموته أوفر خيرا . فهذا يضر وذاك ينفع . والعقل يفرق بين الحالتين ويجمع . فارتضى الرسول ذلك ودعا للملك وأثنى عليه وعلى الوزير بمحضر منه ، وقام وعاد إلى منزله . ولما أصبح الملك من اليوم الثالث قعد فى مكانه وأمر بإحضار الرسول فخلع عليه وأعطاه جملة من النفائس والرغائب ، وأذن له فى الإنصراف .

ثم نظر فى أمر العسكر فأمر الوزير ففرّق الممالك على الإصبهبذية[٤] ، وعين لكل إقليم بهلوانا ، ولكل مدينة واليا ، بعد أن فرق عليهم خزائن الأموال والأسلحة وأمرهم بالعدل والإنصاف ونفى أهل

(أ) هذه السفارة هى ما حفظته الأساطير من حرب بهرام والروم والصلح من بعد . كما تقدّم فى مقدّمة هذا الفصل .

(١) فى حاشية الأصل هنا : سؤال رسول قيصر عن سبعة أشياء . (٢) كلمة (منه) من طا ، طر . وفى كو : أنفس من العقل . (٣) طا ، كو ، طر : فأخذوا . (٤) طا ، كو ، طر : الاصبهبذين .

الجور والإعتساف . وقال : إنا متقلدون لأمور الرعيــة، ومن الملوك ينشأ الزيغ والفساد والعــدل والسداد . وإن كان أبونا من قبــل بسط فيكم يد الظلم، وعدل عن طريق العــلم وعبودية الحــق فلا تعجبوا من ذلك، وانظروا ماذا صنع جمّ وكاوُس من قبله . وما أزاغه إلا الشيطان كما أزاغهما . فعلينا الآن أن ندعو ونستغفرله . وأنا منذ قعدت فى مكانه من الملك أسأل الله تعالى أن يقوّينى على مداراة الرعية ومعاملتهم بالحسنى والمعدلة حتى إذا وارانى التراب، وأضمرتنى الصفائح لم يتشبث بذيلى مظلوم، ولم يشمت بى متظلم مهموم . وأما أنتم فعليكم أن تدّرعوا بملابس السداد، وأن تطهروا قلوبكم عن الفساد . ثم قال : وتعالوا حتى نجهد فى الحسنى والطهارة، ولا نقترف فى هــذه الدنيا الغدارة ما يورث النــدامة و يعقب الخسارة . ثم إنى أقسم أوّلا بالواهب الخلاق، وثانيا بالتــاج والتخت ومكارم الأخلاق أنه إن ظلم أحد من عمالى أحدا من رعيتى، ولو فى كف من تراب، أحرقته[1] بالنــار أو صلبته عرضة للأبصار وعبرة للنظار، وأنه إن سرق فى الليل مسح من فقير عوّضته ثوبا من حرير، ولو ذهبت شاة من قطيع عوّضت صاحبها فرسا بلا منّ ولا أذى . وأطنب فى تذكيرهم ونصحهم حتى قال : ولا تذبحوا ذكور الثيران (١) التى تصلح للحراثة ولا إناثها ذوات الألبــان الغزيرة . ولا تشاوروا غير أهل العلم، ولا تكسروا قلوب الأيتام . وتباعدوا عن وساوس الشيطان، وتجنبوا اللهو والمرح[2] عند محاربة العدو . ومن كان منكم مرتديا بفضفاض الشباب فليسحب ذلاذل الأطراب، ولا يمدّن ذو المشيب يدا الى الخنــا والقبيح . فقبيح بمن جلله الشيب منادمة الشباب على الشراب . ثم إنى برىء من التخت والتاج إن طالبت أحدا من الرعية بالخراج . وإن يكن أبى أوسعكم جورا[3] وظلما فهأنا موســعكم إحسانا وعدلا . فطيبوا قلوبكم عليــه فلعل الله يهب له ذنوبه ويخرجه من ناره الى جنته . قال : فأثنى عند ذلك عليه السامعون، ودعا له الأمراء الحاضرون، وسألوا الله ثبات ملكه ودوام دولته .

ثم قام الوزير وقال : أيها الملك ! إن العالم قد خلا ممن ينازع فى الملك، وقد دخل الملوك تحت الطاعة سوى شنكُل ملك الهند فإنه يعيث فى بلاد الهند الى حدود الصين . وإذا كنت ملك الأرض فلأى معنى يطلب هو خراج الصيــن ؟ فلينظر الملك فى هــذا الأمر وليلتمس وجه التدبير فيه . فسكت ثم قال للوزير : إنى سأدبر هذا الأمر فى السر، وأكفى ما يهم منه إن شاء الله تعالى .

(١) فى الشاه : ولا تريقوا دم البقر العاملة . الخ .

(١) كو : لأحرقته بالنــار ولأصلبنه وهو أصح لغة .

(٢) كو : المزح .

(٣) صل : جوزا أو ظلما . والتصحيح من طا .

ذكر قصة شنكل ملك الهند مع بهرام جور وما انتهى اليه أمرهما

قال صاحب الكتاب : ثم إن بهرام استحضر الكاتب والوزير وخلا بهما، وكتب الى شنكل (أ) كتابا مشحونا بالعلوم والحكم . فافتتح الكتاب بحمد الله والثناء عليه وقال : الحمد لله الذى هو رب ما كان ولم يكن، الموصوف بالأحدية فى القدم، الذى خلق من كل شيء زوجين، الذى أجل(١) مواهبه للخلق وأجلاها وأظهرها عليهم وأبهاها العقل المنوه بذكر من اتصف به من الصغار والكبار فى جميع الجهات والأقطار، وأول أماراته الدالة عليه أن يكون المتصف به عن التورط فى مصارع الشر متحرزا، و بين ماله وعليه بنظره مميزا . وهو تاج على رءوس الملوك، وكالزينة(٢) على معاطف السلاطين . ثم إنك ياملك(٣) الهند! غير عارف بقدرك، متجاوز لطورك . واذا كنت أنا سلطان الزمان والمتولى للخير والشر فى جميع البلدان فتصديك لادعاء(٤) الملك يعرضك للبوار والهلك . وقد كان أبوك وجدك خادمين مستعبدين لنا ، ولم يكن أحد من أسلافنا يرضى بإبطاء خراج الهند وتأخره عن وقته المعين . وأراك قد اغتررت بشدة ظهوك فصرت تبارى البحر الزاخر بنهرك . فاعتبر بيوم الخاقان وما حل منا به . وما أراك إلا صاليا بجمره . والآن فقد نفذت اليك رسولا ذا أدب وعقل وكلام فصل . فوطن نفسك على أداء الخراج ، ولا تعص أطراف الزجاج . أو تشمر للكفاح و إشراع الأسنة والرماح . والسلام . فطوى الكاتب الكتاب(٥)، وكتب على عنوانه : من بهرام ملك العالم الى شنكل قائد جيوش الهند من أرض قنوج الى حد السند . وختمه وتجهز للصيد مظهرا أنه خارج الى بعض متصيداته كاتما سره إلا عن جماعة من ثقاته . وتوجه نحو الهند، وسار قاصدا قصد(٦) تلك البلاد الى أن وصل الى البحر فعبره ووصل الى باب شنكل فأعجبه ما رأى على بابه من الروعة والمهابة والفيلة والأسلحة . فأخبر صاحب(٧) الباب أنه رسول الملك بهرام الى تلك الحضرة . فأنهى حاله الى شنكل فرفعت الحجب دونه فى الحال . فدخل فرأى دارا عتبتها من البلور، وحيطانها من الذهب والفضة، مرصعة بالجواهر . ورأى دون التخت أخا الملك على رأسه قلنسوة مرصعة بالجوهر، وعنده الوزير، وعلى رأسهما المماليك والخدم . ثم رأى شنكل قاعدا على تخت من الذهب قوائمه من البلور . فدنا وقبل الأرض ومثل قائما زمانا طويلا . ثم قال بلسان ذلق فى مضمار البيان منطلق : إنى رسول ملك العالم بهرام الى ملك الهند . ومعى منه اليه كتاب محرر على الحرير بالخط الفهلوى . فلما سمع باسم بهرام

(أ) اسمه فى الطبرى : شبرمة . وفى الغرر : شنكلت .

(١) كو : ومن أجل . (٢) كو : وزينة . (٣) كو : ياصاحب الهند . (٤) صل : لأعداء والتصحيح من طا ، كو، طر . (٥) طر : وختمه . (٦) طا ، طر : قاصدا نحو . (٧) طا ، كو ، طر : حاجب الباب .

أمر فنصبوا له كرسيا من الذهب وأجلسوه عليه وأمر حاجب بابه بإدخال أصحابه . قال : فلما استوى على الكرسى شرع فى وصف بهرام وتفخيم شأنه وتعظيم أمره . فطلب شنكل منه كتابه فأعطاه إياه . فلما قرئ عليه تمر واستشاط وقال : أيها الرجل الفصيح ! إن صاحبك يدل علينا بملكه فيسومنا أداء الخراج اليه . ومن يستطيع أن يطالب الخراج من الهند؟ إن الملوك كاللقالق وأنا بينهم كالعقاب . وهم كالتراب وأنا البحر ذو العباب . إن لى تحت الأرض من الكنوز ما إن مفاتيحه لتنوء بالفيلة، ولى من الجنود ما لا يستقل بهم ظهر الأرض حتى إنهم يزيدون على ألف ألف . ومعى بحار اللآلئ وجبال الجواهر . وحوالىّ وفى خدمتى سبعون ملكا هم أرباب المناطق وأصحاب الأطواق . و إن الأكابر من حدّ قنّوج الى حدّ إيران الى أرض الصين وسقلاب كلهم عبدة بابى، وأسراء أمرى ونهيى . ووراء ستورى ابنة بغبور ملك الصين، ولى منها ولد يشق قلب الأسد فى العرين . ولو قتل أحد من الملوك أحدا من الرسل لأبنت الساعة رأسك من جسدك، ونقعت غلة الأرض من دمك . فقال الرسول : أيها الملك ! خفض غليك . إن سلطانى أمرنى أن أقول لك : إن كنت عاقلا فلا تعدل عن طريق السداد، واختر مائة فارس من آساد فرسانك وأعيان قوادك . فان استطاعوا مقاومة فارس واحد من رجالى فمالى معك كلام ولا بينى و بينك خصام . و إن كان غير ذلك فلا تلو رأسك عن الطاعة، والتزم الخراج لمن هو أعلى منك جلالة ونباهة . فقال له شنكل : انزل واسترح ساعة . فأنزلوه فى إيوان يليق بمثله . فلما انتصف النهار وجلس شنكل للطعام استحضر الرسول فجاء وجلس مجلس الرسل من السماط . فلما طعموا جلسوا مجلس الشراب . فلما دارت الكؤوس وطابت النفوس أمر شنكل مصارعين قويين أن يتصارعا بين يديه . فأخذا يتصارعان لا يغلب أحدهما الآخر . فلما رأى ذلك بهرام وقد دار فى رأسه السكر قام وخدم واستأذن الملك فى مصارعتهما . فضحك وأذن له فوثب وتجرّد وشدّ عليه الأزرار[1] فأنشب براثنه فى أحد المتصارعين ورفعه فى الهواء ثم ضرب به الأرض حتى تكسر فقار ظهره . فتعجب شنكل من ذلك وسمى الله تعالى بلسانه . ثم دخل الليل وانصرفوا[2] . ولما كان الغد ركب الى الميدان فحضر[3] الرسول وأخذوا فى المراماة فتناول بهرام قوسه ورمى البرجاس فرماه برمية واحدة الى الأرض . قال : فلما رأى شنكل تلك القوّة والبسالة والشدّة استراب به فقال له : ما أراك إلا أخا بهرام . فان معك روعة الملوك وقوّة الأسود . فقال : يا ملك الهند ! إنى رجل أجنبى، من أرض ايران فكيف يحل لك أن تنسبنى الى من لا يجمع بينى و بينه نسب؟ فأذن لى فى الانصراف حتى لا أتعرّض لسخط الملك بهرام . فقال له شنكل : لا تعجل فإن لنا بعد معك كلاما . ثم إنه

(١٦٣)

(١) طا، كو : الإزار . (٢) طا، طر : وانصرفوا الى أماكنهم . كو : الى منازلهم .
(٣) كو : وأحضر الرسول .

خلا بوزيره وقال له : إن لم يكن هـذا الرجل من أقارب بهرام وليس إلا فارسا من فرسانه فاحتل عليه واخدعه عن معاودة تلك البلاد، وعده منا بكل جميل فلعلك تصرفه عن الانصراف . فانا نجعله سالار جنودنا وبهلوان جيوشنا فنبلغ به كل مأمول، وندرك به كل مطلوب . فاجتمع به الوزير وفاوضه فيما أشار به عليه الملك، وأخذ يفتل منه فى الذروة والغارب، و يعارض عقله بالنفث فى عقد سحره . فقال له بهرام : إنه عز المرام . ومعاذ الله أن أصرف وجهى عن ملك ايران طامعا فى مال أو طامحا الى منال، وإن كان حالى بسبب[1] الفقر بحال . وغير هذا هو السائغ فى ديننا والموافق لرسمنا وآيينا . فإن كل من يزوى وجهه عن خدمة مالكه فهو عادل عن مناهج دينه ومسالكه . وأيضا فإنه لا يخفى عليك أن بهرام إن بلغه[2] ذلك عنى اغتاظ وقصد هـذه الممالك فخربها ولم يبق منها أثرا . فالأولى بى وبكم أن أنصرف اليـه . فبلغ هـذا الجواب الى شنكل وحصّل لى إذنا فى الانصراف . فانصرف الدستور، وسرد جواب بهرام على صاحبه . فعظم ذلك عليه وقال : سأدبر[3] أمرا يعقل ظل هذا الرجل الشجاع (أ) ويخفى عليه . قال : وكان فى بعض غياض قنوج كركدن عظيم كاد يسدّ بطوله وعظمه على الرياح طريق الهبوب، هائل يفرّ منه الأسد فى الخيس، و يخشاه النسر الطائر فى الجو . وكانت[4] الهنود من هـذا الحيوان فى تعب وعناء عظيم . فقال لبهرام : إنى أريد أن تكفى أهل هذه البلاد شر هـذا الحيوان . واذا فعلت ذلك فقد أسديت الينا يدا لا تنسى أبدا . فقال بهرام : دلونى عليـه فانى اذا رأيتـه كفيتكم شره بحول الله وقوته . فعين له شنكل من يدله على الكركدن . فركب بهرام فيمن كان معه من أصحابه ، وتقدّمهم حتى انتهوا الى تلك الغيضة . فلما رأى الايرانيون ذلك الحيوان العظيم أشاروا على بهرام بألا يعرّض نفسه للهلاك، وينصرف عنه و يتمسك عند شنكل ببعض المعاذير . فلم يقبل ووتر قوسه وبادر اليـه ورشقه بالسهام حتى أضعفه واستل[5] خنجره وقطع رأسـه مستعينا بالله وحده . فأمر بأن يحمل رأسه على العجل الى ميدان شنكل . فانصرف وقد طنت أرجاء المدينة بما تيسر على يد بهرام من قتل ذلك الشيطان الصائل والثعبان الهائل . فدخل على شنكل فأثنى عليـه الملوك والأمراء ، وشنكل مسرور من وجه مهموم من آخر . فخلا بأصحابه وقال : قد أخذتنى الفكرة بسبب هذا الرسول . فإنه اذا عاد الى بلاد ايران لم نسلم من عاديته ومعرته . ولو أقام عندنا لاتخذناه لنا ظهيرا ونصيرا ، وجعلناه بهلوانا كبيرا . وقد أفكرت البارحة فى أمره فرأيت أن آمره بقتل الثعبان الفلانى — وكان فى تلك الناحية ثعبان كان يأوى تارة الى البحر وآونة الى البر، أعظم ما يكون من

(أ) فى الشاه : أدبر أمرا ينهى أيام هذا البطل .

(١) كو : من مضض الفقر . (٢) طا ، طر : اذا . (٣) طا ، كو : وقال انى سأدبر .

(٤) طا ، كو ، طر : وقد كانت . (٥) طا ، طر : فاستل .

الثعابين . وبلغ من ضراوته أنه كان يلتهم الزندبيل[١] — قال : واذا تصدّى لمقاتلة هذا الثعبان أهلكه لا محالة ، وبلغت الغرض فيه من غير أن أذم بقتل رسول عند الملوك . ثم استحضر بهرام وقال معه فى حديث الرجولية والشجاعة والبسالة . ثم قال : إن الله تعالى إنما جاء بك الى هـذه الديار لتخلص أهلها من الشر . وقد بقى أمر آخر أعظم من الأول . واذا كفيتنا ذلك فلك أن تثنى عنانك ، وترجع إلى بلادك مشكورا عالى الاسم . فقـال : إنى ممتثل لأمرك غير خارج عن حكمك . فذكر له حال ذلك الثعبان وما يعانيـه الناس من أذيته . وسأله أن يقصده فيكفيهم شره ، وينفى عن أرض[٢] الهند معرته وضره . فتقبل ذلك وسأل أن ينفذ معـه من يدله على مكانه . فركب فى فرسانه الثلاثين الذين صحبوه من إيران ، والدليل يقـدمهم حتى انتهوا الى الساحل . فرأى ذلك الثعبان وعظمه ، وشاهد تغيظه وتنمره ، ورأى حدقتيه تستعران استعار الجحيم . فضج الايرانيون عند ذلك وقالوا : أيها الملك ! لا تلق بيـدك إلى التهلكه ، وأبق على الملك والمملكة . فلم يقبل وتشمر كأسد أصبح للبديه نافضا(أ) ، وقال الله خير حافظا . ووترقوسه ، وانتخب عدّة سهام مسقية النصال باللبن والسم ، وأقبل على الثعبان فرشقه بتلك السهام حتى خاط ما بين فكيه . ثم رمى رأسـه بأربعة أسهم أخر فغرقها فيه الى أفواقها . فأفرغ الثعبان بحرا من الدم والسم على ساحل ذلك الخضم . ولما رآه قد أثخنه بالجراح استل السيف وبادره وضربه حتى أبان رأسـه . فأمر فحمل على العجل الى ميـدان الملك فانتشرت البشائر والتهانى فى الهنود لمقتله ، وأطلقوا ألسنتهم بالدعاء والثناء للرسول[٣] ومرسله . وشنكل يتهلل تارة مظهرا للسرور ، ويستهل آونة مضمرا للهموم . فاستشار وزيره وأصحاب رأيه فى اغتياله حتى يسلم من شره وضره فلم يستصوبوا رأيه ، ومنعوه من ذلك ، وأشاروا عليـه بأن يزيد فى الإحسان اليه والإفضال عليه مجازاة له على حسن صنيعه وجميل فعله . فبات تلك الليلة ساهرا يفكر فى أمره . فلما أصبح وحضره برزويَه أى بهرام[٤] ، وكان قد تسمى عندهم بهذا الاسم ، خلا به فى مجلس لم يحضره وزير ولا دستور ، وأخذ يلاطفه ويخادعه ويسأله أن يقيم عنده على أنه يخيره بين بناته ويزوجه منهن من أراد[٥] ويملكه البـلاد ، فلم يزل به حتى أجاب ، وقال فى نفسه : لا عار فى مصاهرة ملك الهند . ولعلى أنجو بهذه الحبالة من هـذه البلاد وأعاود بلاد الفرس سالما . فقد وقعت معه وقوع الأسد الأغلب بحيلة الثعلب(ب) . قال : فزين شنكل بناته الثلاث وأمر فأقعدت

(أ) يظهر أن المترجم أراد أن يسجع بين نافضا (مع لفظ الضاد كالظاء) وحافظا . فصاغ العبارة هذه الصيغة الركيكة .

(ب) فى فارس نامه : أن بهرام قصد بلاد الهند غازيا فصالحه ملك الهند وزوجه ابنته الخ .

(١) كو : الفيل العظيم . (٢) أهل الهند . (٣) كو : بالثناء والدعاء للرسول .

(٤) فى حاشية الأصل هنا : ذكر تغيير اسمه . (٥) فى حاشية الأصل هنا : عرض ملك الهند بناته لبهرام .

كل واحدة منهن فى زينتها وحَليها وحُللها فى إيوان . فدخل بهرام عليهن واختار منهن واحدة كالروضة الناضرة تسمى سبينوذ . فزوّجه شنكُل إياها بعد أن أعطاها كنزا وافر الوفر مملوءا بالمال الدثر . ثم أحضر أصحاب بهرام (الذين كانوا فى خدمته من ايران، وفرق عليهم أموالا كثيرة وجواهر نفيسة)[1] ثم أمر فزين إيوانه المرصع بالجواهر، ودعا أكابر قنّوج وعمل دعوة عظيمة، وأقام أسبوعا على جملة السرور والمراح ، وتمازج بهرام وصاحبته تمازج صفو الماء والراح ، وتغلغل حب كل منهما فى قلب صاحبه لا سيما ابنة الملك فانها اتخذت وجه بهرام مرآة تطالعها سرّا وجهارا ، وتبكى من فرط شغفها[2] ليلا ونهارا .

(١٦٤)

قال : فاتفق أنهما اجتمعا ذات يوم فى بعض مجالسهما فتجاذبا أطراف الحديث فقال لها بهرام : إنى أعلم أنك لى محبة ناصحة . وإنى مفض اليك بسر فكونى له كاتمة ؛ إنى عازم على مفارقة بلاد الهند، وأريد أن توافقينى على ذلك لأحملك الى تلك الممالك . فان أمرى هنالك أعلى وأرفع، وملكى ثَم أفسح وأوسع . وستصيرين سيدة النساء حتى يصير أبوك من خدمك ، ويقبل مواطئ قدمك . فقالت له : أيها السيد الهمام ! امض لما رأيت فانى لا أخالفك . وخير النساء من كان زوجها عنها راضيا، وحكمه فيها ماضيا . وأنا برية من حبك إن خرجت عن أمرك . فأشار عليها بهرام عند ذلك بالاحتيال فى الفرار . فقالت : سأدبر ذلك إن ساعدتنى السعادة . اعلم أنه جرت العادة بخروج الهنود الى متعبد لهم لزيارة أصنام فيه . وهو على عشرين فرسخا من هذه المدينة . فاذا صار الملك الى ذلك المتعبد فانتهز الفرصة إن عزمت . وقد بقى الى خروج الملك اليه خمسة أيام . قال : ففرح بهرام بذلك . ولما أصبح من غده ركب على عزم الصيد فجاء الى الساحل فرأى جماعة من تجار فارس فخلفهم وأفضى اليهم بسره، وواطأهم على أن يخرج ويركب بأصحابه سفنهم ومراكبهم[3]، ووعدهم ومناهم . ثم عاد الى إيوانه مستعيذا بالله تعالى منه[4] . فلما دنا عيد الهنود واستعد الملك للخروج تمارض بهرام فصارت زوجته الى أبيها وقالت : إنه مريض وهو يعتذر اليك عن تأخره عن خدمتك . فقبل عذره وقال : اذا كان به عارض فالأولى أن يلازم بيته ولا يتعب نفسه . وركب شنكُل خارجا الى ذلك الهيكل . فلما جن الليل قال بهرام لصاحبته : هذا أوان النجاء فاعزمى . فركب فى أصحابه وركبت هى معه . وتوجهوا نحو الساحل طردا حتى اذا صاروا اليه صادفوا التجار نياما فأيقظوهم ثم وثبوا الى السفن والزواريق فركبوا وتم لهم العبور الى ذلك الجانب . قال : فانتهى الخبر

(١) ما بين القوسين من طا ، كو ، طر . (٢) طا ، كو : شغفها به . (٣) طا : ومراكبهم ويعبرو وعدهم .
(٤) طا ، طر : تعالى ومستعينا منه .

بذلك إلى شنكُل فانصرف فى سرعة الريح وركب آثار القـوم حتى انتهى الى الساحل فركب بمن صحبـه البحر، وعبر الى البر[1] فصادف بهرام مع ابنته فى أصحابه فصاح عليهـا من بعيد وشتمها وعيرها بانخداعها لزوجها . فقال بهرام : مالك تركض خلفى وقد جربتنى ؟ أما تعلم أن مائة ألف من الهنود عندى أقل من فارس فرد ؟ فانى[2] إذا كنت فى ثلاثين فارسا من آساد فارس يكون[3] جميع الهنود لنا فرائس . فعلم شنكل أنه لا يطيق مقاومته فدخل معه من باب آخر، وجعل يعاتبه ويعيره ويقول : إنى آثرتك بولدى وقرة عينى على جميع الأجانب والأقارب، وجعلتك مثـل سمعى وبصرى فعاملتنى بالجفاء ولم أعاملك إلا بالوفاء . ولكن ماذا أقول لك وهذه التى هى ولدى ، وكنت أحسبها عاقلتى قد خرجت علىّ فارسا شجاعا حتى كأنها قد صارت شهريارا مطاعا ؟ غيرأن الفارسى لا يقول بالوفاء . فقال بهرام : مالك تعيرنى وهل عارٌ فى أن يراجع الإنسان وطنه، ويعاود أهله وسكنه؟ ثم قال: ألا إنى شاهَنشاه إيران . ولست ترى منى بعد هذا إلا الجميل والاحسان . ولأتخذنك والدا ، ولا أكلفك خراجا أبدا . وأصير ابنتك سيدة النساء فى تلك الأقطار والمخصوصة فيهـا بالشرف والفخار . فقضى شنكل العجب من تلك الحال، ورمى عن رأسه[4] الشارة الهندية،وخرج من بين أصحابه وركض إلى بهرام فنزل[5] واعتنقه واعتذر إليه . فأفضى بهرام اليه بسره وأخبره بما قد جرى ذكره فى مجلسه ، وأنه السبب الذى حمله على مشاهدة أمره بنفسه . ثم إنه أمر باحضار الشراب ،واجتمعا معا على الشرب ثم تعـاهدا على المصـادقة والمصافاة والمظاهرة والموالاة . ثم ودع كل واحد منهما صاحبه وأخذ فى طريقه . ثم إنه انتهى الخبر إلى ايران بإقبال بهرام فنثروا على المبشرين النثارات وعقدوا القباب والآذنيات لجمع يزدجرد بن بهرام العسكر، وخرج مع عمه نرسى وموبذ الموبذان فاستقبلوه . فعاد بهرام الى إيوانه ومستقر عزه وسلطانه، وأقام ينهى ويأمر ويعطى ويمنع .

ثم إن شنكل قدم عليه بعد مدّة من الزمان لزيارة ابنته فى ملوك الهنـد وهيآتهم الرائعة[6] فاستقبله بهرام وتلقاه الى النهروان، ودخل به الى إيوانه على جملة الإعظام والإكرام . فمدّوا سماطا ممتـدا الى غلوة سهم . فلما طعموا[7] تحولوا الى مجلس الشراب فتعجب شنكل من حسن مجلسه ورونق ملكه وبهائه . ثم إنه استأذن فى الدخول على ابنته فتقدّمه الخدم فدخل عليهـا فصادفها فى إيوانها قاعدة على تخت العاج معتصبة بالتاج فسربهـا وبسعادتها بزوجها[8] . ثم عاد الى مجلس بهـرام واندفع معه

(١) طا، كو، طر : الى ذلك البر . (٢) طا، طر : وإنى . كو : فارجع وراءك فانى .

(٣) كو : لجميع الهنود . (٤) طا، طر : عن نفسه . (٥) طا، كو : فنزل اليه .

(٦) طا، طر : الرائعة الرائقة كو : فيولهم الرائعة وهيآتهم الرائقة . (٧) صل : تطعموا . والتصحيح من طا .

(٨) طا، كو، طر : فى زوجها .

فى الشرب . ولما ثمل قام الى موضع هيئ له لنومه . ولما أصبح ركب بهرام معه وخرج به الى الصيد ، ثم لما عاد دخل على ابنته وكتب لبهرام عهدا على ممالك الهند ، وفوض اليه فيه ملكها من بعده ، وجعله وارث كنوزها وقائد جنودها (١) (أ) . ثم أقام فى ضيافة بهرام شهرين فعزم على معاودة بلاده . فقدّم اليه بهرام من الذهب والفضة والجوهر وسائر النفائس والذخائر والخيل والأسلحة ما خرج عن حدّ الحصر . وأكرم كل من صحبه من الملوك على تفاوت طبقاتهم واختلاف مراتبهم بأنواع من المبارّ والصلات . فارتحل شنكل ، وشيعه بهرام ثلاث مراحل ثم ودعه وانصرف بعد أن أمر بإعداد العلوفات والنفقات لجنوده ولمن معه فى سائر طريقه الى حدّ الهند .

قال صاحب الكتاب : ثم إن بهرام أخذته الفكرة فى عاقبة أمره وانتهاء عمره . وكان قد أخبره المنجمون أنه يملك ثلاث عشرينات من السنين ، وفى عشر السبعين يكون انتهاء أمره وانقراض عمره . فقال حين أخبر بذلك : آخذ فى اللهو واللعب عشرين سنة ، وفى العشرين الثانى أشتغل بعمارة العالم وإسداء النعم والإحسان الى الرعية . وفى العشرين الثالثة أقوم بين يدى ربى واشتغل بعبادته وأسأله هدايتى . فأمر عند انتهائه الى هذا المنتهى أن يحصى الموجود فى خزائنه من الأموال والجواهر والثياب وسائر الأمتعة والأقمشة . فاشتغل كتّاب الخزائن وحفظتها والقوام بها بوزنها وإحصائها يفرغون وسعهم وطاقتهم حتى فرغوا من ذلك فى مدة مديدة . فأعلموا الوزير فحضر عند الملك وقال : إن خزائنك تحتوى على نفقتك ونفقة عساكرك وجنودك وحاشيتك وخدمك وسائر ما يحتاج اليه من الصلات والخلع وسائر ما تهديه الى الملوك من الهدايا والتحف وغير ذلك مدة ثلاث وعشرين سنة .



فقال بهرام : إنا قد نظرنا فوجدنا الدنيا لا تعدو أياما ثلاثة وهى اليوم وأمسه وغده . فأمس قد مضى ، والغد لم يأت بعد ، وليس فى اليد سوى اليوم . فينبغى أن ننتهز الفرصة فيه . والأولى بنا أن نخفف عن الرعية . فأسقط خراج الدنيا وأمر بألا يطالب فى جميع ممالكه أحد بكلفة ولا مؤونة ففرق الموابذة والثقات فى جميع أقطارها ، وأمرهم ألا يخلوا أحدا يمس أحدا بسوء ، وأنهم إن حدث حادث أنهوه إليه . قال : فمضت على ذلك مدّة وارتفعت الكلف من الناس فاستغنوا فطغوا فأخذوا فى سفك الدماء . فأعلموا الملك بذلك فأمر حينئذ بوضع ديوان الخراج ستة أشهر فى كل سنة وبأن تقام حدود الله تعالى على من سفك دما أو جنى جناية وخرج (٢) فى كل إقليم ثقة من ثقاته . فمضت على ذلك مدّة أخرى من الزمان . ثم إنه كتب إلى أصحاب أخباره وثقاته على بلاده ورعيته وقال : أخبرونى هل يجرى فى الممالك شىء يضر بالملك؟ فكتبوا إليه وقالوا : أيها الملك !

(أ) فى الطبرى والغرر وفارس نامه : أنه أعطاه الديبل ومكران وما يليها من أرض السند .

(١) طا ، طر : وقائد جيوشها . (٢) طا ، طر : وجرد لذلك . كو : وندب لذلك

قد بطل الحرث والزرع ، وفسدت الأراضى بسبب ذلك . فكتب[1] إلى كل واحد منهم كتابا يأمره فيه بإلزام الرعية الحرث والزرع ، ومن لم يكن له بالحراثة والزراعة يدان فليعاون من حاصل الديوان وأموال السلطان حتى تنتظم أحوالهم وتصلح أمورهم ، وإن أصاب أرضا جائحة سماوية فليعوّض أربابها ما كان يرجى منها حصوله لهم ، من حاصل الخزانة . فانتظمت أمور الممالك ، واتسقت ودرّت أخلاف الخيرات وتحفلت . ومضت على ذلك مدّة أخرى من الزمان . ثم كتب إليهم الملك وقال : أخبرونى عن أحوال الرعيـة حتى إذا وقفنا على خلل فى أمورهم تلافيناه وتداركناه . فكتبوا وقالوا : قد انتظمت أمور العالم ، واستوسقت أحوال الرعيـة ، وعمت العمارة جميع البلاد ، وشمل الأمن والراحة جميع العباد سوى أن أهل الثروة إذا حضروا مجالس الأنس والطرب يلبسون أكاليل الورد والريحان ، ويشربون على أصوات القيان وأغاريد المسمعات الحسان . ومن عداهم من المقلين يشربون بلا غناء ، وهم من ذلك فى تعب وعناء . فضحك بهرام من ذلك فكتب إلى شنكُل ملك الهند رسالة أن ينتخب[2] من الهنود ألفى نفس من الذكور والإناث ، من المخصوصين بحسن الصوت وجودة الصنعة فى الغناء ، وينفذهم إليه . فامتثل شنكل أمره ونفذهم[3] إليه . فلما حصلوا عند بهرام أمر بأن يعطى كل واحد منهم بقرة وحمارا ، وفرّق عليهم ألف حمل من القمح برسم البذر ، وفرّقهم فى القرى والضياع ليزرعوا ويحرثوا ويغنّوا فقراءها بغير أجرة ولا كلفة ، فلما حصل البذر فى أيديهم أكلوه ، وذبحوا البقر ، وحملوا رحالهم على الحُمُر وتفرّقوا فى البـلاد ، واشتغلوا بالتلصص والانتهـاب والتخطف ، وتناسلوا . وهم إلى الآن موجودون فى أقطار الأرض ذات الطول والعرض . وهم جيل يسمّون[4] اللورية ، وهم الزط والعشرية (ا) ولهم انتشار فى كل صوب .

قال : ثم إن بهرام بقى على[5] ذلك على تخت الملك وسرير السلطنـة ينهى ويأمر إلى أن مضت له ثلاث وستون سنة . فجاءه الخازن وأعلمه بخلو الخزائن وعدم وجود النفقات . فبات تلك الليلة متفكرا . ولما أصبح جلس على تخته وحضرته الملوك والأمراء والقوّاد فاستدعى ولده يزدجرد ، وعهد إليـه وأعطاه التاج والتخت ، واعتزل وعزم على التخلى للطاعة والعبادة . ولما أمسى من ليلته ونام فى فراشه قضى نحبه ومضى لسبيله ساترا وجهه بطرف لحافه ولم يعلم بموته أحد (ب) . فلما أصبحوا

(ا) هم الذين يسمون فى مصر الغجر . ويرى الأستاذ نلدكه أن جلب بهرام إياهم من الهند أمر تاريخى (ورنر ، ج٧ ص ٦) .

(ب) الذى فى أكثر الكتب أن بهرام كان يطارد يعفورا فصادف وحلا كثيرا وبئرا عميقة فوقع فيها . وجاءت أمه فأمرت بإخراج ما فى البئر فأخرجوا طينا كثيرا ولم يعثروا على بهرام .

(١) طا ، طر : فكتب الملك . (٢) طا ، طر : ينتخب له . (٣) كو : فامتثل شنكل أمره ولما حصلوا الخ .

(٤) كو : يسمون فى بلاد الفرس ، اللورية ، وفى بلاد العرب الزط والعشرية . (٥) طر : كذلك .

واستبطئوا قيامه جاءه ولده يزدجرد فألقى عنه حاشية لحافه فصادفه ميتا. وكذا كانت الأيام وكذا تكون. فلا يكن منك اليها سكون ولا ركون . إن الحجارة والحديد ليفزعان من الموت ، و ينزعجان لهذا الصوت . فعليك بالعدل والاحسان و إفاضة الأمن والأمان إن أردت السلامة من عذاب القيامة .

ذكر نوبة يزدجرد بن بهرام جور، وكانت مدة ملكه ثمانى عشرة سنة

§ قال صاحب الكتاب : ثم جلس مجلس أبيه من تخت السلطنة وعقد التاج على رأسه وحضرته الأشراف والعلماء والأكابر فدعوا له وأثنوا عليه وهنّئوه بالملك فوعظهم ونصحهم ووعدهم من نفسه بما يعود بصلاحهم وصلاح بلادهم وملازمة طريق العدل، والاتصاف بسيرة الإنصاف فأقام على ذلك ضابطا لأمور الدنيا وملازما للطريقة المثلى والعادة الحسنى حتى مضت من ملكه ثمانى عشرة سنة فطلعت طلائع انصرام مدّته وأحس بقرب أجله فأحضر الأمراء والأعيان والأكابر والعلماء وقال : إنى قد عهدت إلى ولدى هُرمز فامتثلوا أمره ولا تنقضوا عهده. و إن ولدى فيروز و إن كان أكبر منه سنا وأشدّ منه بأسا وأوفر منه روعة وأبهة فقد آثرت هرمز عليه وخصصته دونه بالملك لكونه موصوفا بالرفق والسكون والثبات والعقل. فهو بسبب ذلك أحرى بالملك وأجدر وأرفق لكم وأوفق. ثم عاش أسبوعا آخر ومات وكأن لم يغن بالأمس . ولا بد للحى من حلول الرمس . سواء أمات بعد المائة أو العشر أو الخمس . وكل ما يدخل تحت العدّ والإحصاء فالأولى ألا يطلق عليه اسم البقاء.



---

§ ملك (٤٣٨ — ٤٥٧ م) وكان يلقب "نرم" أى اللين، و يلقب "سپاه دوست" أى محب الجيش[١] . وكان عهده مليئا بالخطوب العظام؛ بدأ عهده بمحاربة الروم و إكراههم على صلح يؤدّون فيه جزية، ثم ثنى بمحاربة الهون والهياطلة فكانت وقائع من سنة ٤٤٣ الى سنة ٤٥١ م .

وكانت فتن داخل المملكة؛ ففى أرمينية حرب بين النصارى وغيرهم انتهت بهزيمة المحاربين من المسيحيين وجلائهم، وكانت فتن أخرى فى الجزيرة، وقد ذبح فى كركا (كركوك) آلاف من المسيحيين يحتفل بذكرى شهادتهم حتى اليوم فى كركوك[٢] .

ولكن نصيبه من القصص قليل . وليس له فى الشاهنامه إلا ستة وعشرون بيتا .

---

(١) انظر الطبرى، ومروج الذهب، والإشراف، وتاريخ حمزة، وفارس نامه، والآثار الباقية .

(٢) سيكس (Sykes) ج ١ ص ٤٥٣

ثم ملك هرمز بن يزدجرد بن بهرام جور، وكانت ولايته سنة واحدة

§ قال: فلما تسنم هرمز سرير السلطنة اغتاظ فيروز وغار، وأنجد فى الاحتيال عليه وغار. وكان كوكب سعادته قد غار. فقصد ملك الهياطلة والتجأ اليه، وكان ملكا كبيرا ذا قوة عظيمة وشوكة قوية. فسأله إعانته و إمداده بعسكره. فالتزم له ذلك بشرط أن يعطيه ترمذ وواشجرد فأجابه الى ذلك، وعاهده على الوفا بعد تمكنه من الملك. فأمده بثلاثين ألف مقاتل من الهياطلة. فأقبل فيروز من خراسان عازما على قتال أخيه فالتقوا على ظاهر الرى، وكسر فيروزُ هرمزد، وأسره. ثم إنه لما وقعت عينه عليه، ورآه تحت ذل الأسر تحركت بنات قلبه فرق له، وأمر بإركابه فدنا منه وصافحه وعانقه وردّه الى إيوانه على أن يكون فى خدمة أخيه متقيدا بتحرى رضاه وتوخيه، مذعنا لطاعته راضيا بسلطنته.

---

§ لما مات يزدجرد تملك ابنه هرمز وكان حاضرا موت أبيه وكان فيروز فى سجستان. فثار به أخوه فيروز وغلبه وولى الملك. وأكثر الكتب العربية والفارسية على أن فيروز لجأ الى ملك الهياطلة فأمده بجيش، وأن فيروز كان أحق بالملك اذ كان الأخ الأكبر. وكان ملك هرمز زهاء سنتين (٤٥٧ — ٤٥٩م) ويسقطه بعض الكتاب من سلسلة الساسانيين[١].

وتختلف الروايات فيما فعله فيروز بأخيه حين ظفر به؛ يقول بعض الرواة أنه عفا عنه. وأكثرهم يروون أنه قتله.

وقد ملك فيروز غير منازع خمسة وعشرين عاما (٤٥٩ — ٤٨٤م) وكان يلقب "مردانه" أى الشجاع[٢].

وقصة هرمز فى الشاهنامه عشرون بيتا. وقصة فيروز ١٤١ بيتا فيها هذه العناوين:

(١) جلوس پيروز على التخت وقحط سبع سنين فى أرض ايران. (٢) حرب پيروز والتورانيين. (٣) كتاب خوشنواز الى پيروز. (٤) سقوط پيروز فى حفرة وموته.

---

(١) انظر جداول الساسانيين فى الآثار الباقية. (٢) الآثار.

ذكر نوبة فيروز بن يزدجرد بن بهرام جُور . وكانت مدّة ملكه ثمانى سنين وأربعـــة أشهر

قال : فقعد فيروز على رأســه تاج السلطنة ، وحضرته الأكابر والأمراء والموابذة والعلماء . فقال : إنى أسأل الله تعالى أن يطيل لى العمر حتى أقيم الناس فى مراتبهم حتى يُرى الصغير صغيرا والكبير كبيرا . إن رأس الإنسانية أن يكون الرجل حليما ، ومن كان خفيف الرأس فلن يزال ذليلا . وإن عماد العقل هو العــدل والإحسان ، وكل ملك حرم العقل لا يطول على ملكه الزمان . ثم إنه قام بالملك يسوس الناس ويرجّيهم الخير ويخوّفهم البأس . وبعد سنة من ملكه انسدت أبواب السماء ، وجفت ضروع الأنداء . واستمرت تلك الأزمة السنة الثانية والثالثة والرابعة . فأسقط الملك خراج الأرض ، وأمر باطلاق نفقات الرعية من أهرائه الخاصة فى جميع الممالك . وبث الكتب فى الأطراف يذكر فيها أنه إن رفع اليــه أن أحدا مات من الجوع فى مدينة أوضيعة خرب تلك المدينة والضيعة ، وعاقب أهلها أشدّ العقوبة حتى يقوم الغنىّ بكفالة الفقير فيعيش المقلّون فى كفالة المثرين .

وقال غير صاحب الكتاب : فساس فيروز على هذه الجملة رعيته فى تلك اللزبة الشديدة والمجاعة الطويلة سياسة لم يعطب معها من الجوع[١] سوى واحد من أهل أردشير خُرّه يدعى رنه[٢] .

قال صاحب الكتاب : فتمادت المجاعة سبع سنين فأمر فيروز بخروج الناس للاستسقاء فخرجوا وابتهلوا الى الله تعالى ، وضجوا اليــه بالبكاء ، ورفعوا أيديهم بالدعاء . فلما دخل فصــل النيروز من السنة الثـامنة أغاثهم الله بغيوث أحيت العباد والبــلاد . فأخصب مَرادهم ، واتصلت من السماء أمدادهم ، وطلعت الأنوار والأزهار ، وأعشبت الحدائق ، ورفعت أقداحها الشقائق ، وتفجرت الينابيع من الأرض ، ولمعت قوس قزح من الجو كما قيل :

وقد لمعت قوس السماء بأخضر   على أصـفر فى أحمر إثر مبيضّ

كأذيال خود أقبلت فى غلائل   مصبغة والبعض أقصر من بعض

قلت : ورأيت فى بعض الكتب أنه لمـا فاضت عليهـم السماء وسال المـاء استبشروا بذلك وصبوا المـاء على رءوسهم . فبقى بينهم ذلك الرسم الى الآن . وهو عيد صب المـاء المشهور المذكور فى الكتب .

(١) طا ، كو : من الجوع أحد سوى رجل واحد .
(٢) طر : برنا و .

قال : ولما خلص فيروز من ضيق تلك الأزمة الشديدة أمر فبنوا له مدينة وسماها فيروز وهى التى نسميها أردبيل[١]، وبنى مدينة أخرى وسماها باذان فيروز ، وهى مدينة عند الرى . فلما فرغ من ذلك جمع العساكر وفرّق عليهم الأموال والذخائر، وتجهز لقتال ملك الترك المسمى خوش نواز § . فجعل أخاه هُرمزد على[٢] مقدّمة جيشه ، وجعل ابنه قباذ على ساقته ، وأقام ابنا له آخر يسمى بلاش مقام نفسه من سرير السلطنة، وتركه فى دار ملكه ، وجعل وزارته الى رجل من أهل شيراز يسمى سوفزاى (١) موصوف بالعقل والرأى والصرامة والذكاء . ثم سار وتوغل بلاد الترك . فلما انتهى الى الميل الذى نصبه بهرام جور فاصلا بين المملكتين لئلا يتجاوزه أحد من كلا الجانبين قال: إنى لا أرضى بهذه القسمة، ولا أبنى هذا الميل إلا على وادى برك[٣] — وهو دون الشاش — ولابدّ أن أتوغل بلاد الترك . فلما انتهى الخبر بذلك الى خوش نواز بن الخاقان أرسل اليه يقول: إن جدّك بهرام كان أفخم منك أمرا وأعظم قدرا ، ولم يكن فى ملوك إيران مثله فى الروعة والجلالة والشهامة والصرامة . وقد رضى بهذه القسمة العادلة بين المملكتين، وهذا عهده معنا . والأولى بك ألا تغير قاعدة أسسها هو من قبلك ، ولا تستمر على غلوائك وجهلك ، ولا تستبد فى ذلك برأيك . فإنك اذا فعلت ذلك اضطررت إلى جر العساكر لقتالك والتشمر للقائك . فأعذر[٤] وأنذر . فاغتاظ فيروز واستشاط

---

§ كسفت الشمس قبيل سير فيروز لحرب الهياطلة ، ولعل الناس تشاءموا بهذا فوهنوا . وفى الطبرى روايات مختلفة عن هذه الحرب بعضها يقارب ما فى الشاهنامه . وبعضها يحدث بأن الجيش الفارسى ضل فى الصحارى بخديعة الهياطلة فهلك كثير منه واضطر فيروز الى المصالحة والرجوع . ثم عاود الحرب وعبر الخندق الذى حفره ملك الهياطلة على قناطر نصب عليها رايات ولكنه هزم فارتد الى الخندق بعيدا عن القناطر وسقط فيه .

والذى يرويه التاريخ عن هذه الوقائع أن فيروز حارب الهياطلة فهُزم وصالح على شروط منها أن يزوّج إحدى بناته من ملك الهياطلة . ثم أرسل اليه أمة فلما تبين الأمر غضب وأرسل الى فيروز أن أمدنى بطائفة من قوادك ليعاونونى فى حرب فأرسل اليه ثلاثمائة فقتل معظمهم ومثل ببعضهم =

(١) فى نسخة مول : سرخاب، وفى ورنر : سرخان . ويذكر بعدُ فيهما بعد باسم سوفراى . ويسميه الطبرى والثعالبى سوخرا . وأظن هذه الصيغ المختلفة قراءات مختلفة لهذا الاسم فى الخط الفهلوى والعربى .

(١) طا، طر : يسميها الناس . (٢) كلمة "على" من طر، كو .

(٣) فى كو، الشاه — نسخة مول، وترجمة ورنر : ترك . (٤) طا، كو : وأعذر وأنذر .

لما سمع من رسالته، وقال: إن بهرام كان ينتهى أمره الى وادى برك . وأنا لا أرضى إلا بالاستيلاء إلى ذلك الحد. فعاد الرسول وبلّغ الى ابن خاقان جواب فيروز. فجمع العساكر وتجهز لقتاله، وأخرج عهد بهرام للخاقان الأكبر على أن يكون جيحون فاصلا بين المملكتين. فشدّه على رأس رمح وقدّمه أمام عسكره . ولما قرب من فيروز نفذ اليه رسولا آخر يخوّفه عاقبة غدره، ويحذره مخالفة عهد جدّه . فلم ينجع اليه شىء من ذلك، وقال : إن عبر ابن الخاقان من نهر الشاش قدر شبر فليس بينى و بينه غير السيف . فعاد الرسول الى ابن الخاقان و بلغه كلام فيروز . فابتهل إلى الله وتضرع اليه وعرض عجزه وظلم فيروز له عليه . فساق عسكره من باب سمرقند . وأمر فحفروا دون العسكر حفيرة عميقة مثل خندق، وغطوا رأسها بالتراب . فوصل فيروز، واصطف الفريقان، وتقابل[1] الجمعان فتقدّم فيروز بجموعه وحمل عليه فارتطم فى الحفيرة مع أخيه هرمز ، وولده قباذ، وجماعة من أمرائه وخواصه وقوّاده وملوك بلاده . فساق ابن الخاقان إلى رأس الحفيرة فصادف ثمانيـة من الملوك قد ارتطموا فيها وهلكوا ولم يسلم[2] غير قباذ بن فيروز فأخرجوه وقيدوه وسلسلوه . وحمل على الايرانيين فقتل بعضهم وأسر بعضهم، وغنم أسلحتهم وأموالهم، وعاد بالظفر الى بلاده .

وانتهى الخبر الى بلاش بهلاك أبيـه وعمه فنزل عن تختـه ، ووضع التراب على رأسـه ، وقعد فى عزاء أبيـه . فعمت[3] تلك المصيبة أهل تلك الممالك، واستعظموا الرزء واستفظعوا الخطب . فلما فرغ بلاش من العـزاء ، وكان قعوده لذلك شهرا ، حضرته الأمراء والقوّاد وموبذ الموبذان فوعظوه ونصحوه وأقعدوه على تخت الملك، وعقدوا على رأسه تاج السلطنة .

= وردّهم الى فيروز. ثم سار فيروز لحرب الهياطلة. وعسكر عند مدينة جرجان ثم أغار عليهم فتظاهروا بالانهزام واستدرجوه الى واد عميق مشجر ثم سدّوا عليه المدخل ثم صالحوه على سلم دائم وأن يسجد فيروز تحية لملك الهياطلة .

عاد فيروز إلى الحرب ليغسل هـذا العار — وكان قد حالف أعداءه على ألا يجاوز ميلا نصب على الحـدود فأراد أن يتحلل من عهده فقلع الميل و. زّه أمامه . وسار مشرقا نحو بلخ وتخلف عنه بعض جنده وفاء بالعهد، وتقدّم فيروز حتى وقع فى خندق خفىّ ومات، كما فى الشاهنامه[4] .

(١) طا : وتقاتل . (٢) طا، طر : يسلم منهم . (٣) كو : وعمت

(٤) انظر سيكس (Sykes) ج ١ .

ذكر نوبة بلاش بن فيروز بن يزدجرد بن بهـــرام جُور وكانت مدّة ملكه أربع سنين §

قال صاحب الكتاب : ولمـا تسنم بلاش سرير الملك تكلم على الحاضرين من الأكابر والقـوّاد بكلام حسن ، ووعدهم من نفسه بكل خير ثم وعظهم ونصحهم . فأثنوا عليه ودعوا له ، وتعجبوا من حسن عبارته وكمال عقله ووفور فضله وعلمه. قال: وكان سوفزاى الشيرازى المذكور مرزبان زابلستان وغزنة وبُست فأتاه خبر وقعة فيروز وهو بتلك الناحية فمزق على نفسه ثيابه البهلوانيـة ، وأفاض على خدّه دموعه الأرجوانية. وقعد مع أكابر زابلستان فى مجلس العزاء حفاة حاسرين . وعلم أن بلاش لايقدر على طلب الثار والانتقام لأبيه فخرج فى مائة ألف مقاتل، بعد أن فرق عليهم أموالا كثيرة. وكتب الى بلاش كتاب تعزية وذكر فيه خروجه لطلب ثأر فيروز . قال: وهأنا سائر الى قتال ابن الخاقان عن إذنك. وأرسل اليه رسولا بالكتاب، وتوجه نحو بلاد خراسان. فلما وصل الى مرو كتب الى ابن الخاقان كتابا مشحونا بالتهديد والوعيد يعيره و يعنفه فيه على إقدامه على مقاتلة فيروز، وتجاسره على محاربته، و يوبخه على تركه سلوك سبيل الخضوع والضراعة معه تقيلا بأبيه وجده فى الانقياد

§ بلاش الذى يعرف عند الأوربيين باسم ڤُلوجسس (Vologeses) أيضا ملك أربع سـنين (٤٨٤ — ٤٨٨ م) . وكان كيزدجرد الأثيم ، مسالمـا مؤثرا للعافيـة يحبه النصـارى من رعاياه و يكرهه المجوس . وكانت المملكة فى عهده مستكينة بما أصابها على أيدى الهياطلة، وأدّت إليهم الجزية نحو سنتين، وكأن حرب الانتقام من الهياطلة التى قادها سوفزاى اختراع القصاص ليغسلوا هذا العار عن شرف الايرانيين . والظاهر أن الذى استطاعه سوفزاى معاهدة العدو على المسالمة . والشاهنامه تنهى الحرب بعد موقعة واحدة بالمسالمة [١] .

ومن آثاره بناء مدينة بلاشاباذ (ساباط) ومدينتان عند حلوان ومرو كل منهما تسمى بلاشكرد. وتختلف الروايات فى نهاية أمره، أخلع وقتل أم بقى ملكا إلى أن مات [٢] .

وقصة بلاش فى الشاهنامه ١٧٣ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) نصح بلاش الايرانيين . (٢) كتاب سوفزاى الى خوشنواز . (٣) حرب سوفزاى وخوشنواز . (٤) رجوع قباد إلى إيران .

(١) انظر سيكس، وورنر، والغرر. (٢) انظر الأخبار الطوال، والغرر، وورنر الخ .

لبهرام والدخول تحت طاعته. ونفذ الكتاب على يد[1] رسول موصوف بالذكاء والعقل. فلما وصل الرسول اليه ووقف على الكتاب انكسر قلبه، وامتلأ بالرعب صدره، وأجاب عن كتابه وقال: إن فيروز لما خالف عهد الملوك الماضين حل به ما حل. وأرسلت اليه رسولين ووعظته ونصحته فما انزجر ولا اتعظ حتى أورده ذلك — الموردَ الوبيل. وأما أنت فإن عزمت على مقاتلتنا فاعلم أن ذاك الحسام بعد فى يد ذاك القاتل، وأن ذاك السنان فى رأس ذاك العامل، ولم ينقص من ذلك العدد الدهم أحد. وهأنا لقتالك محتشد. فلما عاد الرسول بهذا الجواب اليه جر عساكره وسار الى كُشميهَن. ثم عبر الماء بجموعه وجنوده. وانتهى الخبر بذلك الى خُشنواز بن الخاقان فتلقاه فى عساكره الى بيكند. وتدانى ما بين الفريقين فبث كل واحد منهما الطلائع وباتوا ليلتهم على تعبئة وتهيئة. ولما تبلج الصبح التقى الفريقان فجرت وقعة عظيمة تنصبت فيها آكام عظيمة من جثث قتلى الجانبين. ثم طلعت للايرانيين طلائع الظفر، وانهزم ابن الخاقان، وخلف وراءه الخيل والحشم والأموال والأسلحة. فنزل سوفزاى[2] وقال لأصحابه: قد جرى اليوم أمر الحرب على وفق ما أردناه. ولا بد لنا غدا من اتباع العدو والطلب بثأر الملك فيروز الذى طل دمه. فأصفق الأمراء والأكابر على ذلك، وأعدّوا واستعدوا للركوب. ولما أصبحوا أتاهم رسول خشنواز يطلب الصلح ويقول: إن فيروز أورد نفسه موارد الهلكة حين نقض العهد ومال الى الحنظل وترك الشهد. والآن ليس من الصواب سفك دماء العباد وتخريب البلاد. والأصلح أن نجنح للسلم. ونحن نرد عليكم جميع ما غنمناه فى وقعة فيروز مع جميع المأسورين فنرجع الى العادة الحسنى والطريقة المثلى، ويكون ما دون جيحون لكم وما وراءه لنا، ونتراضى بقسمة الملك السعيد بهرام، ولا نجاوز ذلك. فلما سمع سوفزاى هذه الرسالة استحضر أصحابه وجمعهم فى سرادقه وأشار على الرسول بأن يعيد تلك الرسالة عليهم. ففعل الرسول وبلغهم مقالة خشنواز. ثم خلا بهم سوفزاى وقال: الرأى أن نجيبهم إلى الصلح ونخلص من أيديهم قباذ بن فيروز، وموبذ الموبذان أردشير، وسائر الأسرى مع ذخائر فيروز وخيله وأسلحته التى هى فى أيديهم الآن. فإنا إن ألححنا عليهم بالقتال خفنا على قباذ والموبذ أن يقدموا على قتلهما. وعند ذلك يفدح الأمر ويجل الخطب. ولا سبيل الى استدراك الفائت. فأثنى عليه الحاضرون وقالوا: هذا هو الرأى المبين[3] والدين القويم. فاتفقوا على ذلك. فاستحضر الرسول ولاينه فى الخطاب وقال: لا شك أن واقعة فيروز كانت أمرا محتوما وقدرا مقدورا. ونحن الآن نوافقكم على ما جنحتم اليه من السلم على أن تطلقوا لنا قباذ وموبذ الموبذان وسائر من عندكم من الأسارى مع خزائن فيروز. واذا فعلتم ذلك

---

(١) صل: على رسول. والتصحيح من طا. وفى طر: على يد رجل. (٢) طر: سوفراى. (٣) كو: المتين.

انصرفنا بعد عشرة أيام، وعبرنا جيحون . ثم بعد ذلك لا ندوس ما وراءه أصلا . فعاد الرسول بجوابه الى خُشنواز فسر بذلك، ورفع القيد عن رجل قباذ وأطلقه مع أردشير موبذ الموبذان ، فى جميع الأسارى فنفذهم وجميع خزائن فيروز مع رسول محتشم من كبار أصحابه الى مخيم سوفزاى . فلما رأى العسكر وجه قباذ مع الموبذ كادوا يطيرون من الفرح والسرور فرموا الخيم فى الحال وارتحلوا وعبروا جيحون . فأتى الخبر فارس بظفر سوفزاى وخلاص قباذ مع موبذ الموبذان وسائر الأسارى فاستبشروا[1] واستقبلوه . فأمر بلاش بنصب تخت من الفضة فى إيوان قباذ ليجلس عند قدومه عليه. فلما وصل أدخله[2] الى إيوانه مع سوفزاى . فمدوا السماط وطعموا ثم جلسوا فى مجلس الأنس على جملة اللهو والطرب غير أن صفو عيشهم ذلك كان مرنقا بقرب عهدهم بحادثة فيروز . وطفق المغنون يزمزمون على أوتار المزاهر بألحان تشتمل على وصف وقعة الترك ، وظفر البهلوان بهم، وإنقاذ ابن الملك من أيديهم .

واستعلى أمر سوفزاى فاستبد بالأمر والنهى، والحل والعقد، والبسط والقبض، والإبرام والنقض، وصار لا يدانيه أحد فى تلك الدولة ولا يساجله وإن كان يملأ الدلو الى عقد الكرب . فبقى كذلك الى أربع سنين مضت من ملك بلاش فقال له : إنك لا تحسن شغل السلطنة[3] ، ولست تطلع على أسرار الملك؛ تحسبها نوعا من اللهو واللعب . وأخوك قباذ أعرف منك بدقائق هذا الأمر وغوامضه . وهو أقدر منك على القيام بمراسم الملك . فاضطر بلاش الى ملازمة بيته وخلع نفسه (ا) فصار الأمر لقباذ، وتوجه من اصطخر نحو بغداد .

٣٩ — ذكر نوبة قُباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جُور وكانت مدّة ملكه أربعين سنة (ب) §

قال صاحب الكتاب : لما جلس قباذ على تخت السلطنة قال للناس : إن طريقكم إلىّ مفتوح بالليل والنهار . فلا تسبلوا ستور الكتمان على وجوه الأسرار . وكل ملك زين لسانه بصدق المقال

---

§ من أعظم الملوك الساسانيين . ملك ثلاثا وأربعين سنة (٤٨٨ — ٥٣١ م) بدأها بمحاربة الخزر فهزمهم ثم شغل بمحاربة الهياطلة عشر سنين (٥٠٣ — ٥١٣ م) حتى خضد شوكتهم فلم يخش=

(ا) فى بعض الروايات أنه خلع وأعمى وفى بعضها أنه بقى ملكا حتى مات . انظر الأخبار الطوال وفارس نامه وورنر، ج ٧

(ب) اذا لم يحسب فى ملك قباذ المدة التى ولى فيها جاماسب (٤٩٨ - ٥٠١ م) كانت مدته أربعين سنة كما هنا .

(١) كلمة "فاستبشروا" من طا ، كو . وفى طر : بظفر سوفزاى فاستبشروا الخ . (٢) صل : طا ، طر : أدخله به . والتصحيح من كو . (٣) كو : أمر السلطة .

فهو المخصوص بالإعظام والإجلال . ومهما كان متكلما بغير السداد تعرض للنزاع والعناد . واذا طهر قلبه عن[١] الداء الدفين والحقد القديم نظرته الأصاغر والأكابر بعين التمكين والتقديم . إن الحلم عماد العقل[٢] وإن النزق مادة الذل[٣] . ومن عرف عيب نفسه فواجب عليه أن يسكت عن عيب غيره . ثم قال : سارعوا الى عمل الخيرات ، ولا تفنوا أعماركم بالسيئات . فحمده الحاضرون وأثنوا عليه ، ونثروا الجوهر على تاجه . وكانت سنه عند جلوسه على تخت السلطنة ست عشرة سنة . وكان ناقص الحظ من الملك . فان أمور العالم كانت موكولة الى رأى

= الايرانيون شرهم من بعد . وحارب الروم مرتين : الأولى استمرت سنتين (٥٠٣ — ٥٠٥ م). والثانية سبع سنوات (٥٢٤ — ٥٣١ م) ولم يقفها إلا موت قباذ . وكانت الحرب بين الفريقين سجالا .

وكان بين الفرس والصين سفارات فى عهد قباذ حفظ التاريخ الصينى أخبارها[٤] .

وسيرة قباذ فى المزدكية معروفة لا تحتاج الى تبيين . وميله الى هذا المذهب على علاته يشهد بما فى نفسه من حب المؤاساة بين الناس .

وتنسب الزوايات الى قباذ عمارة مدائن كثيرة . منها حلوان وأرجان وقباذ خُرّه وبهقباذ ، ولكن يظهر أنه لم ينشئ هذه المدن كلها بل سمى بعض المدن القديمة بأسماء جديدة[٥] .

ثم قصة قباذ فى الشاهنامه ٤٠٦ بيت فيها من العناوين : (١) جلوس قباذ على العرش ونصحه الملأ . (٢) تحريض الايرانيين قباذ على سوفراى ، وقتله إياه . (٣) حبس الايرانيين قباذ ، واجلاس جاماسب أخيه على العرش . (٤) هرب قباذ والتجاؤه الى الهياطلة . (٥) رجوع قباذ من عند الهياطلة وولادة كسرى أنو شروان ، وجلوس قباذ على العرش . (٦) دخول قباذ فى دين مزدك . (٧) أخذ كسرى مزدك وقتله . (٨) تولية قباذ كسرى العهد وتسميه الكبراء إياه " نوشين روان " . (٩) الشاعر يشكو الشيخوخة .

(١) طر : من الداء . (٢) طا ، طر : القلب . (٣) كو : عماد الجهل .

(٤) سيكس (Sykes) ج ١ ص ٤٤٧ (٥) انظر الغرر : ص ٥٤٤ ، وتاريخ حمزة ، والأخبار الطوال ، والطبرى ج ٢ ، ص ٨٨٧ ، وفارس نامه ، وورنر ، ج ٧ ص ١٨٧

سوفزای § وكان مستبدًا بنفسه مستقلا بالإيراد والإصدار غير ملتفت اليه ولا محتفل به . وكان لا يمكن أحدا من الموابذة والوزراء من الدخول عليه . ولم يزل الحال على هذه الجملة الى أن استكمل قباذ من سنه ثلاثا وعشرين سنة . فدخل عليه سوفزای ذات يوم واستأذنه فى معاودة شيراز ومطالعة أسبابه بها . فأذن له فتوجه اليها فى جميع أصحابه . ولما حصل فيها دانت له ممالك فارس ، ودخل أهلها تحت رقه . فأقام مُدِلا بأنه هو[1] الذى ملك قباذ ، وقرر عليه السلطنة ظانا أنه لا يتجاسر أحد[2] يذكره بسوء أو يقبح صورته . وجعل يطلب الخراج من كل صاحب إقليم ، وتبسط فى الممالك من كل جانب . فأنهوا ذلك الى قباذ ، وتحدث الناس بأنه ليس لقباذ من الملك والمملكة والتاج والتخت غير الاسم ، وأنه لا يطاع أمره ولا يسمع[3] قوله . وجعلت أصحاب أسرار قباذ وخواصه يكثرون ذكر هذا النوع فى حضرته ، ويقبحون صورة سوفزای فى عينه ، ويعيرونه بتغافله فى أمره ، وإهماله لقوانين الملك ، وإخلاله بشرائط السياسة ، وأن ذلك أورث استقلال سوفزای بملك فارس حتى استعبد رجالها واستصفى أموالها . وما زالوا يقرعون سمعه بهذا الكلام حتى امتلأ قلبه وجاش صدره . فقال ذات

---

§ سوفزای الذى يسميه الطبرى سوخرا هو الذى خلص قباذ من أسر الهياطلة ، كما تقدم . والذى يرويه التاريخ أن سوفزای أيد قباذ حين خلعه الناس لمتابعته مزدك . فلما عاد قباذ الى عرشه مكن سوفزای من أمور الدولة حتى كانت الفتنة بينهما . فلم يثر الناس على قباذ من أجل سوفزای كما فى الشاه ، بل من أجل مزدك . والذى نصر قباذ وقت المحنة هو سوفزای نفسه لا ابنه زرمهر كما تروى الشاه . ويرى نلدكه أن سوفزای أو سوخرا لقب أسرة وأن الذى يذكر فى الكتب باسم زرمهر هو الذى يذكر باسم سوخرا . وكأن الشاهنامه خلطت بين ثورة الناس على المزدكية وغضب الملك على سوفزای وقتله . فلما وضع مقتل سوفزای قبل وقته كان لا بد من أن يكون نصير قباذ فى محنته غير سوفزای فجعل زرمهر ابنا لسوفزای . ويؤيد هذا ما يرويه الطبرى أن زرمهر قاتل المزدكية وأعاد قباذ الى الملك ثم حرض المزدكية قباذ عليه فقتله . وهذا ما يرويه التاريخ عن سوفزای نفسه .

وسابور الرازى من أسرة مهران ، كما يقول الطبرى . وهى أسرة أشكانية كانت ذات جاه أيام الساسانيين . ويروى الطبرى أنه حينما سجن سوخرا قال الناس : "نقصت ريح سوخرا وهبت لمهران ريح" وذهب ذلك مثلا . ويستنتج الأستاذ نلدكه من هذا المثل أن سوخرا اسم أسرة . ذلك بأن المثل قابل سوخرا بمهران . و"مهران" اسم أسرة فينبغى أن يكون "سوخرا" كذلك .

---

(١) طا ، طر : هو ملك . (٢) كو ، طا ، طر : أن يذكره . (٣) طا ، طر : له قوله .

يوم: إنى إن أظهرت معاداته عظم الخطب وأعضل الداء. ومالى فى إيران من يطيق مقاومته، ويقدر على أن يفل حدّه ويكف عاديته . فقال له بعض أصحاب رأيه: لا يشتغل[١] قلبك أيها الملك من هذه الجهة. فإن لك مماليك يطاولون الأفلاك فيطولونها، ويغالبون الآساد فيغلبونها . منهم سابور الرازى . فإنه اذا تحرك من مكانه تمزق قلب سوفزاى من هيبته . فتمكن هذا الحديث فى قلب قباذ ورأى الاستظهار بسابور — مخالفة للعقل وانقيادا للجهل . فأرسل فارسا الى الرى ليستنهض سابور ويستقدمه اليه وهو ببغداد . فطار الرسول بجناح الطرد والركض الى الرى، وأعلم سابور بالأمر فافتر ضاحكا من الفرح، واستبشر بتغير رأى الملك على الفارسى . فإنه كان أعدى عدوّ له فى السر والعلن . فامتثل أمر الملك وأقبل فى عساكره الى حضرته . فلما وصل إليه[٢] دخل عليه فأكرمه واحترمه وأجلسه على تخت الفيروزج عنده . فأبثه قباذ شكواه، وشرح له ما بلى به من استيلاء الفارسى على ملكه، وقلة احتفاله به . فقال سابور : لا تشغلن سرك بهذا واكتب اليه كتابا مشحونا بالإيعاد والتهديد . فإنى أحمله اليه ولا أتركه أن[٣] يغمض عينيه حتى أقيد يديه ورجليه وأحمله الى حضرتك . فاستحضر الكاتب وأمره أن يكتب على تلك الصفة كتابا ففعل . وجمع سابور العسكر وسار متوجها نحو فارس . فلما علم سوفزاى بقدومه ركب فى جموعه، واستقبله واعتنق كل واحد منهما صاحبه . ثم إن سابور أعطاه كتاب الملك . فلما قرأه ذبل عوده، وغاض نشاطه، وتفلل حدّه . فقال له سابور : إن الملك قد تأذى منك وأمر بأن تحمل مقيدا اليه . فقال سوفزاى : إن الملك يعلم حسن صنيعى معه وما تحملت من المكاره له حتى خلصته من الأسر . وكم من يدلى عنده وعند أكابر ايران ! فإن كان جزائى من الملك أن ينفذك الىّ ويأمرك بأن تقيد يدىّ ورجلىّ فامض لما أمرت فانه لاعار من قيد الملك علىّ . فقيده سابور وحمله الى حضرة الملك . فلما وصل أمر بحبسه، وسجنه ونفذ الى شيراز من حمل جميع ما هنالك من الكنوز والأموال والذخائر الى طيسفون . قال : وتردّدت الرسل بين سوفزاى وبين الموابذة بعد أسبوع من محبسه . فخلا بقباذ بعض أصحاب رأيه وقال : إن جميع أهل طيسفون، من الأمراء والعامة والدهاقنة يميلون الى سوفزاى، ويرون معاضدته . فان توانى الملك فى أمره وأبقاه خرج الأمر من يده . والأولى قتل العدو الكاشح، وإرغام أنف الحسود الفاسق . فأمر قباذ بإهلاكه فى حبسه . فلما قتل وشاع خبر قتله[٤] فى الناس عظم عليهم ذلك فثارت فتنة عظيمة، وجاشت العامة وهجموا على قباذ، وقتلوا جميع من كان عنده من الذين تعاونوا على قتل سوفزاى . ثم

(١) طا، طر : لا تشتغل . (٢) طا، طر : فلما وصل دخل . (٣) كو : ولا أتركه يغمض
(٤) طر : خبر إهلاكه .

قبضوا على قباذ وقيدوه وسلسلوه . وأخرجوا أخا له صغيرا يسمى جاماسب (١) وبايعوه وقلدوه الأمر ، وأقعدوه مقعد أخيه من الملك . وكان لسوفزاى ابن موصوف بالعقل والذكاء مشهور بالتؤدة والتأنى يسمى زرمهر . فسلموا قباذ اليه ليقتص منه لأبيه . فلم يفعل زرمهر ذلك ، وجعل يكرم قباذ ويخدمه . فتعجب قباذ من حسن أدبه وكرم خلقه فأخذ يعتذر اليه عما بدر منه فى حق أبيه ، وينسب ذلك الى حسدته وأعاديه . وقال له : إن خلصتنى من هذا الحبس اتخذتك صاحبا ووزيرا وحاكما ودستورا . فقال له : اذا عاهدتنى ووثقت بك رفعت القيد عنك . فعاهده وسأله أن يحضره خمسة أنفس عيّنهم من أصحابه وحفظة أسراره . فأحضرهم ورفع القيد عنه . فخرج مع زرمهر وهؤلاء الخمسة ، وتوجهوا نحو بلاد الهياطلة . فلما وصلوا الى الأهواز نزلوا فى دار[١] دهقان منها . وكانت لهذا الدهقان بنت كالزبرقان أجمل ما يكون من النساء صورة وشكلا وملاحة وظرفا ، فرآها قباذ وعشقها فخلا بزرمهر وأفضى اليه بسره ، وسأله أن يخاطب أباها فى أن يزوّجه إياها . فسعى زرمهر فى ذلك ، وخطبها الى الدهقان لقباذ ، ووعده ومناه ، ولم يزل به حتى أجابه الى ذلك فزوّجه إياها . فبنى بها الملك وبقى عندها سبع ليال وأعطاها خاتما فيه فص له قيمة . وخرج وتوجه نحو مقصده .

قلت : ذكر حمزة الأصفهانى[٢] فى تاريخ أصفهان أن قباذ لما خلص من الحبس خرج من طريق فارس على قصد بلاد خراسان فوصل الى قرية أردستان (ب) وهى على ثلاث مراحل من أصبهان ، فغلبته شهوة الجماع بحيث لا يصبر عنه فقال : انظروا هل فى هذه الضيعة بنت ذات جمال وأصل شريف . ففتشوا له عن أوسط أهل تلك القرية حالا وأشرفهم نسبا فوجدوا دهقانا كريم الأصل شريف النسب . وكانت له بنت فى غاية الحسن ، فزوجها من قباذ فبنى بها وحملت منه كسرى أنوشروان فسار قباذ لوجهه . فوضعت البنت ابنا وسماه أبوها كسرى فترعرع وشب . ولما عاد قباذ مظفرا منصورا بعد أربع سنين أركب الدهقان كسرى فى أربعين صبيا من أولاد رؤساء تلك الضيعة الذين كانوا فى خدمته ، وتلقى بهم قباذ . ثم إن قباذ أذن فى أن يبنى لكل واحد من هؤلاء الصبيان

---

(١) فى الطبرى أن ملك جاماسب ست سنين والحق أنه ملك (٤٩٨ — ٥٠١ م) . وفى تاريخ حمزة أنه لم يعدّ ملكا اذ كان ملكه فى فتنة المزدكية .

(ب) فى الغرر : أنها أسفرائين من كور نيسابور . وفى الأخبار الطوال أنها قرية فى حدّ الأهواز وأصبهان . وفى بعض روايات الطبرى أنها أبرشهر .

(١) طا ، طر : نزلوا فى قرية فى دار دهقان منها . (٢) كو : الأصبهانى فى تاريخ أصبهان .

فى تلك القرية قصر رفيع ، إظهارا لشرفهم ونخرهم . فبنوا تلك القصور . قال حمزة : وآثار بعض تلك القصور باقية الى الآن فى قرية أردستان (أ) .

قال الفردوسى رحمه الله : فوصل قباذ الى ملك الهياطلة فاستمده على أهل ايران فأمده بثلاثين ألف مقاتل . فسار فيهم عائدا الى بلاده . فلما انتهى الى قرية الدهقان أتته البشارة بالابن الذى ولدته ابنة الدهقان . فسر بذلك ، ودخل دار الدهقان . فلما رأى الصبى سأله عن أصله ونسبه . فقال : إن نسبي ينتهى الى الملك أفريذون (ب) الذى انتزع الملك بالسيف من بيت الضحاك . فضحك قباذ واستبشر به . فأمر بأن تحمل زوجته معه فى العمارية ، وساق العسكر حتى وصل الى طيسفون وهو موغر الصدر متنمر على الايرانيين . فاجتمعت أمراؤهم ، وعلموا أنهم لا يطيقون مقاومة قباذ فاستقبلوه خاضعين ضارعين ، واعتذروا اليه واستقالوه العثرة . فعفا عنهم وصفح عن أخيه جاماسب . ودخل الى إيوان الملك ، وتسنم سرير السلطنة ، ومثل أخوه بين يديه فى جميع الملوك والأمراء .

ثم أقام على سرير السلطنة نافذ الأمر حتى رتب أمور إيران ، ونظم أسباب ممالكها . وغزا الروم(ج) وملك بلادها ، وبنى فيها بيوت النار وأظهر فيها المجوسية . ثم عاد وبنى المدائن معرّس الملوك ومبوأ السلاطين ، وبنى مدينة أخرى عظيمة وسماها أرز وهى التى تسمى حلوان (د) .

ذكر خروج مزدك فى عهد قباذ

قال : واتصل بقباذ رجل فصيح اللسان غزير العلم ذو رأى وعقل يسمى مزدك . فقبله قباذ وأقبل عليه حتى اتخذه دستورا وخازنا . فاتفق أن أصاب الناس فى ذلك العهد لزبة[1] شديدة احتبس فيها القطر وهلك الزرع . فاجتمع أكابر ايران على باب قباذ ، وضجوا مما هم فيه من الضيق والشدّة وعدم الأقوات . فقال لهم مزدك : إن الملك سيزيل ظلامتكم ويحقق طلبتكم . ودخل على الملك وقال : إنى مسائلك[2] عن مسألة فأجبنى عنها . فقال : هاتها . فقال : ماذا تقول فى رجل معه جملة من الترياق المجرّب ، وعنده رجل قد لدغته[3] الحية وهو على شرف الموت وصاحب الترياق يمنعه عنه ،

(أ) انظر الروايات المختلفة فى فارس نامه . وانظر معجم البلدان : أردستان .

(ب) المعروف فى التاريخ أن أم كسرى أخت أحد القوّاد الكبار .

(ج) كان لقباذ مع الروم وقائع كثيرة — انظر مقدّمة هذا الفصل .

(د) أنظر المدن التى بناها قباذ فى مقدّمة هذا الفصل .

(١) طا ، طر ، كو : أزمة . (٢) طا ، كو : سائلك . (٣) طا ، طر : لذعته .

ويضن به عليه ويدعه حتى يموت ؟ قال(١) الملك : إن صاحب الترياق مأخوذ بدم هذا اللديغ ، وينبغى أن يقتل به . فقام مزدك وخرج وقال للتظلمين : إنى فاوضت الملك فى أمركم فانصرفوا الآن، وعاودوا الدركاه غدا . قال : فانصرفوا وعادوا بكرة، كما سبق الوعد . فدخل مزدك على الملك ودعا له وأثنى عليه ثم قال : قد أجبتنى أمس عن مسألتى . وأريد الآن أن تجيبنى عن مسألة أخرى أسألك عنها . فقال : سل . فقال مزدك : ماذا تقول فيمن حبس رجلا وقيده ومنعه الطعام والشراب حتى مات؟ فقال : هذا المسكين متقلد دم لم يسفكه . فخرج مزدك عند ذلك وقال لمن حضر الباب من المتظلمين : إن الملك قد أباحكم ما فى الأهراء من الغلات فابسطوا أيديكم، وأينما وجدتم منها شيئا فاستبيحوه . ففعلوا ذلك وطنت المدينة ، وماجت العامة الذين أخرجتهم المجاعة، وانتهبت غلات السلطان وغيره . فأنهى الى الملك ذلك وأخبر بأن مزدك هو الذى رخص لهم فى ذلك . فآستحضره وسأله عن السبب الحامل له على ذلك . فقال : إن الجائع هو اللديغ والطعام هو الترياق . وقد أباح الملك دم صاحب الترياق اذا لم يتدارك حشاشة اللديغ المشرف على الموت . وقد رأيت الناس يموتون جوعا ولا خبر عند أرباب الغلات المدّخرة من ذلك . فأبحتهم إياها على مقتضى حكم الملك وقوله . فسكت قباذ . وآستعلى أمر مزدك ، وطالت باعه، وكثرت أشياعه وأتباعه . وخالف الأنبياء فى مللهم ، وباين العلماء فى طرقهم . وكان يقول : ينبغى أن تكون أمور العالم على السواء ، ولا يقع تفاوت فى نعم الله بين الأغنياء والفقراء ، ويكون الغنىّ كالسَدى والفقير كاللُحمة . فشرع مذهب الإباحة على هذه الصفة . ولم يزل أمره يقوى إلى أن آمن به قباذ ودخل فى دينه ، وشاع هذا المذهب فى أطراف العالم، وصار بحيث لم يتجاسر أحد على مخالفة مزدك . فاتفق أنه ذات(٢) يوم دخل على الملك وقال : إن على الباب جماعة من أهل ديننا ومتبعى ملتنا . فأذن لهم قباذ فى الدخول . فقال : إن هذا المكان ضيق لا يسعهم . فإن رأى الملك خرج لأجلهم الى الصحراء . فأمر بإخراج تخته إلى الصحراء وخرج . فاجتمع عليه نحو مائة ألف نفس من المزدكية . فقال مزدك لقباذ : اعلم أن ابنك كسرى ليس على ديننا ، ولا يليق به أن يخالف مذهب الحق . والرأى أن نأخذ خطه بمتابعتنا وترك ما هو عليه من الضلالة والجهالة . ثم قال : والذى يمنع الناس عن سلوك طريق السداد منحصر فى خمسة أشياء لا غير : وهى الغيرة والحقد والغضب والحرص والفقر . واذا قمعت هذه الأخلاق الشيطانية استقام لك طريق الحق . ومنشؤها كلها من شيئين : المال والنساء . فينبغى أن يجعلا على

(١٧٠)

(١) طا ، طر : فقال الملك . (٢) طا ، طر ، كو : دخل ذات يوم على الملك

الإباحة بين الخلق أجمعين حتى تأمن[١] الآفات الخمس . فأمر قباذ ابنه كسرى بالدخول فى دينه (فاستمهله خمسة أشهر)[٢] على أنه إن لم يظهر بطلان دينه فى هذه المدة تدين به . فرضى قباذ منه بذلك وتفرق الناس عن ذلك المجمع . فنفذ كسرى كتبه إلى بلاد فارس يستدعى العلماء فجاءه موبذ من أرض[٣] أردشير خُرّة يسمى مهراذر فى ثلاثين موبذا . وتفاوضوا عند كسرى فى حديث مزدك وما جاء به من الملة المدخولة . فكثرت بينهم المباحثات والمناظرات حتى اتضح لهم بطلان دينه، وتقرر بينهم إدحاض حجته . وأوضحوا ذلك لكسرى . فدخل على أبيه وقال : إن ظهرت حقية دين مزدك وبطلان دين زرادشت تبعتك . وإن ظهر بطلانه فينبغى لك أن تتبرأ منه وتمكننى منه ومن أتباعه حتى أرى فيهم رأيى وأنفذ فيهم حكمى . فوافقه قباذ على ذلك(ا) فأشهد[٤] به على نفسه زرمهر وجميع من حضر من العلماء والموابذة فقام كسرى إلى إيوانه . ولما أصبح ركب ومعه[٥] الموابذة ودخل على أبيه قباذ وحضر مزدك واحتفلوا للناظرة فتصدى موبذ وقال : أيها الرجل قد أتيت[٦] بدين جديد أبحت فيه النساء والأموال . ويلزم من ذلك ألا يعرف الوالد ولده ولا الولد[٧] والده، وإذا مات الإنسان لا يدرى من يرث طارفه وتالده . وإذا اختلط الناس فمن أين يعرف الكبير من الصغير والوضيع من الشريف ؟ وإذا استووا فمن يتعين للرياسة ويترشح للسياسة ؟ وأخذوا فى المناظرة والمباحثة حتى انقطع مزدك، وظهر لقباذ أنه عن حلية الدين عاطل وأن كلامه باطل ليس وراءه طائل . فرجع عن دينه وندم على تقديمه . فسلمه إلى كسرى (ب) وسلطه عليه وعلى أصحابه وقال له : إن على الباب ثلاثة آلاف نفس من رؤساء المزدكية فنكل بهم أولا ثم افعل ما شئت بمزدك ثانيا . فقبض كسرى عليهم أجمعين . وكان له ميدان[٨] واسع بقرب إيوانه . فأمر فحفروا فيه لكل واحد منهم حفيرة . فنكسوا فى تلك الحفائر وطمرت[٩] رءوسهم الى خصورهم فى التراب، وتركت أرجلهم منتصبة بادية للأبصار كأنهم غرسوا غرس الأشجار . ثم استحضر مزدك وقال له : ادخل الى

(ا) انظر فى فارس نامه الحديث بين كسرى وأبيه فى أمر المزدكية . وكان المزدكية يريدون أن يعهد قباذ إلى ابن آخر غير كسرى فلم يبلغوا مآربهم . ولا ريب أن هذا زاد حفيظة كسرى عليهم .

(ب) يؤخذ من رواية فارس نامه أن قباذ ملك كسرى وأن كسرى تولى قتل المزدكية وهو ملك . وهو مخالف لما فى الكتب الأخرى .

(١) صل . تأمن : والتصحيح من طا . كو : يأمنوا . (٢) ما بين القوسين من طا، كو، طر .
(٣) طا، طر، كو : من أردشير خرة . (٤) طا، طر : وأشهد . (٥) صل : ركب معه . والتصحيح من طا، طر، كو . (٦) طا، طر، كو : إنك قد أتيت . (٧) صل : الولد ولداه والوالد ولده . والتغيير لمتابعة طا، طر، كو، ولمراعاة السجع . (٨) كو : بستان واسع وفيه ميدان بقرب إيوانه . (٩) طا، طر : وطمت .

هذا البستان وانظر فيه الى شجر لم ير مثله ذو بصر . فدخل البستان فلما شاهد ذلك غشي عليه . فأمر به فصلب ورشق بالسهام حتى مات بل نفق، وتبدد شمل دينه بعد ما اتسق . وعاد الناس الى دينهم الأول، وأمنوا على حرمهم وأموالهم . وبقى قباذ متسربلا برداء الجمل وقد قارب أن يسمع نداء الأجل . ففرق أموالا كثيرة على الفقراء والمساكين، ونفذ جواهر وخلعا وافرة الى بيوت النار راجيا من الله تعالى أن يمحو سيئته و يغفر خطيئته . ثم إنه كتب بخطه عهدا لولده كسرى . ثم مات بعد ثمانين سنة من عمره وأربعين من ملكه . فعملوا له ناووسا ونصبوا فيه تختا من الذهب، وكفنوه بالديباج والحرير، وضمخوه بالكافور والعبير، ووضعوه عليه . ثم جلسوا للعزاء به . ولما فرغوا منه عقدوا التاج على رأس كسرى وسموه أنوشين روان (١) لجمعه بين جدة الملك وجدة الشباب واقبالهما.[(١)]

٤٠ — ذكر نوبة كسرى أنو شروان . وهو كسرى بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد ابن بهرام جور . وكانت مدة ملكه أربعا وستين سنة §

قال الفتح بن على الأصفهانى مترجم الكتاب : وفى عنفوان ملك كسرى ومقتبل سلطانه ولد سيد الأولين والآخرين، وخير الخلائق أجمعين محمد رسول رب العالمين . فتشعشعت فى أيامه تباشير صبح رسالته، وفاضت على معاطف زمانه أنوار شمس جلالته . فرزق أهله من أنو شروان ملكا فائض المعدلة مذكورا بالرأفة والمرحمة . فلا تظنن ذلك إلا من يمن نقيبة ذاك السراج الأزهر، والنور الأبهر، والذات الأطهر . الذى سال سلسال ميامنه فى شعاب الشعوب وأودية القلوب ، وجللت

---

§ كسرى أنو شروان من أعظم ملوك الساسانيين إن لم يكن أعظمهم . ملك ٤٨ سنة (٥٣١ – ٥٧٨ م). وقد أثر من أعماله فى الحرب والسلم ما أذاع صيته وأحيا ذكره. وصيته فى الكتب العربية غنى عن البيان .

وعهده فى الشاه ٤٧١١ بيتا يمكن تقسيمها الأقسام الآتية :

(١) تدبير كسرى المملكة، وتقسيمها، والحرب مع قبائل الحدود ومع الروم . (٢) ثورة نوشزاد . (٣) قصة بوزرجمهر . (٤) قصة مهبود ومسائل أخرى . (٥) جلب الشطرنج الى إيران واختراع النرد . (٦) جلب كتاب كليلة ودمنة من الهند . (٧) قصص شتى .

وسأبين فى ثنايا الفصل ما يتضمنه كل قسم من العناوين فى الشاهنامه . =

---

(١) معنى أنوشين روان (أنوشاك روبان باللغة القديمة) النفس السعيدة .

(١) طا ، طز: هذا منتهى الخبر عن ملك قباذ وأيامه . ويتلوه ترجمة ولده كسرى أنو شروان .

بركات مقدمه طلاع الخافقين من مبدأ الشروق الى موطن الغروب . فصلى الله عليه وعلى آله صلاة متواصلة الأمداد، متمادية تمادى الآباد، وسلم تسليما . وأدام أيام مولانا السلطان «الملك المعظم» ملك ملوك العرب والعجم «أبى الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب» الذى هو مهدىّ هذه الأمة عَلَماً وعلما ورجاحة وحلما، وأنو شروان عهده رأفة وعدلا وكرما وفضلا . ومدّ له فى البقاء مدّا حتى يكون الأبد معشاره، والسرمد دثاره وشعاره . ولا زالت سير الملوك الماضين بسيرته العادلية[1] منشورة، وألوية النصر ورايات الظفر على مواكب دولته ممدودة منشورة .

(١٧١) قال الفردوسى رحمه الله — بعد أن ذكر فصلا فى ذبول دوحة شبابه، وتغضن ظاهر إهابه، وأن ألف قامته بعد الشطاط والاعتدال صار كالدال، وأن عقد لآلئ أسنانه بعد الانتظام آذن بالانسلال والانحلال، لما جبل عليه الزمان من تغير الحال بعد الحال — : إن كسرى لما تسنم سرير الملك واعتصب بتاج السلطنة حضرته أكابر الدنيا قاطبة . فخطب خطبة بليغة حمد الله تعالى فيها وأثنى عليه ووعظ وذكّر، كما جرت عادتهم، بأبلغ بيان وأفصح كلام . فتعجب الحاضرون منه وقاموا وأثنوا عليه ودعوا له . ثم إنه استحضر الأكابر والعلماء وفاوضهم فى أمر الممالك . فقسم الأقاليم التى تحت أمره أقساما أربعة : فقسم منها خراسان وما يعدّ من جملتها و يضاف اليها من بلادها وجبالها . والقسم الثانى أصبهان مولد الأكابر ومنشأ الملوك والأماثل . وأدرج فى هذا القسم بلاد آذربيجان من حدّ أرمينية الى باب أردبيل . والقسم الثالث بلاد فارس والأهواز وغيرها . والقسم الرابع أرض العراق و إقليم الروم .

= وفى القسم الأوّل هذه العناوين :

(١) نصح نوشين روان رؤساء إيران . (٢) تقسيم كسرى المملكة أربعة أقسام، وترتيب الخراج . (٣) رسالة كسرى الى عماله . (٤) قصة بابك موبذ كسرى، وعرضه الجيش . (٥) عدل نوشين روان وذكاؤه . (٦) طوافه فى مملكته . (٧) عقاب اللان والبلوچيين، والكيلانيين . (٨) استغاثة المنذر العربى من عدوان قيصر الروم . (٩) كتاب نوشين روان الى قيصر، وجوابه . (١٠) قيادته الجيش لحرب قيصر الروم . (١١) استيلاؤه على قلاع فى بلاد الروم . (١٢) محاربته فرفوريوس الرومى، وأخذ قالينيوس وأنطاكية . (١٣) تعميره مدينة على مثال أنطاكية، و إسكان أسارى الروم فيها . (١٤) طلب قيصر الروم الصلح من نوشين روان .

(١) طا، طر : العادلة . كو : العادلة العادلية .

قال : وكان الملوك من قبله يأخذون من المزارع الثلث والربع . فلما ملك قباذ اقتصر على العشر . وكان فى عزمه أن ينقص منه أيضا رفقا بالرعية وتخفيفا عليهم وترفيها لهم فاخترمته المنية دون ذلك . ولما ملك كسرى أمر فمسحوا الأرض سهلها وجبلها . ووضع على كل جريب من الأرض من مزارع الحنطة والشعير درهما . ولم يأخذ شيئا مما لم يكن مزروعا . وأمر بإحصاء النخل والزيتون فوضع على كل ست نخلات درهما، وعلى كل عشرة من أصول الزيتون وغيره من الأشجار التى تبقى ثمارها عليها الى المهرجان درهما . وكل من لم يكن دهقانا وهو صاحب ثروة يؤخذ منه كل سنة عشرة دراهم فما دونها الى أربعة دراهم ، على قدر إكثار الرجل وإقلاله . وجعل ذلك منجما عليهم ثلاثة أنجم يؤدّون عند رأس كل أربعة أشهر نجما الى الديوان (أ) ثم أمر فكتب تلك الوضائع فى ثلاث نسخ . فسلم نسخة منها الى الوزير لحفظ حساب الخزانة . ودفع نسخة الى عمال الخراج ليعتمدوا عليها فى جبايتهم . وسلم نسخة الى موبذ الموبذان ، وهو قاضى القضاة ، حتى يحفظ العمال ومن يتولى الجباية عن الزيادة على المقرر . وبث الأمناء والثقات والعمال فى أقطار الممالك حتى عمرت البلاد وأخصبت واستلقى أهلها على ظهورهم أمنا ودعة . وأورد صاحب الكتاب كتابا كتبه كسرى الى الأقاليم يذكر فيه ما وضعه من الخراج وأنه إن زاد أحد على ذلك درهما لينشرنه بالمنشار، و يعذبنه عذابا يعتبر به غيره، وأمر فيه ببسط الأمن والأمان فى أكناف البر والبحر على السابلة والقاطنة وأصناف الخلائق قاطبة ، وأنهم[1] يسلكون طريق الطاعة فى أداء الخراج الموضوع سوى من أصيب زرعه بجائحة سماوية . فانه لا يتعرض له بوجه من الوجوه . وكل أرض تعطلت بموت صاحبها ولم يكن له وارث يرثها فلاتترك خرابا بل تعمر وينفق على عمارتها من الخزانة .

ذكر عرض الموبذ عساكر أنو شروان

قال صاحب الكتاب : ولم يكن فى الملوك أرباب التخوت والتيجان وملّاك الأقاليم والبلدان أعدل من أنو شروان ولا أوفر منه عقلا ولا أثقب زندا . وكان له موبذ يسمى بابك فقلده ديوان الجيش . وأمره أن يبنى على رأس الميدان قصرا رفيعا ليشرف منه على العسكر . فبنوا ذلك له[2] وفرشوه بالبسط المرصعة باللآلئ والجواهر . وجلس فيه بابك وحضرته الكتّاب والخدم . فأمر مناديا فنادى بركوب العسكر أرباب[3] الأرزاق فى عددهم وأسلحتهم . فركبت الجنود ودخلوا الى الميدان . فلما

(أ) انظر الطبرى أيضا .

(١) طا ، طو : وبأنهم . (٢) طا ، طو : له ذلك . (٣) طو : وأرباب .

شاهدهم بابك ولم ير فيهم علم كسرى أمرهم بالانصراف وركب وعاد الى منزله . ولما أصبح من الغد نادى المنادى بحضور العسكر فى الأسا ة فحضروا . فلما لم ير فيهم كسرى[1] أمرهم بالانصراف . ولما كان اليوم الثالث نادى منادى ديوان العرض بألا يتخلف منهم فارس . سواء كان شريفا أو وضيعا ، صغيرا أو كبيرا ، صاحب تاج أو صاحب سرير . فانه أمر جزم لا محاباة فيه لأحد . وليحضروا بأجمعهم فى أسلحتهم مدججين . فلما سمع كسرى ذلك ضحك واستحضر خفتانه ومغفره فركب ودخل الميدان مدججا شاكى السلاح متشمرا على حارك الفرس كالأجدل الغطريف أو أسد الغريف ، على رأسه بيضة قد غطت وجهه ، وبيده جرز ، وفى عضده قوس ، وعلى سموط سرجة وهق ، وفى وسطه سهام مغروزة . فجاء حتى عبر على بابك صاحب الديوان عارضا فروسيته عليه . فدعا له واعتذر اليه وقال : إن هذا مقام العدل ، وقد تعلمنا منك هذا النحو . ثم سأل كسرى أن يثنى عنانه ذات اليمين وذات الشمال . فثور فرسه ، وأظهر فروسيته . فتعجب المو بذ منه وسمى الله تعالى عليه . وكان عطاء كل فارس ألفا أو ألفين الى أربعة آلاف لا يجاوز هذا المقدار . فنادى منادى الديوان : إن لكمىّ الكماة ، يعنى أنو شروان ، أربعة آلاف درهم ودرهما . فزاد درهما فى رزق الملك . وكان كسرى شابا غريرا فضحك ضحكا كثيرا وقد أعجبه ما عامله به بابك . قال : ولما قام بابك من ذلك المجلس دخل عليه وقال : لا يؤاخذ الملك عبده بما صدر منه اليوم من الغلظة . فانه لم يكن عنده غير النصفة والمعدلة . فاستصوبه الملك فى ذلك وقال : إنك بما فعلت ازددت عندى قربة ومكانة . فلا تعدل أيها الرجل المتيقظ ! عن طريق الاستقامة . فدعا له المو بذ وأثنى عليه . ثم إنه لما أصبح من الغد أذن للناس إذنا عاما . فلما احتفلوا أقبل عليهم وقال : لا تستعينوا أيها الحاضرون إلا بالله وحده . فهو الهادى الى سبيل الخير ، وهو الآخذ بأيدينا فى الدارين . ثم لا يقطعكم عنا هيبة التاج والتخت . فإن الطريق الينا سهل . ولا تنصرفوا من عندنا أى وقت كان بالليل أو النهار إلا وحاجاتكم مقضية ، وحقوقكم مرعية . فانا لا نفرح إلا بالتنفيس عن المكروبين والأخذ بأيدى المظلومين . ونعوذ بالله من أن (١٧٢) يبيت أحد موجع القلب من أيدى[2] أحد من عمالنا . فانا نخاف أن يؤثر ذلك فى تغيير حالنا . فرفع الحاضرون أصواتهم بالدعاء له والثناء عليه وخرجوا . ثم صارت الدنيا بحسن رأفته وصدق شفقته كبعض الجنان المزخرفة غضارة ونضارة وحسنا وعمارة . وتناهت الأخبار بذلك الى سائر أقاليم الأرض من الهند والروم وغيرهما ، بما جدّد كسرى من قواعد العدل ومبانى الأمن ، وما حصل للخلق فى أيامه من الخصب والراحة ، وما عمهم من الدعة والرفاهية ، وأنه قد أصبح أكثر الملوك

(١) طر: علم كسرى . (٢) طا ، طر : يدي

جندا، وأثقبهم فى المعالى زندا، وأبهرهم روعة وجلالة، وأعظمهم نجدة وبسالة . فانثالت الرسل الى حضرته أرسالا متسربلين بمدارع الخضوع والضراعة، متمسكين بأهداب الانقياد والطاعة .

ثم إنه رأى أن يطوف فى ممالكه، ويشاهد أحوال رعيته . فخرج فى عساكره متوجها الى جهة خراسان. وكان له مناد يركب كل يوم فى العسكر ويأمرهم بالكف عن أذية من يمرون به فى طريقه، ويوعدهم على ذلك . فعبر على جُرجان، وسار منها الى سارية وآمُل . فوافق مقدمهم فصل الربيع فرأى هناك غياضا متأشبة، ورياضا معشبة، وبلابل فى شجرائها ساجعة، وأنوارا فى حدائقها هاجعة. فركب فرسا عربيا وصعد إلى جبل هناك فنظر من أعلى الجبل إلى مياهها وأنوارها، وشقائقها وأزهارها، وساجعات الأطيار فى عذبات أشجارها . فأعجبه ذلك وذكر الله تعالى ثم قال : ما اختار أفريذون هذا المكان لمقامه إلا لطيب هوائه وعذوبة مائه . فقال قائل : أيها الملك ! لو لم يكن هذا المكان ممر الأتراك وطريقهم لدام سرورنا، وانشرحت صدورنا بالإقامة فيه . لكنا لا نتجاسر أن نبنى هاهنا بناء لكثرة ركضاتهم وفتكاتهم إلى نواحينا، وشنهم الغارات على دوابنا ومواشينا . ولا طريق لهم اليوم من توران الى إيران سوى هذه البلاد . وكانوا من قبل يخرجون من طريق خوارزم . فقد أصبحنا فى محل الرحمة لما ينالنا من معرتهم وعاديتهم . فعظم ذلك على أنوشروان وبلغ منه حتى بكى . ثم قال : الأولى أن نهتم بهذا الأمر فنكفى الرعية أذى هذا العدو . فأمر دستوره باستحضار الصناع من الروم والهند وسائر البلاد . فسدّ الطريق بسور عظيم بناه . وعمل له بابا عظيما من الحديد، ورتب لهذا السدّ، على كل جانب من جوانبه، حفظة وقواما يحرسونه ليلا ونهارا (أ) .

ولما فرغ من ذلك جرعساكره وركب البحر وسار إلى ممالك اللان[1] . فأرسل اليهم رسولا وأنذرهم وأعذرهم . فلما أتاهم الرسول وعلموا أنهم لا يطيقون مقاومته نفذوا اليه مع الرسول جماعة من الأكابر بالهدايا والتحف والمبارّ والخدم . فأكرمهم الملك وأحسن اليهم وثنى عنانه عنهم . وكان قد بلغه أنه كثر العبث والفساد من أهل كُرْبُخان[2] من بلاد الجيل (ب) فاستعظم ذلك لكونها سرة ممالكه . فسار اليهم فرأى عساكر الجيل طلاع السهل والجبل فأمر بأن يوضع فيهم السيف حتى

(أ) أنظر مروج الذهب فى وصف البناء وبقائه إلى زمن المسعودى . وانظر الطبرى الخ .

(ب) فى الشاهنامه أنه سار من اللان إلى الهند، وأنه سمع بافساد البلوچيين فحاربهم الخ. وهو غلط . والذى فى الترجمة هنا أقرب . فان الانتقال من بلاد اللان إلى الهند وبلوچستان غير معقول، ولم يعرف أن أحدا من الساسانيين بلغ الهند . انظر الغرر، والطبرى، ومروج الذهب .

(١) طا، طر : ألان . (٢) طا، طر : كوبخان .

لا يبقى منهم أحد . فأفناهم إلا جماعة لاذوا بالأمان فأخذ منهم رهائن وأغمد عنهم السيف . وقلد تلك البلاد بهلوانا من قواده، وانصرف عائدا إلى المدائن . فتلقاه المنذر بن النعمان فى فيلق جرار من العرب . فأكرمه وتهلل اليه واستبشر بلقائه . فشكا إلى أنو شروان من يدى قيصر § وسبب ذلك على ما قال غير صاحب الكتاب (أ) أنه وقع بين المنذر، وهو رجل ملكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليمامة إلى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب، وبين رجل من العرب ملكه قيصر على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة فتنة . فأغار خالد على بلاد المنذر، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة . قال الفردوسى : فاستشاط كسرى وتنمر وتغير على قيصر، وأرسل اليه رسولا يوعده ويهدده وينكر عليه ما جرى من جهته على المنذر، ويأمره بإنصافه من نفسه، وإن لم يفعل ذلك جهز اليه عسكرا لا يكون له بهم طاقة فيملكوا دياره ويدوخوا بلاده . فلما أتى الرسول قيصر وأسمعه رسالة كسرى قال : لا نقبل من كلام المنذر الجاهل سوى ما يصح . ومتى جاوز هو حده من بلاده جعلت أرضه كالبحر، وأطبقت السماء عليه . فانصرف الرسول . ولما وقف كسرى على جوابه علم أنه غير ناطق بمقتضى العقل، وأنه متماد فى الغواية والجهل . فقال : سيندم قيصر حين يفيق من سكر الاغترار، وربما قد يقبض السكران بيده على النار . فاختار من عسكره ثلاثين ألف فارس، وضمهم إلى المنذر وأمره أن يحشر من أرض العرب جحفلا يحرق بيأسهم بلاد الروم . وقال له : اذا كنت أنا صاحبك وشهريارك فعلى أن أنتقم لك وأطلب ثارك . ثم جرد رسولا آخر ونفذه الى قيصر وكتب اليه كتابا

---

§ كانت الحرب بين أنو شروان والروم مستمرة فى الغرب والشمال . وكان الفريقان يتعاهدان على السلم الدائم أو المؤقت ينقضه أحدهما حين تتاح له الفرصة . وقد ولى أنو شروان العرش والحرب قائمة بين المملكتين . ثم كانت بينهما سنة ٥٣٣ سلم سماها المتعاهدان «السلم الدائم» وكان من شروطه أن يدفع الروم ١١٠٠٠ رطل من الذهب لمعاونة الفرس فى حراسة شعب دربند وغيره من شعاب القوقاز، وأن يسترد كلا الفريقين بعض البلاد . ولكن الحرب استؤنفت سنة ٥٤٠ إذ أغار أنو شروان على سورية وأخذ أنطاكية . وهى الحرب المذكورة هنا . ثم كانت سلم نقضها جُستنيان . وهكذا تقلبت الحال بين حرب مديدة وسلم قصيرة الأجل حتى مات أنو شروان بعد أن ناضل ثلاثة من ملوك الروم تعاقبوا على حربه . وكانت كفة أنو شروان أرجح ولكنه لم يبلغ كل ما أراد . فقد اضطر إلى تخلى عن أطماعه فى لزيكا (Lazica) التى حاولها مرارا ليبلغ البحر الأسود فيحارب الروم فيه [1] .

(أ) انظر الطبرى، ج ٢ ص ١٢١ والغرر .

(١) ودنر، ج ٧ ص ٢١٥ وما بعدها، وسيكس، ج ١ : أنو شروان

ينصحه فيه ويعظه ويأمره بألا يعدو طوره ولا يجاوز مقدار شبر أرضه[١] . وإلا نقض عهده واستباح تاجه وتخته . فأجاب قيصر عن كتابه وقال : إن كنتَ ملكا فلستُ بعبد بل أنا أكثر منك عَددا وعُددا ، وأشرف أصلا ونسبا . فإن كنت على عزم اللقاء فاستعد قبل أن أتوغل بلادك ، وأخرب ديارك . وإنك إن كنت ذا عقل يهديك الى مصالحك لم يكن لك نظير فى جميع الملوك . ولكنك حرمت سداد الرأى وحسن التدبير . فلست تصلح للشهريارية . وشحن كتابه بمثل هذه المقالات ، وردّ الرسول . ولما وقف كسرى على هذا الجواب خلا ثلاثة أيام بوزرائه وأصحاب رأيه فاستقرت آراؤهم على قصد بلاد الروم . فرتب أسباب الجنود وسار فى جحافل كادت تغمر طلاع الأرض ذات الطول والعرض . فلما وصل الى آذر بيجان دخل الى بيت النار المسمى آذَر كشسب فأعطى العباد والسدنة عطايا كثيرة § . ثم كتب الى بلاد إيران كتابا يأمرهم فيه بالثبات على جادة الاستقامة وسلوك سبيل العدل ، وأن يكونوا متيقظين آخذين بالحزم حتى تعود اليهم الرايات المنصورة . ودخل من آذر بيجان الى أرض العدو فكان يتلقاه الناس فى كل منزل بالسمع والطاعة متعرضين لنفحات عواطفه ومتفيئين الى ظلال معدلته . فسار كذلك حتى وصل الى مدينة تسمى سوراب[٢] وعليها سور من الحجارة عظيم طالع من قعر الماء مناطح للجوزاء فى جو السماء . فأحاط بالمدينة إحاطة الأطواق بالأعناق ، وسدّ عليهم الطرق فى[٣] جميع الجهات ، ونصب عليها المجانيق من جميع الجوانب . فما طلعت الشمس من اليوم الثانى إلا على قاع صفصف من تلك الأبراج المنيعة والأبنية الرفيعة

(١٧٣)

---

§ فى الشاهنامه : " وسار حتى آذر آبادكان . فلما رأى آذَر كشسب (بيت نار) ترجل ، وطلب البرسم من الدستور الطاهر ، وغسل خدّيه بدمعه . ثم دخل بيت النار خاشعا . وقد نصبوا سريرا مذهبا عليه كتاب " زندَواست " والموبذ يقرأ منه مرتلا . والهرابذة والكبراء يتمرغون فى التراب ، ويمزقون جيوبهم . ونثر الكبراء الجواهر ، وزمزموا حامدين . فلما اقترب الملك صلى وحمد الخالق ، وسأله النصر والمعونة ، وأن يهدى قلبه طريق العدل . ثم أعطى العباد والفقراء الخ[٤] " .

ولعل فى هذا بيانا لما كان يفعل ملوك الفرس حين يزورون بيوت النار . ولكن بيت النار الذى كان الساسانيون يفزعون اليه وقت الشدّة لم يكن بيت نار تبريز فى آذر بيجان بل بيت النار الذى كان فى البقعة التى تعرف الآن باسم تخت سليمان على نحو مائة ميل الى الجنوب[٥] .

---

(١) طا ، طر : شبر من أرضه . (٢) فى الشاه : شوراب . (٣) طا ، طر ، كو : من جميع .

(٤) مول ، ص ٢٠٢ ج ٦ (٥) وردنر ، ج ٧ ص ٢١٧

فوضع فيهم السيف وسلط عليهم الأسر والنهب . ولما فرغ من أمر هـذه المدينة سار فوصل الى قلعة فى طريقه (١) حصينة كانت محرز كنوز قيصر فنزل عليها حتى أخذها . فانتهى الخبر بذلك الى قيصر فجهز اليه عساكر كجبال من الحديد. فالتقوا وظهرت الغلبة للايرانيين فحصدوهم حصدا، وقتلوا مقدّمهم، وكان يسمى قرقوريوس[(١)] . فسار كسرى حتى وصل الى قلعة أخرى تسمى قالينيوس (ب) ذات أسوار حصينة وخنادق عميقة. ودون القلعة شهرستان واسع الخطة مملوء من العساكر والجنود. فنزل عليها وحاصرها وأقام القتال على أبواب المدينـة حتى أخذها وأمر فخربوها وسوّوا مع الأرض أبراجها وأسوارها . فخرج أهلها مستعيذين بالأمان فآمنهم . ثم ساق العسكر وقدّم الفيلة وسار حتى نزل على أنطاكية . فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى تسليم المدينة والخروج للطاعة حتى لا يكون ابتداؤه بالحرب اعتداء وظلمـا . فلم يجيبوه الى ذلك وبرزوا الى قتـاله فجرت بينهـم ثلاث وقائع عظيمة فى يومين . ولمـا كان اليوم الثـالث فتحت أنطاكية فدخلها كسرى وتملك بها خزائن قيصر ، وأسر جميع من كان فيها من المقاتلة ، وأمر فقيدوهم وسلسلوهم ، ونفذهم مع الغنائم والأنفال وما حصـل من الذخائر والأموال الى المـدائن . وأمر فبنى لهم بجنب المدائن مدينـة على مثال أنطاكيه بحيث لا يفرق بين المدينتين فأسكنهم إياها بعـد أن جعل عليهـم رجلا من النصارى وأوصاه بمراعاتهـم ومداراتهم وقضاء حاجاتهـم . ثم ساق العسكر من أنطاكية . وانتهى الخبر الى قيصر بمـا جرى على بلاده فأفاق من سكرة غروره ، واستيقظ من سنة غفلتـه ، وعلم أنه لا طاقة له بكسرى وجنوده . فنفـذ جماعة من الأساقفة والفلاسفة مقـدمهم مهراس العالم ، بأحمال من الجواهر والنفائس اليه متنصلا من زلته ومستغفرا لخطيته . فلمـا وصل الرسول اليه واستغفر واعتـذر أقال العثرة وأقصر عن قصد قيصر . وصالحه على أن يحمل اليه كل سنة برسم الخراج ملء عشرة من جلود البقر ذهبا . ثم جر العساكر وتوغل الشام وأقام فيهـا زمانا . ثم خلف فيها إصبهبذا يسـمى شيرويَه ، وارتحل وسار الى الأردن .

قلت : قال غير صـاحب الكتاب (ج) ، وهو أوضح وأبين ، أن كسرى لمـا قصـد بلاد الروم نهض فى نيف وتسـعين ألف مقاتل فأخذ مدينـة دارا ومدينة الرها ومدينة منبج ومدينة قنسرين

(١) يسميها الفردوسى : عرانش روم . أى عرائش الروم . ويرى ورنر أنها (Hierapolis) .

(ب) صل : قاليقيوس . وفى طا والشاه : قالينيوس . وهى (Calinicus) على ضفة الفرات الشرقية .

(ج) انظر مروج الذهب ، والأخبار الطوال ، والطبرى الخ .

(١) فى الشاه : فرفوريوس .

وحلب، وأخذ مدينة أنطاكية، وكانت أفضل مدينة بالشام، ومدينة فامية ومدينة حمص وسائر المدن المتاخمة لهذه البلاد عنوة . واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض . وسبى أهل مدينة أنطاكية ونقلهم الى أرض السواد بالعراق . فبنيت لهم مدينة الى جانب مدينة طيسفون على مثال بناء[1] أنطاكية، على ذرعها وعدد منازلها وطرقها ، وأسكنهم إياها . فلما دخلوا بابها صار أهل كل بيت منهم الى ما يشبه منازلهم التى كانوا فيها بأنطاكية كأنهم لم يخرجوا منها . وهى التى تسمى الرومية (ا) . وكوّر لها كورا، وجعل لها خمس طساسيج : النهروان الأعلى والأوسط والأسفل ، وطسوج بادَرايا وباكُسايا . وأجرى الأرزاق عليهم ، وولى القيام بأمورهم رجلا من نصارى الأهواز ، وقلده الرياسة عليهم ليستأنسوا به ويسكنوا اليه لمكان دينه .

§ ذكر قصة نوش زاذ بن كسرى وخروجه على أبيه الى آخر أمره

قال صاحب الكتاب : لا بد للانسان على علاته من سكن ومسكن ومطعم وملبس . والمرأة اذا كانت عفيفة صاحبة رأى وعقل فهى للرجل مثل كنز يستظهر به . لا سيما اذا كانت موسومة بالجمال، موصوفة بالكمال، ميالة الأعطاف، مسدولة الضفائر على الأرداف، رخيمة الصوت، سحارة اللحظ، خداعة اللفظ . وكانت لأنو شروان زوجة على هذه الصفة غير أنها كانت على دين المسيح . فرزق الملك منها ابنا كالشمس، أو القمر بعد العشر والخمس فسماه نوش زاذ فشب وترعرع .

---

§ هذه واقعة تاريخية كانت سنة ٥٥١ م ، غير أن نوشزاد لم يقتل فى المعركة ، كما فى الشاه، بل سجنه أبوه حتى مات .

وهذه القصة تتضمن العناوين الآتية فى الشاهنامه :

(١) ولاد نوشزاد ابن نوشين روان وامرأة نصرانية . (٢) مرض نوشين روان وإثارة نوشزاد الفتنة . (٣) كتاب نوشين روان الى رام برزين مرزبان المدائن فى أخذ نوشزاد . (٤) محاربة رام برزين ونوشزاد وقتل نوشزاد .

(ا) يقول المسعودى أن سور هذه المدينة كان مبنيا من الطين وقد بقى الى زمانه (مروج الذهب : أنوشروان) . وكأن الناس لبسوا هذه المدينة التى بنيت لأسارى أنطاكية بصورة أنطاكية التى كانت منقوشة على الايوان فقالوا إن المدينة كانت صورة أنطاكية . يقول البحترى فى وصف الايوان :

فاذا ما رأيت صورة أنطا كية ارتعت بين روم وفرس الخ

(١) طر : بناء مدينة أنطاكية .

ولما كبر نزع فى الدين الى أمه وخالف ملة أبيه . فعظم ذلك على كسرى فأمر بأن يجعل إيوانه عليه كالحبس . وكان مستقره بمدينة جُندَيسابور . وفى هذه المدينة خلق كثير من أسارى الروم . ولما سار الملك من أنطاكية الى الأردن (أ) مرض بها مرضا شديدا فأُرجف عليه . وبلغ خبر وفاته الى ابنه هذا فاستبشر وأظهر الشماتة وقال : الحمد لله الذى أماته . ونادى بشعار قيصر وشعار ملّة[(١)] النصرانية . وأطلق الأسارى الذين كانوا فى مدينته . واجتمع عليه عساكر فاستعلى أمره واستعظم خطبه، وركب فى ثلاثين ألف فارس . فانتهى الخبر الى والى المدائن بذلك فطير فارسا الى الأردن وكتب الى كسرى وأعلمه بالحال . فلما وصل الكتاب اليه وعلم بما صدر من نوش زاذ عظم عليه ذلك فخلا بالموبذ يتشاوران ويجيلان آراءهما فى الحادث الكارث . ثم استحضر الكاتب وأمره أن يكتب جواب كتاب والى المدائن . فكتب ذاكرا فيه : إنا وقفنا على حال الولد نوش زاذ، وما صدر منه والذين معه من إظهار الشماتة وحل عقدة الزماتة . فانهض اليه فى عسكرك . واذا قربت من داره فأرسل اليه وداره . فان أبى إلا الطغيان فى غُلَوائه والتمادى فى غيه فأقدم على لقائه . واذا ظفرت به فأسره أولى من قتله ، فلعله يفيق من سكرة جهله . وإن ورط بنفسه وألقى بيده الى التهلكة فلا تبال باراقة دمه . وأما الذين صاروا فى زمرته من الايرانيين وخرجوا معه علينا فلا ترفع عنهم السيف أصلا، واحصدهم حصدا . ثم لا تسكت على شتم نوش زاذ من رجالة العسكر والنظارة . فانه وإن أساء الأدب معنا فهو شعبة من شعبنا . ثم ختم الكتاب ونفذه . فلما وصل الى ذلك المرزبان جمع العساكر وسلك سبيل الامتثال ، وسار الى جُندَيسابور . فلما علم نوش زاذ بذلك (١٧٤) جمع عسكره وأطلق أرزاقهم فركب فى بطارقته الذين كانوا معه ، وجعل واحدا منهم على الجيش يعرف بشمّاس(ب) فخرجوا الى الصحراء فاصطف الفريقان وتقابل الجمعان . ووقف نوش زاذ فى القلب مستعرا استعار اللهب، على رأسه بيضة من الذهب . فخرج فارس من عسكر مرزبان المدائن يسمى فيروز فنصح نوش زاذ ووعظه ونهاه عن التورّط بنفسه ، وزجره وذكّره حقوق أبيه ، وحذره العقوق وما هو فيه، وأشار عليه بخفض جناح الذل لكسرى قبل أن يصير الأمر إمرا . فما اتعظ ولا انزجر، وتاه فى ضلالته، واستمر على غوايته . وأمر عسكره بالمناوشة والمراشقة فثور فرسه وحمل على رام برزين ، وهو والى المدائن ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة . فأمر الوالى عند ذلك أصحابه

(أ) فى الأخبار الطوال أن أنوشروان كان مريضا بحمص .

(ب) فى الشاه : "سپهدار شماس پيش اندرون" ويحتمل أن يكون المعنى : شماس القائد أو القائد الشماس . والشماس لقب من ألقاب رؤساء النصرانية ، فيمكن أن تكون كلمة "شماس" هنا وصفا لا علما .

(١) طا : الملة .

أن يرشقوهم بالسهام أيضـا . ففعلوا فأصيب نوش زاذ بنشابة فى ظلمة العجاج . فانصرف الى قلب العسكر وقال لفرسان الروم : إن الخروج على الأب أقوى دلائل الشوم . فأن من ألم الجراح، واستدعى الأسقف، وبكى وأبث اليه بعض ما فى قلبه، وأمره أن يبلغ أمه بعض نفثات صدره، ويأمرها بالصبر ومجانبة الجزع عليه، وأن تدفنه على آيين[(١)] المسيح ورسمه (١) . ثم تنفس وخرجت روحه فتفرق عسكره بددا، وأضحوا طرائق قددا . فلما علم الوالى بما ألم به سعى اليه باكيا فصادفه طريحا فى التراب، رأسه فى حجر سكوبا الرومى . فأخذوا فى البكاء والنحيب، وجاءوا بتابوت ووضعوه فيه وحملوه الى المدينة . نخرجت أمه من وراء الستارة حافية حاسرة تبكى وتندب . ثم دخلوا به الى مدينته، وهى جُنْدَيسابور، ودفنوه، كما أوصى، على رسم دين المسيح بلا ناووس . وركدت ريحه وخمد[(٢)] جمره وانقضى أمره[(٣)](ب) .

§ ذكر رؤيا رآها أنوشروان كانت السبب فى اتصال بُزُرجِمهر حكيم فارس به

قال صاحب الكتاب : لا تنكرن فضائل الرؤيا الصادقة فانها جزء من أجزاء النبوّة . لا سيما اذا كانت من ملك ثاقب الرأى طاهر القلب . والوقائع الكائنة تنزل من السماء فتراها[(٤)] الأرواح الصافيـة فى المنام كما ترى النار من وراء حجاب المـاء . قال : واتفق أن كسرى رأى ذات ليلة فى المنام كأن شجرة خسروانية نبتت عند تخته، وأنه طاب قلبه لرؤيتها وجلس يشرب مع المغانى فى مجلس الأنس (ج) .

---

§ يرى القارئ فى ثنـايا الشاه كثيرا من الحكم والمواعظ والآداب ، ويرى أن الشاعر ينتهز كل فرصة ليعظ وينصح ويذكّر بعبر الأيام . ولكن عهد أنو شروان يمتاز بجملة من الحكم مجموعة مأثورة عن الوزير العظيم بزرجمهر . وهو وزير تحيط بتاريخه الخرافات . وقد اتخذ مثالا فى الرشاد والحكمة ونُسب اليه ما لم يقله . كدأب الناس فى سير العظماء الذين يذيع صيتهم ببعض الفضائل والمآثر .

وقد حفظت الكتب الفهلوية كثيرا من هذه الأقوال، ولا يزال بعض هـذه الكتب معروفا مثـل كتاب "ديناي مينوي خرد" أى آراء روح الحكمة . وفيـه إجابة الروح عن اثنتين وستين=

(١) آيين بالفارسية : السنة والطريقة المتبعة .

(ب) يختم الفردوسى هذا الفصل بأبيات فيها موعظة، ومدح للسلطان محمود .

(ج) فى الغرر: أنه رأى «فى منامه كأنه يشرب خمرا فى جام ذهب وخنزير يكرع معه فى ذلك الجام» وهذا أقرب الى تعبير بزرجمهر (الغرر ص ٦١٨) إلا أن يكون تعبير الرؤيا مجىء بزرجمهر نفسه لا ظهور الرجل بين النساء .

(١) كو : دين المسيح . (٢) فى نسخ الترجمة : خمدت جمره . (٣) طا : آخر قصة نوش زاذ . والحمد لله رب العالمين . (٤) صل : نزل من السماء فتراه . طر، طا : تنزل فتراه . كو : تنزل فتراها .

فلما أصبح من الغد، وكان طلوع الشمس من برج الثور، جلس على التخت خائفا من الحوَر بعد الكوَر. فاستحضر المعبرين فقص عليهم رؤياه فلم يسمع منهم ما شفى غليله وصـداه . واعترفوا بالعجز عن تعبير ذلك المنـام . فنفذ الملك الى كل طرف موبذا مع بدرة فيهـا عشره آلاف درهم ليبحثوا عن العلماء ويسألوهم عن تلك الرؤيا . فصار موبذ منهم الى مرو فمرّ على دكان معـلم عنده جماعة من الصبيان وفيهم صبي كان أكبرهم وأذكاهم يدعى بُزُرجِمهر . فـنزل الموبذ وسأل المعـلم عن المنـام فقال المعلم : إن تعبير الرؤيا ليس من شغلى وليس يبلغه علمى . فأصغى الصبيّ الى حكاية المنـام، فقال لمعلمه : هــذا من شأنى وأنا به عارف . فصاح عليـه الشيخ(١) وقال له : دع الفضول واشتغل بدرسك . فقال الموبذ للغلام : أعرب عمـا وقع لك فى تعبير هـذا المنام . فقال : إنى لا أفض ختـامه إلا بين يدى الملك . فجهزه الموبذ وأعطاه دراهم، وأمره بالتأهب لينهض معـه الى حضرة الملك . فركبا وسارا من مرو متوجهين الى حضرة الملك . فوصلا فى طريقهم الى مكان طيب فيه ماء وشجر فنزلا فى ظل شجرة فتناولا شيئا . ثم اتكأ الصبي وغطى وجهه بمنـديل معه ونام . واتكأ صاحبه أيضا لكنه كان مستيقظا فرأى حية رقشاء عظيمة قد دنت من الصبيّ وأخذت تشمه من رأســه الى قدمه ولم تنله بسوء ثم رجعت وصعدت الى الشجرة . فتعجب الموبذ وسمى الله عليـه وقال فى نفسه : إن هذا الصبيّ ليرقى الى درجة لا ينالها أحد . ثم استمرّا فى طريقهما حتى قربا من حضرة الملك . فسبقه الموبذ ودخل الى أنو شروان، وأخبره بحال الغـلام وقدومه به عليه، وأعلمه بما رأى منه فى الطريق . فأمر كسرى بإدخاله عليه . فلما حضر قص عليه رؤياه فقال : أيها الملك

= مسألة مشتقة من دين زردشت . وكتاب "پندنامك فد شوكـ — مِتروى بُختكان" أى نصائح بزرجمهر بن بُختكان .

ويظهر أن الفردوسى نظم ماوجد، كدأبه فى المواضع الأخرى . وفى الشاه سبعة مآدب أدب فيها أنو شروان بزر جمهر والحكماء فأفاض الحكيم فى أقواله المأثورة(٢) .

وقصة بزرجمهر فى الشاه تتضمن العناوين الآتية :

(١) رؤيا نوشين روان ومجىء بزرجمهر اليه . (٢) تعبير بزرجمهر رؤيا كسرى . (٣) مأدبة نوشين روان للموابذة، ونصح بزرجمهر . (٤) المأدبة الثانية . (٥) المأدبة الثالثة . (٦) المأدبة الرابعة . (٧) المأدبة الخامسة . (٨) المأدبة السادسة . (٩) المأدبة السابعة .

(١) طر، كو : المعلم . (٢) براون Browne ج ١ ص ١٠٦، ورنر Warner ج ٧ ص ٢٧٩، Mohl ج ٦ ص ٧

إن فى بيتك ما بين النساء رجلا قد تزيا بزيهن وبكسوتهن . فأخل المكان، ومرهن بالمرور بين يديك . ففعل الملك ذلك فلم يرفيهن رجلا . فقال بزرجمهر : مرهن بالمرور[1] عليك متجردات[2] حتى ينكشف لك الغطاء . فأمرهن بالعبور عليه متجردات عن ملابسهن، فرأى فيهن غلاما رشيق القد صبيح الوجه . فسأل صاحبة الحجرة التى كان الغلام فيها فقالت : إنه أخى من أمى وإنه استحيا من الملك فدخل علىّ فى هذا الزىّ . فأنكر الملك ذلك وأمر صاحب سيفه فأهلكهما فى دار النساء . ثم أمر لبزرجمهر بخلعة رائقة وبدرة من الدراهم، وأكرمه وأعزه، وامتدت عليه ظلال السعادة، وأقبل عليه الإقبال، وأخذ من ذلك اليوم فى الترقى والزيادة . وكان شابا فصيح اللسان، عذب الكلام، ذكى الخاطر، صبيح المنظر . وكانت عادة أنوشروان أن يكون على بابه ليلا ونهارا سبعون عالما متبحرين فى فنون العلوم حتى اذا فرغ من أشغال السلطنة، وألقى عن قلبه أعباء المملكة أحضرهم وفاوضهم فى أنواع العلوم، وباحثهم فيها وسايلهم . فاتفق أنه جلس ذات يوم واستحضرهم فحضروا وفيهم بُزُرجِمهر . فتكلم كل واحد منهم بكلمة حكمة، وأتى بفائدة . فلما سمع بزرجمهر كلامهم قام وخدم وقال : أيها الملك العادل ! لا زالت الأرض تحت ظلال تختك، ولا زالت السماء منورة بأنوار سعادتك وبختك . ثم قال : إن أذن لى الملك تكلمت بين يديه، وإن كنت قليل الحظ من العلم والدراية . فقال له تكلم . فقال : خير الكلام ماقل لفظه وكثر معناه، وقصرت عبارته وجل مغزاه . ومن خف رأسه أبطأ فهمه وسرع كلامه . ومن كان كثير الهذيان ذل فى عيون الأعيان . ولا يظهر من الرجال إلا من كان سديد السيرة مستقيم الحال، وحق البكاء على من تاه فى ظلم الزيغ والضلال . ومن رجولية المرء صدقه، ومن خوره كذبه . ومن كان عن حلية العلم عاطلا فلا حلية له كالسكوت . ومن كان بعلمه مفتونا كان بين العقلاء ممقوتا . والعدوّ العاقل خير من الصديق الجاهل . قال : وقد استغنى من قنع وتجنب الحرص والطمع . ومن نفر منه عقله نسى الله تعالى وكفره . ومن كان عاقلا وهجر عدوه وأبعده تقرب اليه العدوّ حتى صار عبده . وإذا أنصف العاقل من نفسه فى فعاله كان له العلو فى مقاله . وإذا تواضع المتعلم للعلماء بلغ فى العلم ذروة السماء . ولا ينبغى للعاقل أن يستعمل فى غير فائدة لسانه، ويعشو الى شعاع جمر لا يستفيد منه إلا دخانه . وإن الملك يصير بالعلم لأنواع التمكن والجلالة جامعا، ومهما كان عالما كان لا محالة متواضعا . وإذا وقف على أسرار الله فى خلقه أمن من بائقة الزمان وصرفه، فزاد فى عبادة الرحمن، وطهر باطنه عن وساوس الشيطان، وتجنب من الأمور ماظهر كراهته، ولم يقصد أذى من لا يقصد أذيته .

(١٧٥)

(١) طر : بالعبور . (٢) طر : متجردات عن ملابسهن .

قال : فتعجب الحكماء من كلام بُزُرجِمهر وفصاحة منطقه ووفور علمه وحكمته . واستبشر كسرى بمكانه فأمر صاحب ديوان الأرزاق أن يكتب اسمه فى أوّل الجريدة[1] . فأضحت سعادة بزرجمهر كالشمس المشرقة . ثم انفض المجلس وأثنى عليه من كان فيه من العلماء والحكماء فقال لهم بزرجمهر : لا ينبغى لنا نحن أن نصرف وجوه خواطرنا عن الملك . فانه الراعى ونحن القطيع ، ونحن الأرض وهو السماء الرفيع . ولا يجوز العدول عن أمره والخروج عن رأيه . وينبغى أن نسر بسروره، ونتسبب الى إبانة فضله وظهوره، ونطوى سره فى تضاعيف الكتمان وستوره ، ولا نجرأ عليه إذا عاملنا بالإفضال والإكرام فان الأسد يفزع من لفحات الضرام (ا) . ومن تهاون بأمره، وإن كان كالجبل ثبات رأى ورزانة عقل، عددناه خفيف الرأس واهى العقل حليف الخبل . والملك مصدر كل خيروشر، ومنشأ كل رفع وخفض . فهو يعطى ويمنع ، ويحط ويرفع . وهو فى عناية الله وكنفه ، والعاقل من يسر بزيادة إقباله وشرفه . ومن لا يكون كذلك فقد ضيق الشيطان عليه المسالك ، وسيورده المعاطب والمهالك . فلما سمعوا منه هذا ازدادوا به سرورا . ثم تفرّقوا وعاد كل واحد إلى منزله . وفى الأسبوع الثانى جلس الملك على عادته فاستدعى العلماء من الدركاه فحضروا، وفيهم برزجمهر، فسأله بعضهم عن القضاء والقدر . فقال : إنك ترى رجلا يتعب ليلا ونهارا ، ويدأب سرا وجهارا، ثم لا يزال يرى طريق مطلوبه ضيقا ، ويجد ماء حظه فى واديه مترنقا . وترى آخر نائما على تخت السيادة تتهدل عليه أفنان السعادة ، قد ذللت له قطوفها تذليلا، ومدّ عليه ظلها ظليلا . فهكذا رسم القضاء والقدر ؛ لا ينال بالجد والجهد مرام ولا وطر . وسأله آخر عن الخصال التى يستحق صاحبها التقدّم فقال : الرفق والكرم والتواضع والبذل لا لطلب مجازاة ومكافأة ، وبلا شائبة منّ ولا أذية . وسأله آخر عن خير خصال المرء . فقال : أن يعرف عيب نفسه فيصلحها . وسأله آخر وقال : بماذا يطيب عيش الإنسان ويقل تعبه ؟ فقال : بأن يجمع بين العقل والحلم ، ويعدل فى الإعطاء والأخذ ، ولا يكون عنده نقيصة ولا زيغ ، ويعفو عند الاقتدار ، ولا يكون حديدا خفيف الرأس . وسأله آخر وقال : من المحافظ على نفسه؟ فقال : من خالف هواه ولم يتبع مناه . وسأله آخر وقال : أى العطاء أحسن ؟ فقال : ما كان من غير سؤال وبلا امتنان . والباذل اذا لم يجد لنفسه عن الامتنان زاجرا فلا تجعله إلا تاجرا . وقال له آخر : كيف السبيل الى تحصيل الذكر الجميل ؟ فقال : تباعد عن الذنوب ، وأحب لغيرك

(ا) هذه العبارة ترجمة هذا البيت :

شو با كرامش كردن دلير ... كزآتش بترسد دل نرّه شير

(١) كو : جريدة العلماء .

ما تحبه لنفسك . وسأله آخر وقال : من الذى يستحق الثناء؟ فقال : الذى يعبد الله الذى عنت له الوجوه ، وتخشاه[1] وترجوه . وقال له[2] أخبرنى بخصلة توجب السرور . فقال : أن يكون الرجل حليما متغاضيا عن السفيه الجاهل، ويكظم غيظه وإن غلى صدره غلى المراجل . وقال آخر : أخبرنى بخصلة مرضية عند العقلاء . فقال : ألا يحزن الرجل على ما يفوته، ويقطع الرجاء عما يبعد تكوينه. وسأله آخر عن عيوب الملوك . فقال : هى أربعة : أحدها أن يرغب[3] عن عدوّه فى مقام القتال . والثانى أن يضيق صدرا من بذل النوال . والثالث ألا يقبل كلام الناصح الصادق المقال . والرابع أن يكون طياشا عديم السكون فى أكثر الأحوال . وسأله آخر عما يذم به الأكابر فقال : إنهم يذمون بالطنّز والكذب والميل الى الظلم والزيغ، وبالبذاء وقلة الحياء والخروج الى الخصام فى أثناء الكلام ، واتباع الجهل ومخالفة العقل . وقال آخر : أخبرنى بمن يؤمن ضره ، ولا يتنكب سبيل الحق ، ويسعى فى إرضاء حاكم الوقت فيستريح فى نفسه ويستريح به أهله وعشيرته من بعده . فقال : ذاك من طلب الأمر من باب الله أوّلا فصار فى سره وجهره مطيعا لسلطانه ومالك أمره، مزينا نفسه بالعقل وصادّا لها عن العناء والحرص، مراعيا لأصحابه مؤدّيا حقوق إخوانه ومتنكبا أذية المحتاجين إليه، معتنيا بتأديب ولده فى صغره لئلا يشقى به من يتولاه فى كبره . وسأله آخر وقال : أخبرنى عن محل الولد النبيه من قلب أبيه . فقال : الولد الصالح من الأب بمنزلة الروح من الجسد. فانه لا يعفو بعد الموت بالولد الصالح رسمه ، ويبقى به فى الغابرين اسمه . وسأله آخر وقال : من النافع من بين الملوك أرباب التيجان والتخوت؟ فقال : شهريار لا يرعب قلوب أهل العفاف ، ويرتعد من بأسه فرائص أهل الحيف والإجحاف، ويستريح أهل الأرض منه فى ظلال العدل والإنصاف . وسأله آخر عن الغنىّ والفقير . فقال : الفقير هو المحروم المنهمك فى حرصه، والغنىّ من رضى بما قسم الله له من رزقه .

(١٧٦) قال : فتعجب علماء الحضرة من كلامه وحسن بيانه، وقرظوه وأثنوا عليه . وقاموا وانفض المجلس . ثم جلس الملك بعد أسبوع آخر فى إيوانه، وأذن للعلماء المرتبين على بابه فحضروا بين يديه فتكلم كل واحد منهم بكلمة . فاستثقل كلمات الجميع فاقبل من بينهم على بزرجمهر وسأله أن يتكلم . فتصدّى وافتتح كلامه بالثناء على الملك والدعاء له ثم أطلق عنان اللسان فى مضمار البيان يتكلم ببدائع الحكم ، ويفوه بروائع الكلم . ومن مستحسن كلامه فى ذلك المجلس قوله : أخلاق العاقل المنجية

---

(١) طا : يخشاه ويرجوه . (٢) كذا فى النسخ كلها . (٣) طا : يرعب من .

له خمسة . وأخلاق الجاهل المردية سبعة . أما الخمسة المنجية فهى ألا يجزع على مافات، ولا يفرح بما هو آت ، ولا يرجو ما لا يكون، ويحذر منْ عواقب الأمور، واذا حزبه حازب كافحه من غير جبن ولا خور . وأما السبعة المهلكة فأحدها أن يغضب من غير موجب للغضب . والثانى أن يعطى من لا يستحق فيكون غير مأجور ولا مشكور . والثالث ألا يعرف قدر نفسه فيكفر نعمة ربه . والرابع ألا يكتم سره، ويفشيه . والخامس أن يتكلم بما لا يعنيه فيقعد مهموما ملوما . والسادس أن يأمن غير ثقة ويصاحب غير ذى مقة . والسابع أن يكذب ويصر على الكذب . واعلم أيها الشهريار الكبير أن صاحب الشر لا يرى غير الضر .

ثم انفض ذلك المجلس واشتغل الملك بأسباب السلطنة فلم يتفرغ لمباحثة علمائه إلا بعد أسبوعين . فاستدعاهم وأحضرهم بين يديه فسألهم أن يتكلموا فى أحوال السلطنة وما يرجع بانتظام أسباب الملك والمملكة، وأشار على بزرجمهر بأن يتكلم . فقال : أيها الملك المنور القلب المونق الرواء ! إنه لم يعتصب بتاج السلطنة أحد يماثلك، ولم يتسنم سرير الجلالة فى روعتك وبهائك ملك يشاكلك . ما أحسن مدارع التقوى على الملك المتوج ! ومهما كان الملك من المتقين سلك فى سيرته أقوم منهج، وخاف الله، وسلط سلطان العقل على النفس الأمارة، ولم يضع أساس أمره على الجرف المنهارة . ثم إنه يجب أن يكون صاحب رأيه ألمعيا ثاقب الزناد ، ذكيا غير مثلوج الفؤاد ، فصيح اللهجة موصوفا بالانصاف، ممكنا عند الملك غير منحول[1] ولا منكسر . فان رفعة تيجان الملوك مقرونة باحترام العلماء الثاقبى العقول والآراء .

وأطال صاحب الكتاب نفسه فى حكاية مقالات بزرجمهر . ثم ذكر فى آخرها أنه بات ذات ليلة عند أنوشروان فاندفع فى كلامه وأتى بما أعجب السامعين . فاستحسن الملك كلامه . وكان من عادته ، أن من قال له : "زه" أحضر الخازن بين يديه عشر بدر[2] ومن قال له : "زه زهان زه" أحضر الخازن له أربعين بدرة فى كل بدرة عشرة آلاف درهم . فقال تلك الليلة لبزرجمهر : "زه زهان زه" فأتاه الخازن بأربعين بدرة تشتمل على أربعمائة ألف درهم، ووضعه بين يديه .

---

(١) طا، طو: منخزل م (٢) صل، طا : عشرة . كو : عشر، الشاه : أربع .

§ قصة مهبوذ[١] الوزير وما جرى عليه وعلى ولديه (أ)

قال صاحب الكتاب : كان لأنوشروان دستور موصوف بالعقل والذكاء، مشهور بالتيقظ والدهاء يسمى مهبوذ. وكان له ولدان يلازمان خدمة الملك . وكانا صاحبي طعامه لا يثق فى أغذيته إلا بما يسوّى له فى بيتهما ، ولا يأكل إلا من يدهما . وكان مهبوذ ، بسبب قربته من الملك وقرب[٢] ولديه منه ، محسودا بين أركان الدولة وأعيان الحضرة . وكان على باب الملك حاجب طاعن فى السن عارف بمراسم سالارية الدركاه يسمى ز روان[٣]. وكان لا يزال يحترق على نار[٤] الحسد من مهبوذ وولديه . ومن فرط حسده تكاد روحه تبين من جسده . فلم يزل يسعى ويحتال فى أن يغير عليهم رأى الملك ولم يكن يتيسر له ذلك . وكان مهبوذ يعلم من ذلك لكنه يتغابى عنه . فاتفق أنه اتصل بهذا الحاجب يهودى بسبب معاملة جرت بينهما . فكثر اختلافه اليه حتى استرسل معه فتفاوضا يوما فى مجلس خلوة، فى أمر السحر والنيرنجات وأنواعها . فأطلع الحاجب اليهودى على ما فى قلبه من مهبوذ، وسأله أن يحتال عليه ويتوصل بالسحر الى إهلاكه . فقال اليهودى : لا تحمل على قلبك، واجتهد فى أن تقف على ما يدخلان به على الملك من أنواع الأطعمة . فإن وجدت فيها لبنا فأعلمنى بذلك فإنه إن وقعت عينى عليه قطعت بهلاك الوزير وولديه . فانى أصيره بحيث لو وقعت منه

---

§ لم يكن أنوشروان أكبر أبناء قباذ ولكن أباه اختاره لخلافته، ويظهر أنه أراد أن يعترف به امبراطور الروم جستنيان . فلما مات قباذ طمع ابنه الأكبر كاوس فى الملك ولكن الوزير مهبود أعلم الناس بعهد قباد الى أنو شروان . وكان جم بن قباذ محببا الى الناس ولكن كان به عور يمنعه أن يملك . فحاول أنصاره أن يملكوا ابنه قباذ ، وكان صبيا، وأن يجعلوا جمّا قيما عليه . فافتضح أمر المؤتمرين وقتلوا تقتيلا إلا قباذ . ففرّ الى القسطنطينية فاحتفى به جستنيان .

وليس بعيدا أن تكون لقصة مهبوذ التى هنا صلة بما يحدّث به التاريخ من الائتمار على أنوشروان.

ثم قصة مهبود فى الشاهنامه تشتمل على العناوين الآتية :

(١) قصة مهبود وزير نوشين روان . (٢) افتضاح سحر ز روان واليهودى وقتلهما .
(٣) بناء نوشين روان مدينة سورسان .

(أ) انظر القصة فى الغرر أيضا .

(١) كو : بهبود . (٢) طا، طر : وقربة . (٣) فى الغرر : أزدوندادو فى طر: رزوان .

(٤) طر، كو : بنار الحسد .

قطرة على الحجارة لتقطعت قطعا وتفلقت فلقا . فركن الحاجب الى اليهودى، وصار يصاحبه ليلا ونهارا ، ولا يحضر الباب إلا وهو معه . وكان ابنا مهبوذ يدخلان كل صبيحة على الملك بطبق من الذهب عليه ثلاثة أقداح مخروطة من حجر البلخش مغطاة بمنديل منسوج من الذهب كانت أمهما تهيئ فيها لبنا وشهدا وماوردا . فاتفق ذات يوم أنهما دخلا ووراءهما غلام على رأسه ذلك الطبق . فلما انتهى الغلام الى الحاجب تلقاه وقال : ما أطيب روائح هذا المطعوم ! ارفع المنديل عن رأس الطبق حتى أنظر اليه . فنحى طرف المنديل عن تلك الأقداح فوقعت عين اليهودى على اللبن . وغطى الغلام طبقه فى الحال واستمر فى طريقه . فقال اليهودى للحاجب : قد أثمر الآن غرسك وقضيت حاجتك . فوثب الحاجب ودخل خلف الطعام على الملك فقال : أيها الملك ! لا تمد يدك الى هذا الطعام، ولا تناوله إلا بعد الامتحان فإنه مسموم . فنظر الملك الى ابنى الوزير روشك فى الأمر . فتقدما وذاقا من ذلك اللبن غير محتفلين ، لطهارة قلبهما ونقاء جيبهما . فتلفا فى الحال حتى كأنهما أُقصدا بالنبال . فلما رأى الملك ذلك أمر بتخريب بيت الوزير ونهبه، وقتله مع عشيرته وأهله . فهجموا على بيته ووقعوا فيه وقوع النار فى يبس القصباء . فانتهبوه حتى لم يبق فيه سبد ولا لبد، وحصدوه وأهله بالسيف ولم يبقوا منهم على أحد . فاستعلى أمر الحاجب، وصار الملك منه كالعين من الحاجب ، وجذب بضبع اليهودى . فبقى كذلك مدة من الزمان نافق السوق فى خفارة الفسوق، واستمر خفاء ذلك السر على ألمعية الملك . فاتفق أنه خرج ذات يوم للصيد فعرضوا عليه رعيل خيله فرأى فيها فرسين عليهما وسم الوزير . فتذكره الملك واحترق قلبه عليه حتى فض عقد الدموع من عينيه . وكان لا يزال منذ بدر منه مابدر موجع القلب عليه وعلى ولديه . فقال : ما أدرى كيف أضل الشيطان ذلك الرجل مع ما كان فيه من العقل المتين والرأى الرزين ؟ وهل يقف أحد على سر الفلك فيما يدور به على الانسان ، ويعرض فى طريقه من حبائل الشيطان ؟ ثم استمر فى طريقه . وكان لا تخلو مواكبه من العلماء والحكماء يروحون سره بالحكم ، ويعللونه بالسمر وأطايب الكلم . فانجر بهم الحديث مع الملك الى ذكر الرقى والسحر وما يخيل الشيطان للانسان من أنواع الحيل والمكر . فقال الملك لبعض الموابذة : إن السحر ليس بشىء ولا ينبغى للعاقل أن يشتغل[1] به قلبه أو يلتفت اليه . فأنطق الله ذلك الحاجب الذى بيضت الأيام شعره، وسودت الآثام وجهه بأن قال : أيها الملك ! إن السحر حق ، وإن أمره عظيم . حتى إن الساحر يسحر بالنظر حتى يستحيل الطعام بنظره سما ناقعا . فلما قرع كلامه هذا سمع الملك دخل قلبه منه شىء، وأطاف بخاطره منه خيال،وعلم[2] أن قد جرى على الوزير وولديه مكر واحتيال ،

(١٧٧)

---

(١) طا، طر : يشغل . (٢) كو : وتخيل له .

فنظر إلى الحاجب وسكت . وساق وأخذ يتفكر فى أمر الوزير وما كان بينه وبين الحاجب من الداء الدفين والحسد القديم . وقال : لعل الله يكشف عن السبب الذى جر الهلاك على هذا[١] الوزير الناصح والأمين الصالح . وسار والفكر آخذ بمجامع قلبه حتى وصل الى المنزل . وكانوا قد نصبوا الخيم على شاطئ الماء . فنزل فى خيمته وأمر باحضار الحاجب، وأخلى المجلس من الأجانب فسأله عن السحر والساحر وإحالة الطعام سما بالناظر . فتعتع فى كلامه وارتعدت فرائصه . فوقف الملك عند ذلك على سوء فعله ، وعلم أن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله . فقال : اصدقنى الخبر عن الطعام الذى أحضره ابنا مهبوذ ذلك اليوم . فأقر الماكر الخائن والمجرم الحائن فأعلمه بالحال، وأحال على اليهودى المحتال، وألزمه تلك الإساءة، وادعى لنفسه البراءة . فأمر الملك بتقييده وحبسه ، ونفذ فارسا لإحضار اليهودى . فطار الفارس بجناح الركض، وأحضره بين يديه . فاستخبره أنوشروان عن الحال، وأمره بالصدق . فطلب الأمان فأمنه . فباح بالسر وكشف الغطاء عن الأمر، وأفضى اليه بما دار بينه وبين الحاجب . فتعجب الملك من ذلك، وأمر باحضار موبذ موبذان، وسائر الأمراء والأعيان . وأمر اليهودى بحكاية ذلك على رءوس الاشهاد ففعل . فأمر بهما فصلبا ورشقا بالسهام ثم رجما بالأحجار، عبرة لمن اعتبر، وموعظة لمن نظر . وبقى أنو شروان يقرع سن الندم على ما سبق منه إلى مهبوذ فقال : هل بقى من أهل بيته أحد ؟ ففتشوا فلم يجدوا غير ابنة وثلاثة رجال . فأعطاهم وأحسن اليهم ، وفرق أموالا كثيرة على الفقراء، وجعل يستغفر الله ويتوب اليه من ذنبه ذلك .

قال الفردوسى : من عبد الله وطهر دينه لم يمدّ يده إلى السوء . فان فعل الشر وإن هان فى العاجل فهو منذر بفوات الروح فى الآجل . ولو أخفى الشر فى أحشاء الصخور لم يكن له بد من الظهور . ولن يبقى شىء على الزمان مكتوما، فلا تكن إلا بالخير موسوما . ومهما كنت ثاقب الرأى قليل الإيذاء أفلحت فى الدارين وحظيت فى المنزلين .

§ ذكر ما جرى بين أنو شروان وبين الخاقان

قال الفردوسى مخاطبا لمحمود : إن كنت تريد أيها الملك المتوج أن يحمد الناس بعدك آثارك فليكن العقل شعارك والدين دثارك ، وكن بقوة الصدق والسداد مستظهرا، حتى يكون العالم بأضواء

§ فى عهد أنوشروان يحدث التاريخ الفارسى لأول مرة عن الترك . وكانوا فى ذلك العهد فريقين : الترك الشرقيون الذين ينزلون بقاعا فى الشمال ما بين منغوليا وجبال أُرال . والترك الغربيون ينتشرون من جبال ألطاى إلى نهر سيحون .

(١) طا : ذاك . كو : ذلك

سيرتك منوّرا . وكن فى العدل شروى أنوشروان، ليبقى ذكرك كما بقى ذكره على تمادى الأزمان . إنه لما انتظمت أسباب سلطنته، واستتبت أمور ممالكه لم يكن متقيدا إلا باكتساب الذكر الجميل وادّخار الأجر الجزيل . فاستلقت الخلائق فى عهده على ظهورهم آمنين، وناموا فى ظلال دولته وادعين . ووضعت الحروب أوزارها، واستراحت الرجال ورفضوا أثقالها . واتصفت أكابر الأقاليم بصفة الصغار لأمره، وتابعوا الإتاوات والخدم الى حضرة تاجه وتخته . فلم يكن له شغل غير الصيد والطرد واللهو واللعب . ثم إنه أمر فبنوا له مدينة فرسخين فى فرسخين . فشيدوا فيها القصور، ودحوا الميادين، وأجروا فيها الأنهار، وأنشئوا البساتين . وبنوا له فيها قصرا فيه إيوان مذهب مرصع بأنواع الجواهر، وقبة عالية من العاج والأبنوس . وجمع على عملها جميع حذاق الصناع من الروم والهند . وأسكنها الأسارى الذين جاء بهم من البربر والروم وكوبجان والجيل . فاشتغل كل واحد منهم بصناعته . ولما فرغ من بنائها أنشأ لها كورا ورساتيق، وسماها سورستان .

= توفى تومان الخاقان الأول سنة ٥٣٣ نخلفه ابنه قولو الذى خلفه أخوه موقان خان وهو الذى واصل أنوشروان . والطبرى يسمى خاقان الترك فى عهد أنو شروان سنجبو خاقان . وحوالى سنة ٥٧٠ همّ الترك بالإغارة على إيران فأرسل اليهم أنوشروان جيشا يقوده ابنه هُرمُزد . وهرمزد هو ابن بنت الخاقان . فلا بد أن يكون أنو شروان سالم الترك وصاهرهم قبل هذا بأمد طويل . فسيْر أنوشروان لحرب الترك فى الشاه — هذا السير الذى انتهى بالمصاهرة ينبغى أن يكون حوالى سنة ٥٥٠، أيام موقان خان . ويفهم من الطبرى أن الخاقان طمع فيما كان يؤدّيه الفرس إلى الهياطلة وغيرهم لكف عاديتهم عن إيران فثار الشر بين القبيلين[١] . والظاهر أن الفرس والترك تعاونوا على الهياطلة فلما أثخنوهم وقع النزاع بينهم على الأرض . ثم حرب الخاقان فى الشاه فيها العناوين الآتية :

(١) قصة حرب خاقان الصين والهياطلة . (٢) اطلاع نوشين روان على أمر الهياطلة، وقيادته الجيش لحرب الخاقان . (٣) قيادته الجيش لحرب خاقان الصين . (٤) رسالة الخاقان اليه . (٥) جواب نوشين روان . (٦) رسالة الخاقان فى تزويج ابنته لنوشين روان . (٧) بعث نوشين روان مهران ستاد ليرى بنت الخاقان . (٨) إرسال الخاقان بنته مع مهران ستاد إلى نوشين روان . (٩) رجوع الخاقان، وتوجه نوشين روان بالجيش إلى طيسفون . (١٠) رجوع نوشين روان إلى ايران منتصرا . (١١) أمن العالم فى حكم نوشين روان . (١٢) [نصح بوزرجمهر نوشين روان] .

(١) الطبرى؛ ج ٢، ودنو؛ ج ٧ ص ٣١٧، سياس؛ ج ١ : أنوشروان .

قال : ولم يكن فى عهد كسرى أنوه ذكرا وأفخم قدرا من الخاقان ملك الصين. وكانت الملوك من شاطئ جيحون الى أقصى بلاد الترك منقادين له . وكان مستقر سريره بمدينة كُل زريون من وراء الشاش . فانتهت اليه أخبار كسرى التى استفاضت فى أطراف العالم، وما اختص به من العلم والشجاعة والروعة والجلالة . فأراد أن يكون بين الحضرتين مكاتبة ومراسلة، ومهاداة ومصادقة . نخلا بأصحاب رأيه وأركان دولته وشاورهم فى ذلك فأعد هدية لم يعهد مثلها محمولا من حضرة ملك الى آخر، ونفذها فى صحبة بعض أعيان دولته وكفاة حضرته . وكتب الى كسرى كتابا على الحرير الصينى . فسار الرسول، وكان ممره على بلاد الهياطلة . وكان لهم ملك يسمى غاتفر. فلما سمع بإهداء الخاقان ذلك الى كسرى خلا بأصحابه وقال : إن حصلت مصادقة وموافقة بين ملك إيران وملك توران تضررنا بها . والرأى أن نقطع الطريق على هذا الرسول فنقتله وننتهب ما صحبه . فجرد لذلك بعض قواده فركض اليه وقتله وانتهب جميع ما استصحبه . فلما انتهى الخبر بذلك الى الخاقان جمع عساكر الصين والخُتَن ، وعزم على قتال الهياطلة ، وكانوا نازلين من السغد الى شاطئ جيحون . فسار فى جمع عظيم ضاق عنهم نطاق الحصر . وجمع ملك الهياطلة مثل جنود الخاقان من بلاده وعسكر على بخارا . فجاء الخاقان والتقوا على ماى مُرغ (١) ، وهى قرية من قرى نخشب . فجرت بينهم وقعة عظيمة اتصل فيها القتل والقتال سحابة أسبوع . ولما كان اليوم الثامن خفقت أعلام الخاقان بالظفر وكسرَ الهياطلة كسرة عز جبرها . فقتل ملكهم مع خلق عظيم، وانهزم الباقون . ثم لما أمنوا قالوا : إنا لم نر مثل عساكر الصين . كأنهم ليسوا من الإنس بل كانهم مردة الشياطين . وكأن وجوههم وجوه الثعابين . تمرق سهامهم من الجبال (٢)، ولا يملون أبدا من القتال ؛ ولا يرفعون سروجهم عن ظهور الخيل، ويرسلونها فى الثلج طول الليل فتجتزئ بما ترى فى البرية من الحسك والشوك . فلا طاقة لنا بهم . والرأى أن ننضم الى كسرى ونستظهر به حتى نسلم من شر الخاقان . فاتفقوا على ذلك واختاروا من الهياطلة شابا كريم المحتد متحليا بسير الملوك والسلاطين يسمى فغانيش فتوجوه وأقعدوه على سرير الملك . ثم لما انتهى الخبر الى كسرى بقوة الخاقان واستطالة يده وارتفاع أمره حتى كسر الهياطلة تلك الكسرة الشنيعة، وأنهم أقاموا مقام غاتفر ملكا آخر — جمع أصحاب رأيه وأركان دولته مثل أردشير موبذ الموبذان وسابور ويزدجرد الكاتب فقال لهم : قد جاءنا خبر غير موافق ؛ بلغنا أن الخاقان قد كسر الهياطلة، واستولى عليهم وقتل منهم مقدار ثلثيهم، وأنهم حين قتل



(١) طر : ماه مرغ . (٢) طر : الحبال

ملكهم نصبوا ملكا آخر من نسل بهرام جور (أ) . والخاقان مخيم بالشاش فى عساكره ، مدل بما تيسر له من الظفر بالهياطلة . وهو لا يرى فى المنام غير العبور إلى أرض[1] إيران لما دخل رأسه من العجب . فماذا ترون ؟ وما الذى به تشيرون ؟ فقاموا ودعوا للملك، وأثنوا عليه ثم قالوا : أيها الملك ! إن الهياطلة هم أعداء مملكتك وحساد دولتك . فلا ينبغى أن تهتم لما جرى عليهم من جهة الترك . واذكر ماجرى منهم على فيروز . وإنهم لم يذوقوا بسيف الخاقان الا جزاء فعلهم، ولم يروا فى هذه الوقعة غير شؤم صنيعهم . وأما الخاقان فانه ماعبر بعد إلى أرض إيران حتى يتوجه نهوض الرايات العالية إلى ذلك الصوب . قالوا : ونخشى، إن نهض الملك إلى خراسان ، أن تطمع الروم فينتهزوا فرصة خلو عرصة إيران عن العساكر المنصورة فيهجموا على أطراف المملكة فيظهر خلل يتعب الملك فى تلافيه . هذا مانراه . ثم رأى الملك أصوب، وأمره أعلى . فغضب أنوشروان وقال : إن أسود إيران تعوّدوا العيش والطرب ، وآثروا اللهو واللعب حتى نسوا مطاعنة الرجال ومصابرة القتال . إنا عازمون على قصد خُراسان فأعدّوا واستعدوا . فانه لا بد من الارتحال عند مستهل الهلال . فلما أحسوا بتنمره اعتذروا وتنصلوا واسترضوه حتى رضى . ثم لما استهل الهلال شدت الكوسات على كواهل الفيول ، وأطلت الآساد على حوارك الخيول، وسار الملك من المدائن متوجها نحو خراسان فى جمع عظيم ترتج تحتهم الأرض . فلما وصل الى جرجان خيّم ليستريح بها أياما . وكان الخاقان حينئذ نازلا على ظاهر سمرقند . وكان يشاور أصحابه فى قصد إيران ونهب بلادها واستباحة أموالها واستتباع رجالها . فبينما هو يستشير فى ذلك ويشير ويعدّ ويستعد إذ أتاه النذير بوصول أنوشروان إلى جرجان فى جنود البر والبحر قاصدا قتاله . فنكصت منه تلك العزيمة على أعقابها وقال : العاقل من أتى الأمور من أبوابها . فخلا بأصحاب رأيه وأخذ يستقدح زناد رأيهم[2] . ثم قال لدستوره : الرأى أن أجر العساكر وأتلقاه حتى يعلم أنى غير ناكل عنه . فقال بعض كفاته : أيها الملك ! ليس من الصواب أن تنابذ ملك إيران، وتورط[3] بنفسك وعساكرك لقتاله . فانه ليس على وجه الأرض ملك يماثله فى القوة والشوكة ، وهو الذى يأخذ خراج الروم والهند وغيرهما من أقاليم[4] الأرض . فقال الخاقان : سكوتنا ليس بمصلحة . فاما أن نتشمر لقتاله أو نبعث اليه فى الصلح ونسمح بالمال . فان الذخائر لا تقتنى إلا لمثل هذا اليوم . ومن خاف

(أ) فى الشاه أن ملك الهياطلة من نسل بهرام كور، وأن الخاقان وجنده من سلالة أفراسياب وأرجاسب . وفى ذلك وصل هذه الحرب بالعداوة القديمة .

(١) طر : إلى إيران . (٢) طا ، طر . آرائهم . (٣) طر : تورط نفسك .

(٤) طر : من الأقاليم .

شيئا فينبغى أن يبـذل دونه بما يملكه من صامت وناطق حتى يأمن معرّة ما يخاف وعاديته . ثم إنه اختار عشرة من الكفاة الدهاة ممن يحسن أن يقول ويسمع، وكتب إلى كسرى على الحرير الصينى كتابا فنفذهم به اليـه . فسار الرسل بما تحملوا من رسالة الخـاقان حتى وصلوا إلى مخيم أنو شروان . فلما رفعت دونهم الحجب دخلوا على ملك يملأ العيون روعة وبهاء وأبهة وسناء فقبلوا بين يديه الأرض فوفوه شرائط الإعظام والإجلال . فأكرمهم الملك وسألهم عن الخاقان وانتظام أحوال مملكته واتساق أمور دولته . فأدّوا الرسالة وسلموا الكتاب اليه . ففتحه يزدجرد الكاتب، وهو كاتبه وصاحب سره وثانى موبذ الموبذان فى حضرته، فقرأه عليه . وكان مفتتحا بذكر الله تعالى والثناء عليه ومثنّى بكلام يعرب عن إدلاله بقوّته واستظهاره بشوكته . ثم قال: إنا كنا خطبنا اليه عقيلة مودّته وكريمة مصادقته، وأهدينا الى حضرته برسم خدمته تحفا من بلاد الصـين فتعرّض لهـا ملك الهياطلة، وأرسل جماعة من أصحابه فانتهبوها وقتلوا الرسل المنفذة معها[1] . فوجب علينا الانتقام منه فنهضنا الى بلادهم، ودلفنا لقتالهم فقتلناهم حتى سال جيحون بدمائهم . وقد بلغنا ما تخصص به الملك من الأبهة والجلالة والعقل والحياء وعلو الذكر والنباهة فآثرنا أن تكون بيننا وبينه صداقة أكيدة ومودة مهيدة . فإن رأى الملك أن يجيب إلى تشييد قواعدها وتمهيد مبانيها ، ويجاوبنا عن رسالتنا بما يرى فيها — فعل . قال : فلما وقف كسرى على ذلك الكتاب أمر بإنزال الرسل وإكرامهم . وكان كل يوم يحضرهم عند السماط حتى مضى على ذلك شهر . ثم أمر بأن ينصب له سرادق عظيم فى الصحراء . وجلس فيـه وحضره جميع مرازبة بلاده وعظماء مملكته فى زينتهم وعدتهم، ماثلين فى خدمة تخته صفوفا . ثم أمر بإدخال رسل الهند والروم وسائر الأقاليم . ثم أمر بإدخال رسل ملك الصين فدخلوا فرأوا[2] من الروعة والجلالة والهيئة[3] والبهـاء ما دهشوا له . فجعلوا يتناجون ويقولون: قد وقفنا على فخامة قدر هذا الملك فلو وقفنا على فروسيته وشجاعته! ففطن الملك لمـا دار بينهم فأمر بإحضار عدّته . فجاءوا بخفتانه، وكان لا يقدر الرجل القوى على حمله . فحلوا أزراره ولبسه . ثم ركب وخرج الى الفضاء، وطلاع تلك الأرض كراديس الفرسان وأطلاب الشجعان مظاهرين بين أسلحتهم، فركض يمينا وشمالا، وأظهر من أنواع فروسيته ما حير الحاضرين . ثم عاد الى إيوانه فاستدعى الكاتب وأجاب عن كتاب الخاقان بكتاب مشحون بوصف قوته وشدّة شوكته، واستصواب رأى الخاقان فى استئصال الهياطلة ومجازاتهم على إخفار الذمة وتصـدّيهم لقطع الطريق على الواردين من تلك الحضرة . وأمر بإفاضة الخلع على الرسـل وأذن لهم

(١٧٩)

---

(١) كلمة «معها» من طا، طر . (٢) طا، طر: ورأوا . (٣) طا، طر: الهيبة .

فى الانصراف . فلما وصلوا الى الخاقان وأخبروه بما رأوا من عظمة قدر كسرى ، وما شاهدوه من رجوليته وكثرة عَدده وعُدده ضاقت عليه الأرض بما رحبت وامتلأ خوفا وذعرا . فخلا بأصحاب رأيه وأخذ يمخض الآراء فقال الخاقان : الرأى أن ننفذ اليه رسولا ونسأله مصاهرتنا . وإن وراء ستورنا خمس بنات فتزوّجه[2] إحداهن . فإنه إذا التحمت بيننا أواصر المواصلة وانتظمت بيننا شجنة القرابة أمنا أن يقصد بلادنا وديارنا . بل نعتضد مع ذلك بقرابته ونستظهر بمودّته . فاستصوب ذلك جميع من حضر من أصحاب الرأى وأرباب العقل . فأمر فأعدّت لأنو شروان تحفة لم ترها العيون ، ولم تسمع بمثلها الآذان . ثم استحضر الكُتّاب[3] فكتب اليه كتابا قال فيه ، بعد حمد الله والثناء عليه : قد وصلت الرسل فأعلمونا بما شاهدوا فى تلك الحضرة من أسباب السلطنة وروائع الجلالة . فأحببنا أن نكون فى ظل عنايتها وكنف عاطفتها ، وأردنا أن يخطب الملك الينا بعض كرائمنا حتى تلتحم بيننا الأواصر وتشتجر العروق الشواجر ، ويرتفع الفرق فيما بين المملكتين ويحصل الاتحاد ما بين الحضرتين . ثم ختم الكتاب واستحضر من أقربائه ثلاثة رجال صباح الوجوه فصاح الألسن ، وأنفذهم بالتحف الى حضرة أنو شروان . فلما وصلوا الى دركاهه ، وعلم بقدومهم جلس على تخته ، على رسمه وآيينه عند وفود الرسل . فدخلوا عليه فلما قربوا من تخته نثروا ثلاثة مناديل فيها ثلاثون ألف دينار . ثم عرضوا التحف فصارت أرض الايوان كأنها[4] السماء بكواكبها من شعشعة الأثواب المنسوجة بالذهب والجوهر . فأكرمهم الملك غاية الإكرام وأمر بهم فأنزلوا فى موضع يليق بهم .

ثم إن الملك جلس ذات يوم عند طلوع الشمس وحضرته الأكابر والأعيان فأمر كاتبه يزدجرد بأن يقرأ عليهم كتاب الخاقان . فقرأه وفيه من التودّد والتملق ما أعجب الحاضرين . فأثنوا على أنو شروان ودعوا له ووصفوا ما أنعم الله تعالى به عليه من سعادة الجدّ وعلو القدر حتى أطاعته الملوك وخضعوا له . ثم قالوا : إن الخاقان ملك كبير قد ملأ الأرض ما بين بخارا والصين بجنوده . وهو مع ذلك يريد الاتصال بالملك . وينبغى ألا يتوانى فى إجابته . فانه لا عار فى مصاهرته[5] . فأمر الملك بإحضار الرسل فلما دخلوا أكرمهم وأجل أقدارهم ، وأقعدهم بالقرب من تخته فأدّوا رسالة الخاقان بأحسن لفظ وأخفض صوت . فلما سمعها الملك قال : إن الخاقان ملك كبير موصوف بالعلم مستحق للثناء والحمد . وقد أحب مصادقتنا ومصاهرتنا . ونحن نجيبه الى ذلك ونتيمن بمواصلته . غير أنا نرجو أن يمكننا من اختيار من نريد من بناته . وذلك يتيسر بأن أبعث بعض

(١) طا ، طر : الى ملكهم . (٢) طر : نزوّجه . (٣) طر : الكاتب
(٤) طا ، طر : وكأنها . (٥) طا ، طر : مصاهرة مثله .

ثقاتى حتى يشاهدهن وراء الحجاب فيختار أوفرهن أدبا وأكرمهن أما . ثم أمر كاتبه أن يكتب جواب كتاب الخاقان . فكتب كتابا يذكر فيه مسارعته الى إنجاح طلبته وتبجحه بمصاهرته . وخلع على الرسل خلعا تعجب منها الناظرون . واختار من أصحابه شيخا عاقلا يسمى مهران ستاذ ونفذه معهم . وقال له : ادخل إلى ما وراء ستور الخاقان فإن له عدّة بنات موصوفات بالجمال والكمال . ولا تعتمد على ما ترى عليهن من الحلى والحُلل . وإن من كانت منهن من أولاد الإماء لا تأتى بخير . وانظر حتى تقع عينك منهن على واحدة كريمة الأم تجمع بين كرم الحسب وشرف النسب . فتلك التى تليق بنا وتصلح لبيتنا . فسار الثقة الأمين فى صحبة الرسل ومعه مائة فارس من أعيان الإيرانيين وعقلائهم . فلما وصلوا الى مستقر الخاقان تلقاهم أكابر دولته وأماثل حضرته . ولما دخل عليه أكرمه وأعزّ مقدمه ، وأمر بإنزاله فى موضع يصلح له[1] . ثم قام ودخل على زوجته الخاتون الأصيلة النسيبة وفاوضها فيما ورد الرسول لأجله . وكانت له منها بنت فى غاية الحسن ، وله أربع أخر من حظاياه . وكان فى نفسه ألا يزوّج أنو شروان ابنة الخاتون لفرط محبته لها وقلة صبره على مفارقتها . وعزم على أن يزوّجه إحدى بناته الأخر . ولما كان الغد حضر مهران ستاذ باب الملك فرفعت دونه الحجب فدخل ودفع كتاب أنو شروان إليه . فلما وقف على كتابه أمر بادخال الشيخ الأمين على حجر بناته . فتقدّمه الخدم ودخل عليهن فرأى مجالس كالجنان الحالية واذا بخمس بنات كالشموس[2] الطالعة متبرجات فى الحلى والحلل ، قد أجلسن على تخت . غير أن واحدة منهن بلا تاج ولا طوق فى ثياب بذلة . فتفرّس فيهن الثقة الأمين ، وقال : إن الظن يصدق ويمين . وتوسم النجابة والأصالة فى ناصية العاطلة عن التاج والطوق ، الحالية بجمال الخلقة ونجابة الأصل (أ) . فاختارها من بينهن وقال : هذه تصلح للملك . فقالت له الخاتون : أيها الشيخ ! ما بالك تختار صبية لم تبلغ بعد مبلغ النساء ، وتعدل عن اختيار هؤلاء الأبكار المعصرات؟ فقال : لست أختار سوى هذه . فان أجاب الخاقان الى تزويجها وإلا رجعت منصرفا . فتعجب الخاقان عند ذلك من ذكاء الرجل وفطنته ، وعلم أنه النقّاب الثاقب الرأى الذى لايخفى على ألمعيته شيء . فاستحضر المنجمين واستخبرهم عن طالع ابنته تلك وما يحصل بعد اتصالها بالملك . فنظروا فى تقاويمهم وزيجاتهم حتى وقفوا على أسرار النجوم فى تلك المصاهرة فبشروا الملك وقالوا : إنه يحصل من اتصال ما بين الشجرتين ولد يملك الأرض ويختص بالثناء من أكابر إيران وتوران . فضحكت الخاتون واستبشر الخاقان . فحضر مهران ستاذ فعاقده عليها .



(أ) تقدم أنه كان من أسباب العداء بين فيروز وملك الهياطلة أن فيروز رضى بمصاهرته ثم أرسل اليه أمة فلما تبين الأمر لملك الهياطلة غضب الخ .

(١) طر : يليق به . (٢) طر : كأنهن الشموس .

ثم جهزها الخاقان فأمر ففتح لها باب كنز محتو على كل جنس من الذهب والفضة والجوهر والحلى والحُلل والتيجان والتخوت والأطواق[١] والأسورة . فأوقر أربعين حملا من الثياب المنسوجة بالذهب والزبرجد، ومائة حمل من المفارش . ثم رتب ثلاثمائة وصيفة بالأطواق والمناطق، بيد كل واحدة منهن علَم، على رسم أهل الصين، إلى غير ذلك من الخيل والفيلة بآلات الذهب والتخوت المرصعة بالجوهر. ثم أمر فعقدوا لها لواء عظيما إذا نشر جلل الهواء بالديباج الصينى. ثم سيرها إلى إيران فى صحبة الثقة الأمين، وشيعها إلى جيحون ثم انصرف. ولما أتى الخبر أنوشروان بقدوم ابنة الخاقان أمر فعقدت الآذنيّات والقباب فى طريقها ، ونثرت على مواكبها النثارات الكثيرة الى أن وصلت إلى جُرجان وبِسطام . ولما دخل بها أنو شروان أعجبه ما رأى من كمالها وجمالها فأحسن عشرتها ورفع درجتها وبالغ فى إكرامها وإعظامها . فلما انتهى الخبر إلى الخاقان بابتهاج أنو شروان بوصلته، وسروره بابنته أفرج له عن سمرقند والسغد والشاش ، ونقل تخته الى بخغار[٢] . فنفذ أنو شروان إليها مرازبته . واطمأن عند ذلك الناس . ثم تبادرت ملوك تلك الأطراف بالهدايا والتحف الى بابه حتى إن الهياطلة مع مناعة جانبهم وخشونته تسارعوا طائعين الى خدمته، ودخلوا فى رق طاعته . فأكرمهم وأحسن اليهم ، وأفاض خلعه وفواضله عليهم . ثم إنه عزم على معاودة المدائن فسير أمامه الخاتون الى مدينة طَيسفون ، وقدّم ثَقَله اليها . وبقى فى أمرائه وأصحابه جريدة فسار على طريق آذربَيجان ، وطاف على ممالكه فصادف الدنيا ببركة معدلته كأنها أبرزت فى لون آخر من البهجة والنضارة فرأى الأراضى الغامرة التى لم يكن يطؤها أحد ولم يكن للعمارة بها أثر — قد صارت فى زخارفها وأزهارها كالجنان المزخرفة ، ورأى صحاريها تطن بالثغاء والرغاء ، وكانت من قبل لا يسمع فيها غير زُقاء الأصداء . وأتته رسل قيصر صاحب الروم بالهدايا والتحف والنثارات الكثيرة مع ما التزموا من خراج ثلاث سنين ، ومعهم رسالة ناطقة باستقلال ما نفذ الى حضرته . فقبل تلك الهدايا وأكرم الرسل. ثم ركب وسار ولما وقعت عينه على متعبدهم المعروف بآذركَشسب ترجل إجلالا له وأخذ يبكى ويزمزم وبيده البرسَم (أ) . ومشى حتى دنا من النار فاستقبلها ودعا الله تعالى عندها وأثنى عليه . وسلم جملة وافرة من الذهب والجوهر إلى خازن بيت النار . ثم توجه نحو المدائن ناشرا جناح الأمن والأمان على جميع الأنام، مفيضا عليهم شآبيب النعم ومدِرّا لهم أفاويق الكرم . فصارت تلك الممالك من الأمن بحيث لو أفرغت أحمال الدنانير على عوادل الطرق لهربت منها اللصوص . وآستفاضت بذلك الأخبار فى جميع الأقطار، وآتصلت القوافل والرفاق إلى أرض

(أ) برسم : أعواد من النبات كان المجوس يأخذونها بأيديهم وقت العبادة .

(١) طر : والأطواق والمناطق والأسورة . (٢) فى الشاه : بخغارباشى .

إيران من الصين والهند والروم وسائر الأقاليم . فصارت بلاد إيران كجنان الفردوس من كثرة ما جلب إليها من أنواع الوشائع وألوان الثياب، والمسك والعنبر والكافور الرطب . هذا مع ما فتح الله تعالى عليهم من أبواب الرحمة من ديم الغيوث وابلا وطلّا ، الجاذبة بأضباع الزروع نهلا وعلّا . حتى سالت الأودية كالبحار الطافحة ، وآعشوشبت المروج بالأزاهير النافحة . وحظيت العلماء والأخيار والعقلاء فى أيامه، وآنقمعت الأشرار من مهابته . وكان ينادى على بابه كل يوم : ألا من تعب فى شيء من خدمات الملك فليعلم حاجب الباب حتى يطالع به ويجازى على سعيه . ومن كان له دين على معسر فلا يطلبنه إلا من خزانة الملك . ألا ومن نظر إلى حرمة لغيره فلا جزاء له إلا الصلب أو القيد والحبس . ومن أرسل فرسه على زرع أبيح دمه وخرب بيته . ألا إن الملك لا يرضى بأن يكون على بابه إلا من كان سديد السيرة حميد الطريقة . والسلام .

§ ذكر وصول رسل ملك الهند الى أنوشروان وما جرى بينهما من التهادى بالشَطرَنج والنرد

قال صاحب الكتاب : جلس أنوشروان ذات يوم على تخت السلطنة فى مجلس حضرته ملوك الأطراف وأرباب الدولة، وأعيان الحضرة فجاء بعض الحجاب وأعلمه بوصول رسول من صاحب الهند وفى صحبته ألف جمل بأحمالها . فأذن له فدخل وخدم وأثنى على الملك ونثر بين يدى التخت جواهر كثيرة . ثم عرض ما آستصحبه برسم الهدية . وكانت من جملتها مظلة مرصعة بالجواهر ، وعشرة أفيال . ثم حل الأحمال فكانت مشتملة على الذهب والفضة والعود والكافور وسائر أنواع الجواهر. فعرض الكل عند التخت . ثم جاء بكتاب مكتوب على الحرير وتخت للشطرنج . فقال : إن الراى — يعنى ملك الهند — يقول : ليأمر الملك أعلم أصحابه وأذكى من على بابه أن يضع هذا

---

§ اختلفت أساطير الأمم فى الشطرنج فنسب الى أمم كثيرة والى أناس عديدين . وكذلك كثر جدال الباحثين . وأرجح الآراء فيما يظهر أن مهد الشطرنج الهند . ومهما يكن منشؤه فلا خلاف أن العرب أخذوه عن الفرس وأن الفرس أخذوه مرة عن الهند . واسمه العربى "شطرنج" محرف عن الفارسى چترنك، وهذا محرف عن السنسكريتى چتورنكا — كلمة تكررت فى شعر قدماء الهند وصفا للجيش . وهى مركبة من "چتور" أى أربعة و "أنكا" أى عضو . فمعناها أربعة أعضاء، ويراد بها أعضاء الجيش . وهى عندهم الخيل والفيلة والعجلات والرجالة[1] . =

(١) دائرة المعارف البريطانية : (Chess) .

التخت قدامه، وينظر فيه، ويلعب بهذه التماثيل على الصحة ، ويذكر اسم كل واحد منها ويضعه في بيته من الرقعة، ويعرف كيفية كرّه وفرّه . فإن قدرتم على استخراج ذلك التزمت الخراج ونفذته إلى الخدمة. وإن عجزتم عن ذلك فلا تلزمونا الخراج وألتزموه. فحق عليكم أن تقدّموا العلم ولا تتقدّموه .

(١٨١) قال : فأخذت تلك الرسالة بمجامع قلب أنوشروان فأستحضر النطع والتخت ، وشاهد تلك التماثيل فرأى بعضها منحوتا من الساج والبعض مخروطا من العاج . فسأله عنها فقال : إن هذا موضوع على رسم القتال وآيين الحرب بين الرجال . فأقبل الملك على علمائه وموابذته، وقال : عليكم باستماع ما يقول هذا الرسول، وأستخرجوا المكنون من هذا السر. فتقدّم بُزُرجِمِهر و بسط النطع، وأخذ يتفكر . فعبى تلك التماثيل صفوفا : فجعل الشاه فى القلب، ورتب على يمينه دستوره ، يعنى الفرزان، ورتب الميمنة والميسرة، وقدّم الرجالة ، يعنى البيادق، بعد أن أقام على كل طرف من الرقعة مبارزا، يعنى الرخ، ورتب الفيل والفرس من جانبى الشاه . فسوّى صفوفها حتى تقابلت وتوازت مثل الصفوف المعبّاة يوم اللقاء . فلما رأى الهندى ذلك أظلم فى عينه ضوء النهار، وأصفر

= والشاه فى وصف الشطرنج وقصته تقارب كتابا فهلويا اسمه "چترنك نامك" يظن أنه كتب فى القرن السابع الميلادى . ويذكر ملك الهند فيه باسم دِوَسرام . وفيه أن بزرجمهر فطن اللعب بالشطرنج ولاعب رسول الهند فغلبه اثنى عشرة مرة ولاء .

وأما النرد فيظهر أن اسمه فارسى . فلفظ "نرد" بالفارسية معناه جذع الشجرة . وكأن قطع النرد شبهت بقطع من جذع شجرة . وفى "چترنك نامك" أنه سمى باسم مؤسس الدولة الساسانية "نو أردشير" وأن الاسم اختصر فصار "نرد" وهو تأويل ينبغى ألا يعتدّ به .

ثم قصة الشطرنج والنرد فى الشاهنامه تتقسمها هذه العناوين :

(١) ارسال راى[1] الهند الشطرنج إلى نوشين روان . (٢) اختراع بوزرجمهر النرد ، وبعث نوشين روان إياه الى الهند. (٣) عجز علماء الهند عن اللعب بالنرد. (٤) قصة كو وطلحند، واختراع الشطرنج — بدء القصة . (٥) جدال كو وطلحند على العرش . (٦) تهيؤ كو وطلحند للحرب . (٧) نصح كو طلحند . (٨) حرب كو وطلحند . (٩) حرب كو وطلحند المرّة الثانية وموت طلحند على ظهر الفيل . (١٠) علم أم طلحند بموت ابنها وحزنها عليه . (١١) اختراع الشطرنج من أجل أم طلحند .

(١) راى = راجا .

وجهه حتى صار كورق البهار، وتعجب من ذكاء ذلك العالم ومن تفطنه لذلك . فتهللت أسرّة وجه أنوشروان ، وتوردت وجنتاه ، واستبشر بنصب بزرجمهر لتلك التماثيل ووضع كل واحد منها فى موضعه . فأمر له بجام مملوء من الجواهر الشاهية، وبدرة من الذهب، وفرس بسرجه ولجامه . وأثنى عليه كثيرا . فقام بزرجمهر وعاد إلى منزله فوضع بين يديه التخت والفرجار ، وغاص فى بحر الفكر، وحذا حذو الهنود فى وضع الشطرنج، وتحارب عساكر الروم فيه والزنج . فوضع النرد بفطنته وذكائه، وأمر بعمل خرزتين من العاج منقطتين بالساج. ورتب له ناوردا كناورد الشطرنج، وسوّى الصفوف من الجانبين، وقسم العسكرين صفوفا ثمانية كأنها كراديس متشمرة للقاء . ولما فرغ من ذلك ركب الى خدمة أنو شروان ، وذكر له ما وضعه . ثم إنهم استمهلوا الرسول سبعة أيام ليستخرجوا كيفية اللعب بالشطرنج . فأنزلوه فى مكان وأمر أنو شروان باستحضار العلماء والموابذة فحضروا وأخذوا فى استخراج ذلك اللعب الخفى فطال عليهم الأمر فلم يقدروا . وصعب ذلك على أنو شروان وقال : إن لم يتضح هذا السر أورث علماء إيران وهنا عظيما . فخلا بزرجمهر بنفسه ونصب الشطرنج بين يديه فبقى يوما وليلة ينقل تلك التماثيل يمنة ويسرة حتى وقف على كيفة اللعب به . فأظهر ذلك لأنوشروان فقضى العجب من ذلك ودعا له وأثنى عليه . ثم أمر فأوقروا ألفى جمل من الأمتعة التى تجلب من الروم والصين وسائر تلك الممالك . ثم استحضر رسول الراى ملك الهند ، وأجاب عن كتابه وذكر فيه أنه قد وصل رسولك وعرض ما كان معه من الهدايا والتحف فقبلناها . وأما الشطرنج فانا استمهلنا الرسول أسبوعا فتجرّد الموبذ الطاهر القلب للتفكر فى استخراج اللعب به . فلم يزل ينقب ويبحث حتى وقف عليه وعلى استخرج[1] سره الخفى . وقد نفذنا هذا الموبذ إلى خدمتك مع ألفى حمل من الأقمشة النفيسة . ووضعنا النرد بإزاء الشطرنج، ونفذناه إلى الخدمة . فإن فطنتم للعب به فلكم هذه الأحمال ، وإن عجزتم عن ذلك فأضيفوا اليها مثلها من عندكم ونفذوها الى خزائنتنا[2] . والسلام .

فسار بزرجمهر بمن معه نحو الهند. فلما وصل أكرمه ملك الهند وأعز مقدمه . ولما وقف على كتاب أنو شروان عظم عليه ما تيسر له من اللعب بالشطرنج . ثم أمر بإنزال بزرجمهر فى موضع يصلح له واستمهله سبعة أيام يحل[3] مشكل النرد . فاجتمع جميع علماء الهند عليه وبقوا سبعة أيام لا يهتدون الى سبيل اللعب به . ولما كان اليوم الثامن حضروا عند الراى واعترفوا بعجزهم عن التفطن لذلك فعظم عليه . وحضر بزرجمهر صبيحة اليوم التاسع وقال : إن الملك لم يأمرنى بالتلبث

(١) صل : واستخراج . والتصحيح من طا ، طر . (٢) طا ، طر : خزائننا . (٣) طا ، طر : لحل مشكل .

أكثر من هذا القدر . وإن خالفت لم آمن غضبه . فربض علماء حضرة الراى تحيرة، واعترفوا بالعجز وقالوا : إنا لا نهتدى إلى حل هذا المشكل . فتصدّى بُزُر جِمهر عند ذلك ولعب بالنرد بين يدى الراى . فتعجب الحاضرون منه وأطلقوا السنتهم بالدعاء له والثناء عليه . فأوقر عند ذلك ملك الهند ألفى حمل من نفائس بلاده مع خراج سنة ، ونفذ الكل الى خزانة أنو شروان . وخلع على بزرجمهر ما كان عليه من خاص ثيابه مع تاج رفيع أمر بإحضاره له من خزانته . فعاد الى حضرة أنو شروان ومعه كتاب ملك الهند بشهادة جميع علماء بلاده بأنه ليس على وجه الأرض مثل أنو شروان ملك ، ولا كعالمه عالم . ولما شارف بزر جمهر حضرة الملك أمر جميع أكابر حضرته وأركان دولته بالخروج لاستقباله . فتلقوه بأتم إعظام وإجلال . ولما وصل دخل على الملك فاعتنقه وأكرمه وسأله عما ناله من مشقة الطريق وما تحمله من تعب السفر . ثم سرد على الملك حكاية ماجرى عند ملك الهند فاستبشر أنو شروان بذلك وحمد الله وأثنى عليه وشكره على ما أنعم به عليه من حصول عالم مثل بزرجمهر لديه . والسلام .

ذكر السبب فى وضع الشَطرنج

قال صاحب الكتاب : كان فى بلاد الهند فى ذلك الزمان ملك يسمى جَمهور . وكان له الأمر على تلك الممالك من حد كشمير الى أرض الصين . وكانت مدينته سندَلى دار ملكه ومستقر جنوده ومخبأ خزائنه . وكانت له زوجة من بنات الملوك موصوفة بالرأى والعقل . فرزق منها ولدا وسماه كَوّا (ا) فمات الملك بعد ولادة هذا الابن عن قريب، وأوصى الى زوجته . فاجتمعت الجنود عليها وبقيت تنهى وتأمر . وكان لزوجها أخ اسمه ماى وكان يسكن مدينة زنبر(١) . فقدم وتزوج بزوجة أخيه، وقعد مقعده من سرير السلطنة ، واجتمعت عليه العساكر . فكان يدبر أمورهم ويسوس جمهورهم . فرزق منها ابنا وسماه طلخند . فمات بعد سنتين من ولادة هذا الصبى . فاجتمعت العساكر واتفقت كلمتهم على تقديم زوجة الملك والرضى بسلطنتها . فأرسلوا اليها وأشاروا عليها بأن تتقلد الأمر وتقوم بالملك وكفالة الولدين الى أن يصلح أحدهما للتقدّم والسلطنة . وكان أحد الولدين ابن سبع سنين والآخر ابن سنتين . فتسنمت الملكة تخت الملك واشتغلت بإقامة مراسم السلطنة . وألزمت كل واحد من الصبيين عالما يؤدّبه ويعلمه . فكانا يربيانهما ويعلمانهما حتى برعا فى الأدب



(ا) فى الشاه كَو . وقد عربها المترجم هنا بالكاف مرة وبالجيم أخرى .

(١) فى الشاه : دنبر .

وترشحا للقيام بأعباء الملك . فكان كل واحد منهما يخلو بالملكة ويسألها ويقول : من الذى يصلح منا للتاج والتخت ؟ وكانت الأم تقول : من كان منكما أبرع فى الآداب وأجمع لمكارم الأخلاق وليته الأمر، وقلدته الملك . وكانت تعللهما بذلك إلى أن بلغا مبلغ الرجال، ودبت بينهما عقارب الشحناء، وأخذا فى التحاسد والتباغض، ونفقت بينهما سوق أهل النفاق والنمائم.فكثرت مراجعتهما الى الملكة ومطالبتهما إياها بتعيين أحدهما للسلطنة . وكان قلبها يميل الى جو لكونه أكبر سنا وأحق بالسلطنة من وجهين : أحدهما من حيث الأب، والثانى من حيث اختصاصه بمزيد الشهامة والعقل ومزية الإحسان والعدل . فقسمت الكنوز والأموال والذخائر بين الولدين على السوية . وقالت لطلخند : الرأى أن تبايع أخاك على الملك ولا تنازعه فيه، كما رضى أبوك بتقدم أخيه . فلم يرض بذلك، واتفقت كلمتهم على أن يجمعوا وجوه العسكر وأعيان الدولة ويشاوروهم فى المتعين من الملكين. فنصبوا تختين فى إيوان دار الملك، وقعد كل واحد منهما على تخت، وبجنب كل واحد منهما وزيره ومن هو مدبره ومشيره . وحضرت الأمراء والأكابر فى مجلس عام . فقام الوزيران وقالا : أيها الحاضرون! من الذى ترون من هذين الملكين يصلح أن يكون فيكم مالك الأمر، ومتولى الحل والعقد؟ فتعجبوا من تلك الحالة وتحيروا ولم يحيروا جوابا، وعمهم السكوت والوجوم . فقام واحد منهم وقال : إنا لا نتجاسر على الكلام فيما بين هذين الملكين . ولننصرف اليوم فنجتمع ونتشاور فى هذا الأمر ثم نخبر بما نرى من الصواب . فانفضوا من ذلك المجلس . وكان بعضهم يميل الى جو وبعضهم يميل الى طلخند . وتفرقوا[1] وتحزبوا وانضم كل واحد منهم الى من كان يميل اليه . ومهما ظهر فى بيت آمران فعن قريب يخرب . ولا يجتمع سيفان فى غمد، ولا ملكان على تخت . فاتفق أنهما اجتمعا ذات يوم فأقبل جو على أخيه ينصحه ويعظه ويحذره عاقبة مخالفته ويشير عليه بموافقته ومتابعته محافظة على أبهة السلطنة، ودفعا لشماتة أعداء الدولة . فلم تنجع مقالته فيه، وكان تأثير كلامه فى قلبه تأثير الماء اذا جرى على الصخرة الصماء . وكان من جوابه له أن قال : إنا لم نر أحدا طلب السلطنة بالرقية والتملق . وأنا فقد ورثت هذا التخت من أبى . فالملك حق أدافع عنه بسيفى. فأفضى حالها الى المنابذة وتصديا للمقاتلة . فانصرف كل واحد منهما الى منزله فارتفع الصياح من الدركاهين . فابتدأ طلخند بتهيئة أسباب القتال، وفرق الأسلحة على الرجال . فاضطر أخوه الى أن استحضر عَدده وعُدده، ودعا أمراءه وقواده، وأمرهم بالتشمر لما حزبهم من ذلك الأمر المهم، والحادث المدلهم . ثم برزوا وعبوا عساكرهم ميامن ومياسر، ومقانب ومناسر، وقدموا الرجالة أمام

(١) طا، طر : فتفرقوا .

الفرسان فى آلات الضراب والطعان ، وأسرجوا الفيلة لركوب الملكين . ثم لما اصطف الفريقان وتقابل الجمعان أدركت الرقة جوّا حتى كاد يحترق جوى . فأرسل الى أخيه أحد ثقاته ينصحه على لسانه ويسأله أن يكف من عنانه ويشتغل بإصلاح الفاسد، ولا يغتر بمقالة[1] الكاشح والحاسد، على أنه يقسم الممالك فيكون له ما يختار منها ويريد. فأبى طلخند إلا التمادى فى غيه والاستمرار على غُلَوائه. وكان من جوابه أن قال : لا كان يوم أسلك فيه هذه المسالك أو أرضى منك بقسمة الممالك . فعظم ذلك على جوّ فاستحضر وزيره وسأله عن وجه التدبير فى كف أخيه عن مغامسة القتال، والتعرض لسفك دماء الأبطال . فقال : إنه، على ما أرى من أحكام النجوم، لا تطول مدّته . فداره بأبلغ ما يمكن، وولّه جميع الممالك ، وحكّمه فى جميع الذخائر والخزائن، وارض من الملك بتاج وخاتم . فاختار رجلا موسوما بالعقل والذكاء، وأرسله الى طلخَند، وأمره أن يقول له : إن أخاك موجع القلب مما أنت مصر عليه من المنابذة . ولا ينسب ذلك إلا الى دستورك الذى هو العادل بك عن سواء الطريق . ولا يخفى عليك أن حوالينا جماعة من الأعداء مثل ملك كشمير وبغبور وغيرهما . ومهما تقاتلنا على التاج والتخت قرفونا بكل سوء، وأطلقوا فينا الألسنة، وزعموا أنا لسنا من أصل طاهر . وإنك إن نهضت الىّ لم أبخل عليك بالتاج والتخت . ولا عار عليك ولا غضاضة تلحقك فى أن تجنح الى مصالحة أخيك الأكبر بل تكون بذلك محمودا عند ملوك البحر والبر . وقد نصحتك إن قبلت . وإن لم تقبل ستندم[2] حين لا يغنى الندم، وتعض على يديك حين تزل بك القدم . فأتاه الرسول وأدّى اليه الرسالة فما نجعت فيه تلك المقالة . وكان من جوابه أن قال : قل له من أنت؟ ومن أين لك التاج والتخت حتى تمن بهما علىّ وتفوّضهما الىّ؟ وما أراك إلا وقد أطلت الأمل حين شارفت الأجل ، وأنك حين رأيت الأمر إمرا أخذت تخادعنى حيلة ومكر . وجعلت الرسل تتردّد بينهما الى أن أمسوا . فنزل العسكران فى مواضعهما، وخندق كل واحد منهما حوالى معسكره، وبث الطلائع الى أن تبلج الإصباح. فارتفعت أصوات الكوسات من الجانبين، وتراءت أعلام الملكين. وترتبت الميامن والمياسر، ووقف كل واحد منهما فى قلب عسكره وبجنبه وزيره ودستوره . فأمر جوّ دستوره أن يأمر أصحابه بألا يبدءوا بالقتال، ويقول لهم : اذا رزقتم الظفر فلا تسفكوا الدماء. ومن وصل منكم الى موكب طلخند فينبغى أن يضع خده بين يديه على الرغام، ولا ينظر اليه إلا بعين الإكبار والإعظام . وأما طلخند فإنه أوصى رجاله بخلاف ذلك، وأمرهم بالقتل والنهب والقبض على أخيه وحمله أسيرا مكتفا اليه .

---

(١) طر : بمقالة الحاسد . (٢) هكذا فى النسخ . والصواب فستندم .

قال : فتزاحف الفريقان وتلاقى الجمعان وجرت وقعة عظيمة . وظهرت الغلبة لجوّ، وبقى طلخند وحده فى المعترك . فناداه جوّ وأشار عليه بأن يعود الى إيوانه . فعاد ووضعت الحرب أوزارها وأخمدت نارها . ثم اجتمع من تفرّق من عساكر طلخند عليه فخلع عليهم وأحسن اليهم، واستأنف الأمر وعزم على معاودة اللقاء . فترددت بينهما الرسل وتكررت السفراء فى إصلاح ذات البين ولمّ الشعث من الجانبين . فلم يزدد طلخند إلا غلوا فى العصيان وتماديا فى الطغيان . فبرزا فى عساكرهما الى ساحل البحر، وحفر كل واحد منهما حوالى عسكره خندقا ألقى فيه الماء. ثم إنهم التقوا وجرت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها أكثر أصحاب طلخند، وبقى هو وحده فى المعترك . فنظر فرأى رجاله مجدّلين وقد ارتطم[1] بعضهم فى ذلك الخندق وبعضهم فى الصحراء . عظم عليه ذلك فانحنى وهو على ظهر الفيل، على قربوس سرجه وخرجت روحه من الأسف والهم . فنظر جوّ فلم ير راية أخيه فنفذ فارسا ليأتيه بخبره . فانصرف وأخبره بالحال . فترجل جوّ ومشى ميلين راجلا باكيا فرأى أخاه على تلك الحالة ففتشه من رأسه إلى قدمه فلم يجد به أثر ضربة ولا رمية فعلم أنه مات حتف أنفه . ثم إنه أخذ فى البكاء والنحيب فوصل وزيره وعزاه ، وشكر الله تعالى على أنه لم تكن ميتته قتلا على يده، وأشار عليه بأن يركب حتى يراه الناس فيسكنوا . فركب ونادى مناديه ألا فرق بين العسكرين . فانصرفوا مستظلين بظل الأمن والأمان . ثم إنه عمل تابوتا من العاج ووضع أخاه فيه، وعاد الى دار ملكه .

وكانت أمهما مضطربة تنتظر ما تسفر عنه تلك الوقعة ترجف أحشاؤها وتضطرب فرائصها وقد أرصدت على المراقب ربايا حتى يأتوها بالخبر . فلما طلعت رايات جوّ وفقدت أعلام طلخند أنهى اليها الخبر فمزقت الثياب على نفسها وأخذت فى البكاء والعويل . ثم دخلت إلى إيوان طلخند، وأحرقت جميع ما كان له من الأثواب والأسلحة، وأوقدت نارا عظيمة وعزمت على أن تلقى نفسها فيها، على آيين الهنود ورسمهم . فلما أعلم جوّ بذلك تقدّم راكضا حتى أتاها فأمسكها وضمها الى صدره، وأخذ يسليها ويعزيها ويخبر أنه لم يباشر قتل أخيه ولا أحدٌ من أصحابه وذويه ، وأنه لم يمت إلا حتف أنفه . فلم تصدّقه أمه على ذلك، وأخذت تعنفه وتوبخه . فحلف لها على ذلك بالأيمان المغلظة . ثم قال لها : وإن كذبتينى فيما أقول أحرقت نفسى . وعزم على ذلك فرقّت له أمه ، وقالت : إذا كان الأمر على ما ذكرت فأبن لى ما جرى فى هذه الوقعة ، وأنه كيف كان موت طلخند . فلعلى أتسلى بذلك فينجلى عنى بعض ما بى من الهم والحزن والجزع والأسف . فانصرف جوّ إلى ايوانه، وأحضر وزيره وفاوضه فيما دار بينه وبين أمه ، وذكر له ما التمسته منه . فأخذا

(١) طا ، طر : قد ارتطم .

يتشاوران ويتفاوضان فقال الوزير : الرأى أن نجمع علماء الهند ونأمرهم بإعمال الفكر فى حكاية صورة المعترك بما اشتمل عليه من العساكر والحفائر، وكيفية موت الشاه طلخند . فبثوا الرسل فى بلاد الهند وجمعوا العلماء عند الملك فأوقفوهم على صورة المعترك وما جرى فيه . فخلوا وباتوا ليلتهم فى ذلك الفكر حتى أصبحوا . فاستحضروا الأبنوس وعملوا تختا، وصوروا فيه مائة[1] بيت . ثم عملوا من الساج والعاج صورة شاهين معتصبين بالتاج مع جنودهما وخيولهما وفيولهما . ثم صفوها صفوفا فجعلوا كل واحد من الشاهين فى قلب عسكره وعلى يمينه وزيره، والى جانب[2] كل واحد منهما من الميمنة والميسرة فيلان ينتقلان فى ثلاثة بيوت . وجعلوا دون الفيلين جملين عليهما راكبان، ودونهما فرسين عليهما فارسان، ودون الفرسين رخين كأنهما مبارزان يركضان يمنة ويسرة، ولا يقف قدامهما أحد . ورتبوا الرجالة مصطفين أمام الكل . ومهما انتهى واحد منهم الى آخر المعترك صار فى مرتبة الوزير، يقعد بجنب الشاه ويختلف بين يديه . ثم كل واحد من هؤلاء المقاتلين اذا رأى الشاه فى بيت صاح وأشار اليه بالإحجام والتنحى من ذلك البيت . ثم إن أحد العسكرين غلبوا فسدّوا الطريق على الشاه . فنظر فرأى عساكر العدو قد[3] أحاطوا به من كل جانب، وسدّوا عليه كل مسلك فمات من الهم والأسف ما بين المعترك .

قال : فكانت أم طلخند تشاهد الشطرنج يلعب به عندها فتتعرف أحوال ذلك المعترك الذى جرى فيه على ولدها ما جرى . ولم يزل ذلك دأبها الى أن قضت نحبها .

فهذا سبب وضع الشطرنج . والحمد لله رب العالمين .

§ ذكر نقل كتاب كليلة ودمنة الى خزانة كسرى أنو شروان

قال صاحب الكتاب : كان فى جملة حكماء أنو شروان طبيب حاذق قد أفنى عمره فى دراسة العلوم، موسوم بالعقل الكامل والعلم الوافر يسمى برزويه (١) . فدخل ذات يوم على الملك وقال : إنى قد وجدت فى كتب بعض علماء الهند أن فى جبالهم دواء لو نثر على الميت لعاد حيا يتكلم . وأنا

---

§ اذا استثنينا السبب الذى من أجله ذهب برزويه الى الهند، وطريقة نقله الكتاب، وأن الذى ترجمه بزرجمهر لا برزويه — أمكن أن نعد ما تقصه الشاه فى هذا صدقا يؤيده التاريخ. وفى نسخ الشاه التى بيدى أن الكتاب ترجم الى العربية أيام المأمون . ولست أدرى أهى غلطة من الفردوسى أصلحها المترجم ام تحريف من النساخ . =

(١) فى الشاه : برزوى . وهى فى ودنر، ول بفتح الباء . وفى دائرة المعارف الاسلامية بضم الباء .

[1] طر، طا : صورة مائة بيت . [2] طر، طا : جانبى . [3] طر، طا : وقد

أسأل الملك الإذن لأدخل الى تلك الديار فى طلب هذا الدواء فلعلى أعثر عليه . وليس يبعد من سعادة الملك ويمن أيامه أن يسهل ذلك . فأصحبه الملك هدايا كثيرة وتحفا وافرة برسم ملك الهند، وأرسل اليه وكتب اليه كتابا يسأله فيه أن يدله على هذا الدواء، ويعينه على ذلك بمن عنده من العلماء والحكماء . فسار برزويه حتى وصل الى حضرة الراى فأوصل اليه ما صحبه من الهدايا والتحف، وأعطاه كتاب أنو شروان . فلما وقف عليه أكرمه وأعز مقدمه، وجمع علماء حضرته وحكماء بلاده، وأمرهم بالدخول على برزويه الحكيم ومعاونته على ما قصد تلك الممالك لأجله . فاجتمعوا اليه وأخذوا فى طلب تلك الحشيشة فى جبال الهند فلم يعثروا عليها . وعظم تعذرها على برزويه فانصرف ودخل على الراى وقال : كيف استجاز مصنف هذا الكتاب وصف هذا الدواء مع استحالة وجوده ؟ ولعله أخطأ فيما ذكر . ثم إنه قال لمن حضر من العلماء والحكماء : هل تعرفون فى هذه الديار أحدا أعلم منكم ؟ فقالوا : إن هاهنا شيخا هو أكبر منا سنا، وأغزر علما، وأوفر فضلا . فقال : دلونى عليه . ففعلوا فلما حصل عند الشيخ ذكر له ما وجده فى كتاب عالم الهند ثم ما تحمله من وعثاء السفر وعناء الطريق فى ارتياده، وأنه عجز عن معرفة ذلك جميع من هنالك من العلماء والحكماء . فقال الشيخ عند ذلك : أيها العالم ! حفظت شيئا وغابت عنك أشياء . إنما المراد بذلك الدواء البيان . والمراد بالجبل الذى هو منبته العلم . والمراد بالميت الجاهل نفسه . واذا تعلم الجاهل فكأنه اجتاب فضفاض الحياة . والعلم بمنزلة الروح من العظام الرفات . وكتاب كليلة ودمنة من هذا الدواء . وهو فى خزانة راى ملك الهند . فقام برزويه جذلا[1] مسرورا حتى أتى الملك فقال : قد عرفنا الدواء الذى كنا فى طلبه . وهو كتاب كليلة ودمنة الذى هو تحت ختم الملك فى خزانته . (١٨٤)

= ثم ترجمة البلعمى يظهر أنها لم تتم . وليس لدينا من ترجمة الرودكى إلا أبياتا قليلة فى كتاب لغة الفرس للأسدى . وترجمة نصر الله بن عبد الحميد لا تزال متداولة معروفة . وهناك تراجم أخرى عربية وفارسية منظومة ومنثورة . ثم للكتاب قبل ترجمة ابن المقفع وبعدها تاريخ طويل لا يتسع له المجال هنا[2] .

ويذكر الفردوسى قصة كليلة ودمنة تحت عنوان واحد :

إرسال نوشين روان برزويه الى الهند لجلب العشب العجيب، وإحضار برزويه كتاب كليلة ودمنة .

ويختم الفصل بمدح السلطان محمود الغزنوى .

(١) طا، طر : جذلان .   (٢) دائرة المعارف الاسلامية .

والمسئول أن يؤمر[1] الخازن بإحضاره . فعظم ذلك على الملك وقال لبرزويه : إنه لم يطلب أحد هذا الكتاب، ولا وقف عليه ، ولكن لو طلب منا الملك أنو شروان أرواحنا لم نبخل عليه . ثم أمر بإحضاره بين يديه ، وشرط عليه ألا يكتب منه شيئا ، ويقتنع بمطالعته . فكان كل يوم يحضر ويطالع من الكتاب بابا ويحفظه ويكرر عليه فى نفسه . فاذا رجع الى بيته كتب الباب الذى حفظه ، ونفذه الى أنو شروان . ولم يزل ذلك دأبه حتى أتى على جميع الكتاب .

قال : وأتاه كتاب أنو شروان باستكمال أبواب الكتاب أجمع وحصول بحر العلوم لديه . فاستأذن برزويه عنـد ذلك ملك الهند بالانصراف الى حضرة أنو شروان . فخلع عليـه وأعطاه عطايا كثيرة ومالا وافـرا ، وصرفه الى خدمة أنو شروان . فخرج الحكيم من قنوج صاعد النجم ، عالى الجـد ، مقرون الحاجة بالنجاح ، فائزا فوز المعلى من القداح . فلمـا حصل عنـد أنو شروان أكرمه وأعزه وشكر له سعيه ، وخيره فى جميع ما تشتمل عليـه خزائنه . فلم يختر غير دست من الملابس الخسروانية الخاصة فلبسها ودخل عليـه . وقال له الملك : ما بالك لم تلبس الطوق والسـوار ، واقتصرت من كنوزنا على هذا القدر ؟ فقبل برزويه الأرض بين يديه وقال : من لبس خلعة الملك فقد تسنم تخت الجلال واستولى على أمد الكمال ، وأرغم أنف الحاسد الكاشح ، وأقر عين الولى الناصح . وإن حاجتى عند الملك أن يأمر بزرجمهر ، اذا حرر هـذا الكتاب للخزانة ، أن يفتتحه ببـاب يشتمل على ذكر العبد حتى يبقى اسمه بعد موته بين الخلق . فقال أنو شروان : إن هذه أمنية عظيمة ، ولكنا لاندفع فى نحر مرادك ، ونسعفك بذلك . ثم أمر بزرجمهر بأن يصدر الكتاب بباب يشتمل على ذكر برزويه الطبيب . ففعل ونقل الكتاب بعباراته البارعة وألفاظه الساحرة باللسان الفهلوى الى البياض الخسروى . وبقى كذلك إلى زمان أمير المؤمنين المنصور ثانى الأئمة الهـاشمية[2] . فإنه أمر عبد الله بن المقفع فنقله إلى اللسان العربى . ثم لمـا ملك نصر بن أحمد بن اسمعيل السامانى أمر وزيره أبا الفضـل البلعمى فنقله إلى اللسان الفارسى نثرا . ثم أمر الرودكى الشاعر فنظمه أراجيز باللسان العجمى أيضا (أ) .

قلت : فبقى الكتاب بالعبارة الفارسية القديمة إلى زمان السلطان بهرامشاه بن مسعود بن ابراهيم ابن مسـعود بن محمود بن سـبكتكين رضى الله عنهم . فتصـدى أبو المعالى نصر الله بن محمـد بن عبد الحميـد الكاتب الغزنوى لحرره بألفاظه الزاهرة وعباراته البـاهرة ، ورصعه باسـتعارات تروق

(أ) هذا تاريخ الكتاب فى الفارسية والعربية إلى زمن الفردوسى . وقد حذف المترجم هنا أبياتا فى مدح السلطان محمود فيها عتـاب .

(١) طر : يأمر . (٢) طا ، طر : صلوات الله عليهم .

النفوس، ووشحه بإشارات تشرح الصدور، ومزجه بأمثال العرب وأشعارهم الفصيحة . فنسخ به ما قبله ، وصار ما عمله مفخرا للعجم لم يحرر مثله فى أسلوب الترسل الفارسى (أ) والسلام .

ذكر تقلب الزمان على بُزُرْجِمِهر، وغضب أنوشروان عليه (ب)

قال الفردوسى صاحب الكتاب : اتفق أن أنوشروان خرج ذات يوم من المدائن يتصيد فركض خلف الغزلان والأوعال حتى تعب وانفرد عن العسكر. فانتهى الى روضة ذات ماء وشجر. وبزرجمهر معه لا يفارقه لمحبته له . فنزل ليستريح ساعة ويغفى لحظة[(١)] ولم يكن معه غير وصيف . فتمدّد على تلك الأرض فى نباتها، ووضع رأسه فى حجر بزرجمهر فنام ومعه دملج مرصع بالجواهر . فوقع عليه طائر أسود (حـ) واقتلع بمنقاره تلك الجواهر وابتلعها واحدا واحدا ثم طار وحلق فى السماء . فعظم ذلك على بزرجمهر وتطير منه وعض على يديه . فاستيقظ الملك ورأى بزرجمهر متغيرا فتوهم أن ريحا خرجت منه فى حال نومه وأن تغير بزرجمهر من أجل ذلك. فتنمر من ذلك واستشاط وقال : من أخبرك أيها الكلب بأن إمساك ما تدفعه الطبيعة مستطاع؟ وهل جبلتُ إلا من التراب والنار والهواء؟ وشتمه شتما كثيرا (ى) فلم ينبس بزرجمهر بكلمة، وكادت الأرض تسوخ به حين رأى تجهم وجه السعادة عليه، وتسرع صرف الزمان اليه . فبقى واجما يعض براجمه ، ويذرى من الدمع ساجمه . فركب كسرى مغضبا وعاد الى إيوانه، وأمر بأن يمنع بزرجمهر من الخروج من قصره . وجعله سجنا عليه، ووكل به فيه .

وكان لبزرجمهر قريب يخدم الملك . وكان يساكن بزرجمهر فى ذلك القصر . فسأله يوما وقال : كيف خدمتك للملك؟ فقال : اعلم أن الملك اليوم نظر إلىّ نظرة كادت تزهق روحى . وذلك أنى لما رفع السماط قدّمت اليه الطست والإبريق . فكنت أصب الماء على يده فنظر إلىّ مغضبا ففت فى عضدى ، وخدرت على الإبريق يدى . فأمره بزرجمهر بأن يحضر الطست

(أ) هذا تاريخ الكتاب الى عهد المترجم . وقد كتب بعد ذلك بالعربية والفارسية نظما ونثرا .

(ب) هذه القصة فى الشاه فيها عنوانان . غضب نوشين روان على بوزرجمهر والأمر بحبسه . إرسال قيصر درجا مقفلا ، وإطلاق بوزرجمهر ليخبر بما فيه .

(حـ) فى الشاه : أن الدملج سقط من ذراع الملك فجاء الطائر ... الخ .

(ى) فى الشاه : مول، وورنر، وطبعة تبريز أن الملك استيقظ فرأى بزرجمهر عاضا على شفتيه ، ونظر الى ذراعه فلم يجد الدملج فظن أن بزرجمهر ابتلعه . ولكن كلام أنوشروان يرجح رواية المترجم هنا .

(١) صل : ساعة . والتصحيح من طا ، طر .

والإبريق . وقال[١] له : أفرغ المـاء على يدى كما كنت تفرغه على يد الملك . ففعل فقـال له : اذا صببت المـاء على يدى الملك بعد هـذا فلا تضيق المـاء عليه . وحين يمسح شفتيه بالطيب فلا تقطع المـاء بل استمر على إفراغه رهوا رهوا كما كنت تفرغه . فأخذ ذلك بمجامع قلب الشاب . ولما قدم الطست فى اليوم الثانى الى الملك فعـل ما أمره به بزرجمهر . فارتضى الملك فعله وقال : أى شىء قال لك بزرجمهر غير هذا؟ ثم قال له : قل له لم آثرت الانحطاط من تلك المنزلة الرفيعة والمرتبة الجليلة بسوء خلقك وخبث أصلك؟ فانصرف الشاب وبلغ بزرجمهر قول الملك . فقال فى الجواب: أنا فى السر والجهر أحسن حالا من الملك بكثير . فعاود الحضرة وبلغـه ذلك الجواب . فاغتاظ من كلامه وأمر بأن يقيد ويجعـل فى جب . ثم بعد مدّة أخرى قال لذلك الغلام : كيف حال ذلك الشقىّ؟ فجاء الغلام وأخبره بمـا قال الملك . فقال : إن يومى من يوم الملك أوفق ، وحالى من من حاله أرفق . فعاد الشاب وبلغ الملك جوابه . فتنمر واحتدم من الغيظ وأمر به فحبس فى تنور من الحـديد مسمر من باطنه بمسامير محدّدة (أ) . فبقى على حالته هـذه نابى الجنب كاسف الحال مدّة أخرى . فقال أنوشروان لغلامه : سل ذلك الخبيث عن حاله . فسأله فلم يجبه إلا بالجواب الأوّل . 
فانصرف الغلام وأعلمه بذلك . فازداد تغيظا وتمرا ، ونفذ اليه موبذا مع صاحب سيفه ، وأمره أن يسأله عن معنى قوله أن حاله فى حبسه ، مع ما هو فيـه من الشـدّة والضيق ، أوفق من حال الملك على تخته . وقال : إن لم يأت بجواب لائق ضربت رقبتـه . فجاء الموبذ وسأله عن ذلك ، فقال : إن الشـدّة والرخاء ينتهيان . والانتقال عن الشـدّة والبلاء الى دار البقاء هين يسير . والانتقال عن التاج والتخت عن[٢] دار الفناء صعب عسير . فرجع الموبذ وأعلم أنوشروان بما قال . فتأثر بقوله وفزع من صرف الزمان وريبـه فأمر به فأخرج من محبسه ، وأعيد الى قصره . ولم يزل على حاله الى أن دارت عليه أدوار من الدهر فكف بصره ، وضعف جسمه .

قال : فورد فى ذلك العهد رسول من عند قيصر ملك الروم ومعه تحف كثيرة وهدايا فاخرة . وفى جملتها[٣] صندوق مقفل مختوم . فقال الرسول : إن قيصر يقول إن على أبواب الملك جمـاعة من العلماء والموابذة فليسألهم الملك عما هو مخبوء فى هذا الدرج المختوم . فان أخبروا به التزمنا الخراج . وإن عجزوا فلا يطالبنا بشىء . فقال أنوشروان : إنا سنخبر عن ذلك بعون الله وقوته . وأمر بإنزال الرسول فأحضر العلماء والموابذة وأمرهم أن يخبروا عما يحتوى عليـه ذلك الدرج فعجزوا عنه .

(أ) هذا كالذى يروون عن تنور محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم العباسى .

(١) طا ، طر : فقال . (٢) طا ، طر : الى . (٣) صل : جملته . والتصحيح عن طا ، طر .

فأرسل الى بزرجمهر، واعتذر اليـه عما سبق منه اليه[١] ، ونفذ اليه دست ثوب من ملابسه ، وأمره بالحضور . فاستحم بزرجمهر وتنظف، وبات ليلته بين يدى ربه باكيا ساجدا[٢] . ولما أصبح أحس باقبال السعادة عليـه ورجوع الدولة اليه . فركب واستصحب بعض ثقاته من العلماء، وأمره بأن يخبره بأول من يراه فى طريقه ولا يسأله عن اسمه وحاله . فكان أول من التقاه امرأة حسناء صبيحة الوجه . فأخبر بزرجمهر فقال له : سل المرأة هل لها زوج . فسألها فقالت : لى زوج وولد . فلما سمع ذلك اهتز على ظهر الفرس . ثم سار فالتقته امرأة أخرى جميلة المنظر فأمر صاحبه فسأل المرأة، هل لها زوج وولد ؟ فقالت : نعم لى زوج ولكن ليس لى ولد . ثم ظهرت له امرأة أخرى فسألها عن الزوج والولد فقالت : إنى جارية عذراء لم يمسنى بشر . فاستمر بزرجمهر فى طريقه حتى دخل على الملك . فأمر بتقديمه الى خدمة التخت . ولما رآه مكفوفا عظم عليـه ذلك واهتم من أجله . ثم اعتذر اليـه واسترضاه . ثم فاوضه فى رسالة قيصر واقتراحه . فدعا للملك وأثنى عليـه وقال : إن أظلمت العين فالقلب منوّر بسعادة الملك . وسأكشف القناع عن وجه هذا السر وأظهره للحاضرين، وأجلوه للناظرين . فارتاح الملك لقوله واستبشر، وتهلل وجهه، وانصات ظهره . فأحضر جميع الموابذة والعلمـاء ، وأمر بإحضار الرسول . فلما حضر أمره أن يعيد الرسالة بين يدى بزرجمهر . فشرع الرسول وأعادها ؛ فتصدّى بزرجمهر وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم دعا للملك ثم قال : إن فى هذا الدرج دررا ثلاثا . إحداها مثقوبة ، والثانية نصفها مثقوب ، والثالثة بكر لم تثقب ، ولم يمسها حديد . فلمـا سمع الرسول مقاله أحضر مفتاح الصندوق وفتحوه[٣] فاذا فيه ثلاث درر كما وصف بزرجمهر . فتعجب الحاضرون من نور بصيرته وكمال ذكائه فنثروا عليه الجواهر . وأمر الملك فحشى فوه باللآلئ . وندم على ما عامله به من قبل ، وضاق صدره حتى بان فى وجهه أثر الهم والأسف . فلما علم بزرجمهر بذلك ذكر للملك ما جرى عليـه فى ذلك المتصيد من نزول الطائر الأسـود والتقاطه جواهر الدملج وابتلاعه إياها ، ودعا للملك . ثم انفض المجلس[٤] .

ذكر نبذ من توقيعات أنوشروان

قال صاحب الكتاب : إن الملك وإن كان شامخ الأنف طامح الطرف فلن يتحلى إيوانه إلا بالوزير ، ولن تستقيم أموره إلا بالدستور . ولا شغل للملوك غير الصـيد والطرد ، والعيش والطرب ، وحضور الوقائع عند الحاجة ، والإحسان إلى الرعية والترفرف عليهم بجناح الرأفة والرحمة ، ثم الوقوف

---

(١) طا ، طر : له . (٢) طا ، طر : وساجدا . (٣) طا ، طر : ففتحوه . (٤) طا : والسلام .

على سير الملوك السالفة والتقيل بهم فى خلالهم الحميدة، والتحلى بصفاتهم المرضية . والوزراء هم الذين يتجرعون مرارة الغصص، ويتحملون أثقال التعب فى إحراز الخزائن، ونظم شمل الذخائر، والإصغاء إلى ظلامات الرعية، والحكومة بينهم على مقتضى العدل والنصفة . وعلى هـذا درج ملوك العجم حتى ولى أنو شروان . فانه لما ملك نقض تلك القاعدة، ورفض تلك العادة، و باشر الأمور بنفسه، وساس الجمهور برأيه وتدبيره . فكان هو الملك والبهلوان وصاحب السيف وصاحب القلم معا . وكانت له أصحاب أخبار يرفعون اليه كل ما يجرى فى ممالكه من الحسن والقبيح، والمعوج والمستقيم فيوقع بتقرير ما يرى تقريره، وإزالة ما يرى إزالته .

فمن جملة توقيعاته ما ذكر أن بعض الموابذة رفع اليه وقال : إنك تصفح للجانى عن ذنبه ثم إذا عاود ذنبه تأمر بصلبه وإن كان مستقيلا متنصلا عن زلته . فوقّع وقال : " نحن كالأطباء . والمجرم المصرّ على الذنب كالمريض المشرف على الموت ، الممتنع عن شرب الدواء؛ نسقيه شربة واحدة فاذا رأيناها لا تنجع فيه غسلنا أيدينا منه وقطعنا رجاءنا عنه . والسلام". ورفع اليه آخر وقال : إن صاحب جيش جرجان برز إلى الصحراء فتغافل فى معسكره فانتهب بالليل ثقله . وهو يريد الانصراف لإصلاح أمره وترتيب أسبابه . فوقع فى الجواب : "إنا فى غناء عن حافظ جيش لا يقدر على حفظ رحله". فكان ذلك سبب عزله . ورفع اليه آخر وقال : إن هاهنا رجلا ذا ثروة تزيد كنوزه على كنوز الملك . فوقع فى الجواب : "نسوغ له ذلك . فماله حلية لأيامنا وزينة لسلطاننا" . ورفع اليه آخر وقال : إن صاحب اليمن قال على رءوس الملأ إن أنو شروان يكثر ذكر الأموات، ويضيق الدنيا بأذاه على الأحياء . فأجاب وقال : " لا يذكر الموت إلا من كان موصوفا بالعقل والذكاء . ومن أعرض صفحا عن الأموات لم يستقم حاله فى أيام الحياة" . ورفع اليه موبذ آخر أن أحد بزاة الملك اصطاد عقابا . فوقع وقال : "يقصف ظهر هذا الباز لإقدامه على من هو أكبر منه قدرا . ثم يصلب ليعتبر به الصغير فلا يتجاسر على الكبير" . ورفع اليه آخر وقال : إن برزين الإصبهبذ لما برز فى جموعه وجنوده وأعلامه وبنوده قال بعض أهل التنجيم : إنه لن يرى بعد هذا أبدا على باب الملك . فوقع وقال : " إن طالع الشمس والقمر لا يعتريه النحس ببرزين وغيره " . ورفع اليه آخر وقال : قد تقدم الملك بطلب رجل كريم الأصل وافر الفضل ليدور فى الممالك ويطالع أحوال الرعية . وكشنسب الكبير رجل طاعن فى السن يصلح لهذا الأمر . فوقع فى الجواب وقال : " هو رجل حريص يرجح جانب الغنىّ على الفقير . ولا يصلح لهذا الأمر إلا من حاب الدهر أشطره، وذاق حلوه ومره، وكان صعب العريكة مستقيم الطريقة يعتنى بشأن الفقير أكثر مما يعتنى بشأن الغنى ".

١٨٦

ورفع اليه آخر وقال : صاحب الطعام الخاص يقول : الملك يقترح على لذائذ الأطعمة فاذا أصلحتها ووضعتها بين يديه على الخوان ما اشتهها ولم يذق منها . فقال : "الأصوب أن تلجم النفس بشكيمة المنع عند الشره". ورفع اليه آخر وقال : إن أولياء الملك يخافون عليه عند خروجه فى خفّ من أصحابه فى متصيداته وغيرها ، ويخشون، حاشاه، أن يهتبل عدو فيه غرة أو ينتهز كاشح فرصة . فوقع فى جوابه : "كفى بالعدل حارسا، وباستقامة الدين حافظا" . وكتب اليه آخر وقد عزل واليا : إن الناس يقولون : أى ذنب صدر من فلان حتى عزله الملك؟ فقال : " إنه خالف أمرنا ونقض عهدنا حين أمرناه ألا يغلق باب كنزنا عن المحتاجين ، ولا يحرم المسترفدين والسائلين . ومن ضن بمعروف الملوك فقد أراد بهم شرا ، وأوسعهم ضيرا وضرا " . ورفع اليه آخر وقال : مابال الملك اذا قصد قتال الروم لا يستصحب من عساكره عامة إلا رجال إيران خاصة ؟ فقال : " لأنهم جبلوا على عداوتهم فيكونون[1] أبلغ فى نكايتهم " . ورفع اليه آخر وقال : إن فلانا العامل قد أنفق على نفسه من مال الديوان ثلاثمائة ألف درهم . والنوّاب يطالبونه فما يبضّ[2] حجره ولا تندى صفاته . فوقع وقال: " ليفرج عنه ولا يطالب، وليعط من الخزانة مثل ذلك " . ورفع اليه آخر أن فلانا جرح فى وقعة الروم فطال مرضه ثم مات وخلف طفلين . فوقع بأن يدفع اليهما أربعة آلاف درهم، وكل من قتل من الأجناد فى وقعة وخلف أطفالا فلا يمحو[3] كاتب الجيش اسمه، وليدرّ رزقه على من خلف بعده . ورفع اليه آخر وقال: إن بهلوان مرو قد جبا من أهلها مالا عظيما قد أجحف ذلك بالرعية حتى تفرّقوا من البلد . فوقع وقال : " تردّ تلك الأموال الى أصحابها ، وتغرز خشبة عند دار الوالى على بابها، ويصلب هنالك ليعتبر به سائر الولاة " . ورفع اليه آخر وقال : إن رعايا الملك يشكرون الله تعالى على ما أنعم به عليهم من عدله ، وسوّغ لهم من إفضاله وفضله . فوقع وقال : " الحمد لله على نعمة طيب قلوبهم وانشراح صدورهم " . ورفع اليه آخر وقال : إن العالم قد امتلأ من ألحان المطربين وشغب[4] الشاربين . فلا يذوق بالليل ذو ناظر غرارا من شغب السكارى . فقال : " لازالت قلوب الأصاغر والأكابر فى أيامنا مسرورة، وصدورهم مشروحة " . (١)

---

(١) حذف المترجم فى آخر هذا الفصل أبياتا يمدح بها الفردوسى السلطان محمودا ويذكر استيلاءه على الهند . ثم حذف بعد هذا الفصل فصلين : أوّلهما نصيحة أنو شروان لابنه هرمزد، وفى آخره أبيات فى مدح السلطان محمود . والثانى إجابة الملك عن أسئلة كثيرة فى الدين والأخلاق وغيرهما . وهو فصل ممتع فيه مائتا بيت .

(١) صل، طا، طر : يكونوا . (٢) صل، طا، طر : تبض . (٣) طر : يمحون .

(٤) طا، طر : شرب .

§ ذكر خروج كسرى أنوشروان الى قتال الروم وقصة الخفّاف

قال صاحب الكتاب : رأيت فى أخبار ملوك الفرس أن كسرى بلغه موت صاحب الروم وقيام ابنـه مقامه فاستولى هم الموت على قلبـه ، وتورّست من الوجل وجنات خدّه . ثم إنه اختار أحد دهاة حضرته [illegible] يه فيه عن أبيـه ، ويذكر طرفا من النصائح والمواعظ فى مطاويه . وقال فى صدر الكتاب : « من كسرى الى قيصر » . فلما وصل اليـه[1] الكتاب استشاط واغتاظ من ابتداء كسرى باسمه ، فلم يرفع بالرسول رأسا ، ولا مدّ اليـه للمصالحة أو المعانقة يدا . وسايله مسايلة مغتاظ ، وفاوضه مفاوضـة متنمر ، وأمر به فأنزل فى موضع بعيـد عنه غير لائق به . فاجتمع أكابر الروم وربضوا حجرة ، واعتذروا الى الرسول بأن قيصر شاب غرير ، وأنه بعـد فى ريعان العمر ومقتبل الأمر . وسألوه أن يسأل كسرى ألا يقـدّم اسمه فى عنوان كتابه اليه ، وألا يطلب منه خراج سنة . فعاد الرسول الى أنوشروان وأخبره بما جرى . فاغتـاظ وحلف ألا يبق من الروم باقية وأنه لا بدّ من أن يطأ ديارهم وينهب بلادهم ويبيـد خضراءهم . وأمر فشدّت الكوسات على كواهل الأفيال ، ونفخ فى البوقات والنايات ، فخرج من

---

§ مات الامبراطور جُستنيان سـنة ٥٦٥ م فخلفه ابن أخيه جُستين وأثار الحرب الثالثـة بين الفرس والروم سنة ٥٧٢ بعد سـلم عشر سنين . وقد قاد أنو شروان الجيش وهزم الروم المحاصرين نصيبين ، وأرسل جيشا للإغارة على سورية وحاصر دارا حتى فتحها سنة ٥٧٣ م . وكان لفتحها وقع على الروم اضطر الامبراطور جستين الى التخلى عن العرش فخلفه تِبِريوس واشترى من الفرس هدنة عام بخمسة وأربعين ألف قطعـة ذهب ، ثم هدنة ثلاث سنين بثلاثين ألفا كل سـنة . وقد عادت الحرب بين الأمتين ومات أنو شران وهى مستعرة[2] .

ويرى القارئ أن الشاه تخالف ما هنا بعض المخالفة . وكأنها وضعت حصار قلعة حلب موضع حصار قلعة دارا ، على أن وصف القلعة هنا يذكر بقلعة حلب العظيمة والخندق العميق المحيط بها .

وفى الشاه هنا هذه العناوين :

(١) تعبئة نوشين روان لحرب قيصر . (٢) استيلاؤه على قلعة سقيلا ، وقصة الإسكاف .

(٣) مجىء رسول قيصر معتذرا مقدّما هدايا .

(١) ظا ، طر : وصل الكتاب .

(٢) ورنر (Warner) ج ٨ ص ٢٤١ سيكس (Sykes) ج ١ : أنو شروان .

المدائن فى عسكر كالبحر الأخضر، وسار قاصدا قصد قيصر . فلما انتهى الخبر اليه بخروج أنو شروان لقتاله خرج من عمورية وجاء الى حلب، وامتلأت الأقطار من الصخب والجلب . وتحصن فى ثلاثمائة ألف فارس بحصار حلب . ووصلت عساكر أنو شروان من هذا الجانب وقامت الحرب بينهم على ساق . فأخذوا بعض القلاع المتاخمة لحلب واستأسر لهم زهاء ثلاثين ألف فارس من الروم، وكثر القتل والقتال حتى صارت نواحى حلب كبحر لجىّ يتلاطم بأمواج الدماء . ثم إنهم عملوا قدام الحصار خندقا عظيما طرحوا فيه الماء فلم يمكن عساكر الفرس أن يعبروه . وطالت عليهم المدة، واستنفدت الخزائن، وفنيت الأقوات، واحتاجت العساكر الى نفقاتهم . فاستدعى الملك مقدّم أصحاب ديوان الأرزاق، وفاوضه فى معنى مشاهرات الأجناد ووظائفهم وأرزاقهم . فذكر أن حاصل الخزانة يعجز عن ذلك . فغضب واستدعى بزرجمهر وأمره أن يدعو "الساربان" الخاص، وينفذ الجمال الى مازندران فيوقر منها مائة بُختى ذهبا، ويحملها اليه . فقال بزرجمهر : أيها الملك[1]! إن الشقة بيننا و بين مازندران بعيدة . فإن رأيت استقرضنا من التجار وأصحاب الأموال الذين هم فى البلاد التى حوالينا و بالقرب منا . واذا وصلت الخزانة أوفيناهم منها . فوافقه الملك فيما قال . فندب بزرجمهر بعض الكفاة ونفذه الى البلاد القريبة من المعسكر ليستقرض من التجار والدهاقنة ما احتاجوا اليه لتتمة نفقات العسكر . فلما انتهى الرسول الى حيث أمر اجتمع اليه أرباب الأموال وفى جملتهم رجل إسكاف فقال له : كم تريد من الدراهم ؟ فقال : أربعة آلاف ألف درهم . فقال : أنا أعطيكم هذا القدر. والمنة علىّ فى ذلك . فأحضروا الوزانين والكتّاب، وسلم اليهم الدراهم . ثم قال له أرجو أن تقول لبزرجمهر : إنه ليس لى فى الدنيا غير ولد . وسؤالى أن يستأذن الملك حتى أسلم هذا الصبى إلى المؤدّبين والمعلمين حتى يتعلم الخط والأدب . فانصرف الرسول بأحمال الدراهم إلى خدمة بزرجمهر، وعرض عليه ما التمسه الإسكاف . فقام ودخل على الملك وقال : إنه قد قام بما احتجنا اليه إسكاف يسكن[2] بعض بلاد الملك . فحمد الله وأثنى عليه وشكره على ثروة رعيته وغناهم . ثم قال لبزرجمهر : انظر ما أمنية هذا الرجل وما حاجته فاقضها . وإذا أوفيته القرض فزده مائة ألف درهم حتى تطيب قلوب الرعية، ويتجاسروا على اقتناء الأموال وكنز الذخائر . فقال له بزرجمهر : إن لهذا الرجل حاجة قد عرضها . فإن أذن الملك أوصلتها إلى مسامعه . فأذن له فقال : إنه يقول : لى ولد عاقل . وأنا أرجو من الملك أن يأذن لى فى تعليمه الخط والأدب . فقال : أيها الدستور اليقظان ! مالك قد خاط عينك الشيطان ؟ انصرف ورد عليه

(١٨٧)

(١) طا، طر : أيها الملك (لا) . (٢) طر : فى بلاد

أحمال الدراهم والدنانير . فما لنا حاجة إلى[1] أموال هذا الرجل . أما تعلم أن ولد المحترف إذا صار كاتبا أديبا ، وعالما أريبا ، صار من الغد لولدنا خادما ومنه قريبا . فلا يبقى عند أهل الأدب وأرباب الحسب والنسب من أهل البيوتات وأصحاب المروءات سوى الهم والحزن والحسرة والأسف . وهل يأتى الخير من ولد المحترف ؟ وإنه مهما اعتلت درجته استهان بذوى الألباب ، واستعظم لهم فى الثواب رد الجواب ، فيستجلب لنا بعد موتنا اللعن والذم . وإنى لست أطلب الأموال إلا من حاصل الخزانة المدخرة من العدل . فلا تأخذ من هذا الإسكاف شيئا ، ولا تتعب نفسك ، ورد عليه ماله . فامتثل بزرجمهر ما أمره به الملك ورد على الإسكاف دراهمه . فأخذ شاحب اللون ساهمه يعض من الأسف أباهمه .

قلت : وقد أورد أبو النصر العتبي فى هذا المعنى فصلا فقال : "ولولا أن قصد الشريعة أن تسمح بخيرها على العموم ، وتكافؤ بين الكافة فى فضلها المعلوم إباحة للكتابة التى هى قيد العلوم وصيد الحكم المبثوثة فى الرقوم لقلت : لله در ساسة العجم ورفعة أقدار الدواة والقلم ! حين عنسوها دون ذوى الاستحقاق ، وخدروها إلا على الكرام العتاق .

لله در أنو شروان من رجل ما كان أعرفه بالدون والسفل
نهاهم أن يمسوا بعده قلما وأن يذل بنو الأحرار بالعمل

فما كل نحيزة لها كفاءة فى مناكحة الآداب ، وملاءة فى متاجرة الكتاب . ولا كل مسك يصلح للمسك وعاء ، ولا كل ذرور يصلح للعين جلاء . فأضيع شىء عقد فى نحر خنزير ، وحد بكف ضرير ، ونقس على بنان فاجر شرير .

قال : ولما أمسى أنوشروان وجه الطلائع فتوجهت نحو الخندق . فلما أصبحوا عادوا وقالوا : قد جاء رسول قيصر مستكينا متضرعا ، وعن الذنوب متنصلا . فتعجب أنوشروان وأمر بادخاله عليه . فدخل ولما وقعت عينه على وجهه وتاجه قال فى نفسه : إن هذا هو المستحق للملك القمن بالرجولية والتقدم . وكان معه أربعون فيلسوفا مع كل واحد منهم ثلاثون ألف دينار برسم النثار . فلما دنوا من الملك خدموا باكين ، وخشعوا وضرعوا . فأقعدهم الملك وأجلس كل واحد منهم فى موضعه الذى يليق به . فتصدى منهم واحد للكلام وقال : أيها الملك ! إن قيصر شاب جديد ملابس العمر ، لم يمارس الأمور شبه الغمر ، ولا يميز بين السر والجهر . ونحن كلنا عبيدك المتقلدون لربقة طاعتك ، الملتزمون لما تأمرنا به من الخراج ، المستظلون منك بظل الأمان . ولا فرق بين

---

(١) طا ، طر : فى أموال

المملكتين ؛ فالروم لك كفارس وفارس كالروم . وأنت أعقل ملوك الأرض . وقد كان قيصر لا يستظهر إلا بك ولا يسند ظهره إلا اليك . والآن إن تكلم صبي غير بالغ مبلغ الرجال بغير عقل يهديه فلا ينبغي أن تحقد عليه . ثم إنا مؤدّون من الخراج ما تقرّر علينا فى الزمان الأول . فليكتب لنا عهد نركن اليه ونعوّل عليه . فتبسم أنوشروان وقال : كل من ينقض عهدنا ويخلع ربقة طاعتنا فلا بد أن نثير من أرضه التراب (أ) ونذيقه من بأسنا العذاب . فخرت الرسل عند ذلك ووضعوا جباههم على الأرض فقالوا : أيها الملك المظفر! لا تؤاخذنا بما قد سلف . فنحن تراب قدمك ، وحفظة كنوزك المتعرضون لاسترضائك . وإن كان الملك قد التزم فى هـذه الحركة مؤونة وخرجا فانا نضيف الى الخراج المقنن ملء عشرة من جلود البقر ذهبا أو أزيد أو أنقص ، كما تخرج المراسم الشاهنشاهية . فأمرهم بالحضور بين يدى موبذ الموبذان حتى يقرّر عنـده ما يلتزمون من الخراج والخدمة . فقاموا وحضروا عنـده فاستقر الأمر بينهم على أن يضيفوا الى ملء عشرة من جلود البقر من الذهب ألف ثوب من النسيج الرومى برسم الخزانة وخلَع الأجناد . فتراضوا بذلك وانصرف الرسـل . وأقام الملك فى ذلك المنزل إلى أن استراح واسـتراحت العساكر . فجرّد عند ذلك بعض الخـدم لاستيفاء خراج الروم ، وأمر بالرحيـل . فعاد والنصر على يمينه ، والظفر على يساره متوجها نحو طيسفون . وسار إلى أن قرب من المدينـة فتلقته الأمراء والأكابر مشاة يدعون الله تعالى ويشكرونه . فلما قرب الملك أظهر يده للسادات والأكابر فنثروا عليهـا القبل ، ونالوا بذلك غاية الأمل . وهـذا آخر القصة المنسوبة الى الخفـاف .

ذكر عهد أنوشروان الى ولده هُرمُزد ، وتدبيره مع بُزُرجِمهر فى ذلك (ب)

قال صاحب الكتاب رحمه الله : إن للأيام أدوارا مختلفة ، وأطوارا متباينة . فيوما هبوط ويوما صعود ، وتارة نحوس وآونة سعود . وكل الى التراب يرجع ، وفى مطاويه يضجع ؛ فمن بين معذب فى سموم وحميم ، ومترفه فى ترف ونعيم . ويا ليتنا نعلم حال من مضى فى فرح هم وحبور أم ويل وثبور . ولئن كانت حالهم على خلاف ما أملوا فى الآخرة فقد أمنوا هول الموت وعبروا بحاره الزاخرة . ثم إنك سواء عليك أسنة أتت عليك أم سنون ، والحالتان واحدة اذا ذكرت المنون . ولم يطلب الموت لا لمن عاش فى السرور والفرح ، ولا لمن كان حلفا للهموم والترح . وكل بر وفاجر من تجرّع غصصه



(أ) هذه الجملة ترجمة : أز آباد و بومش برآريم خاك .

(ب) فى الشاه هنا هـذه العناوين : (١) اختيار نوشين روان هرمزد لخلافة ، (٢) امتحان الموابذة هرمزد و إجابته ، (٣) توليته العهد ونصحه .

مستجير، وكل صالح وطالح من مرارة كأسه مستعيذ. وقبيح بك أيها الذى تعاورته الشهور والأعوام أن تذكر لديك الجام والمدام . إن الشراب للشيخ الكبير كقميص الشعر فى الزمهرير(أ) . وهل بد من رحيلك خلف أصحابك؟ وكيف تبقى أنت وما أبقى الزمان على أترابك؟ .

إن أنوشروان لما أناف على أربع وسبعين سنة من عمره امتلأ قلبه من فكر الممات، وتردّد بين اليأس والطمع فى الحياة . فطلب للملك من يقوم بأعبائه، ويلبس مدارع العدل فى قضائه، ويشفق على الرعية، ويُعرف بقلة الأذى وكرم السجية. وكان له ستة بنين موصوفون بثقوب الرأى، وحسن الخلق، وصدق الورع، ووفور الرجولية، وكمال العقل، وغزارة العلم، وحسن الأدب . وكان ابنه المسمى هُرمُزد أكبرهم سنا، وأوفرهم عقلا . وكان كسرى قد وكل به فى السر جماعة يحفظون حركاته وسكناته فى جميع الأحوال وينهونها اليه . فلم يجده الا مرضى السيرة محمود الطريقة . وقال لبزرجمهر: إنى كنت أخفى أمرا والآن أظهره لك : اعلم أنه قد أنفت على السبعين . واذا حان ارتحالى من هذه الدار فليس للناس بد من ملك موصوف بالرأفة والرحمة والنزاهة والظلف . ونحن نحمد الله تعالى حيث رزقنا أولادا متحلين بالعقل والعلم والورع . وهرمزد من بينهم أنا به أكثر إدلالا منى بغيره . لما فيه من مزيد الرحمة، وسداد الطريقة، وسجاحة الخلق . فأحضر الآن العلماء والموابذة وسائر المتميزين من أهل العلم والأدب . وامتحنوا علمه وأظهروا فضله . فجمعهم بزرجمهر واحتفلوا بحضرة أنوشروان، واستحضروا هرمزد . فلما استوى[1] المجلس أقبل بزرجمهر عليه وقال : أيها الملك المسعود الطالع، الجميل الطلعة! أخبرنى عن الشىء الذى يستنير به العقل والروح، وينتفع به البدن . فقال : هو العلم ثم العدل والرحمة ثم التواضع[2] . فقال له بزرجمهر : وما الصفة التى يرتفع بها المرء؟ قال : إنصافه من نفسه . فقال : إنى سائلك عن عدّة مسائل . فاحفظها واضبطها ثم أجبنى عنها على ترتيب سؤالى عنها من غير تقديم ولا تأخير . فإن[3] حفظك لها يدل على أن باب[4] السماء مفتوح لك، وألطاف الإله فائضة عليك . ثم قال له : أى الأولاد أبرك على والده، وأحفظ لطارف حسبه وتالده ؟ ومن الذى يحق له أن يرحم ويبكى عليه ؟ ومن الذى يندم على فعل الجميل ؟ ومن الذى يستحق أن يذم عند الاطلاع على حاله؟ وأى مكان يحسن منه الفرار، ويستهجن فيه

(أ) الذى فى الشاه : واذا أنافت سنك أيها الشيخ على الستين والواحد فلن تلذ الراحة والكأس والمدام . إن الرجل الحكيم السديد الرأى لا يربط قلبه بهذه الدار الحائلة . وإن المحرجين الإعداد للوت كقميص الشعر فى الشتاء؛ الجسد منجمد بين الآثام، والروح مضلة طريقها الى الفردوس .

(١) صل : استولى . والتصحيح من طا، طر . (٢) طر : الرحمة والتواضع .

(٣) صل : وإن . والتصحيح من طا، طر . (٤) طا، طر : على أن السماء .

القرار؟ وأى[1] شىء يفرح الانسان ؟ وما الزمان المحمود بين الأزمان ؟ وأى الناس يكثر أصدقاؤه ؟ وأيهم يكثر أعداؤه؟ وما أضر الأشياء فى هذه الدار التى هى عرضة للفناء؟ وما الذى يسرع فى إفنائه الزمان مما يتقيد به الانسان ؟ ومن الظالم الذى لا حياء فى عينه ولا رحمة فى قلبه؟ وأى القائلين يثير قوله الفساد ويؤلم الفؤاد؟ وأى الأشياء يكون أجلب للعار وأبدى للشنار ؟

قال : ولم يزل يسأله[2] العالم الى أن أمسوا ولما اعتكر الظلام واشتعلت الشموع وثب هُرمُزد قائما وأثنى على أبيه أولا ، ودعا له وقال : لا أخلى الله الدنيا من الملك، ولا زال متسنما سرير الشاهنشهية ، منورا بلألاء أسرته تاج السلطنة ، مرتفعا بجلالة قدرة تخت المملكة . ثم إنا مجيبون عما سألنا عنه الحكيم العالم : « فأما ما سأل عنه من الولد المبارك على أبيه فأقول : إن قلوب الآباء لا تستروح إلا الى الأبناء، وإن أيمن الأولاد على أبيه من كان مشفقا عليه مائلا الى الخير والسداد فى مطالبه ومباغيه . وأما الذى هو فى محل الرحمة فهو من كان ذا قدر رفيع فتشتت شمل سعادته حتى اضطر الى خدمة بعض اللئام وطاعته . فيحق أن يبكى عليه دما إذ صار الرأس للذنب مستخدما . وأما النادم على فعل الجميل فهو من يحسن الى الأنذال، ويسدى الى الأرذال . فلا محالة يقرع سن الندم حيث خفيت عليه مزلة القدم . وأما المستحق للذم فهو الذى يكفر النعم . وأما الموضع الذى ينبغى القرار منه فهو مدينة بسط السلطان فيه يد الحيف والجور فبلى الناس منه بالحَور بعد الكَور . فلا يجوز للعاقل فيها الإقامة . فإن ظلم الملوك تقوم منه القيامة . وأما الذى يفرح به فهو إما شقيق صالح أو شفيق ناصح . وأما الزمان المحمود فهو الوقت الذى يكبت فيه العدو والحسود . وأما الذى يكثر أصدقاؤه فهو الكريم المتواضع . وأما الذى يكثر أعداؤه فهو البذىء الفاحش . وأما أضر الأشياء فهو سوء خلق الملوك ؛ فاذا صحبتهم ملوك[3] ، وإذا لم تصحبهم أذلوك . وأما الذى يعجل الزمان إنفاده فهو الشهوة التى تملك من المرء فؤاده فيلقى فى تحصيلها إلى يد الهوى قياده . وأما الظالم الذى لاحياء فى عينه فهو الذى زاغ عن منهج السداد وعرف بالوقاحة فى كسب الفساد، ومن اتخذ الكذب حرفته، والتزيد ديدنه وعادته . وأما الذى يثير كلامه للفساد فهو النمام والمنافق وذو البطالة التائه فى ظلم الجهالة . وأما الصفة التى تجلب العار فهى العادة التى تورث صاحبها الندامة حتى تقيم عليه القيامة . كالذى يكون كثير الكلام يكيل بين الناس بالجزاف ثم إذا خلا بنفسه تذكر ما بدر منه فيندم عليه ويعض على يديه ثم إذا عاد إلى الندىّ عاد إلى عادته وخلقه الدنىّ . وكذا[4] الطباع تأبى على الناقل . ولا فرق فى ذلك بين الأحمق والعاقل» .

---

(١) طا، طر : بأى . (٢) طا، طر : يسايله .
(٣) طا ، طر : فانك إذا صحبتهم ملوك وإن لم تصحبهم الخ . (٤) طا : كذى . طر : كذلك .

ثم قال : وهذه جوابات ما سألت[1] من المسائل . والله يديم دولة الشهريار العادل . ولا زالت الألسنة بثنائه منطلقة . والصدور بولائه منشرحة . والسلام . فلما سمع أنو شروان كلامه قضى العجب من ذكائه وعلمه، وأكثر الثناء عليه . وعظم سرور الحاضرين به . فأمر الملك بأن يكتب له عهد بالسلطنة . فكتب ثم ختم وسلم إلى موبذ الموبذان .

(١٨٩) ونسخة العهد : «من كسرى أنو شروان إلى ولده هرمزد . اعلم يا بنى أن الدنيا شيمتها الجفاء، وحاصلها التعب والعناء . فمتى ما كنت فيها أكثر سرور وانشراحا، وبها أوفر حبورا وارتياحا فاعلم أن ذلك من حالها مؤذن بالزوال، وأنه قد حان لك حين الارتحال . ثم إنا لما أحسسنا بالانتقال من هذه الدار التى دأبها إحالة الأحوال طلبنا لتاج السلطنة منك من هو تاج على مفرق الإقبال اقتداء بوالدنا قباد . فإنه عهد الينا وسمّانا للسلطنة لما أناف على الثمانين . ونحن قد عهدنا اليك حين أنفنا على السبعين . وجعلناك شهريار الأرض . ولم نطلب بذلك غير الذكر الجميل وحسن الأحدوثة بعد الموت . وأرجو من الله تعالى أن تكون منشرح الصدر مسرور القلب مسعود الجد . ثم إنك مهما آمنت الناس بسلوكك سبيل العدل أمكنك أن تنام آمنا فى ظلال الدعة والخفض . ثم لا تكن إلا حليما فإن الحدّة أقبح أخلاق الملوك، ولا تحم حول الكذب فإنه يغير وجه السعادة . وانف العجلة من قلبك ودماغك . فإن العقل يغيب عندها . وكن مائلا إلى الخير حريصا عليه . وأرع سمعك مواعظ العلماء فى حالتى السراء والضراء . ولا تقارب الشر فتقع فيه . ولا تلبس ولا تأكل غير الحلال . واستفتح مغالق أمورك بالله ذى الجلال . واعلم أنك إذا عدلت انعمرت الدنيا ، وفى عمارتها عمارة خزانتك[2] ، وسعادة جدّك . ومن أحسن اليك فبادر إلى مجازاته، ولا تؤخرها حتى لا تخلق جدّة حسناته . وأدن منك أهل الأدب والفضل . وشاور فى أمورك أهل العلم والعقل . واجعل لأعيان مدينتك التى هى دار ملكك حظا وافرا من العدل . وباعد من خيرك كل لئيم . ولا تكل شيئا من أمورك إلى جاهل ظلوم . وإذا صار عدوّك لك صديقا فاياك والركون اليه والاعتماد عليه . وليكن ميلك إلى الفقراء فإن اهتمامك بهم من أهم الأشياء . واعلم أن الملك اذا أنصف من نفسه استراح العالم فى ظله ، وتمتع هو بملكه . وإياك وأن تغلق بابك على[3] المحتاجين . وتعطّف على المتقين والمتورّعين . ثم اعلم أنك إن قبلت نصيحتى وعملت بها دمت عالى التاج رفيع القدر . ثم دعا له وقال : فلا نسيت سيرتى[4] وأفعالى يد[5] الدهر وإن حالت دون لقائى ظلمة القبر . ولا زلت

(١) طا، طر: سئلت . (٢) طا، طر : خزاينك . (٣) طا، طر : عن .
(٤) طا، طر : سيرى . (٥) طا، طر : مدى .

صاعد الجد منشرح الصدر . ولا زال العقل لك حارسا، والعلم لك محالفا ومؤانسا . وإذا دبرت من هذه الدار فابنوا لى ناووسا رفيعا فى السماء، بعيدا عن الوحوش والطيور . واكتبوا عليه اسمى . ثم غرقونى فى الكافور . وأخلوا أحشائى من الدم . واحشوها بالمسك والعبير . ثم ضعونى فيه على السرير بالآلات الشاهنشاهية، والمفارش الملوكية . وإذا فرغتم من ذلك فسدّوا على الباب، واعتبروا يا أولى الألباب . ومن عزّ عليه فقدى من أقاربى وأولادى فلا يقربن الشراب شهرين . فإنه الرسم فى عزاء الملوك . وجدير بذوى[1] العقول أن يبكوا من هذا المكتوب . ثم إنى أوصيكم ألا تخالفوا أمر هُرمُزد، ولا تخلعوا ربقة طاعته، ولا تقضوا نفسا فى غير خدمته .

قال : ولما كتب هذا العهد فض الحاضرون عقد الدموع وأوقدوا نار الحزن بين الضلوع . وهيهات أن يرد الجزع أمرا مقدورا، أو تمحو الدموع ما كان فى الكتاب مسطورا .

وعاش أنو شِروان بعد هذا العهد سنة ثم مضى لسبيله حميد السير، مرضىّ الأثر، مشكور الورد والصدر § .

---

§ ينتهى عهد كسرى أنو شِروان فى بعض نسخ الشاهنامه بفصل خلاصته أن أنو شروان رأى فى منامه شمسا أشرقت بالليل ومعها سلم ذو أربعين درجة تنال ذروته عليا الكواكب . فارتفعت على هذا السلم من الحجاز حتى عم ضوؤها الآفاق إلا إيوان كسرى بقى مظلما .

فلما أصبح كسرى قصّ رؤياه على بوزُرجِمهر فعبرها أنه بعد أربعين سنة يظهر رجل من العرب يسلك بالناس صراطا مستقيما، وينسخ دين زردشت واليهودية والنصرانية . ثم بعد موته يأتى جيش من الحجاز فيحارب أحد أحفادك ويقضى عليه فتبطل أعياد الفرس، وتخمد نيرانهم . وقد أخبر جاماسب الحكيم كُشتاسب بهذا من قبل» . فاغتم كسرى غما شديدا . ولما جنّ الليل سمع رجفة عظيمة فأخبر أن الايوان انصدع . فقال له بوزرجمهر : إن هذا آية ولادة هذا القمر . ثم جاء فارس مغذّ فأخبر كسرى أن بيت النار — آذركشسب قد خمد . فزاد غم كسرى . وعزّاه بوزرجمهر بأن الملك لن يدرك هذه الأحداث . ولا يبالى بما يكون بعده من فرح أو غم .

وفى الطبرى : عهد أنوشروان و برويز، روايات كثيرة عن أحلام وكهانات تروى عن الفرس فى هذا الأمر .

(١) صل : بذى العقول . والتصحيح من طا ، طر .

٤١ — ذكر نوبة هُرمُزد بن كسرى أنوشروان . وكانت مدّة ملكه اثنتى عشرة سنة وخمسة أشهر §

قال صاحب الكتاب رحمه الله : كان بهراة مرزُبان كبير القدر طاعن فى السن عارف بأخبار الملوك السالفة يسمى ماخًا (أ) . فاجتمعت به ذات يوم وسألته عما حفظه من حال هرمزد لما جلس على تخت السلطنة . فقال : إنه حين علا التخت قال ففتح كلامه بحمد الله والثناء عليه ، وخطب خطبة بليغة وعد فيها قوما وأوعد آخرين ، وقوى بها قلوب المقوين ، وأرعد فرائص المكثرين . فقال فى آخر كلامه : إنى أسأل الله تعالى أن ينسئ فى أجلى حتى أسر قلوب جميع من فى المملكة من أهل الفاقة والمسكنة ، متجنبا عما يوغر صدور أهل التقى والعفة . وكل من كان فى الدنيا يتشبه بالملوك عن رأس الاغترار بكثرة الذخائر واكتناز الكنوز أخرجت النخوة من دماغه . ولا أترك أحدا يطلب التفوق فى المملكة . ثم قام وانفض المجلس . فانكسرت قلوب أرباب الكنوز وخلصوا نجيا يتفاوضون فيما سمعوا من الملك[(١)] فى ذلك المجلس . وقويت ظهور المتوسطين والمنقضين . فبقى باسطا لظلال العدل على الرعية ومداريا باللطف والمرحمة الى أن استتبت أموره ، وانتظ

§ هرمزدا الرابع ، وهو الحادى والعشرون من الساسانيين والحادى والأربعون من ملوك الشاه ، ملك (٥٧٨ — ٥٩٠ م) . وفى الطبرى أنه ملك ١١ سنة و ٩ أشهر و ١٠ أيام ، وفى مروج الذهب ١٢ سنة .

وأمه بنت خاقان الترك ، ويسميها المسعودى فى المروج "فاقم" . ويقول صاحب الأخبار الطوال أنه وحده ابن حرة ، وسائر أبناء أنوشروان بنو إماء . وكان لنسبه التركى نفرة فى نفوس الايرانيين ؛ يرى القارئ فى ثنايا هذا الفصل كيف يسمى حين الغضب "ابن التركية" ويقول الطبرى أنه كان "رديء النية قد نزعه أخواله الترك" .

وكان متكبرا عاتيا قتل إخوته ، وأنحى على وزراء أبيه فأبادهم . وكان شديد الوطأة على الكبراء رحيما بالضعفاء كأن به نزعة مزدكية يشبه فيها جدّه قباد ، ويخالف بها أباه كل المخالفة . ولم يكن يقود الجيش إلى الحرب كأبيه . =

(أ) يرى نلدكه أنه يحتمل أن يكون ماخ هذا أحد الأربعة الذين كتبوا الشاهنامه المنثورة لأبى منصور بن عبد الرزاق . (الحماسة الايرانية ص ٢٨) . انظر المقدمة .

(١) صل ، طا : يتفاوضون ما سمعوا الملك . والتصحيح من طر ، كو .

أحواله، ونفذت أوامره وأحكامه . فتغير واهتاج وقلب ظهر المجن، وأظهر سوء الخلق، وترك ما كان عليه من الرسم والآيين . وتجرّد لكل من كان مقربا عند أبيه من أرباب السيف والقلم فثل عروشهم، وأباد خضراءهم، ورصدهم بالغوائل، وأقصدهم بالفواقر من غير جرم استوجبوا به مضض العقاب، ولا بادرة استحقوا بها لذع العتاب فضلا عن ضرب الرقاب . قال : وكان لأنوشروان ثلاثة من خواص الكتاب الكفاة الدهاة أحدهم يسمى ايزدِكشَسب، والآخر يسمى بُرزمِهر (أ) والثالث يسمى كاه آذر (ب) . وكانوا بين يدى تخته كالوزراء؛ فى أيديهم مقاليد الأمور، وتحت تصرفهم مصالح الجمهور . فأخذ هرمزد يدبر فى قتل هؤلاء الثلاثة . فافتتح بايزدكشسب، وأخذه وحبسه . فعظم ذلك على موبذ الموبذان (ج) لصداقة كانت بينهما قديمة ومودّة أكيدة . فأرسل المحبوس اليه يشكو اليه ضيق محبسه، وقطع الناس عن زيارته، وأنه حيل بينه و بين الطعام حتى بلغ الجوع منه الى حيث لا طاقة لديه . وسأله أن ينفذ اليه طعاما . فتألم قلب الموبذ من رسالته وأخذه المقيم المقعد على حالته[1] . ولم يتجاسر على إنفاذ الطعام اليه خوفا من الملك . فأخذه الفكر فى ذلك فحملته الشفقة والرقة على أن أمر المستخدمين بحمل الطعام اليه . ففعلوا وقام وركب الى السجن .

= وقد أغضب رعيته بالإحسان إلى النصارى أيضا . وهذا برهان ما فى نفسه من مسالمة الضعفاء كذلك . يقول الطبرى[2] : وإن الهرابذة رفعوا اليه قصة يبغون فيها على النصارى فوقع فيها أنه كما لا قوام لسرير ملكنا بقائمتيه المقدّمتين دون قائمتيه المؤخرتين فكذلك لا قوام لملكنا ولا ثبات له مع استفسادنا من فى بلادنا من النصارى وأهل سائر الملل المخالفة لنا . فأقصروا عن البغى على النصارى . وواظبوا على أعمال البر ليرى ذلك النصارى وغيرهم من أهل الملل فيحمدوكم عليه وتتوق أنفسهم إلى ملتكم » .

وكان من آثار سياسة هرمزد أن ثار به بهرام چوبين وغيره من الكبراء فأرسل جيشاً لحرب بهرام فلما التقيا عند الزاب الكبير انتقض جيش الملك وبايع كسرى برويز . ثم ذهب بعض الجيوش إلى المدائن وثار الناس بهرمزد فخلعوه وسملوا عينيه ثم قتلوه[3] . =

(أ) يرى ورنر أنه يحتمل أن يكون بزرمهر هو بزرجمهر .

(ب) فى الشاه : ماه آذر .

(ج) اسمه فى الشاه : ذردهشت .

(١) طا، طر : حاله . (٢) ج ٢ ص ١٣٥ (٣) انظر الطبرى، والمروج، والأخبار الطوال، والغرر، (Sykes) ج ١ : هرمزد، (Historian's History) ج ٨ ص ٩١، ورنر، ج ٨ : هرمزد .

فلما رآه السجانون فزعوا منه ولم يتجاسروا على منعه من الدخول . فدخل واعتنق صاحبه وبكى لما رأى به . ثم أوصى المحبوس اليه ، وأطلعه على دفائنه وكنوزه ، وسأله أن يتشفع فى حقه الى الملك ، ويذكره بحقوقه القديمة ومواتّه المهيدة . فقام الموبذ وخرج . وأنهى بعض أصحاب الأخبار الى هُرمُزد دخول الموبذ عليه ، وإنفاذه الطعام اليه . فاغتاظ من ذلك ، وأمر بالمحبوس فقتل فى حبسه . وكثرت فى موبذ الموبذان مقالات المفسدين وأصحاب الأغراض والحاسدين عند الملك فازداد حقده عليه حتى حمله ذلك على أن أمر صاحب طعامه بأن يسم بعض الأطعمة و يقدمه اليه . فلما حضر الموبذ برسم الخدمة فى مجلس هرمزد وأراد[1] النهوض للانصراف قال له الملك : لا تبرح فإنا ظفرنا بطباخ جديد . فأحضروا الطعام فتغير الموبذ وأحس بالأمر ، وعلم أن ذلك الطعام يذيقه الحمام . فأخذ الملك يأكل وأمر "الخوانسلار" فوضع[2] الصحفة المسمومة عند الموبذ . فأخذ الملك يتملقه وأخذ قطعة من ذلك الطعام وقال له : افتح فاك وكل هذه اللقمة . فأقسم عليه الموبذ بحياته أن يعفيه واعتل[3] بالشبع . فأبى الملك وأقسم عليه . فاضطر الى الامتثال فأكل تلك اللقمة . وقام من السماط وانصرف والسم يعمل فيه عمله . فقطع من الحياة أمله ، ودخل منزله ، ولم يظهر لأحد حاله . فطلب الترياق فشربه فما نفعه . وأنفذ الملك بعض أصحابه ليتعرّف حاله . فلما وقعت عينه على موبذ الموبذان أرسل العبرات وصعّد الزفرات . فقال له الموبذ : قل لذلك الغادر : سنجتمع



= ثم عهد هرمزد فى الشاه ١٩٣٤ بيت فيه العناوين الآتية :

(١) فاتحة القصة . (٢) جلوس هرمزد على العرش ونصح كبراء ايران . (٣) قتله ايزدكشسب وسمّ زردهشت موبذ الموبذان . (٤) قتله سيماه برزين وبهرام آذرمهان . (٥) رجوع هرمزد عن الجور الى العدل . (٦) قود ساوه شاه الجيش لحرب هرمزد . (٧) تعريف مهران ستاد هرمزد ببهرام چوبينه ، وطلب هرمزد إياه . (٨) مجىء بهرام چوبينه الى الملك هرمزد . (٩) توليته القيادة . (١٠) ذهاب بهرام چوبينه لحرب ساوه شاه . (١١) إرسال هرمزد خراد بن برزين الى ساوه شاه برسالة خادعة . (١٢) رسالة ساوه شاه الى بهرام چوبينه . (١٣) رسالة ساوه شاه الثانية إلى بهرام . (١٤) جواب بهرام . (١٥) رؤيا بهرام وتهيئة الجيش . (١٦) حرب بهرام وساوه شاه . (١٧) قتل بهرام ساحرا . (١٨) كتاب الفتح من بهرام إلى هرمزد . (١٩) حرب بهرام وپرموده بن ساوه شاه وهرب پرموده =

(١) صل : ولما أراد . والتصحيح من طا ، طر ، كو . (٢) طر : أن يضع . (٣) صل : فاعتل . والتصحيح من طا ، طر ، كو .

غدا عند الحاكم العادل[1] وتختصم فيما عاملتنى به من الشر . فكن على حذر . فإن الظلم[2] مرتعه وخيم ، وإن عذاب الآخرة أليم . فانصرف الرسول باكيا فحكى للملك ما قاله الموبذ . فندم حين لا ينفعه الندم ، وأخذ يعض على يديه حيث زلت به القدم . فمات موبذ الموبذان وعظم موته[3] على أهل تلك الممالك لخلو البلاد عن مثل ذاك النقاب الألمعى ، والجواد الأريحى .

ثم إن هُرمُزد لما فرغ من الموبذ طرح قناع الحياء وتشمر لسفك الدماء . فعزم على أن يقتل بهرام بن آذرمِهان ، وكان أحد الأعيان الكسروية . فاستحضره ليلا وخلا به وأقعده بين يديه وقال له : "إن أردت أن تسلم منى وتنجو من بادرة سطوتى فافعل ما أقول لك : احضر مجلسى غداة غد على رسم الخدمة . وأنا أسألك على رءوس الأشهاد عن سيماه بن برزين ، وأقول[4] : كيف حال صديقك سيماه : أهو معنا من أوليائنا الصالحين أم من أعدائنا الكاشحين ؟ فقل عند ذلك : إنه رجل شرير ، سيئ الهمة ، مدخول الدخلة . ثم سلنى بعد ذلك ما تريد فإنه مبذول لك" . فتلقى أمره بالسمع والطاعة وقال : أفعل ما يأمرنى به الملك وأزيد عليه . وكان سيماه من أكابر الفرس وعظمائهم وخواص أبيه . وكانت بينه وبين بهرام هذا صداقة قديمة . قال : ولما أصبح الملك وقعد فى إيوانه وحضرته الأمراء والملوك أقبل على بهرام بن آذَرمِهان وقال : ما تقول فى سيماه بن برزين : أهو مستحق للتقدم والاستظهار بالكنوز أم لا ؟ فقال بهرام : "أيها الملك ! لا تذكر سيماه ابن برزين ، ولا تجر ذكره على لسانك . فإنه هو الذى خرب بلاد ايران" . ووصفه بالشر والفساد

= بقلعة آوازه — (٢٠) پرموده يطلب الأمان من بهرام . (٢١) بهرام يسأل الملك كتاب الأمان لپرموده . (٢٢) غضب بهرام على پرموده . (٢٣) مجىء الخاقان إلى هرمزد الملك . (٢٤) اطلاع هرمزد على خيانة بهرام ، ومعاهدة الخاقان . (٢٥) إرسال هرمزد وعاء المغزل وقميص امرأة الى بهرام . (٢٦) رؤية بهرام بخته . (٢٧) بهرام يظهر فى زينة الملك . (٢٨) إخبار خراد بن برزين هرمزد بحال بهرام . (٢٩) مفاوضة بهرام والقواد فى تمليكه ، ونصح كردويه أخته إياه . (٣٠) ضرب بهرام السكة باسم خسرو پرويز . (٣١) رسالة بهرام الى هرمزد ، وهرب خسرو پرويز من أبيه . (٣٢) إرسال هرمزد آئين كشسب لحرب بهرام ، وقتله . (٣٣) سمل كستهم وبندويه عينى هرمزد .

(أ) أنظر القصد فى الغرر أيضا : وفيها بزرجمهر مكان برزين . وأن بهرام هو الذى أريد قتله بشهادة برزين عليه إلخ .

(١) طا ، طر : العدل . (٢) طا ، طر ، كو : فان مرتع الظلم وخيم . (٣) كلمة «موته» من طا ، طر .

(٤) طر : أقول لك .

على رءوس الأشهاد. فلما سمع سيماه بن برزين ذلك قال لبهرام: أيها الصديق العتيق والصاحب الشفيق! لا تشهد علىّ بالسوء. وقل لى أى شيء رأيت منى فى هذه المدّة المديدة التى تصاحبنا فيها، من القول الشيطانى والفعل السبُعى (ا)؟ فقال له بهرام: كيف لا أشهد عليك بالسوء وقد زرعت شرا لابد لك أن تحصده، وستصلى بسببه[1] النار الموصدة؟ ألم نكن قد حضرنا عند أنوشروان مع موبذ الموبذان فشاورنا فى تولية أحد الأولاد وتسميته للسلطنة، وتردّد بين الصغير منهم والكبير. فقمنا جميعا وقلنا: إن ولدك من بنت الخاقان – يعنى هرمزد – لا يصلح للملك، ونحن لا نريده ولا نرضى به أبدا. فخالفتنا وقلت: إنه لا يصلح للملك سواه حتى قررت الأمر عليه، وحملت الملك على أن عهد اليه؟ فالآن خذ جزاء[2] ما صنعت، واجتن ثمرة ما غرست. قال: فاستحيي هرمزد فأطرق مليا، وعلم صدق[3] الرجل فيما قال. فأمر بهما فحملا إلى الحبس. وأمر بعد ثلاث ليال بقتل سيماه فقتل. ولما علم بهرام بما تم على ذلك السيد الطاهر الجيب الناصح الغيب أرسل إلى هرمزد وقال: تعلم مكانتى من أبيك وصدق عنايتى بك، وأنى لم أزل فى حياته قائما بقضاء حوائجك واستنجاح مطالبك ومآربك. وفى قلبى سر من أسرار الملك إذا وقفت عليه علمت أن فيه منفعة أهل ممالكك. فأحضرنى لأبلغه إلى مسامعك. فأحضره الملك ليلا، وخلا به ولاطفه وتملق معه. ثم سأله عن ذلك السر فقال: اعلم أن فى خزانة أبيك صندوقا ساذجا مختوما، وفيه حريرة مكتوبة بخط أبيك أنو شروان: فاطلب الصندوق واقرأ ذلك المكتوب. فإنه يشتمل على ما فيه مصلحة الإيرانيين. فأمر الخازن باحضار الصندوق. ففتش الخزائن العتيقة حتى وجد ذلك الصندوق وأحضره بين يدى هرمزد. ففتحه وأخرج منه حريرة قد كتب فيها أنو[4] شروان بخطه: "إن هرمزد يملك اثنتى عشرة سنة ثم بعد ذلك تدور عليه الدوائر، وتصيبه الشدائد الفواقر، ويظهر له من كل جانب عدو. وبالآخرة يكحله بعض أقارب زوجته. ثم بعد ذلك يضرجه بدمه". فلما قرأ هرمزد ذلك مزق الحريرة إذ مزقت قلبه، وقطعت أحشاءه. واصفر وجهه وتفجرت بالدماء عينه. ثم قال لبهرام: أيها الرجل الجافى الخُلق! ماذا أردت بعرض هذه الرقعة علىّ؟ أتحسب أنك تنجو منى برأسك(ب) فقال له بهرام: إنما فعلت ذلك حتى لا تسفك الدماء، وتقطع عن بقائك الرجاء. وواجهه بأنه لا يصلح للملك، وأنه من الشجرة الخبيثة الخاقانية لا من الشجرة المباركة الكيانية. فأمر هرمزد برده إلى الحبس. ثم أمر

(ا) فى الشاه: "زكردار وكفتار آهرمنى". أى من القول والفعل الشيطانى.

(ب) فى الشاه: "بخواهى ربودن زمن سرهمى". ويحتمل أن يكون المعنى: أتريد أن تسلبنى رأسى؟

(١) طا، طر، كو: بسببها. (٢) طا، طر: بجزاء. (٣) طا، طر: بصدق.

(٤) طر: أبوه أنو شروان.

فقتل بعد ثلاث ليال فلم يبق فى تلك المملكة ذو عقل يستضاء بنوره، ولا صاحب رأى يقوم بمصالح الملك وأموره . فلم يطب عيش هُرمُزد ولا يوما واحدا، وكان لا يبيت إلا موجع القلب ساهدا .

قال § : وكان هرمزد يقيم كل سنة شهرين عند قِصَر الليالى باصطخر، ويطوف باقى السنة فى ممالكه يرتب الأمور ويسوس . وبلغ من عدله أن مناديا كان ينادى قدّام موكبه كل يوم : أيما رجل من الأجناد دخل أرضا مزروعة فأضرّ بها عوقب بكذا وكذا . وأيما فرس دخلها قطع أذنه وذنبه . ومن سرق شيئا صلب . وكان مدّة عشرة أشهر من كل سنة يطوف كذلك فى البلاد، (١٩١) ويرعى المصالح والمناجح للعباد . قال : وكان له ولد لا يفرق بينه وبين القمر حسنا وجمالا يسمى كسرى ويلقب ببرويز . وكان لا يفارق أباه ساعة ولا يصبر عنه لحظة . فاتفق أن فرسا من مراكبه الخاصة جفل من اصطبله عائرا فتبعه السائس ليمسكه فدخل إلى أرض محروثة . فعلم بذلك الشخصُ الموكل بالضيعة فأنهى ذلك إلى هرمزد . فأمره أن يحكم فى فرس ابنه كما كان يحكم فى فرس غيره فتقطع أذنه وذنبه، وأنه إن تلف شىء من الزرع بوطء الفرس فيه أخذ عوضه من برويز عن كل درهم مائة . فعظم على برويز قطع ذنب فرسه فأرسل إلى أبيه جماعة ليتشفعوا فلم يقبل شفاعتهم فى فرسه، وقطع ذنبه وأذنه، وغرّم برويز بعوض ما أتلفه، على الصفة المذكورة .

قال : وخرج ذات يوم إلى الصيد فى خواصه، وكان ممره على كروم وبساتين، فرأى بعض أمرائه عناقيد من الحصرم متهدلة من بعض تلك الكروم فأمر غلاما له بأن يقطع منها عدّة ويحملها[(١)] إلى المطبخ ففعل . وعلم صاحب البستان بذلك فعدا نحو ذلك الأمير وقال : إنك قد أتلفت مالى، ولا بد أن أشكوك إلى الملك . ففزع الأمير . وكان على وسطه منطقة مرصعة فحلها ودفعها إلى صاحب

---

§ تصدّر الشاهنامه الواقعات الآتية بعنوان : "رجوع هرمزد عن الجور الى العدل" . وتبين أنه أشفق على نفسه حين قرأ الرقعة وتاب من سفك الدماء والأذى .

وأما طوافه فى المملكة ففى الشاه أنه كان يمضى باصطخر ثلاثة أشهر الصيف، وبأصبهان ثلاثة أشهر الخريف، وبطيسفون الشتاء، وبسهل أروند الربيع . وفى الأخبار الطوال : "وكان أكثر دهره غائبا عن المدائن إما بالسواد متشتيا وإما بالماه متصيفا" . وهذا هو المأثور عن الأكاسرة . يقول الشاعر لأبى دلف :

وأنت امرؤ كسروىّ الفعال م تصيف الجبال وتشتو العراقا

(١) طا، طر : وتحمل الى

البستان . فأخذها وتأملها ثم قال للأمير : إنى أمنّ عليك برد هذه المنطقة اليك وإخفاء أمرك . ففعل وسر بصنيعه الأمير وانجبر بذلك قلبه الكسير . وذلك لأن هرمزد كان مُر السياسة سريع العقوبة . وكان ممكّنا فى سلطانه مذكورا بالرأفة[1] والرحمة على ضعفاء رعيته مخصوصا بالظفر ، موصوفا بالشجاعة ، مشهورا بسيرة الانصاف ، قاصما لظهور أهل الظلم والإجحاف ، متيقظا فى مصالح الملك ، لا يؤخر أمر يومه إلى غده (ولا يستقر فى دار ملكه)[2] ويتجشم التطواف فى أقطار مملكته حتى فى حمارة القيظ وكالح الشتاء ، لا يعرف الاستراحة ولا الراحة .

ذكر خروج ساوه شاه (ا) ملك الترك ، ووقعة بهرام جوبين معه

قال صاحب الكتاب : ولما أتى على ملك هرمزد عشر سنين ظهرت فى دولته[3] طلائع الوهن ، وأتاه من كل صوب مستصرخ ؛ فخرج ساوه شاه ملك الترك من طريق هراة فى مائة ألف فارس ، وألف ومائتى فيل بحيث امتلأ بهم ما بين هراة ومرو الروذ . وكتب الى هرمزد كتابا يأمره فيه بعمارة القناطر ، وإصلاح المعابر ، وإعداد العلوفات فى الطرق والمراحل . فإنى عازم على القدوم الى ذلك الإقليم . وخرج من الجانب الآخر قيصر فى مائة ألف من عساكر الروم . وخرج أيضا ملك الخزر فى عساكر ملأت مابين أرمينية الى أردبيل . وخرج أيضا ملك العرب (ب) فى عساكر كادت تطبق طلاع السهل والجبل ، وأقبل حتى نزل على الفرات § فلما رأى هرمزد إقبال الأعداء

---

§ ورث هرمزد حرب الروم عن آبائه ؛ توفى أنو شروان والحرب مستعرة . وبقيت طوال أيام هرمزد سجالا بين الفريقين . وقد بدأ حكمه بمخاشنة الروم فلم يرسل اليهم ليخبرهم بتوليه الملك سنّة ملوك الفرس والروم فى ذلك العصر . وما زال فى حرب الروم حتى دهمه الترك عام ٥٨٨ فهزمهم بهرام چوبينه ثم وجهه هرمزد لحرب الروم فى الشمال فهُزِم بهرام فرآها الملك فرصة ليحط مقدار القائد العظيم فأرسل اليه ثياب النساء ، كما فى الشاه ، فألجمه الثورة . وأما الخزر والعرب فأحسبهم ذكروا هنا للتهويل والمبالغة فى وصف ما أحاط بهرمزد من المصاعب ، ولتمجيد بهرام چوبين بطل هذه الشدائد .

(ا) اسمه شابه فى الطبرى ، والمروج ، والغرر . ومن اليسير تحريف أحد اللفظين الى الآخر لا سيما اذا راعينا احتمال أن تكون الواو فى ساوة (ف) والباء فى شابه (پ) ويرى ورنر أن ساوه قد يكون تحريف "چاو — وو" وهو اسم فى سجلات الصين لأمراء صغار على ضفاف جيحون كانوا تابعين للخان (ورنر ، ج ٨ ص ٧٢) .

(ب) فى الشاه : خرج فرسان الصحراء الزاحفون يقودهم عباس وعمرو . وفى الطبرى عباس الأحول وعمرو الأزرق . وفى المروج : عمرو الأفوه .

(١) صل : للرأفة . والتصحيح من طا ، طر . (٢) ما بين القوسين من طا ، طر ، كو .

(٣) طا ، طر ، كو : على دولته .

اليه من كل وجه، وانبثاق السكر عليه من كل صوب، وتضييقهم الأرض عليه حتى كأنها فى عينه كفة حابل أو غلوة نابل — أخذه المقيم المقعد فاستحضر الإيرانيين فشاورهم فيما حزبه من ذلك، وفاوضهم فى أمره، وأطلعهم على ما خامر صميم[1] قلبه . فوجموا متحيرين ثم تكلم كل واحد منهم بما عنّ له من الرأى، وقالوا : إن إيران قد صارت قرارة لسيول الفتن المتلاطمة كقطع الليل، ولم يسمع أحد قط بخروج مثل هذه العساكر من هذه الجهات فى حالة واحدة الى هذه المملكة . وأنت أيها الملك! ذو العقل وصاحب الرأى، ومالك زمام الأمر والنهى . ونحن العبيد المتقلدون لربقة طاعتك . وأنت أعلم بمصالح الأمور . فأسفر عن وجه التدبير فى هذا الخطب الكبير . وقال الوزير : أيها الملك العالم! أعلم[2] أن عساكر الخزر لا يطيقون مقاومة عساكرنا، ولا يلبثون ساعة أمامنا . وأما عساكر الروم فالرأى أن نداريهم وندفع بالاحتيال شرهم . وأما العرب فيسهل استئصالهم وقلعهم . والأمر الأهم أمر ساوه شاه المقبل فى عساكر الترك من جهة خراسان . فإن فى استيلائه خراب هذه الديار . واذا عبرت عساكر الترك جيحون فلا يسعنا (١) التوانى فى الأمر . فقال له الملك فما نعمل الآن؟ قال : اجمع العساكر فإن استظهار الملوك انما يكون بالجنود . فآستحضر كاتب الجيش ومتولى ديوان العرض فجاء بجرائد الجيوش فأحصاهم فكانوا مائة ألف فارس وراجل . فقال المو بذ : جدير بنا ألا نقاتل بهذا القدر اليسير ذاك الجم الغفير إلا أن نستعين أيها الملك! عليهم[3] بالخير والسداد، والإقلاع عن الظلم والفساد . فقد بلغك ما أصاب لهراسب على يد أرجاسب وعساكر الترك فى الزمان الأول، وما جرى على أهل بلخ فى ذلك العهد الى أن خرج إسفنديار ففعل ما فعل . وأنا وإن كنت أكبر سنا من الملك فهو أثقب[4] رأيا وأصوب عزما فليشر بما يرى . فقال الملك : نكاتب قيصر أولا ونصالحه ونردّ عليه بلاده التى أخذها منه الملك — يعنى أباه — فإنه عند ذلك يثنى عنانه وينصرف وراءه . فأرسل اليه وكاتبه على تلك الجملة، وتردّدت الرسل حتى استقرّ الأمر على ذلك، وعاد قيصر الى بلاده . ثم اختار عسكرا وجهزهم تحت[5] راية إصبهبذ يسمى خرّاد الى ملك الخزر . فلما وصل الى بلاد الأرمن هرب منه ملك الخزر . فركب أثره وقتل منهم خلقا كثيرا، وأصبح مظفرا منصورا

(١) فى نسخ الترجمة كلها : لا يسعها . والتصحيح من الشاه :

چو ترك اندرآمد زجيحون بجنك نبايد بدين كاركردن درنك

(١) صل : ضمير قلبه . والتصحيح من طا، طر، كو . (٢) طا، طر : اعلم (لا) .

(٣) طا، طر : عليهم أيها الملك . (٤) طر : أصوب رأيا وأثقب عزما . (٥) طر : الى ملك الخزر تحت راية الخ .

فلما أتى الخبر هرمزد بظفر خرّاد فرغ سره من ذلك الجانب أيضا ، ولم يبق له شغل قلب إلا بأمر ملك الترك . فأخذ يفكر فى ذلك فأتاه بعض مستخدميه وقال : إنى ذكرت البارحة عند الشيخ الكبير والدى مِهران سِتاذ حديث ساوه شاه ومجيئه فى عساكره الجرّارة وفيلته النخارة وبحاره الزخارة . فقال : هذا مصداق الحديث القديم وأوانه . فسألته عن معنى ذلك فلم يحر جوابا وقال : لا يمكننى كشفه إلا أن يسألنى عنه الملك فاذكر له[1] ذلك . فأمر هرمزد فى الحال حاجب حجابه[2] بأن يحضر مِهران سِتاذ . فركب إلى دار الشيخ وأخبره باستحضار الملك اياه فأجلسه فى مهد وحمله الى حضرة الملك . فلما حضر قال له الملك : ماذا تحفظ أيها الشيخ ! من حديث هذا التركى الذى هو متصدّ لنا ؟ فقال : اعلم أيها الملك الجليل[3] ! أن الملك العادل أباك أرسلنى فى خطبة أمك الى الخاقان ، ونفذ معى مائة وستين فارسا من أعيان الفرس . فسرنا الى حضرة الخاقان . وكانت له خمس بنات فأمر بقعودهن متزينات فى حَليهن وحُللهن . ثم أمرنى بالدخول عليهن لاختيار من تصلح منهن للملك . فدخلت وقعدت متفرّسا فيهن فرأيتهن متوجات سوى أمك . فانها كانت بلا طوق ولا تاج[4] ولا سوار . وهى بنت الخاتون[5] التى هى بنت بغبور ملك الصين . والأخريات كن من أولاد الإماء . فلم يقع اختيارى إلا عليها . فعظم ذلك على أبويها ثم أشاروا علىّ بأن أعدل الى غيرها فلم أقبل ولم أرض الا بها . فأحضر الخاقان عند ذلك المنجمين ، واستكشفهم عن طالعها ومآل أمرها ومقتضيات أحكام النجوم وأسرار الكواكب فيها . فقالوا : أيها الملك ! إنه يظهر بين بنتك هذه وبين كسرى ولد طويل القامة ، قوى العضدين ، أكحل العينين ، يكون فى الشجاعة والسماحة كالليث والغيث . يموت عنه أبوه فيكون هو ملك الأرض فيستقر زمانا على سرير الملك عالى القدر نافذ الأمر فيظهر له عدوّ من ملوك الصين فيقصد بلاده بعساكر كالنحل والنمل يريد بذلك أخذ بلاد[6] إيران الى غيرها من بلاد اليمن وسائر الممالك . فيتحير ملك إيران فى الأمر ويخشى على نفسه من انقلاب الدهر . ويكون فى أمرائه فى بعض أقطار مملكته[7] رجل (ا) من أولاد الأكابر ، شجاع فارس بطل ، طويل قضيف ، جعد الشعر ، ضخم الكراديس ، عظيم الأنف ، أسمر اللون ، صحل الصوت ، عارم اللحظ ، يلقب بجوبين (ب) . فيكسر بقدر يسير من العسكر ذلك العدوّ مع وفور عَدده وكثرة عُدده . فلما سمع الخاقان قول المنجم

(١٩٢)

(ا) لم يذكر هذا فى كلام المنجمين المتقدّم . وهو هنا تمهيد لقصة بهرام جوبين (انظر ص ١٤٥ ج ٢) .

(ب) هو فى الشاه : چوبينه .

(١) طا ، طر ، كو : فأذكره له عند ذلك . (٢) طا ، طر : حاجب الحجاب . (٣) طا ، طر : الجليل (لا) .

(٤) كلمة "ولا تاج" من طا ، طر ، كو . (٥) صل : طا ، طر : الخاقان . والتصحيح من الشاه ، كو .

(٦) طر : ممالك . (٧) طر : ممالكه .

فرح واستبشر وجهز ابنته معي الى أنو شروان، بعد أن شيعها الى شاطئ جيحون . فاطلب الآن أيها الملك ! هذا الرجل حتى يكفيك هذا الأمر . فإنه[١] لا يكون إلا على يديه . واحفظ كلامى هذا واكتمه ولا تطلع عليه أحدا . قال : ولما فرغ الشيخ من كلامه قضى نحبه فى ذلك المجلس . فتعجب الملك من تلك الحالة، و بكى عليه، و بكى الحاضرون . وأخذ ينقب عن الرجل الموصوف المنعوت و يبحث عنه فلا يهتدى اليه الى أن قال له بعض أصحابه : أيها الملك ! إن هذه الصفات كانت موجودة فى بهرام بن بهرام الذى كان متولى سالارية الاصطبلات الخاصة § . وقد أقطعته الآن أردبيل، وهو فيها متوليا لأمورها من جهة الديوان . فنفذ الملك نجابا الى أردبيل، وكتب اليه كتابا يأمره فيه بالمسارعة جريدةً الى الخدمة . ولما وصل الى حضرة الملك نظر اليه فرأى العلامات التى أخبر بها مهران ستاذ كلها موجودة فيه . فقربه الى مجلسه واحترمه ولاطفه وأكرمه . ثم لما أمسى استحضره وخلا به وسرد عليه حكاية مجيء ساوه[٢] وقصده لبلاد إيران فى جموعه الكثيفة وجيوشه الكثيرة . ثم قال له فما ترى الآن ؟ أنجنح معه الى السلم ونكف عاديته بالصلح أم لا نسلك معه سوى سبيل المنابذة والحرب ؟ فقال : مصالحته بعيدة عن المصلحة . فإنه اذا رأى ميل الملك الى الصلح تجاسر عليه . فقال : أنتلبث ونتأنى أم نسارع الى لقائه[٣] ؟ قال : بل نبادر ونسارع ونبلى عذرنا . فإن رزقنا الظفر فقد حصلت السعادة . وإن كان غير ذلك لم نعير بالإحجام والنكول، وكنا

---

§ بهرام چوبينه هو فى الشاه : ابن بهرام بن بهرام بن كشسب، ومن نسل كرجين بن ميلاد المعروف فى قصة بيژن ومنيژه . وفى الطبرى والأخبار الطوال : ابن بهرام بن جشنس الرازى . وفى المروج : من نسل أنوش المعروف بالران .

وهو من أسرة مهران — أسرة أشكانية كانت ذات سلطان أيام الساسانيين . وقد ذكر فى عهد قباذ واحد منها هو سابور الرازى الذى استنجده قباذ على سوفزاى الفارسى[٤] . و يرى نلدكه أن اسم مهران يحتمل أنه مأخوذ من اسم أحد الأمراء البرتيين — مبردات (مثردات[٥]) و يظهر أن بهرام كان واليا فى جهات الشمال منذ عهد أنوشروان . قيل كان مرزبان الرى، وقيل مرزبان آذربيجان وأرمينية .

و ينبغى التنبيه هنا الى أن الدولة السامانية تدعى نسبا الى بهرام چوبينه هذا . و يصدق البيرونى دعواها[٦] .

---

(١) طا، طر: فان ذلك . (٢) طر : ساوه شاه . (٣) طر: نسارع إليه . قال : بل نبادر ونسارع الى لقائه .

(٤) انظر ص ١١٦ المتن ج ٢ (٥) الحماسة الايرانية ص ١٣ (٦) الغرر، والأخبار الطوال، والآثار الباقية ص ٣٩، ورنر، ج ٧ ص ٧٢ .

معذورين عند العالم والجهول . قال : فجعله هرمزد بهلوان جيشه وصاحب حربه، وأمره بالنهوض للقاء ملك الترك . فسأله أن يأمر كاتب الجيش بأن يعرض عليه أسماء الأجناد حتى ينظر فى حالهم ويبصر من يصلح له من رجالهم . فقال هرمزد : الأمر اليك، والعساكر بين يديك . فافعل مارأيت . فاختار من الإيرانيين اثنى عشر ألف فارس من الآساد المذكورين أبناء الأربعين من غير زيادة على هذا السن ولا نقصان عنه[(١)] . وقدّم عليهم رجلا مشهورا بالشجاعة يسمى يلان (أ) وكان لا يقاومه فى لجة الموت أحد، ولا يغامسه فى غمرة الحروب أسد . وجعل على الثقل رجلا آخر يسمى ايزد كشسب وجعل على الساقة رجلا آخر يسمى بندا كشسب (ب) . وكان من الشجعان الذين يصيدون السباع بالأذناب وسط الغاب . فلما رأى الملك شهامة بهرام وصرامته وتشمره للأمر وتجرده فتح عليه أبواب الخزائن، وحكّمه فى سوائم الخيل الى أن استظهر بما شاء من العتاد والعدّة . ثم قال لبهرام : أيها البهلوان ! لايخفى عليك كثرة عساكر الترك وما استظهر به ساوه شاه من العدد الدهم، والعسكر الجم، والجحفل المواج كالخضمّ . فكيف تقدم على لقائهم بهذا القدر اليسير ؟ ولم اخترت أبناء الأربعين على الشبان الأغمار أبناء المصاع والكفاح ؟ فقال : أيها الملك ! إن كان الأمر كما نريد فلا حاجة الى ثقل الحمل . ولا يخفى على علم الملك أن رستم(ج) لما نهض لقتال ملك هماوران وتخليص كيكاوس ما كان معه من العسكر إلا اثنا عشر ألفا . وكذلك لما دخل بلاد الترك فى طلب ثار سيا وخش ما استصحب إلا اثنى عشر ألفا . وإسفنديار لما تجرد لقتال أرجاسب وسلوك هفتخوان لم يستصحب أيضا غير اثنى عشر ألفا[(٢)] . والخروج الى العدو فى أكثر من هذا العدد ينافى طريقة الرجولية والشجاعة . والإصبهبذ متى كان معه أكثر من هذا العدد ينسب الى الجبن ور

قلت : وقد وافق رأى[(٣)] بهرام قول صاحب الشرع الطاهر، والسلطان القاهر، قاصف رقاب الجبابرة، ومنكس أسرّة الأكاسرة نبينا صلى الله عليه حيث قال : لن يغلب اثنا عشر ألفا عن قلة .

قال : وأما اختيارى أبناء الأربعين فلأن التجارب حنكتهم والنوائب نجذتهم . فهم يعضون صبرا على الزبر، ويتوجلون ولو خرت الإبر، ويحفظون حق الخبز والملح، ولا يرضون بدون الظفر

(أ) هو فى الشاه : يلان سينه، وفى ترجمة الطبرى الفارسية : مردانشاه . وكان أخا بهرام ومن أشد أعوانه .

(ب) هو فى الشاه : نردا كشسب .

(ج) هذا مثال من وصل قصص الشاه — بعضها ببعض . وهذا بين فى الكتاب كله . فالقاص كل حين متذكر ما سلف . ويرى القارئ فى ثنايا هذا الفصل أمثلة من هذا كثيرة .

(١) الصواب : التأنيث . (٢) طا، طر، كو : ألف فارس . (٣) طر : قول بهرام .

والتحجح ، ويذبون عن الأهل والولد ، ويأنفون من قبح الأحدوثة فلا ينكلون عن مأزق الهيجاء وحومة اللقاء . وأما الشباب فهم بالعجلة يخدعون، وفى مقام الصبر لا يصبرون ، وفى عواقب الأمور لا يفكرون . فإن ظفروا طاروا فرحا وسرورا، وإن لم يظفروا ولوا العدوّ أدبارا وظهورا . فامتلأ الملك سرورا لما سمع من كلامه، وتهلل وجهه . فقال له : البس لبوس الحرب أيها البهلوان! واحضر بأصحابك فى الميدان . فرجع بهرام وشدّ عليه سلاحه وركب الى الميدان . وحضر الملك (١٩٣) بالكرة والصولجان . فلما رأى بهرام تعجب منه ومن شكله وأبهته . ولبث ساعة فى الميدان ثم عاد به الى الايوان ، وآستدعى علَما على شكل ثعبان وقال له : اعلم أن هذا علم رستم بن دستان الذى كان أجدادى يسمونه البهلوان . وأنت الآن رستم آخر، بل رستم بخدمتك يتفاخر . نخذه فأنت به أحق . فأعطاه إياه ودعا له بالظفر وقضاء الوطر. ثم عاد الى منزله مسرور القلب، منشرح الصدر، رفيع الدرجة، عالى الأمر . ولما أصبح ركب الى خدمة الملك وسأله أن ينفذ فى صحبته كاتبا يشهد معه الحرب . ومن أبلى من أصحابه بلاء حسنا أثبت اسمه وأنهى اليه فعله . فندب لذلك كاتبا يسمى مِهران .

وخرج بهرام وسار بذلك الجيش[٢] المختار والجحفل الجرّار، وجاوز إقليم طَيسفون قاصدا قصد ملك الترك مردّدا نفسه بين الملك والهلك . قال : ولما خرج بهرام قال هرمزد لموبذ الموبذان : إن الرجل قد خرج الى الحرب مسرور القلب فما قولك فيه ؟ وما الذى تراه يكون من أمره ؟ فقال الموبذ: إن هذا البهلوان، مع ما رأينا منه من الصرامة والشهامة، حقيق به أن يكون مظفرا منصورا. ولكنى أخاف أن يؤول أمره[٣] الى خلعه ربقة الطاعة . فإنه ظهر منه تجاسر عظيم فى مخاطبة الملك ومحاورته . فقال هرمزد : لو ظفر بهرام فى هذه الوقعة ونصر على ملك الترك لجدير بنا أن نسلم اليه التاج والتخت . فلما سمع الموبذ بذلك سكت وعض على شفته ، وأخفى ذلك فى نفسه وقد وقف بنور ذكائه على عاقبة الأمر. قال: وأنفذ هرمزد وراءه فى السر صاحب خبر لا يُعرف لينهى أخباره اليه . فاتفق أن بهرام لما جاوز حدود طيسفون رأى فى الصحراء رجلا على رأسه زنبيل فيه عدّة من رءوس الغنم . فأشرع رمحه وركض فرسه وآستلب بسنانه رأسا من الزنبيل، ورفعه على رأس رمحه، وجعله فألا لنفسه ، وقال : سآخذ رأس ملك الترك مثل هذا الرأس وأرميه بين يدى عسكره .

(١) صل : عن . والتصحيح من طا ، طر، كو .
(٢) طا ، طر، كو : العسكر المختار
(٣) طا ، طر، كو : يؤول أمره بالآخرة .

ولم يقل : " بسعادة الملك " § فلما رأى صاحب الخبر ذلك قضى العجب وقال : سيرزق الظفر على العدوّ ولكنه فى آخر الأمر يلوى رأسه عن طاعة هرمزد . وأنهى ذلك مع ماحدسه الى هرمزد. فعظم ذلك عليه وندم على إنفاذه وتفويضه اليه سالارية جنوده . فنفذ بعض أصحابه فى أثره وأمره ألا يجاوز مكانه ، ويترك فى المنزل عسكره ، ويعاود حضرة الملك وحده ليشافهه فى مهم سنح له . فلما وصل اليه الرسول وأدى رسالة هرمزد قال : قل للملك إن الناس يتطيرون من انصراف المسافر من طريقه ، ويجعلون ذلك فألا للعدوّ فى تصديق أمله وتحقيقه . وأنا أتطير من الانصراف فى أوّل السفر ، ولكنى سأرجع الى حضرته بعد أن أملك عنان الظفر . فانصرف الرسول وأخبر هرمزد بمقالة بهرام فاستحسن كلامه وارتضاه ووافق رضاه . وسار بهرام فى طريقه الى أن دخل بلاد الخوز . فاتفق أن امرأة خرجت الى العسكر بحمل تبن فأخذه منها بعض الأجناد ولم يعطها الثمن . فاشتكت الى بهرام فأمر فصلب ذلك الجندى . فنادى مناديه : من آحتاج منكم الى شىء فلا يقربنه إلا بالثمن . ومن أخذ ورقة تبن غصبا وسّط بالسيف حتى يعتبر به غيره فلا يمدّ(١) يد الظلم والحيف .

قال : وكان هرمزد مضطرب القلب نابى الجنب من خوف الخاقان . فاحتال ودعا بخراد بن برزين ، وأرسله اليه بهدايا كثيرة وأموال وافرة . وكتب اليه كتابا مشحونا بالوعظ والنصح . وقال لخراد : إنى أرسلك اليه لتتعرف أحواله ، وتحزر جنوده ، وتبصر عَدده وعُدده . فطر الى هراة بجناح الركض . وإن عنّ لك فى بعض الطرق عسكر فاعلم أنه بهرام . فاحضر عنده وأعلمه بحالك ، وسر فى طريقك . فركب خراد وسار بسير(٢) الريح . فلما قرب من هراة رأى بهرام فأعلمه بالحال وآنطلق . وسار الى أن وصل الى هراة وحصل فى مخيم ساوه شاه فأدّى رسالة هرمزد اليه ، وقدّم هداياه بين

§ فى الغرر : " فلما أصحر رأى رؤاسا عريان ، وعلى رأسه سبذة مملوّة من رءوس الغنم . فتفأل بها وركض ، واختطف برمحه رأسين منها . وقال : سأختطف ، بدولة الملك هرمز ، رأس شابه‌شاه وأخيه فغفورة كاختطافى الرأسين . فانصرف الكاهن الى هرمز وأخبره بما رأى وسمع . وقال : إنه سيظفر بالعدوّ ولكنه يعصى مولاه . فقال هرمز : مرحبا بقضاء الله وقدره " .

وكأنّ الكاهن أوّل الرأسين رأس ملكين : أحدهما شابه ، والآخر هرمز نفسه ، ولكن بهرام لم يقتل هرمز . وأقرب الى التأويل ما فى ترجمة الطبرى الفارسية أن بهرام اختطف رأسين سقط أحدهما فى الزنبيل . فأوّل الكاهن الرأس الذى لم يعلق بالرمح — رأس هرمز ، وأن بهرام لن يقدر عليه(٣) .

(١) طا ، طر : تمدّ . (٢) طا ، طر ، كو : سير الريح . (٣) الغرر : ص ٦٤٤ ، ورنر ، ج ٨ ص ٧٤

يديه . فبينا هو عند ساوه إذا أتاه النذير بظهور عسكر من صواب إيران . فآنزعج وأقبل على الرسول وهدّده وأوعده . فقال الرسول : أيها الملك ! من ذا الذى يتجاسر على أن ينفذ اليك عسكرا؟ وما هو إلا عابر سبيل أو إصبهبذ فزع من الملك فاستأمن اليك أو خفير قافلة توجه معهم حتى يوصلهم الى بلادك . فتمكن ما قال من[1] قلب ساوه، وسكن بعض مابه من سَورة الغضب . ثم إن الرسـول عاد الى مضربه . ولمـا جن الليل ركب ظهر الفرار مسـلوب النوم والقـرار بحيث لم يدر به أحد من عسا كر الترك . وأمر ساوه ابنه المسمى بغبور (أ) بأن يتلقى العسكر . وإن كان مقدمهم مستأمنا أو هاربا من أرض إيران آمنه وآواه، ووعده ومنّاه، وحمله الى حضرته . فجاء بغبور ولمـا قرب من مخيم بهرام نفذ فارسا وأعلمه بمجيئه ليكلمه ويكشف عن حاله . فركب بهرام وتلقاه فلمـا اجتمعا سأله عن مجيئه وقال : بلغنا أنك هربت من فارس لجناية جنيت أو دم أرقت . فقال معاذ الله من ذلك! وإنما جئت من بغداد بأمر الملك لقتال ساوه . فإنه حين سمع بإقباله ندبنى لذلك . فانصرف بغبور نحو أبيه وأعلمه بالحال . فعظم عليه ذلك ، ونفذ فى طلب الرسول فأعلم بأنه اتخذ الليل جملا وهرب . فتلهف على فوته وأرسل رسولا الى بهرام يستدرجه ويخدعه ويعـده ويوعده . وبهرام جازم على عزيمتـه على قتـاله، طاغ فى غلوائه . فتردّدت الرسل بينهما مرارا فى ذلك على هـذه الجملة الى أن علم ساوه أنه يضرب معـه فى حديد بارد . فأمر بإخراج الكوسات والنقارات . فعـلم بهرام بذلك فعبى عسكره وجعل هراة من ورائه، ووقف من ساوه شاه بإزائه . فلما رأى ساوه تعبئة بهرام التوى على نفسه وقال لأصحابه : قد بلينا بهذا الفارس المحتال المتجرّد للقتال . فعبّى جنوده وصف صفوفه فجعل على الميمنة أربعين ألفا ، وعلى الميسرة أربعين ألفا آخرين ، ورتب فى القلب مثل ذلك . وكان الموضع ضيقا لا يسع عسا كره فاصطف بعضهم خلف بعض[2] . وقدّموا الفيـلة كسور ممتـدّ أمام الجيش . فضاق ساوه ذرعا لمـا رأى من ضيق المكان ، وتزاحم عسا كره ، وتراكم بعضهم فوق البعض[3] ، وأوجس فى نفسه شيئا واختار بعض أصحابه وأرسله الى بهرام ثانيا يخدعه ويعده بأنه يزوّجه ابنته ، وأنه يوليه ممالك إيران ويجعله فيها نائبه فلم ينجع ذلك فى بهرام ، ولم يجب إلا بلسان السيف ، وأبى أن يكون فيصل الأمر إلا عن حرب تتقصف فيها أصلاب الرماح، وتتحطم وسطها متون الصفاح . فقال بغبور عند ذلك لأبيه : مالك تستصعب هـذا المرام، وتتضرع كذلك الى بهرام ؟ وحقيق له أن يُبكى عليـه مع ما هو فيه من قلة العدد ؟ ثم هجم الليـل فانصرف كل فريق الى مضاربهم . فنام بهرام تلك الليـلة فرأى فى نومه كأن الأتراك غلبوه وكسروه ، واستباحوا مامعـه ونهبوه ، وبقى هو

(١٩٤)

(أ) ذكر هذا الاسم فيما تقدّم مرارا على أنه لقب ملك الصين . وهو فى الغرر : ففغورة أخو شابه لا ابنه . (الغرر ص ٦٢٥) .

(١) طا ، طر : فى قلب . (٢) طا ، طر : البعض . (٣) كو : بعض .

راجلا يطلب الأمان . فانتبه فزعا مضطرب القلب فأخفى منامه ولم يظهره لأحد وهو مهموم محزون . فبينا هو كذلك إذ وصل خرّاد بن برزين هاربا من مخيم ساوه فقال لبهرام : دبر لنفسك[1] قبل أن تقوم عليك القيامة ، فانه لم يُرقط مثل هذا الجمع . فلا تغتر برجوليتك وشجاعتك ، ولا توقع الإيرانيين فى المهلكة ، وأبق[2] على نفسك . فإن هذا خطب عظيم ماحزبك مثله . فقال له : خفض عليك فإنك من أهل مدينة شأن أهلها صيد السمك و بيعه صيفا وشتاء ، ولاتخرج من الشجعان إلا أمثالك . فان صناعتك نصب الأشراك على وجه الماء ، ولست من رجال اللقاء . وسترى العجب العجاب ، والبحر ذا العباب غدا عند تبلج الإصباح .

ثم إنه لما أصبح أمر بدق الكوسات وركب وعبّى جيوشه وقسمهم أربعة أقسام ، كل قسم ثلاثة آلاف مع إصبهبذ . وتقدّم الصفوف فصاح[3] عليهم وحلف وقال : لئن أحجم منكم واحد لأضربن رقبته وأحرقن جسده . وأوعدهم وهدّدهم ثم منّاهم ووعدهم وحضهم على الكفاح والمصاع إغراء ضوارى السباع بغزلان القاع . فتصدّى له الكاتب الكبير و وعظه ونصحه وحذره عاقبة الأمر وقال : ما نحن بينهم إلا كشعرة بيضاء فى متن بقرة سوداء . وسيدوسوننا بحوافر الخيل ويهجمون علينا هجوم السيل والليل . فصاح عليهم بهرام وقال : لا تنطق أيها الشقى ! إلا بما يتعلق بالدواة والقرطاس . فما أنت من رجال الحرب والباس . فانصرف الكاتب واجتمع بخرّاد وقال : إن بهرام قد خانه الرأى والعقل ، وما يحمله على مقاتلة الأتراك إلا الغباوة والجهل . والرأى أن ندبر لأنفسنا ونجو بأرواحنا . فاجتمعت الكتّاب اجتماع الثعالب ، وطلبوا ربوة مشرفة على المعترك بعيدة من عسكر العدوّ فصعدوها وأقاموا ينظرون وهم من فرط الفزع يفكرون كيف يهربون . وأما بهرام فانه لما فرغ من التعبية والتسوية نزل ورفع المغفر عن رأسه ، وعفر وجهه فى التراب يتضرع الى الله تعالى ويسأله أن يثبت قدمه فى مستنقع الموت ، ويرزقه الظفر والنصر والنجاح والفوز . ثم ركب وعينه مغرورقة بالدموع ، وقلبه مضطرب بين أحناء الضلوع . وتشمر للأمر كالقابض على الجمر ، بيده جرز كقطعة طود أو صاعقة ذات برق ورعد .

وأما ساوه فانه أمر من كان معه من السحرة فسحروا أعين الايرانيين ، وخيلوا لهم سحابا أسود يمطر عليهم بشآبيب النبال ، ويبرق ببوارق النصول والنصال (أ) فقال بهرام لأصحابه : لا يهولنكم ما ترونه ، وغمضوا عيونكم فهو سحر وإفك وباطل وكذب . فصاح أصحابه صيحة عظيمة وتشمروا

(أ) انظر ما يقال عن إنزال الترك المطر بالسحر ، ج ١ ص ٢١٧ ، حاشية أ

(١) صل : دبر نفسك . والتصحيح من طا ، طر ، كو . (٢) طا ، طر : فأبق . (٣) طا ، طر ، كو : وصاح .

للقتال . فلما رأى ساوه أنهم لم يحفلوا بصنيعه زحف إليهم وكسر ميسرة بهرام وتوجه نحو قلبه . فتلقاه بهرام بحملات صادقة استلب برمحه فيها[1] ثلاثة من أعيان فرسانهم عن ظهور خيلهم فدفع بذلك فى نحرهم، وفلّ من حدّهم . وتوجه نحو ميمنتهم بمثل تلك الحملات ، فمزقهم و بدّد شملهم . فأمر ساوه بتضرية الفيول وتقديمها أمام الخيول . فقدّموها بجبال شامخة وأعلام باذخة . فأقسم بهرام على أصحابه بحياة الملك وسألهم أن يرشقوا خراطيم الفيلة و يرميها كل واحد منهم بسهام ثلاثة ثم يأخذوا العمد والدبابيس و يزحفوا زحف الأسود إليهم، وينقضّوا انقضاض الصخور عليهم . فوتر قوسه، ووافقه أصحابه فرشقوا الفيلة بالنبال الصُيُب كشآبيب السحاب الصيّب حتى صرن كالقنافذ من تلك السهام النوافذ . فلوت أذنابها على رءوسها وأدبرت مقبلة على أصحابها تطؤهم بأخفافها وتعضهم بأنيابها . ووراءها الايرانيون يدقونهم دق المضبب أشتاه المسامير . وعاونهم من السماء أحكام المقادير . فانهزمت الأتراك، ودارت على غير إرادتهم الأفلاك . وهلك منهم خلق كثير تحت أخفاف الفيلة عند تزاحم الفرسان وتراكم بعضهم فوق بعض[2] . وكان ساوه فى تلك الحالة قاعدا على تخت من الذهب ضرب له على ربوة مشرفة على المعركة . فلما رأى أصحابه منهزمين ركب فرسا سمنداً، وانحدر كالكوكب فى انكداره والسيل الى قراره . وتبعه بهرام مثل الجواد اذا استولى على الأمد فأخرج نشابة عليها نصل كالماء وأربع قذذ من قوادم الشغواء . فمسح مقبض قوسه الشاشية، وأخذ على وتره بِشَستِه الشاهية . فأغرق فى نزعه حتى كأن فُوق النشابة مناج لسمعه . وسدّد نحو ساوه يده فلم يكن غير عبور النصل من ظفره وعروقه من فقار ظهره . فخر فى التراب قتيلا، وصارت الأرض لدمه مسيلا (أ)، فاخترم ذلك الملك الهمام، ولم يغن عنه جيشه اللهام فتيلا . هذا . وكذا الفلك الدائر، لا يدرى أهو صديق موافق أم عدو مماذق . فانظر ياصاحب التخت[3] والتاج! لنفسك، ولا تغتر بما تحت يدك . واحذر ألا تؤتى[4] من مأمنك . قال : ولما وقف عليه بهرام نزل وقطع رأسه . وتلاحقت الأتراك فرأوا منه جسدا طريحا بين النجيع غريقا . فصرخوا عليه وقامت عليهم القيامة عند ذلك . وقد تبدّد شملهم وانفض جمعهم، وهلك فى ضغطات الخيول وزحمات الفيول أكثرهم . ولما انقضت تسع ساعات من ذلك اليوم نظر بهرام فلم ير فى ذلك الفضاء من عساكر العدو أحدا وكأنهم أضحوا طرائق قددا . ورأى فى كل ناحية فرسا منكوس السرج مقطوع اللجام فى الصحراء،

(أ) فى الطبرى أن هذه إحدى الرميات الثلاث التى يفخر بها العجم ، والثانية رمية سوفرا فى الترك (حرب الهياطلة بعد قتل فيروز، ص ١١٢ ج ٢) والثالثة رمية أرششياطين أيام منوچهر . وقد تقدّم غير هذا — انظر ص ٥٢ ج ١

(١) طا، طر : فيها برمحه . (٢) طا، طر : البعض . (٣) طا، طر : التاج والتخت .

(٤) طر : أن تؤتى .

(١٩٥) مخضوب القوائم بالدماء . فأمر خراد بن برزين أن يدور على أصحابه فى خيمهم وينظر من قتل منهم . فدار خراد ولم يفقد سوى رجل واحد من آل سياوَخش يسمى بهرام . ثم إن الرجل المفقود بدا من الطريق مقبلا فوصل وقد أسر تركيا أزرق العين أشقر اللون . فسأل بهرام ذلك الأسير : من أنت ثكلتك أمك؟ فقال : أنا ساحر أصلح لكل صاحب حرب . وشغلى أن أرى المنامات المزعجة المقيمة المقعدة . وأنا الذى أراك ذلك المنام الهائل . فأطرق بهرام فقال فى نفسه : ربما أنتفع به فى بعض الحروب اذا ضاقت بى الأمور . ثم رجع الى نفسه وقال : هل[1] نفع هـذا ملك الترك شيئا ؟ وهل يرتجى الخير إلا من الله المعز المذل ؟ فأمر به فضربت رقبته ، وغرقت فى دمه جيفته . ثم إنه كتب من الغد كتابا الى هرمزد ، وشرح فيه ما جرى فى الحرب من أوله الى آخره . ونفذ اليه رأس ساوه شاه ورأس ولده الأصغر بغبور ، مع رءوس قوادهم وأمرائهم ، ومع من حصل من الأسرى فى يده .

قال : وقعد هرمزد يوما فى إيوانه ، وفى خدمته أصحابه وأمراؤه فقال لهم : قـد مضت علينا خمسـة عشر يوما لم يأتنا فيها عن بهرام خبر . وما ندرى كيف حاله ، وإلام انتهى أمره ، مع ملك الترك . فلم يبرح ذلك المجلس حتى أتاه حاجب الباب ، وبشّره بظفر بهرام ووصـول رسوله . فأمر بإدخاله عليه . فدخل فتلقاه وأكرمه واحترمه . فهنأه الرسول بالفتح الجليل والنصر العزيز ، وأخبره باتيانه برأس ساوه شاه[2] ، ورأس ولده . فوثب الملك قائما من السرور والفرح . وسجد لله تعالى شكرا على ما أتاح له من ذلك . وأمر بإحضار مائة ألف درهم ، وأمر بصرف بعض إلى الفقراء والمحتاجين والعباد والصالحين ، وصرف بعضها إلى بيوت النـار وعمارة الربط والمعابر وغيرها من أبواب البر . ثم أمر بإسقاط خراج الأرض عن الناس أربع سنين . ثم استحضر رسول بهرام بعد أسبوع وكتب جواب كتابه ، ورتب له تختا من الفضة ، ونعلين من الذهب ، ونفذها اليه مع تحف كثيرة وهدايا جليلة . وكتب له المنشور بممالك خراسان وما وراء النهر من حدّ بلاد الهياطلة إلى الوادى المعروف بوادى برك . وأمره أن يفرّق ما أفاءه الله عليه من الأنفال والغنائم على من معه من العسكر ما خلا خزانة ساوه خاصة فإنه ينفذها اليه ، وأن ينهض إلى مقاتلة ابن ساوه الأكبر . ثم خلع على الرسول وردّه إلى صاحبه . فلما حصل عند بهرام فرح بجواب كتابه ، واستبشر بما أنعم عليه الملك فى خطابه ، وتلقى أمره بالامتثال ، وفرّق الغنائم على عسكره ، ونفذ خزانة ساوه شاه إلى حضرة سلطانه ومالك أمره . وتفرّغ لقتال الخاقان برموذه بن ساوه وحربه .

---

(١) طا ، طر : وهل . (٢) طا ، طر : شاه (لا) .

ذكر ما جرى بين بهرام جوبين وبين برموذه بن ساوه شاه، وما انتهى اليه أمرهما

قال : ولما تناهى الخبر إلى برموذه (أ) بما جرى على أبيه رمى بالتاج عن رأسه وأخذ فى البكاء والعويل . ثم قال : كيف تم عليه ذلك مع كثرة عدده وقلة عسكر عدوّه ؟ فقال له بعض أصحاب أبيه : قد أعجبتنا كثرتنا، واستصغرنا العدوّ، فإنهم كانوا بالنسبة الينا أقل من نسبة الواحد إلى الألف، فآثره الله تعالى علينا ورزقه النصر وآتاه الظفر. " فاستعر عند ذلك استعار النار، وصمم العزيمة على طلب الثار . ونهض فى مائة ألف مقاتل ونزل على شاطئ جيحون فعبر الماء . وتلقاه بهرام من هذا الجانب فنزل الفريقان على مرحلتين من بلخ، وبين العسكرين مقدار فرسخين. وكان ذلك يوم الأربعاء[1] . وكان المنجمون أشاروا على بهرام عند مفارقة حضرة الملك ألا يخوض يوم الأربعاء غمرة الهيجاء . فإنه إن فعل ذلك حرم الظفر ولاقى الضرر . وكان بالقرب منه بستان فركب اليه مع خواصه ليشتغل بالشرب، وقال : اليوم خمر وغدا أمر . فأقام فى ذلك البستان على رشف الراح، وقصف القيان. فنذر بذلك برموذه فانتخب ستة آلاف فارس من آساد الترك، وأمرهم أن يحيطوا بذلك البستان . وفطن بهرام بما دبروا فأمر أن[2] يجعل فى حائط البستان ثلمة يعبر منها الفارس أخذا بالحزم، وجريا على مقتضى الحيطة . وأمر صاحبه المسمى يلان بأن يركب فى أصحابه، ويحفظ حوالى البستان . واشتغل مع إيزد كشسب . فجاءت الأتراك وأخذوا حوالى البستان . فثلم ثلمة أخرى فى الحائط، وركب وخرج منها، ووقع فيهم وقوع اللهب فى القصب وارتفع صليل الأسياف من الرقاب والأكتاف إلى أن فرش الأرض بجثث قتلى الترك من باب البستان إلى مخيم آبن[3] الخاقان . ثم انصرف إلى مخيمه، وتشمر للبيات، وأمر أصحابه فركبوا وعاد بهم فى الحال تحت سجف الليل . وهجم بهم على مخيم آبن الخاقان، وأمر بدق الكوسات ونفخ القرون والنايات . فوثبت الأتراك وبادروا أعراف الخيول، وعلوا ظهورها . وقامت الحرب على ساق، ولم يزل السيف يعمل الى أن تبلج الإصباح. ولما أضاءت الأرض رأى برموذه طلاعها مملوءة[4] بقتلى أصحابه، ورأى بهرام كالليث المصحر من غابه، ينحو نحوه و يقصد قصده . فالتفت اليه وسأله أن يقصر عنه وينصرف على أنه اذا وصل الى موضعه كتب الى الملك هُرمُزد واستأمنه، واذا جاءه كتاب الأمان بادر الى حضرته . فهرب برموذه، وانصرف

(أ) اسمه فى الأخبار الطوال : يلتكين .

(١) طو، لو : اليوم يوم الأربعاء . (٢) طر، طا : بأن . (٣) كلمة «آبن» من طا، طر، كو.

(٤) طا، طر : مملوء .

بهرام الى مخيمه، وأمر بجمع رءوس الأتراك فجمعوا منها هناك كشبه تل عظيم فسمى ذلك المكان تل بهرام. ثم أمر بجمع الأموال والأنفال . وكتب كتابا الى السلطان، وأنهى اليه ماجرى على ابن الخاقان.

وأما برموذه فانه التجأ الى قلعة على شاطئ جيحون تسمى أواذ، وكان معقله وملاذه، فتحصن بها وأغلق بابها . وأمر بهرام يلان فركب فى ثلاثة آلاف فارس ، وقرب من الحصار ، وأخذ يقتل كل من يرى حوالى القلعة . ولم يزل يفعل ذلك الى أن أرسل برموذه الى بهرام يسأله أن يكتب الى هرمزد وينهى اليه طلبه للأمان، ويسأله أن ينفذ اليه كتابه مع خاتمه حتى يسارع الى خدمته . فكتب بهرام بذلك كتابا الى هرمزد وأرسل اليه رسولا . فلما وصل الرسول الى هرمزد استحضر الإيرانيين وجلس لهم فى محفل عام فأمر فقرئ ذلك على رءوس الملأ فشكر الله على ذلك، وشمخ بأنفه، وطمح بطرفه ، ورأى نفسه مالك الأرض ذات الطول والعرض . ثم استحضر منطقة مرصعة ومركبا سلطانيا وملبوسا خُسرَوانيا ثم كتب كتابا يقول فيه : إن الخاقان صاحبنا وهو فى أماننا ، والله شاهد[1] على ذلك . ثم كتب الى بهرام كتابا آخر مشحونا بأنواع الألطاف يأمره فيه بأن يجهز ابن الخاقان مع المغانم وما يصلح منها للخزانة الى خدمته، واذا فرغ من ذلك تتبع البلاد وتملكها، ومن أحس به من الأعداء قصده قصدا وحصده حصدا، وأن يكتب اليه أسماء الأجناد الذين فى صحبته، المشهورين بحسن البلاء وصدق الجهاد فى خدمته حتى يجازوا ويكافئوا، على اختلاف مراتبهم وتفاوت طبقاتهم. ثم خلع على الرسول وسيّره بذلك اليه . ولما وصل الرسول نفّذ كتاب الأمان الى القلعة الى برموذه فسرّ بذلك وسلم القلعة بما فيها من التيجان والمناطق ، والصامت والناطق، والذخائر والأخاير، والجواهر الزواهر الى نواب بهرام . ونزل وركب فى جماعة من أصحابه وخواصه ولم يلتفت الى بهرام، وسار فى طريقه قاصدا قصد حضرة إيران . فلما سمع ذلك بهرام استشاط غضبا ونفذ خلفه وردّه راجلا ذليلا . فلما أحضر بين يديه قال : قد أتانى كتاب الأمان من حضرة الملك . وسلمت اليك القلعة والتاج والتخت . وهأنذا فى خفارة الأمان أروح الى خدمة الملك لعله ينظر إلىّ بعين الأخوة ، ويعاملنى بما عنده من المروّة والفتوّة . فمالى ومالك الآن ؟ ولقد نلت منه الأمان . فتنمر بهرام حتى احمرت أحداقه وأزبدت أشداقه فضربه بمقرعة كانت معه فى ذلك المحتفل، فعل الأنذال والسفل . وأمر به فقيدوا يديه ورجليه، وحبسوه فى خركاه ضيق ضرب له . فلما رأى خرّاد بن برزين ذلك استفظعه واستقبحه، ودخل على الكاتب الكبير وقال : إنه ليس مع بهرام من العقل ما يوازن جناح بعوضة. وإنه لا يبالى به أحد بعد أن صدر منه هذا الفعل . فينبغى أن تنكر عليه وتشير

(١) طا، طر : شاهدنا .

عليه بإطلاق ابن الخاقان وإنفاذه الى حضرة الملك . فركبا ودخلا على بهرام، وأوسعاه لوما وتعنيفا على حركته القبيحة، وفعلته الشنيعة . فاعترف بإساءته وندم على عثرته، وأمر ففك القيد عنه . ونفذ إليه مركوبا بآلة الذهب وسيفا محلّى . وركب إلى خدمته معتذرا ومستقيلا ومستغفرا، ووقف فى خدمته . فسكت ابن الخاقان حتى شدّ المنطقة على وسطه وركب وبهرام يسايره . ولما أراد أن يودعه سأله ألا يذكر فى حضرة الملك شيئا مما صدر منه . فقال ابن الخاقان : إن شكايتنا من الجد والبخت . وإلا فلست ممن يشكوك ويذكر ذلك فى حضرة الملك . غير أنه إن كان لا ينهى ذلك إليه فلا تليق به السلطنة، ولا تلائمه الشهريارية . إن الفلك هو الذى أساء إلىّ . فكيف أقول : إن عبدا جنى علىّ؟ فآصفرّ وجه بهرام من مقاله وآغتاظ لكنه كظم الغيظ وقال : قد صدق من قال هذه المقالة : لا تزرع الشرّ فإنك تحصد ما تزرع لا محالة . وليت شعرى لم توسطت بين الملك وبينك حتى آمنك ؟ وكنت أظن أن تلك[١] زلة تخفى وعثرة تقال وتمحى . والآن فليس تضرنى شكايتك إياى الى الملك . وأى غضاضة تلحقنى منها؟ واذا حضرت أنت بين يدى الملك فقل ما شئت فإن ماء وجهى لا يترنق عنده بذلك . فقال ابن الخاقان : كل ملك يستوى عنده الحسن والقبيح، ويغضى على سوء أدب عبيده فاعلم أنه سكران وإن لم يشرب خمرا، وسنان وإن لم يغمض عينا . وكل من يسمع هذا من عدوّ وصديق وبعيد وقريب يعدك عبدا خفيف الرأس ، ويعدّه ملكا رقيق رداء العقل . فتغير بهرام وآصفرّ وجهه وكاد أن يسبق سيفه العذل[٢] . فأحس خرّاد بذلك فقال له : اكظم غيظك أيها البهلوان ! فإن الخاقان صادق فيما يقول . فقال بهرام للخاقان : كأنك قد نسيت ما جرى على أبيك حتى أصبحت تدل كذلك ، وتجاوز الحدّ فى مقالك . وآنجرّ بينهما الحديث حتى أقسم خرّاد عليه بحياة الملك أن يثنى عنانه ولا يكثر القال والقيل . فآنصرف بهرام الى مخيمه، وأمر أصحابه بالصعود إلى القلعة وضبط ما فيها من الذخائر والجواهر التى كانت زبدة الحقب . فصعدت إليها الثقات والكتّاب مبكرين، ولم يزالوا فى حساب وكتاب الى الثلث الأخير من الليل ، ولم يأتوا مع ذلك على الجميع، من[٣] كثرة ما آجتمع فيها من الأموال والكنوز من عهد أفراسياب ومن بعده . وكان فيها من متاع سياوخش منطقته وقرطاه اللذان لم يحصل مثلهما لأحد من الأولين والآخرين (١) . ثم أمر بجمع الغنائم التى غنمت فى المعترك فجمعوا وعرضوا ثبت الكل عليه، وفى الجملة القرطان، وخفان

(١) فى الشاه : واللذان سلمهما كيخسرو الى لهراسب، وسلمهما لهراسب الى كشتاسب، ووضعهما أرجاسب فى القلعة .

(١) صل ، طا ، طر : أن تلك الزلة تخفى وما تمحى . والتصحيح من كو . (٢) طا ، طر ، كو : العذل سيفه .

(٣) صل : مع كثرة . والتصحيح من طا ، طر ، كو .

مرصعان، وثوبان منسوجان من الذهب وزن كل واحد سبعة أمنان . فاستصفى بهرام الثوبين والخفين، وأسقط اسمهما من الجريدة المنفذة الى الملك .

ثم أمر إيزد كشسب (ا) أحد أصحابه أن يركب ويستصحب مقدار ألف فارس ويسير بالغنائم والسبي الى حضرة الملك ففعل ذلك . وسار الخاقان الى أن قرب من حضرة الملك فاستقبله وترجل كل واحد منهما للآخر . ثم ركب الملك ودخل الى إيوانه وركب الخاقان ليرجع الى مخيمه فأخذ "البرده دار" بعنانه فنزل ودخل الى الايوان . فأجلسه على تخته بجنبه وأكرمه واحترمه. ثم زينوا له إيوانا شاهيا بجميع ما يحتاج إليه الملوك من الآلات والأسباب . ورتب له ديوانا وكتابا . وأمر بأن تترك الأحمال فى الميدان عند "الساربان" . فلما كان بعد أسبوع عمل دعوة عظيمة واستحضر الأكابر والأشراف ثم أمر بأن يمر بأحمال الأثقال عليه . فإشتغل بنقلها ثلاثة آلاف أجير طول ذلك النهار . وجلس فى اليوم الثانى فى مجلس الأنس فأدخلوا إليه خمسين ألف "فردة" فكنزوا منها مائة كنز. ثم أمر بأن يحضر بين يديه تخت من تلك الثياب المنسوجة بالذهب عنده. فتعجب الحاضرون (١٩٧) فيها، وتعجب الملك وقال ! لآيين كشسب وزيره ودستوره : كيف ترى صنيع جوبين وآثار سيفه وسنانه ؟ فأجابه الوزير بكلمة فيها تخوين جوبين . فعظم ذلك على الملك، وامتلأ قلبه فكرا فيما قال . فبينا هو فى ذلك الفكر إذ وصل نجاب من الكاتب الكبير الذى كان مع بهرام، بكتاب مضمونه، بعد الدعاء، إعلام الملك بأن بهرام أخذ قرط سياوخش والثوبين والخفين. فاستشهد شاهك(ب) وكان أحد الحاضرين عند بهرام فى ذلك اليوم فشهد بذلك . فقال : (ج) إن جوبين يريد الشهريارية بما صدر منه من ضرب الخاقان، واستصفاء زبد المغنم. والآن قد تغير عليه رأينا وضاع سعيه عندنا . ثم استحضر الخاقان واندفع معه فى الشرب . ولما دخل الليل خاض مع الخاقان فى الحديث ثم قال له : إنك إن نقضت عهدنا لم تجتن ثمرة عنايتنا . فجدد الآن معنا العهد . فحلف بالأيمان المغلظة أنه لا يخرج رأسه عن ربقة طاعة هرمزد، ولا يخالف أمره، ولا ينكث أبدا الدهر عهده . فانفض المجلس وعاود الخاقان إيوانه .

ولما أصبح هرمزد أعد له خلعة رائعة رائقة تليق بجلالة قدره وفخامة أمره . ثم أذن له فى الانصراف، وركب وسار معه منزلين . ثم ودعه وعاد الى دار الملك. وسار الخاقان فلما قرب من

(ا) ينبغى التميز بين ايزد كشسب الكاتب الذى قتله الملك هرمزد، كما تقدم، وبين إيزد كشسب صاحب بهرام .

(ب) ترجم ورنر، مول "شاهك" بالملك الصغير . حسباها وصفا أريد به ابن الخاقان . ورأى المترجم هنا أنه اسم رجل . وجملة : «وكان أحد الحاضرين الخ» ليست فى الشاه .

(ج) القائل هنا الملك .

مخيم بهرام تلقاه بمن كان معه من أكابر إيران ، ورتب له العلوفة والأنزال فى طريقه . ولما لقيه تملق إليه متودّدا ، وتبصبص متقربا فلم يلتفت اليه الخاقان ، وأعرض عنه ولم يقبل منه شيئا . وسار بهرام فى موكبه ثلاثة أيام . ولما كان اليوم الرابع نفذ إليه وأشار عليه بالانصراف . فعاد بهرام الى بلخ ، وأقام بها أياما قارعا سن الندم ممتلئ القلب من الهم والحزن ، وصاحبه غير راض عنه لما صدر منه من الاستخفاف بالخاقان أولا والاستبداد بصفايا المغنم ثانيا .

وأما هُرمُزد فانه كتب إليه كتابا يوبخه فيه ويعنفه ويقول : إنك خلعت ربقة الطاعة ، وعدلت عن طريق العبودية ، وأصبحت لا تعرف قدر نفسك ، وتظهر الاستغناء عن مالك أمرك . فقد جاءتك الآن خلعة تليق بك وتصلح لك . وأمر بإحضار قميص من الشعر ، وسراويل أحمر ، ومعجر أصفر ، ووعاء فيه قطن ومغزل الى غيرهما مما يصلح للنساء . ثم أمر بعض أصحابه بأن يحملها الى بهرام ويقول له : أيها الشيطان الخبيث ! أبلغ بك الأمر الى أن تقيد ملك الصين ، وتعمل عمل السلاطين ؟ سأنكسنك(أ) من التخت الذى استويت عليه ، ولا أعدك إلا ممن لا يلتفت إليه . فسار الرسول بالكتاب والخلعة . فلما وصل الى بهرام أدى اليه الرسالة ، وسلم اليه الخلعة . فاختار الصمت ، وحالف الصبر وقال : ما كان ظنى أن يكون هذا جزائى من الملك ، وأن يصغى الى حسادى ، ويسمع كلامهم فىّ بعد أن فعلت ما فعلت . وأما الآن فما[1] أشكوا بثى وحزنى إلا الى الله عز وجل . فلبس تلك الخلعة الملونة ، ووضع بين يديه ذلك المغزل والقطن . وأمر بإحضار الأمراء والقواد وسائر وجوه الأجناد . فلما حضروا بين يديه ورأوا ما لبسه[2] بهرام عمهم السكوت والإطراق . فأقبل عليهم وقال : إن هرمزد هو الملك ، ونحن العبيد المطيعون لأوامره ، المتصفون بعبوديته . وقد أمر لنا بهذه الخلعة فماذا ترون ، وأى شيء تقولون؟ فقالوا : ما باله لا يعرف قدرك ، ولا يقابل بالإحسان سعيك ؟ اذكر قول أردشير فى الرى حين ضاق صدره من أردوان حيث قال : "اذا لم يحفظ الملك حرمتى فأنا برىء منه ومن تخته وتاجه" . فقال بهرام لذلك القائل : لا تذكر مثل هذا الكلام فإن رونق المماليك إنما يكون بعناية الملوك . ونحن عبيد هرمزد الذى طاول الأفلاك . وأى شيء فعل بنا فأهلا ومرحبا بذلك . فغضب الأمراء وقالوا : نحن لا نرضى بهرمزد ، بعد ما صنع ، سلطانا ؛ ولا بك بهلوانا . ووثبوا وخرجوا من إيوان بهرام . فأخذ بهرام يعظهم ويزجرهم زجرا مشعرا بالإغراء ، ويسترحسوا فى الارتغاء .

(أ) كذلك فى النسخ الأخرى . والتأكيد هنا غير جائز لغة .

(١) صل : ما أشكو . والتصحيح من طر . (٢) طر : ألبسه .

ثم إنه بعد أسبوعين خرج الى الصيد من مدينة بلخ . ولما صار الى الصحراء رأى حمار وحش فركض خلفه . فطار وهو يقفو أثره وخلفه يلان وايزد كشسب ، وهما من أعيان قواده . فاجتره اليعفور الى برّية واسعة فسنح له قصر رفيع فيها فأتاه فاذا بباب عال فنزل وسلم عنان فرسه الى أحد صاحبيه ودخل القصر ، وبقى صاحباه على الباب . فأبطأ بهرام فقال ايزد كشسب ليلان : ادخل وأبصر ما حال البهلوان . فدخل فرأى إيوانا رفيعا قد نصب فيه تخت من الذهب ، وعليه امرأة كأحسن مايكون ، وقد اصطفت على رأسها الوصائف سماطين . فلما أحست بدخول يلان أمرت بعض الجوارى أن تردّه وتمنعه من الدخول ، عن لسان بهرام ، وتقول له : هأنذا خارج اليكم . فانصرف يلان . ثم فتح باب بستان فأمر بالدخول اليه . فدخلا وإذا بسماط عظيم وألوان من الأطعمة كثيرة . فطعما وخرجا . قال : وقالت المرأة لبهرام لا زال تاجك يطاول الجوزاء ، وقدرك يساجل السماء ، ولا زلت مسرور القلب منشرح الصدر . فخرج بهرام وكأنه غير الذى دخل ، وكأنما أبدل طبعا آخر وخلقا آخر ، وجهه يكاد يقطر دما ، وكأنه صار شهريارا معظما واذا بذلك اليعفور أمامه . فتبعوا أثره الى أن خرجوا من تلك البرّية ، وعادوا الى الموضع الذى كانوا فيه . ثم دخل الى المدينة فتلقاه خرّاد بن برزين وقال له : أيها السيد الصادق ! ما تلك العجائب التى رأيتها فى المتصيد ؟ فسكت ولم يردّ عليه جوابا ودخل الى إيوانه متنمرا . ولما أصبح أمر فرتبوا له إيوانا شاهيا ، ووضعوا فيه كراسى الذهب ، ونصبوا برسمه مقعدا فوق الكرسى ودون التخت اللائق بالملوك ، وبسطوا الفرش الرفيعة . فجاء بهرام وقعد فرآه الكاتب الكبير فتعجب من ذلك . ولما انفض المجلس اجتمع الكاتب بخراد بن برزين ، وحكى له ماشاهد من بهرام وايوانه . فقال له خراد : إن الأمر قد خرج من أيدينا وليس من المصلحة مقامنا ها هنا . والرأى أن نهرب ونتصل بالملك . ولما جن الليل[1] ركبا وسارا تحت خوافى الليل بقوادم الركض . ولما أصبح بهرام أعلم بالحال فنفذ  يلان فى مائة فارس فلحق الكاتب الكبير فأخذه ، وفاته خرّاد فعاد بالكاتب الى بهرام فقال له : لم خرجت من غير جواز؟ فقال : إن خرّاد بن برزين أشار علىّ بذلك ، وقال : "إن العسكر بعد أن صدر منهم ما صدر من الجسارة فى ذلك المجلس حين قالوا : إنا لا نرضى بهرمزد سلطانا ، ولا ببهرام بهلوانا ، يقصدوننا فى أرواحنا . والرأى أن نخرج من بينهم" . فهربنا . فصدقه بهرام وأطلقه وأعطاه عوض ما أخذ منه ، وقال له : الزم الشغل الذى أنت فيه متلبس ، واحفظ جاهك وحرمتك .

---

(١) كلمة "الليل" من طا ، طر .

وأما خرّاد بن برزين فانه سار الى أن وصل الى هرمزد فأعلمه بحال بهرام، وقصة المتصيد ، وما ظهر عليه من آثار الطغيان والعصيان . فاستحضر موبذ الموبذان وذكر قوله فى مبدأ الأمر حين نفذ بهرام الى قتال الترك . ثم سأل الموبذ وقال : فهمنى معنى ما ظهر له فى الصحراء من حمار الوحش[1] والقصر والملكة فإن هذا كنوع من المنامات . فقال : اعلم أن حمار الوحش هو الشيطان الذى ملك قياده ، والمرأة القاعدة على التخت هى النفس الساحرة التى خدعته ومنّته السلطنة وأفسدت دماغه . والآن فلا تطمع فى طاعة بهرام بعدها ، ودبر فى استرداد ذلك العسكر . فندم الملك على إنفاذ القطن والمغزل وتلك الخلعة اليه، ولات حين مندم . ثم أتاه رسول بهرام بسلة مملوءة خناجر يشعر بأنه حرب له . فأمر الملك فكسرت تلك الخناجر وردت اليه فى تلك السلة . فاستحضر بهرام أمراءه وقوّاده وقال لهم : انظروا الى صنيع هرمزد . إنه أشار بكسر هذه الخناجر الى أن نيته فيكم قطع الحناجر. ولا سبيل بعد هذا الى أن أطأ ترابه أو أقرب بابه . فدبروا أنتم لأرواحكم . فعظم عليهم ذلك ونفرت قلوبهم . ثم إنه خلا بوجوه إصبهبذيه وقوّاده، وهم همذان كشسب، وبهرام بن سياوش ، ويلان وغيره، وفاوضهم فى تغير الملك عليه مع غنائه وإبلائه فى خدمته . وقال لهم : ما التدبير حتى نتخلص من يده ، ونسلم بأرواحنا من معرّته وعاديته ؟ وكانت له خلف الستور أخت كان تزوّج بها ، وهى من أعقل أهل زمانها . فخرجت الى ذلك الندىّ وقالت : يا وجوه العسكر ! أنتم سادات إيران وأكابرها . فما بالكم سكوتا لا تنطقون بالحق ؟ فقال ايزدكشسب : نحن تبع بهرام : إن[2] صالح صالحنا وإن حارب حاربنا . فوافق قوله هوى بهرام وقال ليلان : ماذا عندك ؟ فقال : قد أعطاك الله السلطنة فاقبلها ؛ وولاك التخت والتاج فلا تكفر نعمته وتولّها . ثم أقبل على بهرام بن بهرام وقال : فما قولك؟ فتبسم وخلع خاتمه ورمى به فى الهواء وقال : إن الله تعالى قادر ما بين ترقى هذا الخاتم وانحداره، على أن يمدّ بضبع عبد فيجعله ملكا كبيرا وشهريارا جليلا . ومن يسّر له ذلك فلا ينبغى أن يعدّه أمرا صغيرا . ثم التفت الى بنداكشسب[3] واستنطقه ، وقال له : هل تليق بنا السلطنة أم لا ؟ فقال : قد قال حكيم الرى لأن تعيش يوما واحدا وأنت ملك خير لك من أن تعيش ألفا وعليك لغيرك أمر . ثم أقبل على الكاتب الكبير وقال : ما عندك ؟ فقال : إن الأمر لله بين الكاف والنون (أ) ، وإنه

(أ) هذه العبارة ليست من الشاه . وجواب الكاتب الكبير فيها : « كل من أمل ما يليق به ناله . فان يد الزمان طائلة . وليس يرد الجهد ما أنعم الله به » .

(١) صل : حمار وحش . والتصحيح من طا ، طر .

(٢) طا ، طر ، كو : فان صالح .

(٣) فى الشاه : مول ، ورنر : كنداكشسب .

اذا قدّر شيئا فهو لا محالة يكون . ثم قال لهمذان كشسب : ما رأيك فيما نحن بصدده ؟ فقال : توكل على الله، واشرع فى الأمر، ولا يصدّنك عن التمر شوك النخل ولا عن الشهد إبر النحل . قال : وأخته ساكتة لا تتكلم . فقال لها بهرام : ما رأيك فيما نحن بصدده ؟ فسكتت ولم تجبه، وأقبلت على الكاتب الكبير وقالت : أيها الذئب الطاعن فى السن ! أتحسب أن تمنى التاج والتخت ما دار فى رأس أحد قبل بهرام ؟ ألم تعلم كم بقى التخت معطلا فى الزمان الأول حين كان كيكاوس محبوسا فى هماوران فلم يتجاسر على التقدّم اليه مثل جوذرز ورُستم وغيرهما، ولم يخرج أحد منهما رأسه عن ربقة التبعية بل كشفوا عن ساق العبودية، وقرعوا ظنابيب الجدّ حتى خلصوه وأعادوه الى مستقره ودار ملكه (ا) وما بلغنا أن أحدا ممن لا ينتسب[(١)] الى الشجرة الكيانية تصدّى لطلب السلطنة وإن كان عالى النسب كريم العنصر . وقد غرك يا بهرام ! أن هلك ساوه شاه على يدك بسعادة الملك، وقوة طالعه . فأصبحت تخلع ربقة طاعته وتمنى تخت ملكه، بعد أن جذب بضبعك ونوه بذكرك، على ما هو دأب الملوك ومقتضى هممهم العالية، فتضيع سعيك وسعى آبائك وتخرب بيتك . استيقظ من سنة غفلتك، ولا تسلط الهوى على عقلك . فإن يلان لا يقدر أن يعمل منك شهريارا جديدا . فسكت بهرام حين عرف صدقها وإصابتها . فقال يلان : أيتها المرأة الجليلة ! إن هرمزد سيموت عن قريب . ولا يتمتع بالملك غير أخيك . وإن هذه الدولة قد آذنت بالانصرام وطال عليها تعاقب الشهور والأعوام . فاذا اختُرم هرمزد فلا مبالاة ببرويز . فإن جميع من على بابه كلهم مريدون لأخيك، ومفتخرون بخدمته، ومطيعون لأوامره . فقالت : إن الشيطان هو الذى نصب لكم هذه الحبائل، وأرصدكم الغوائل . فإنا من أولاد مرازبة الرى، ولا يليق بنا التعرّض للتاج الكيانى، والسرير الخسروانى . ولكنك تغرر ببهرام وتمنيه هذه الأمنية . فقامت باكية وهى غضبى على أخيها، ودخلت الى ما وراء الحجاب . فتعجب الحاضرون من ثقوب رأيها وكمال عقلها حتى قالوا : كأنها أعلم من جاماسب الحكيم . فاطرق بهرام واجما لما قرع سمعه من كلامها لكن كان قد غمرته أمنية الملك حتى لم يكن يرى فى نومه سوى التاج والتخت .

ثم أمر بمد السماط فطعموا، وجلس فى مجلس الأنس فأحضر[(٢)] المغانى، واقترح أن يغنوه بقصة إسفنديار فى هفتخوان (ب) فشربوا على ذلك الى أن ثملوا فانفضّ المجلس وعادوا الى منازلهم . ولما

(ا) ذكرت أخت بهرام أيضا ما كان أيام قباد من نصر سابور الرازى، وإطلاق زرمهر إياه كما تقدّم .

(ب) انظر وقائع هفتخوان ص ٣٤١ ج ١ .

(١) طا، طر، كو : ينسب . (٢) طا، طر، كو : وأحضر .

(١٩٩)

أصبح استحضر الكاتب وكتب الى الخاقان كتابا مشحونا بأنواع الاعتذار والاستغفار يستقيله العثرة التي بدرت منه، ويسأله الرضى عنه، ويعده أنه بعد وقته ذلك يسلك سبيل خدمته، ويتوفر على إقامة شرائط طاعته، والمحافظة على تمهيد قواعد حرمته وحشمته، والذب عن ساحة ملكه وحوزته. ثم فتح أبواب خزانته[1] وأطلق أرزاق عسكره. وقلد بلاد خراسان أحد أمرائه، وارتحل من بلخ متوجها نحو الرى. فلما وصل اليها أخذ فى المكر والاحتيال، وأمر بضرب الدراهم على اسم كسرى (أ) برويز بن هرمزد، وأن يمحى اسم أبيه عن السكة. فضرب منها كثيرا واستحضر التجار الذين يسافرون الى بغداد فاشترى[2] أمتعتهم وأقمشتهم ودفع اليهم من تلك الدراهم، يريد بذلك أن تحمل الدراهم الى المدائن فيراه[3] هرمزد فيتغير على ولده. ثم كتب الى هرمزد كتابا يذكر فيه حسن بلائه وصدق غنائه فى الذب عن دولته، والدفاع عن حوزته، ويشكو مجازاته بتلك الخلعة المستنكرة. وقال فيه: إنك بعد هذا لا ترانى فى المنام فضلا عن العيان. فاقطع رجاءك منى. ولكنى مهما استقر كسرى برويز على التخت اتبعت أمره، وزعزعت فى طاعته الجبال، وأرسلت من دماء أعاديه[4] البحار. وختم الكتاب ونفذه على يد بعض أصحابه[5] وقال: إنى اذا هتكت ستر الحشمة استأصلت جرثومة الساسانية. وما كتب الله لهم أن تكون الأرض تحت أيديهم[6] وحكمهم الى يوم القيامة. والآن قد دنا انصرام حبلهم، وانقضاء أمدهم. فلما وصل الكتاب الى هرمزد اصفر وجهه وعظم عليه ذلك. فأُنهى اليه أيضا أنه ضرب الدراهم على اسم برويز. فتضاعف الداء وكأنما ضاقت عليه الأرض والسماء. فتغير رأيه على ولده، واستحضر إصبهبذا كان صاحب سره يسمى آذين[7] كشسب، وفاوضه فيما أتاه من ذلك الخبر المزعج، والنبأ المقيم المقعد. وسأله أن يدبر فى الاحتيال لاغتيال كسرى ولده. فخدعوا بعض خواصه بمال وواضعوه على أن يسقيه سما[8] يقتله. فاطلع بعض الحجاب على هذا السر فسارع الى إعلام برويز بذلك. فركب تحت جناح الليل وخرج من بغداد يسوق طردا وركضا الى أن وصل الى آذربيجان. فلما انتهى الخبر الى أكابر فارس بأن برويز فارق حضرة أبيه وظهر فى بلاد آذربيجان أقبلوا اليه فاجتمع عنده خلق كثير منهم. وفيهم باذان وفيروز وشيرزيل وبيورد صاحب كرمان، وسام بن إسفنديار صاحب شيراز. وقالوا: أنت وارث التاج والتخت، وأنت مالك الأمر والنهى، ونحن بين يديك. ولو قصدك ثلاثمائة ألف فارس منعناهم عنك وحفظنا ملكك

(أ) الذى يرويه التاريخ أن بهرام چوبينه ضرب السكة باسمه هو لا باسم برويز

(١) طا، طر: خزائنه. (٢) طا، طر، كو: واشترى. (٣) كذا فى نسخ الترجمة. (٤) طر: أعدائه. (٥) طر، طا: أصحابه اليه. (٦) طر: أقدامهم. (٧) فى الشاه: آئين كشـ

(٨) طا، طر، كو: ويقتله.

فانبسط واركب الى الصيد والقنص، واشتغل بإقامة ناموس السلطنة . فقال لهم برويز: إنى خائف من الملك . وأنتم اذا حالفتمونى على أنكم تكونون معى يدا واحدة حربا لمن يحاربنى وسلما لمن سالمنى أمنت اليكم . فحالفوه عند بيت النار المسمى آذركشسب . فوثق بهم كسرى ، وفرّق الجواسيس وأصحاب الأخبار فى جميع الأقطار ليعلموه بأحوال الملوك عامة وبأخبار أبيه وما هو فيه خاصّة .

وأما هُرمُزد فانه لما وقف على خبر ولده[1] أمر بالقبض على كُستَهم وبندويه وهما من أخوال برويز . وكانا من الآساد المذكورين والشجعان المشهورين . فقبضوا عليهما وعلى جميع خواصه وأصحابه ، وقيدوهم وسلسلوهم ورموهم فى المحابس . ثم خلا بآذين كشسب وشاوره فى أمر بهرام، وسأله عن وجه التدبير فى استمالته واستعطافه. فقال : أيها الملك! إن بهرام يعلم أنى أعدى عدو له . وهو لا يريد فى الدنيا غير سفك دمى، ولا يشتفى إلا بقتلى . والصواب أن تقيدنى وتنفذنى اليه . فعساه يرجع بهذا الى طاعتك . فقال : هذا أمر مستحيل. ولكنى أجعلك سالار العسكر، وأنفذك اليه . وأرسل اليه أوّلا فإن رضى بالصلح وليناه بعض الأقاليم واسترحنا من جهته، وإن لم يفعل ذلك نهضتَ اليه وحسمتَ مادة شره . قال : وكان لآذين كشسب هذا بلدىّ فى حبس الملك، وكان من جيرانه[2] فى بلدته . فكتب اليه من الحبس يتضرع اليه ويقول: إن سألت الملك أن يطلقنى ويخلصنى لازمت خدمتك فى السفر والحضر، وشهدت معك هذه الحرب التى أنت خارج اليها ثم ترى حسن بلائى بين يديك وصدق غنائى معك . فكتب الى الملك فى حقه فقال : إن هذا رجل مفسد، وهو لا يصلح لخدمتك، ولكنى لا أدفع فى نحر مرادك . فأطلق الرجل وانضم الى آذين كشَسب ، واتصل به . ولما خرج إلى قتال بهرام فى عساكر هُرمُزد ووصل إلى همذان أعلِم بامرأة منجمة كانت هناك تخبر عن الأحوال الكائنة . فاستحضرها وخلا بها وأخذ يسألها عن أحوال الملك والعدو، وما تقتضيه أحكام النجوم . فبينا هما فى هذا الكلام إذ مر بهما ذاك الرجل الذى خلصه من الحبس . فلما رأته المرأة قالت : من هذا الخبيث الذى يجب أن يبكى عليك من يده؟ فإنه سيسفك دمك . فأطرق الإصبهبذ، وتذكر أن بعض المنجمين كان قال له فى صباه: إن بعض الأرذال من جيرانك يقتلك فى طريق أنت سالكه . فكتب الى هرمزد كتابا يذكر فيه أن خلاص هذا الرجل كان بعيدا من الصواب . فإذا وصل اليك بكتابى هذا فمر بضرب رقبته فى الحال . وختم الكتاب واستدعى الرجل ، وأحسن اليه، وأعطاه الكتاب، وأمره أن يطير بجناح العجلة الى الملك، ويأتى بجوابه . فإن فيه بعض المهام . فأخذ الكتاب ورجع قاصدا قصد الملك .

---

(١) طر، طا : هرب ولده . كو : خبر هروب . (٢) صل : فى جيرانه . والتصحيح من طا ، طر .

فلما توسط الطريق قال فى نفسه : إنه قد طالت مدّة غيبتى عن بيتى واهلى وولدى. والرأى أن أرمى بهذا[1] الكتاب ، وأعاود وطنى . فصمم عزمه على ذلك ففتح الكتاب وقرأه وإذا[2] هو كصحيفة المتلمس . فالتهب من الغيظ وتمر ورجع من طريقه ، وعاد الى مخيم الإصبهبذ فصادفه وحده فى مضربه وليس عنده أحد ، ولا معه سلاح . فدخل عليه بدالّة قربته . فلما وقعت عينه عليه أحس بالموت وعلم بالحال فتضرع اليه . فلم يلتفت إليه واستل سيفه وضرب رقبته وحمل رأسه ، وخرج على غرة من القوم . وسار نحو بهرام فدخل عليه وقال : هذا رأس عدوك الذى خرج لقتالك . فأنكر بهرام فعله ولم يستحسنه وقال : إنه لم يكن قد خرج إلا لإصلاح الحال بينى وبين الملك . فأمر به فصلب فى الحال . قال الفردوسى : الملك وذووه لا ينبغى أن يفارقهم السلاح أو حاملوه .

قال : وأما العساكر الذين كانوا معه فإنهم لما قتل الإصبهبذ تبدّد شملهم ، وتفرّق جمعهم . فاستأمن طائفة الى بهرام ، وتوجه طائفة نحو مخيم برويز بآذربيجان ، ورجع الباقون الى حضرة هرمزد . فلما علم بذلك عظم عليه ، وقعد فى مصابه بصاحب حربه ، وأغلق أبوابه ، وأطال حجابه حتى وقعت الأراجيف فى المدينة . وبلغ الخبر الى المحبوسين فكسروا الأقياد ، وخرجوا . وخرج كستهم وبندويه ، وتبعهما عوام البلد وأوباشهم ، ونادوا بشعار برويز ، وهجموا على هرمزد ، ودخلوا عليه ، ونكسوه من التخت ثم كحلوا عينيه وجمعوه بكريمتيه وحبسوه . وأنهى الخبر بذلك الى برويز فطار بجناح الركض وخرج من طريق أرمينية موجع القلب بما جرى على أبيه حتى قرب من بغداد . فسكن الناس وفرحوا بمقدمه فاستقبله أكابر البلد ، ودخلوا به الى دار الملك ، وزينوا له إيوان السلطنة ، ونصبوا التخت ، وعلقوا التاج .

٤٢ — ذكر نوبه كسرى برويز بن هرمز[3] بن كسرى أنو شروان . وكانت مدّة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة §

وكان من أشدّ ملوكهم بطشا ، وأثقبهم زندا ، وأبعدهم غورا . وبلغ ، فيما ذكر ، من البأس والنجدة والنصرة والظفر وجمع الأموال والكنوز ومساعدة القدر إياه ما لم يتهيأ لغيره من ملوكهم .

---

§ كسرى الثانى الملقب برويز ملك ثمانيا وثلاثين سنة (٥٩٠ — ٦٢٨ م) . وهو آخر ملوك الفرس الكبار ، وعهده فى الشاهنامه من أطول العهود ، ملئ بالقصص الممتعة ، والغير العظيمة ذات الأثر البليغ فى الأدب الفارسى . وقد بلغ من سعة السلطان مالم يبلغه ملك فارسى منذ دارا الأول ؛ =

---

(١) طر ، طا : هذا الكتاب . (٢) طا ، طر : فاذا . (٣) طر ، كو : هرمزد .

ولذلك سمى بَرويز . وتفسيره المظفّر . قال : فتسنم برويز تخت السلطنة ، واحتفل له الناس، على ما جرت به عادتهم . فوعظهم ونصحهم ووعدهم من نفســه بكل خير ، وأنه يسير فيهم بسيرتى كرم وعدل . فدعا له الحاضرون وأثنوا عليه وقاموا مسرورين، وله حامدين وشاكرين .

وكان برويز موجع القلب متألما لما جرى على أبيه . ولما أمسى من يومه ذلك دخل عليه فسجد(١) له وكفر بين يديه، وقال : أيها الملك ! إنك تعلم أنى لو كنت فى خدمتك لم يتجاسر أحد على أن يغرز إبرة فى إصبعك فضلا عما جرى عليك . لكنى من خوف القتل فارقت حضرتك . والآن إن رسمتَ(٢) لم أحُم حول التاج والتخت، وقمت على رأسك ما عشت . فصدّقه أبوه وقال : إن لى اليك ثلاث حاجات : إحداها أن تسمعنى صوتك كل صباح . والثانية(٣) أن تنفذ الىّ رجلا عالما بالحروب والتواريخ حتى يلازمنى ويؤنسنى بالقصص والحكايات . والثالثة أن تنتقم(٤) ممن أقدم على خلعى وسمل عينىّ . فسمح له بالحاجتين . وأما الثالثة فقال : أيها الملك ! لا يخفى عليك أن بهرام قد أطل علينا ، وله من الشوكة والقوّة ما تعرفه . وأنا إن مددت يدى الآن الى كُستَهم

= فقد استولى على مصر والشام وسائر ما كان يملكه الروم فى آسيا وعسكرت جنوده على شاطئ البسفور. ولكن بسطة السلطان هذه انقبضت فى آخر حياته . وقد عاصر ثلاثة من ملوك الروم ، بجدّه أنوشروان . وسيأتى بيان هذا .

وفى أيام برويز كانت وقعة ذى قار، ولكن الشاهنامه تغفلها .

وكان برويز، كأبيه وجدّه، محسنا الى النصارى، بل بذّهما فى هذه السبيل. وسيأتى فى حواشى هذا الباب أنه كان يرسل الهدايا الى كنيسة القدّيس سرجيوس بالرصافة .

وقد اضطرّ فى أوائل عهده البطريق الهرم سبرإشو الى مصاحبة جيشه ليباركه . وكان لشيرين، وهى نصرانية، عليه سلطان عظيم، وقد بنت كنائس وديورا. ولكن هذا العطف على النصرانية انقلب الى ضدّه حين ثارت الحرب الطاحنة بين برويز والرومان(٥) — كما يأتى

وعهده فى الشاهنامه ٤٢٠٠ بيت . ويمكن تقسيمه هذه الأقسام :

(١) كسرى برويز وبهرام چوبينه، وقيصر. (٢) بهرام والخاقان. (٣) كسرى وكُرديه أخت بهرام . (٤) شيروى بن كسرى . (٥) كسرى وشيرين . (٦) حوادث شتى .

وفى كل قسم عنوانات ستذكر فى ثنايا الباب . =

(١) صل : سجد . والتصحيح من طا ، طر، كو. (٢) طر : رسمت لى . (٣) فى النسخ كلها : والثانى .
(٤) طا، طر، كو : تنتقم لى. (٥) سيكس ج ١ : برويز .

انقلبت علينا الأرض ظهرا لبطن . ولا أقدر على ذلك فى مثل ذا الوقت . وأنت فصبّر نفسك ، واعلم أن ذلك حكم إلهى، وقضاء سماوى جرى به قلم التقدير فى الأزل . فقام والدموع تجرى على خديه، وخرج من عنده مستترا بحيث لم يطلع على دخوله عليه أحد .

وأما بهرام فإنه لما سمع بأن هُرمُزد كحل وخلع، وأن برويز رجع وقعد مقعده من سرير السلطنة خرج من الرى وساق العساكر فلم يحس به إلا وهو نازل بالنهروان . فخرج برويز من طَيسفون فى جموعه وجنوده . وقال : الرأى أن أقرب منه وأكلمه وأستعطفه وأستميله . فلعله يجنح معنا الى السلم فنوليه بعض الأقاليم ونستريح من حمل أوزار الحرب . فسار الى شط النهروان فى قواده وخواصه . وتبدى بهرام فى[1] ذلك الجانب فى[2] أمرائه ورجاله . وكان معه ثلاثة من الأتراك الشداد الخاقانية . وقد وعدوه بأنهم يقتلون برويز . قال : فوقف برويز من هذا الجانب ، وبهرام من ذلك الجانب، وبينهما الماء . فقال بهرام لأصحابه : انظروا الى ابن الفاعلة كيف ترعرع وعبلت أكتافه، وبسقت أطرافه، وتوشح بالعذار خده! فسأل برويز أصحابه عن بهرام . فقال له أخ لبهرام يسمى كُردويَه، وكان يخدم برويز ويختص به : إنه صاحب الفرس الأبلق. فناداه وقال: يابهرام!

= وفى القسم الأول هذه العنوانات فى الشاه، وما بين القوسين محذوف فى الترجمة :

(١) الفاتحة . (٢) جلوس پرويز على العرش واعتذاره الى أبيه . (٣) علم بهرام چوبينه بسمل عينى هرمزد، وقوده الجيش لحرب خسرو پرويز . (٤) تلاقى خسرو پرويز وبهرام چوبينه . (٥) [نصح كرديه أخاها بهرام] . (٦) تشاور خسرو پرويز والقواد والموابذة . (٧) تبييت بهرام چوبينه جيش خسرو، وهرب خسرو . (٨) هرب پرويز وقتل أبيه هرمزد . (٩) ذهاب خسرو الى الروم . (١٠) بهرام بن سياوُس يحمل بندوى الى بهرام چوبينه . (١١) تشاور بهرام والايرانيين فى أمر الملك وإجلاسه على العرش . (١٢) جلوس بهرام چوبينه على العرش . (١٣) هرب بندوى من سجن بهرام . (١٤) ذهاب خسرو الى الروم بطريق الصحراء، وإخبار الراهب إياه بالمستقبل . (١٥) دخول خسرو پرويز بلاد الروم . (١٦) [إخبار الراهب خسرو ببعض الكائنات مرة أخرى] . (١٧) رسالة خسرو پرويز الى قيصر الروم . (١٨) جواب قيصر . (١٩) رسالة قيصر الثانية الى خسرو پرويز . (٢٠) كتابة خسرو پرويز عهدا وإرساله الى قيصر . (٢١) عمل الروم طلسما واختبار الايرانيين . (٢٢) خرّاد يبين دين الهند . (٢٣) إرسال قيصر الجيش وبنته الى خسرو پرويز . =

(١) كو : من ذلك . (٢) صل : من أمرائه . والتصحيح من طا ، طر، كو .

إنك عماد دولتنا، وسند بيتنا . ونحن نستظهر بك ونريد أن نوليك سالارية عساكرنا، ونقدمك على جميع أمرائنا وإصبهبذينا . فأجابه بهرام بالسفه وقال : لكنى أريد أن أصلبك . فعظم ذلك على[1] برويز حتى اصفر وجهه . وكظم الغيظ، وعاود مداراته ومراعاته وملاطفته فى الخطاب والجواب . وبهرام مستمرّ فى غلوائه لا يزيد على الخنا والهجر شيئا — وأطال صاحب الكتاب نفسه فى حكاية ما تخاطبا به وأفاضا فيه — قال : فرجع برويز الى مخيمه، وعزم على أن يبيّت بهرام . فاجتمع بوجوه أصحابه وشاورهم فى البيات . فقال له كُستَهم : اعلم أيها الملك ! أن عساكرك كلهم فى الباطن مع عسكر العدو . لأنهم أولادهم وإخوتهم . وهم معك بمنزلة القميص من البدن ؛ متصلون بك ومنفصلون عنك . وكان الرأى ألّا[2] يظهر حديث البيات فإنه قد شاع فى العسكر . وكأنك ببهرام قد علم بذلك . فهو يسبقنا اليه لا محالة . فقال كُردويَه : المحذور قد وقع . وهذا الخبر قد استفاض بين العسكر . وليس من المصلحة مقام الملك فى هذا المكان . فليركب مع رجاله، وليترك المخيم بما فيه من أثقاله ورحاله . فركب برويز مع أمرائه وقوّاده، وصعد الى تل وأقام عليه ينظر الى المعسكر . وأما بهرام فإنه جلس فى سرادقه، وقال لأصحابه : كل من كان له منكم أخ أو أب أو قريب فليكتب اليه وليأمره بالانقياد لأمرنا والانحياز الى جملتنا . ففعلوا فأجابوهم وقالوا : إنا لانقدر أن نحاز اليكم إلا عند اللقاء . فأعلم بهرام بذلك فانتخب ستة آلاف فارس، وجعل عليهم الأتراك الثلاثة المذكورين . فساروا وهجموا على مخيم برويز، وانقضّوا عليهم . فارتفع صليل الأسياف على الأعناق وطنين البَيض تحت البِيض الرقاق . وكان برويز واقفا على التل ينظر اليهم . فلما أضاء النهار رأى ذلك الفضاء مملوء بجثث أصحابه مغرقين فى الدماء، مجدّلين بالعراء . فقال لأمرائه : خوضوا غمرة الهيجاء ، وأعينونى بالوقوف ساعة . وخاض بنفسه الحرب، وركض الى أن قرب من الأتراك الثلاثة فرفع أحدهم (٢٠١) سيفه ليضرب رأس برويز . فرفع المجن على رأسه وضربه من تحته ضربة أبانت رأسه . وصاح على

= (٢٤) خسرو يقود الجيش الى آذر آبادكان . (٢٥) اطلاع بهرام على رجوع خسرو، وكتابته الى رءوس الإيرانيين . (٢٦) سوق بهرام الجيش لحرب پرويز، وهزيمة الروم . (٢٧) قتال أبطال خسرو، وبهرام چوبينه . (٢٨) حرب پرويز وبهرام وهزيمة بهرام . (٢٩) فرار بهرام من خسرو ولحاقه بخاقان الصين . (٣٠) رسالة خسرو الى قيصر يخبره بالانتصار، وجواب قيصر . (٣١) غضب نياطوس على بندوى، وإصلاح مريم بينهما . (٣٢) رجوع نياطوس والروم من ايران الى قيصر الروم . (٣٣) [بكاء الفردوسى على ابنه] .

(١) طو : فعظم عليه ذلك . (٢) طو : أنك لا تظهر .

أصحابه وأمرهم بالوقوف . فلم يلتفت اليه منهم أحد، وولوا ظهورهم وتركوه وحيدا (أ) . فثنى عنانه ورجع وراءه واذا ببهرام قد لحقه . فالتقيا وأخذا يتضاربان ويتصاولان الى أن زالت الشمس . فالتفت الى كُستَهم وقال : الانهزام خير فى هذا المقام . فإنا عشرة أنفس ، ولا نقدر أن نصابر هذا الجمع الكثير . فرجع قاصدا للعبور على جسر النهروان . فلما توسط الجسر رأى بهرام خلفه كالأسد الثائر . فوقف وأخذ القوس ورماه بسهام عدّة حتى أصاب نحر فرسه فترجل . وتقدّم يلان فرمى برويز فرسه أيضا فترجل . وانصرف بهرام[1] عن الجسر فأمر برويز فقطع الجسر، وعاد الى هذا الجانب .

ورجع مهموما محزونا حتى دخل طَيسفون. وأمر بترتيب أسباب الحصار وحفظ الأبواب والأسوار . ودخل على أبيه وسجد له ثم أعلمه بالحال وما جرى بينه وبين بهرام . وذكر أن أصحابه انهزموا ، وأن العدوّ قد جاء خلفه الى جسر النهروان . وقال : إن[2] أذن الملك التجأت الى العرب واستعنت بهم عليه . فقال : "إن هذا بعيد من الصواب. فإن العرب مالهم عدّة ولا خزانة. وإن كان ولا بد من الالتجاء والاعتصار فالأولى أن تقصد قيصر ملك الروم فتدخل عليه وتستجير به . فإنه من الشجرة الفريذونية فهو[3] نسيبك . وعند الشدائد تذهب الأحقاد وترق الأكباد . وهو من أهل الدين، وذوى المال[4] الجم ، ومن بيت الملك وأهل الحفاظ ولا بد من أن ينصرك ويعينك" . فقبل الأرض وخرج واجتمع بكستهم وبندويه، وقال لهما : لا بد لنا من الخروج . فاخرجوا بالأثقال والدواب حتى نتوجه الى بلاد الروم . فبينما هو فى هذا الحديث إذ ارتفعت الأصوات من أبراج المدينة بطلوع عسكر العدوّ . فركب وخرج وخلفه خالاه . فتأخرا عنه قليلا فالتفت اليهما واستعجلهما فقالا : أيها الملك! اعلم أن بهرام يدخل الساعة الى البلد فيخرج أباك ويقعده على سرير السلطنة ، ويجعله مِلواحا، ويشير عليه بأن يكتب الى قيصر بالقبض عليك وإنفاذك مقيدا مسلسلا اليه . يلوّحان بذلك الى إهلاكه . فسكت برويز وساق آخذا فى طريقه. فرجع الخائنان الغادران، ودخلا على هُرمُزد وخنقاه بوترقوس ، وخرجا وساروا خلف برويز حتى لحقاه . فلما رآهما أحس بالحال فاصفرّ وجهه لكنه سكت . فقالا : إن الطاب وراءنا فاعدل عن الطريق . فعدلوا عن

(أ) انظر فى مروج الذهب (عهد برويز) وصف معركة النهروان ، وإعطاء حسان بن حنظلة الطائى فرسه الصبيب الى برويز بعد أن أبى النعمان أن يعطيه فرسه اليحموم ، وما قال حسان فى هذا من الشعر .

(١) صل : بهرام أيضا . والتصحيح من طا ، طر، كو . (٢) طا ، طر : فانه . (٣) طا ، كو : وهونسيبك .

(٤) صل : الأموال . والتصحيح من طا ، طر، كو .

الحاذة، وأخذوا فى طريق البرّية، وساروا الى أن انتهوا الى دير عظيم (ا) . فدخلوه واستطعموا الراهب فأطعمهم خبزا فطيرا ، وبقلا ، وسقاهم شرابا . فنام برويز ساعة ، وحط رأسه فى حجر بندويه ليستريح ويريح ثم يركب ويروح .

وأما بهرام فانه لما وصل الى باب المدينة لم يمنعه أحد فدخل . ولما تمكن من دار الملك اختار ثلاثة آلاف فارس وسلمهم الى بهرام بن سياوش فركب بهرام أثرهم وسار خلفه[1] قال : فنظر الراهب من سور الدير فرأى عجاجا ساطعا من الطريق فأنذرهم . فأيقظ بندويه برويز وقال : قد جاءنا الطلب . وأنا أفديك بنفسى . فسلم تاجك وثيابك ، وخذ فى طريق الجبل . وعليك بالسير الحثيث الى أن تأمن . فإنى أردّ عنك العدوّ، وأجعل نفسى وقاية لك . فسلم ثيابه وتاجه اليه، وركب فيمن معه ولحق بالجبال ، ونجا برأسه . ولبس بندويه ثيابه، واعتصب بتاجه، وصعد الى قبة عالية كانت فى الدير، وقعد ساعة حتى شاهده ذلك العسكر فلم يشكوا فى أنه برويز، وأنه قد حصل فى قبضتهم . فنزل الى الدير، وخلع ثياب الملك، ولبس ثياب نفسه، وصعد الى السطح فناداهم وقال : إن الملك يقول : إنه لا منجى منكم الآن. ولكن أمهلونى الليلة فانى أخرج اليكم غدا، وأضع يدى فى أيديكم، وأصير معكم الى بهرام . فلما سمع ابن سياوُش هذا المقال أجابه الى ذلك . ولما أصبح من اليوم الثانى صعد أيضا الى سطح الدير وقال لبهرام : إن الملك لم يخرج بعد من الصلاة ، وبات البارحة بين يدى ربه ساجدا وراكعا . وقد ارتفع النهار واشتدّ الحرّ . فإن رأيتم تركه اليوم أيضا فعلتم(ب) . فقال بهرام لأصحابه : الرأى نسعفه بهذا . فانا إن لم نفعل قاتلنا وربما قتل فى الوقعة فيؤاخذنا بهرام . ثم سمح بذلك . وعاد بندويه الى مكانه . ولما أصبح أشرف عليهم وقال : اعلموا أن برويز، أول أمس حين ظهر سوادكم، ركب ونجا بنفسه . وهو لا يكون الآن إلا فى أمنع معقل من بلاد الروم . وأنا احتلت هذه الحيلة حتى ينجو ويسلم . وهأنذا بين أيديكم . فان أعطيتمونى الأمان خرجت اليكم، وحضرت بين يدى بهرام معكم فأجيبه عما يسأل . وإن لم تفعلوا ذلك ركبت وقاتلتكم الى أن أقتل . فأعطوه الأمان ونزل وركب معهم . ولما وصل الى حضرة بهرام هدّده وأوعده فقال : أيها البهلوان ! إن أنصفت علمت أنه كان واجبا علىّ أن أفدى الملك بنفسى، وأجعلها وقاية له . وهأنا بين يديك فافعل ما شئت . فقال بهرام : ما أنا بقاتلك

(ا) فى الأخبار الطوال . أن هذا الدير عند مدينة هيت .

(ب) فى الأخبار الطوال ، والغرر : أنهم أمهلوا الى العشاء ثم الى الصباح ثم أخبرهم بندويه بكنه الأمر، وفى الطبرى : أنهم انتظروا الى الصباح كذلك . وهذا أقرب مما فى الشاه .

(١) هكذا فى صل، طا، طر . وفى كو : وأمرهم باتباع برويز فركب بهرام أثره وسار خلفه .

ولكنه سيقتلك برويز. وستعلم أنى صادق ولو بعد حين. فأمر به فقيد[(١)] وسلسل، وسلم الى بهرام ابن سياوخش[(٢)].

ثم إن جوبين بات تلك الليلة غائصا فى بحر الفكر. ولما أصبح استحضر جميع الأكابر والأماثل واحتفلوا فى إيوان دار الملك. فحضر وقعد فى صدر الإيوان شامخ الأنف طامح الطرف. فقال لهم بصوت رفيع : اعلموا أنه ما وطئ سرير المملكة أظلم من الضحاك الذى قتل أباه واستولى على ملك إيران، ثم برويز صاحبكم الذى أراق دم أبيه وهرب الى الروم. والآن فلا بدّ من ملك يتولى أموركم الى أن يظهر ملك من الشجرة الكيانية يصلح للتاج والتخت. فمن ترونه يصلح لذلك فيشدّ على خصره نطاق السلطنة، ويقوم بمراسم الملك فعينوه. فإنى، وحق خالق الشمس، لكم معاضد وعلى ذلك مساعد. فلم ينكر عليه أحد قوله. وكان فيهم رجل من عظمائهم يسمى شهران، طاعن فى السن غير أنه كان ذا طيش وعجلة. فتقدّم وقال : أيها الشهريار ! ما أظل إيران محنة مثل محنة ساوه ملك الترك حين قصد هذه الممالك فى مائة ألف مقاتل ليستعبد أحرارها ويخرب ديارها فكنت[(٣)] الذى شددت منطقة الرجولية على وسطك، وتلقيته ببأسك وبطشك. فكفيتنا بنشّابة واحدة شره، ودفعت عاديته وضره. فالآن نراك بهذا التخت جديرا. وكفى بسعادتك على ذلك شهيدا. ثم من صعّر بعد ذلك خدّه أقمنا أوده[(٤)] حتى يتقوّم ويتبع الشهريار الأعظم. فجلس.

وقام شيخ آخر يسمى خُراسان فقال : إنما تكلم هذا الشيخ بهذا المقال ليسر قلوب الحاضرين. ومعى مثل حقيق بأن يصغى اليه : إن زردُشت قال فى كتابه : من عصا الله وخرج على مالك رقه وسلطانه فعظوه سنة، فإن استمر على عصيانه ففرّقوا بين رأسه وجثمانه. ولما فرغ من كلامه هذا عاد الى مكانه وجلس. فقام آخر وتكلم بما ليس فيه فائدة وقعد. ثم قام رجل آخر يسمى خزوران[(٥)] وقال : بعد هذا القال والقيل أيها البهلوان ! إن كنت مفكرا فى العواقب فأرسل الى برويز واعتذر اليه عما صدر منك، ولا تقدّم رجلك مسترسلا الى تخته. فإنه ما دام الملك فى قيد الحياة فغير لائق بالبهلوان أن يجلس على سريره ويعتصب بتاجه. وإن كنت لا تأمنه فاترك بلاد فارس وارجع الى خراسان وأقم فيها مستريحا. ثم واصل الكتب اليه معتذرا حتى يرضى عنك. قال : ثم قام رجل يسمى سُنباذ[(٦)] وبيده السيف فقال : إن هذا البهلوان الكبير القدر، الموصوف بسيرة العدل يقعد على سرير الملك الى أن يظهر واحد من شجرة الكيان. فانه أولى بالجلوس عليه من فلانة وفلانة.

(٢٠٢)

(١) صل : وقيد. والتصحيح من طا، طر، كو. (٢) طا، طر : شياوش. (٣) طا، طر : أنت الذى.
(٤) فى النسخ : داره. (٥) طر : خزروان. (٦) فى الشاه : سيناد.

فوثب بابويه الأرمني، وسلّ سيفه مع آخرين وقالوا : إن بهرام هو الملك المطاع، ونحن له الأتباع والأشياع. ومن خالف أمره فلا نخاطبه إلا بالسيوف القواصل والرماح العواسل . فخاف بهرام أن تبدر منهم حركة فاستعمل الرأى والعقل ، وقال : كل من يتحرك من مكانه ولا يرد سيفه الى غلافه أمرت بقطع يده، وفرقت بين رأسه وجسده. فارتدعوا، وقام من المجلس مغضبا وتفرق الحاضرون.

ولما أمسى استحضر الكاتب وأمر أن يكتب كتابا مضمونه أن بهرام هو السلطان المستحق للتاج والتخت، السالك سبيل الرأفة والعدل . فكتب . ولما أصبح أمر فنصب فى إيوانه التخت الشاهنشهى ، وعلق التاج الخسروى، ووضعت كراسى الذهب ،كما جرت به عادتهم فى مجلس السلطنة . فحضرت الأعيان والأكابر والأمراء والأماثل والعلماء والأفاضل ، وحضر بهرام وتسنم التخت ولبس التاج . وجاء الكاتب بالعهد فأمر الحاضرين أن يكتبوا فيه خطوطهم ففعلوا فأمر به فختم . ولما فرغ من ذلك قال : إن السلطنة قد تقررت علينا وتمهدت لنا . وقد رضيتم بذلك وأشهدتم الله عليكم. فدامت كذا ألفا يتوارثها من أعقابنا وأخلافنا كابر عن كابر (أ)، وباق عن غابر. ثم قال: قد ارتفع القتل والقتال من البين ؛ كل من ليس راضيا بسلطاننا فليخرج من هذه الممالك، ولا يقيمن أكثر من ثلاثة أيام ، وليلحق بكسرى فى بلاد الروم . فدعا له الحاضرون عن قلوب غير مخلصة، وأثنوا عليه عن ضمائر غير صافية. فقاموا من المجلس، وتوجه الى بلاد الروم كل من كان من المتصلين بپرويز، مفارقا دياره ومهاجرا أوطانه .

وأما بندويه خال پرويز فانه بقى فى حبس بهرام بن سياوُش سبعين يوما ثم أخذ يخدع ابن سياوش ويمنّيه ويعده عن پرويز، وأن الله سوف يرزقه النصر العزيز. وما زال يفتل منه فى الذروة والغارب حتى انخدع له ففك عنه القيد ، وواطأه على أنه يهتبل غرة من جوبين ويقتله . فجاءه ذات ليلة وقال: إنى واطأت خمسة من غلمانى على أن يعاونونى غدا على قتل جوبين فى الميدان . ولما أصبح لبس الزرد تحت القباء مع رفقائه الخمسة ، وركب الى الميدان . قال : وكان له امرأة لا تحبه (ب) فأحست بأنه لبس الدرع فأنهت ذلك الى بهرام جوبين وقالت : إن زوجى ابن سياوخش اليوم قد لبس الدرع تحت القباء . فاحفظ نفسك منه . فانى لا أعلم ما فى نفسه . فلما حضر جوبين وتشمر أصحابه للعب بالكرة أخذ يمس ظهر واحد واحد (١) منهم حتى انتهت النوبة الى ابن سياوش فرأى

(أ) هذا ترجمة البيت :

چنين هم بماناد سالى هزار كه أزتخمهٔ من بود شهريار

(ب) فى الأخبار الطوال : أنها بنت أخت بهرام شوبين .

(١) طا : كل واحد واحد . طو : كل واحد منهم .

الدرع تحت قبائه فأنكر عليـه وقال : متى جرت العادة بلبس الزرد فى الميدان ؟ فأمر به فتناوشته السيوف حتى طارت أشلاؤه ، وتفرقت أعضاؤه . وعلم[(١)] بندويه بالحال فلبس السلاح وركب من ساعته وأفلت فى خِفٍّ من أصحابه ، وأسرع فى الهرب وسلك طريق آذربيجان حتى اتصل بموسيل (ا) صاحب الأرمن . ولما عاد جوبين الى إيوانه أمر بعض أصحابه بأن يحرس بندويه ويحفظه . فقيل إنه هرب[(٢)] . فعض على يده حيث لم يقتله فى الأول قارعا سن النـدم على معاجلة ابن سياوش بالقتل . وقال متمثلا : لأن تركب السفينة المنكسرة فى البحر خير[(٣)] من أن تعجل فى أمر . ثم قال أيضا : من أمسك الثعبان فى يده هلك ، وأفلت الثعبان ولا يدرى أى سبيل سلك .

عاد الحديث الى ذكر برويز . قال : ولما خرج برويز من الدير أخذ طريق البرّية التى لا ماء فيها ولا مرعى[(٤)] ، وأرخى عنان فرسه ، وسار بمن معه من أصحابه الى أن وصل الى مدينة (ب) فتلقاه أهلها واحترموه ، وأعزوا مقدمه وأكرموه . فنزل برويز . ووصل فى الحال فارس الى رئيس المدينة بكتاب من جوبين يقول[(٥)] له فيه : اذا وصل اليك برويز ومن معه فأنزلهم واشغلهم عن الارتحال فإن عساكرى واصلون فى الحال . فلما وقف على الكتاب عرض ما تضمنه على برويز فركب وسار طردا وركضا الى أن قرب من الفرات . فوجدوا غيضة كثيرة الماء والشجر فنزلوا هناك وقد نال منهم الجوع والعطش . فركب گستهم وركض يمينا وشمالا فى طلب الصيد فلم يجد شيئا وعاد مخفقا . فتراءى لهم عير من بعيد ، يقدمهم شاب على هجين . فلما قرب ورأى برويز نزل وخدم . فسأله عن اسمه فقال : أنا من أحرار العرب ، واسمى قيس بن حارث (ج) فقال : إن كان معك شىء من الطعام فأحضره فإنا جياع . قال : فأحضر العربى فى الحال سهرا ، أى ناقة (د) بنت ثلاث سنين ، فنحرها وأوقد نارا . فجعلوا يضهّبون من لحمها ويأكلون الى أن شبعوا . فسألوا العربى عن الطريق . فقال : بينكم وبين العمارة سبعون



(ا) موسيل من أسرة ميجون الأرمينية . وهو أمير موش من ناحية خلاط غربى بحيرة وان (ورنر ، ج ٧ ص ١٨٨ ، معجم البلدان : موش) .

(ب) فى ورنر : بابل . وفى مول : باهلة . وفى نسخة تبريز : بابله .

(ج) فى الشاه : وقد جئت من مصر . ومنزلى على شاطئ الفرات . وفى الأخبار الطوال أن الذى لقيهم إياس بن قبيصة الطائى ، وأنه دلهم الى بالس على شاطئ الفرات ثم انصرف فسار كسرى الى اليرموك حيث تابله خالد بن جبلة الغسانى فوجّه معه خيلا الى قيصر .

(د) فى مول ، ورنر : بقرة . وفى فرهنگ شعورى : سهر = بقرة . واستشهد بكلام الفردوسى هنا .

(١) طا ، طر : فعلم . (٢) طا ، طر ، كو : قد هرب . (٣) طا ، طر ، كو : خير لك .

(٤) كلمة «ولا مرعى» من طا ، طر ، كو . (٥) طر ، كو : يقول فيه .

فرسخا . وإن رأيتم تقدمتكم وكنت لكم دليلا الى أن أوصلكم . فقال برويز : هذا هو الرأى . فركبوا وتقدمهم قيس ، وأخذ بهم فى الطريق فرأوا فى البرية قافلة فيها رجل من أردشير خره فأحضر الطعام والشراب بين يدى برويز . فشكره وأمر فكتبوا اسمه . وسار فى طريقه الى أن وصل الى مدينة من مدن الروم تسمى كارستان (١) . فلما رأى أهل المدينة سواد العسكر من بعيد أغلقوا بابها فى وجهه . فنزل برويز، وبقى ثلاثة أيام لا يخرج اليه منهم أحد (٢) . ولما كان اليوم الرابع أرسل اليهم وسألهم أن يخرجوا طعاما وعلفا فاستهانوا بأمره ، ولم يجيبوه الى ذلك . فأرسل الله تعالى عليهم سحابة ذات رعد وبرق ، وريحا عاصفا . فلما انتصف الليل انقضت حيطان البلد من عصفات الرياح الزعازع . فشملهم البكاء والجزع ، وفتحوا الأبواب ، وأخرجوا مشايخهم ورها بينهم بالأطعمة والعلف ، وسائر المبارّ والتحف . وكان فى المدينة قصر لقيصر فأنزلوه فيه . ثم ركب منها وسار الى أن وصل الى مدينة المانوىَ فتلقاه الناس وأعظموا قدره ، وأجلّوا مقدمه ، ورتبوا له الأنزال ، وقدموا اليه التحف والمبارّ . فأقام فيها ثلاثة أيام . وركب فى اليوم الرابع قاصدا قصد حضرة قيصر . فانتهى فى طريقه الى دير فيه راهب فقرب برويز من الدير وقال : أيها الراهب المتنسك ! إنى رجل من أهل إيران أقصد حضرة قيصر فى رسالة . فأخبرنى بما يصير اليه حالى ، ويؤول اليه عاقبة أمرى . فقال الراهب : أنت كسرى أبرويز ، وقد هربت من يد بعض عبيدك ، وسيزوجك قيصر بعض بناته ، ويمدك برجاله وأمواله فتعود ويهرب عدوك الى بلاد بعيدة ثم يقتل بأمرك هناك . فقال : لا كان غير ما ذكرت أيها الراهب ! ولكن متى يكون هذا ؟ فقال : بعد سنة أخرى ، اذا مضت خمسة عشر يوما من السنة الثانية صرت ملك ايران ، وتسنمت التخت ولبست التاج . فقال : هل يسعى أحد من هذه الجماعة فى إيحاش قلبى؟ فقال : نعم . رجل اسمه بِسطام ، وهو خالك . وسوف يخرج عليك ثم يقتل بالآخرة بحكمك . ففزع گُستَهم (أ) من مقاله ، وقال : لا يدخلن قلبك من كلام هذا النصرانى شىء فإنى وحق خالق القمر لا أهم بمساءتك ما عشت ، ولا أغضى لك على محذور ما بقيت . فقال برويز : إنى لم أر منك سوءا قط ولكن لا آمن تصاريف الزمن أن يخرج عن يدك زمام العقل ، ويضلك فى ظلام الغواية والجهل .

(أ) هو اسم بسطام أيضا ؛ أمه سمته بسطام ، وسمى نفسه گستهم ، كما فى الشاه . وبسطام محوّل عن گُستَهم مثل گشتاسب وبشتاسب .

(١) فى الشاه : كارسان . (٢) طر : يخرجوا اليه .

ثم انطلق سائرا فى طريقه الى أن وصل الى مدينة تسمى وريغ § فاستقبلته(١) أكابر المدينة وتلقوا مقدمه بالإعظام والإجلال . ولما نزل وصل رسول قيصر يقول : إن هذه المدينة مدينتك ، وأهلها تحت حكمك وطاعتك . فالتمس منها كل ما اشتهيت ، وتحكم فيها كما أردت . فإن ممالك الروم لك وتحت حكمك ، وجميع من فيها من الأكابر من جملة عبيدك وخدمك . وإنى لا أقر فى نهار ولا أسكن فى ليل حتى أعِدّ لك كل ماتحتاج اليه من سلاح وخيل(٢) فأردك الى بيتك مسرورا ، وعلى عدوك منصورا . فسرّ برويز بذلك ، وقال لمن معه من الأكابر ، وهم كستهم وبالويه وأنديان وخراذ وسابور : إذا أصبحتم فالبسوا الملابس الفاخرة ، واركبوا الى حضرة قيصر فقولوا واسمعوا ، واخضعوا له وتملقوا اليه . وقال لخراذ : أحضر المسك والحرير ، واكتب الى قيصر كتابا عباراته معسولة ، وألفاظه مشمولة ، ومعانيه كثيرة ، وكلماته قليلة بحيث تعلق بالطباع ، وتثبت فى الخواطر ، وتسلم من الحشو حتى لايعيبه عليك من عنده من فضلاء الفلاسفة . واحمل الكتاب الى قيصر . واذا فرغ قيصر من قراءة الكتاب فأطلق لسانك فى مضمار البيان . فإنك تحوى قصب السباق ، وتحرز خصل الرهان . وقال لبالويه : كن لساننا وترجماننا بين يدى قيصر اذا أفاض فى ذكر العهود والمواثيق ، وأجبه الى مايلتمس ، والتزم له عنا ما يريد من الشروط إلا شيئا يورثنا غضاضة فى السلطنة . فإن ذلك مما لايغضى عليه ولا نرضى به .

§ فى الأخبار الطوال أن كسرى نزل بالرها وراسل قيصر . وفى الطبرى وفارس نامه أنه صار الى أنطاكية . والذى يرويه التاريخ أنه لما فر من المدائن اجتاز الفرات وسار الى الأنبار . ثمساير النهر حتى عبره مرة أخرى عند قِرقيسيا ، على الحدود الرومانية . ثم دعاه الامبراطور موريس الى النزول فى هيروبوليس فأقام بها .

ويظهر مما فى ترجمة الطبرى الفارسية أن وريغ هى الرقة ، على ضفة الفرات الشرقية . وهى خربة الآن . وكان الى الجنوب والغرب منها مدينة الرصافة وكان بها كنيسة القديس سرجيوس الذى قتله الامبراطور مكسميان . ولهذا سميت المدينة باسم القديس (Sergiopolis) . وكان برويز وهو لاجئ الى الروم يظهر الميل الى النصرانية ، ويتخذ سرجيوس وليا . ولما انتصر وعاد الى عرشه بقى يعوذ بالقديس ، ويرسل اليه الهدايا . وفى الطبرى أن قائد جيش الروم كان سرجس . وفى فارس نامه : سرجيس . وفى الشاه : سركس . ولعل الرواة سمعوا بسرجيوس وانتصار برويز ببركته فتوهموه قائدا فى الجيش الرومى . ومن أجل ذلك يختلفون فيه منهم ؛ من يسميه قائدا ومنهم من يعده من كبراء الروم الذين ناصروا برويز(٣) .

(١) طا ، طر : استقبله . (٢) طر : وخيل وعدة . (٣) ورنر ج ٨ ص ١٨٨ ؛ معجم البلدان : الرقة . مول Mohl ج ٦ ص XII.

قال : فبادروا الامتثال وتوجهوا مصبحين الى حضرة قيصر . فلما قربوا منها أمر جماعة من الأمراء الكبار باستقبالهم فاستقبلوهم وأدخلوهم بأتم إجلال وأبلغ إكرام . وجلس قيصر فى إيوان منجّد ، متسنما على تخت من العاج ، معتصبا بالتاج . وأمر فرفعت الحجب فدخلوا وعليهم الملابس الخسروانية ، والتيجان الرفيعة . فلما قربوا من قيصر قبلوا بين يديه الأرض ودعوا له ونثروا بين يدى تخته جواهر حملوها برسم النثار . فوضعوا لهم كراسى من الذهب ، فأمرهم[(١)] بالجلوس عليها . فجلسوا سوى خرّاذ بن برزين فانه قال : كيف أتجاسر على القعود بين يدى ملك مثل قيصر مع أنى متحمل اليه رسالة ملك مثل برويز؟ فأشار عليه بأداء الرسالة . فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن برويز يواصل بالدعاء ، ويقول : لا يخفى على علمك المحيط أن تخت مملكة إيران ، من عهد أفريذون الى يومنا هذا ، لم يبرح كان مصونا من أن تمتدّ اليه أيدى النوائب أو ترمقه عين الحوادث . وقد خرج الآن علينا عبد من عبيدنا فتسنمه ، وسلمه اليه أعداؤنا فتسلمه . وقد اعتصمت الآن[(٢)] بحبلك متظلما منه ، ومستعديا عليه . فأجيبوا نداء الصارخ ، وانصرونا على هذا الغادر . فقد أنحلتنا هذه الأحدوثة بين الأصاغر والأكابر . فلما قرع هذا الاستصراخ سمعه اصفرّ وجهه ، واضطرب قلبه . ثم ناوله الكتاب . ولما فض ختمه ، وعرف مضمونه ضاعف داءه وهمه . ثم قال لخرّاذ : إن برويز أعز علينا من أرواحنا ، ونحن لا نبخل عليه بشىء من خيلنا ورجالنا وكنوزنا وأموالنا . ثم أمر الكاتب فكتب جواب كتاب برويز ، وشحنه بالإلطاف ، مقابلا مطلوبه بالإسعاف . واختار من أصحابه رجلا موصوفا بكمال العقل ، ووفور الفضل ، وأنفذه به اليه ، وأمره بأن يقوّى قلبه ، ويبسط أمله ، ويضمن له عنه أنه ينصره ويردّه الى دار ملكه ومستقرّ تخته . فسار الرسول .

وخلا قيصر بوزيره وصاحب سره وقال له : إن هذا قد استجار بنا واعتصم بحبلنا فكيف التدبير فى أن نبلغ مراده ، وننتقم له من جوبين الخارج عليه ؟ فقال الوزير : استحضر جماعة من الفلاسفة حتى نشاورهم فى ذلك . فأحضروا أربعة أنفس من أعيانهم وساداتهم ففاوضهم فى ذلك . فقالوا : أيها الملك ! إنا من عهد الاسكندر لم نسترح يوما من شر الايرانيين لكثرة ركضاتهم الى بلادنا ، وشنهم الغارات علينا وسفكهم وفتكهم . والآن قد أحاط الله بهم ، وأذاقهم جزاء[(٣)] فعلهم . فآثر السكوت فقد قرب انقضاض[(٤)] أساس الدولة الساسانية . واعلم أن برويز هذا إن عاد الى مستقره بتاجه عاد الى خلقه المذموم ، وطلب فى الحال خراج الروم . فلما سمع قيصر ذلك كتب

(٢٠٤)

(١) طا ، طر : وأمرهم . كو : وأمروا . (٢) طا ، طر : الآن (لا) . (٣) طر : خزى
(٤) طر : انقضاض .

كتابا الى برويز، وأرسل اليه رسولا، وأعلمه بما جرى بينه وبين علماء الروم . فلما وصل الرسول الى برويز عظم عليه ذلك فقال : إنا ما قاتلناكم قط ابتداء، ولم نحاربكم ظلما واعتداء . وحقيق أن تسأل عالم الروم حتى تعلم أن الشر ظهر من الزاغ أو البوم (ا) . ثم إن كنتم لا تعرفون حق وفادتنا اليكم، ولا تصرخون المستجير بكم فإنا اذا عاد أصحابنا خرجنا من بلادكم، وقصدنا الخاقان واستنجدناه. فردّ الرسول بهذا الجواب .

ولما وصل الى قيصر ووقف على كلام برويز خلا بوزيره وقال : انظروا فى أحكام النجوم الثواقب، واستشفّوا أستار العواقب؛ فإن كان برويز قوى الطالع منصورا على هذا العدوّ أعنّاه وأمددناه حتى لا نزرع العداوة فى قلبه . وإن كان الأمر على خلاف ذلك فأعلمونا حتى نخلى سبيله، ونرمى بحبله على غاربه ليقصد الخاقان أو من أراد . فأشار الوزير عند ذلك باستحضار المنجمين . فلما حضروا أمرهم بالنظر فى طالع برويز ففعلوا، ثم قالوا: إنه، على اختيار أفلاطون، عن قريب يعود إليه ملكه ويتقرّر عليه تاجه وتخته، ثم يتمادى ملكه الى ثمان وثلاثين سنة . فقال الوزير عند ذلك لقيصر: إن الرجل مسعود منصور . وإن لم تمدّه أنت التجأ الى الخاقان فأمدّه[1] بالعساكر والأموال الى أن يتمكن من الملك . وعند ذلك لا يقصد إلا قصدك، ولا يروم غير بلاد الروم . فقال قيصر: الأولى أن نداريه وننصره ولا نخذله . فكتب اليه بخطه كتابا وقال : إنا قد فتحنا أبواب الكنوز العتيقة حتى ننفقها فى رضاك . ونفذنا الى بلاد الممالك فى جمع العساكر . وسينثالون على حضرتك أفواجا بعد أفواج كالبحر يتبع أمواجا بأمواج . ولم يكن هذا التوانى إلا من أجل تذكرنا ما تم علينا من الملوك الماضين، من ركضاتهم الى بلادنا وفتكاتهم برجالنا . والآن قد استحضرنا الذين كانوا متألمين من آثار سطواتكم فانتزعنا ما كان فى قلوبهم من غل، وطهرنا بواطنهم من كل حقد، وقررنا ألا يذكروا ما مضى فى الزمان الأول، ويكونوا ممتثلين لأوامرك، داخلين تحت طاعتك، ويحالفوك وتحالفهم على أنك ما دمت على تختك لا تطالب الروم بخراج، وأن ترد عليهم ما أُخذ[2] منهم من البلاد(ب) وأن تترك الحقد القديم، ولا تذكر سلما وأفريذون، وتخطب الينا بعض كرائمنا حتى تلتحم بيننا أواصر الرحم، ويتسق شمل العقد المنتظم، ثم تلزم بعد ذلك الوفاء بالعهد فإن التخت والتاج يلعنان من ينقض مبرمات الأيمان . وكتبت كتابى[3] هذا بخطى حتى لا يقف

(ا) إشارة الى قصة البوم والغربان فى كليلة ودمنة .

(ب) كان مما تعاهد عليه الامبراطور موريس وكسرى برويز أن يعطى الروم أرمينية الفارسية، ويرد اليهم دارا وبعض المدن الأخرى (سيكس، ج ١ : برويز . ورنرج ٨ ص ١٨٨).

(١) طا، طر، كو : وأمدّه . (٢) طا، طر: ما أخذت. (٣) طا، طر : كتبت اليك. كو: كتابى هذا اليك.

عليه الكاتب ، ولا يعلم به الدستور والصاحب . فتدبر معانيه واحفظ ما فيه . ثم اكتب جوابه ، وثق منى بكل خير ، وأخرج من قلبك كل هم وفكر . ثم ختم الكتاب ونفذه اليه .

فلما وقف برويز عليه خلا بنفسه ، واستحضر الدواة والقلم ، وكتب بخطه جواب ذلك الكتاب وقال : إنى قد جعلت لله علىّ أنى ما دمت على تخت إيران لا أطلب خراج الروم ولا أقصد بلادهم بوجه من الوجوه . وقد قبلت نكاح ولده ، وأشهدت الله تعالى على نفسى أنى لا أخالفه ولا أخالف من يلى ملك الروم بعده . ثم سأله أن ينفذ اليه العساكر مع أصحابه الذين كان نفذهم الى حضرته . وأنفذ الكتاب على يد خورشيد بن خراذ اليه[1] . فلما قرأه قيصر استحضر أصحابه وعرض عليهم كتاب برويز ومعاهدته . فقالوا : نحن عبيدك المطيعون لأوامرك ، السالكون سبيل طاعتك ، لا نحيد عن أمرك ولا نخرج عن حكمك . فأثنى عليهم قيصر وقام .

قال : ثم إن قيصر أراد أن يجرب وجوه الايرانيين الذين نفذهم برويز[2] ، ويعرف مقادير عقولهم وفطنتهم وذكائهم . فاستحضر من على بابه من السحرة فأمرهم أن يعملوا تمثالا فى صورة جارية حسناء ، جميلة المنظر: خلابة للعيون ، سحارة للقلوب ، يقعدونها على تخت ، ويصطف على رأسها الجوارى والخدم ، ويهيئون الجارية بهيئة محزونة كأنها فى مأتم المسيح تبكى وتسقط عبراتها وهى تكفكفها وتمسح عينها . فاستحضر الايرانيين وقال فى أثناء كلامه لكستهم وبالويه : إن لى بنتا حزينة واجمة لا تزال دموعها ساجمة . وقد نغصت علىّ العيش من فرط جزعها وحزنها . وليست تقصر عما هى فيه ، على كثرة توبيخى لها وتعنيفى إياها . فأريد أن تدخلا عليها وتعظاها فلعلها تقصر عن[3] هذا الجزع . فقالا : سمعا وطاعة . فقاما ورفعت دونهما الحجب فدخلا الى ايوانها فخدما بين يدى تختها ، وأخذا ينصحانها ويعظانها ، وهى على حالها تذرى دمعها وترفع يدها وتمسح عينها لا تزيد على ذلك . فضجرا وخرجا وقالا لقيصر : إن سكرات الحزن والجزع قد غمرت هذه البنت فلا تسمع خطابا ولا تحير جوابا . فأقبل على خرّاذ بن برزين وقال له : ادخل عليها أنت ، فإن كلامك بالقلوب أعلق ، ونصحك فى النفوس أنجع ، فلعلها تقبل منك . فقام ودخل عليها وخدم وكلمها فلم تجبه . فنظر اليها فرأى دمعها يسقط على نمط واحد فى هيئة واحدة فقال فى نفسه : إن هذه صورة معمولة . ولو كانت ذات روح لتساقطت عبراتها مختلفة ، ولتحرك منها عضو آخر سوى يديها . وليس هذا إلا طلسما فيلسوفيا . فقام ودخل على قيصر وقال : إن هذا طلسم خيلتموه ، وتمثال صورتموه . ولم يقف على السر فيه كستهم ولا بالويه . وكأنك تريد أيها الملك ! أن تضحك من

---

(١) صل : عليه . والتصحيح من طا ، طر . (٢) طا ، طر ، كو : برويز اليه . (٣) طا ، طر : من .

عقولنا وتحيط عيوننا . فضحك قيصر وقال : أبقاك الله . فمثلك يصلح للملوك دستورا وصاحبا ووزيرا . ومدحه وقرظه . ثم قال له : وإن عندنا أعجوبة أخرى لو شاهدتها لشككت أنها مجعولة أو مجبولة . فأمره فقام ودخل الى بيت آخر ورأى فارسا واقفا فى الهواء لا يمسكه شئ . فوقف ساعة ثم خرج وقال : قد عمل هذا الفارس من الحديد والبيت الذى هو فيه مبنى من حجارة المغناطيس . ولا تخفى خاصيتها فى جذب الحديد . وهذا من صنعة الهنود، وإن لهم لعجائب . ومن وقف على كتبهم ارتاح قلبه وانشرح صدره . فسأله الملك عن دين الهنود وما يذهبون[1] اليه فى أمر المعبود . فقال : إنهم لا يعرفون سوى النار، وهم يرمون بأنفسهم فيها حتى يحترقوا . ويقولون : إذا التقت الناران حصلت طهارة الإنسان، يعنى إذا التقت هذه النار والنار المسماة بالأثير . وباطل ما يظنون، وهباء ما يعملون (ا). ثم قال لقيصر : وأنتم أيضا فلستم على بينة من أمركم، ولا على محجة بيضاء من دينكم . فإنكم عمدتم الى رجل فقير كان يأكل من كسب يده ويجتزئ[2] بالثوم والبصل فى مطعمه، وتسلطت عليه اليهود حتى قتلوه وصلبوه، وفى الكنيسة يبكى عليه أبوه — هكذا قال — فجعلتموه ابنا لله الأحد، المنزه عن الوالد والولد . ولعمرى إن العاقل ليضحك من مثل هذا . فما بالك أيها الملك ! ترغب عن الدين الجيومرثى، والطريق الطهمورثى — طريق من يقول : إن الله سبحانه واحد أحد ليس لأحد دونه ملتحد، وتصد عن قبلتهم التى هى أشرف الجواهر، وأعلى العناصر ؟ بل غرتكم كنوزكم وأموالكم، ونسيتم قول عيسى صلوات الله عليه حيث يقول : اجتزِ "بسوتام" من المأكول، ولا تتكلف فى الملبوس والمفروش (ب) . قال : فاستحسن قيصر كلامه ومدحه وأثنى عليه وخلع عليه خلعة تشتمل على تاج مرصع بالجواهر مقرونة بأنواع من زبد الذخائر الأخاير .

(٢٠٥)

عاد الحديث الى ذكر ما دبره قيصر فى أمر برويز . قال : ولما اجتمعت العساكر عند قيصر اختار مائة ألف فارس من الأبطال المذكورين والفرسان المشهورين ، وفرق عليهم الأموال والخيل والأسلحة . وكانت له بنت متحلية بالخلال الحميدة والخصال المرضية تسمى مريم (ج) فرتب لها جهازا مشتملا ، من الذهب والفضة والجوهر، على ما حسرت عنه الحوامل، وعجزت عن ضبطه الأنامل . فضلا عما سواها من الملابس الفاخرة والمفارش الرائعة . وأخرجوا أربع عماريات معمولة

(ا) اختصر المترجم حديث خراد عن دين الهند .

(ب) اختصر المترجم الكلام عن المسيحية والزردشتية .

(ج) لا يذكر مؤرخو أوربا هذا الزواج . ويرى نلدكه أن مكانة شيرويه بن برويز عند أبيه ترجح أن أمه من الأميرات . (وونز، ج ٨ ص ١٨٨) .

(١) صل : يدينون . والتصحيح من طا، طر، كو . (٢) صل : يده يجتزئ . والواو من طا، طر، كو .

من الذهب، على كل واحدة منهـا صليب مرصع بالجوهر، وأربعين عمارية أخر مخروطات من الأبنوس مكللات بالجواهر، ومعها ثلاثمائة وصيف بمناطق الذهب، على مراكب بعُدد الفضة، وأربعين خادما بيض الوجوه كالأقمار الطلّع . وأصحبهم أربعة من علماء الفلاسفة . وخلع على أمراء برويز . ثم استحضر أخاه نياطوس (أ) وسلم العسكر والبنت اليـه ، وأمره بالارتحال نحو برويز . فارتحل بذلك العسكر الرجراج سائرين كالبحر المتابع الأمواج، يخال معها الجبال سائرة، والبحار ثائرة، والأرض مائرة . فلمـا علم برويز بإقبالهم ركب وتلقاهم . فلمـا رأى نيـاطوس بادره وآعتنقه . ثم ثنى عنانه وقصد عمارية مريم . فلمـا قرب منها رفع دونها الحجاب فرآها كالشمس قد انكشف عنها السحاب . فخدمها وقبّل يد نفسه[1] . ثم عطف عنانه ورجع بهم إلى مخيمه فنزلوا. وخلا بها برويز ثلاثة أيام . وفى اليوم الرابع آستحضر نياطوس وسرِكس وكوتا ، وكان هذا الرجل يلقب بهزاره لكونه معدودا بألف فارس . فسألهم برويز عن مقدّمى العسكر فعدّوا سبعين نفسا من الأمراء الكبار تحت راية كل واحد منهم ألف فارس . فشكرهم برويز وأثنى عليهم ووعدهم ومنّاهم . وأقام إلى تمام الأسـبوع . ولمـا كان اليوم الثامن ركب فى رجاله الإيرانيين وتوجه نحو آذربيجان ، وسار إلى أن نزل فى أرض تعرف بأرض الحلفاء أو أرض المغـازل (ب) . فخيم هنـاك ، وآتصلت عساكر الروم بعد أسبوعين . ثم فوّض أمرهم إلى نياطوس، وألقى مقاليدهم اليه . وركب فى رجاله وسار على طريق خنجست[2] . فسـمع موسيل ملك الأرمن وبندويه خاله بإقبال راياته فركبا يستقبلانه . فلما تدانى ما بين المُقْبِل والمستقبل عرف كُستَهُم أخاه من بعيد فقال لبرويز : إن هذا خالك وعبدك . فقال هيهات هيهات ! إنه لا يكون الآن إلا مودعا فى بطون الصفائح وأطباق الضرائح . فلما قرب اذا هو به فترجل وقبـل الأرض فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم حكى له ما جرى عليه وعلى بهـرام بن سياوُش . ثم قال : أيها الملك ! أقبل على موسيل صاحب الأرمن . فإنه منذ خرج الملك من أرض إيران لم يبرح فى عساكره مخيما على الصحراء منتظرا وصـول الموكب الميمون ؛ ومعـه عساكر كثيرة وكنوز وافرة . فقال لموسـيل : سيثمر لك سعيك، ويعلو ذكر الملوك ذكرك . فقال له موسيل : أيها الشهريار ! إنى أريد أن تنوه بذكرى وترفع قدرى وتمكننى من تقبيل ركابك . فأخرج إحدى

(أ) فى الطبرى : ثياذوس . وفى فارس‌نامه : بنيادوس . وثيودسيوس (Theodosius) هو ابن الأمبراطور موريس . وكانت سنه إذ ذاك سبع سنين ، وقدتوجه أبوه من قبل . وكان قائد جيش الروم رجلا فارسيا اسمه نرسى (ورنر، ج ٨ ص ١٨٩) .

(ب) فى الطبرى : أنه نزل فى صحراء تدعى الداتق . وفى الشاه : صحراء دوك . أى صحراء المغزل .

(١) فى الشاه : قبل يدها . (٢) صل : خنجشت . والتصحيح من طا ، طر كو .

رجليه من الركاب فبادر موسيل وقبلها مرتعدة فرائصه مضطربا قلبه من هيبته . ثم أمره بالركوب فركب . وركض پرويز سائرا الى بيت نار آذربيجان الذى يسمى آذركشسب فترجل متواضعا ودخل اليه خاشعا صاغرا [٢] ، فحل المنطقة عن خصره ونثر جملة من الجواهر على النار . ثم جعل يبكى ويتضرع ويدعو الله تعالى ويسأله أن يرزقه الظفر على عدوه الخارج عليه . ولما فرغ من ذلك شدّ المنطقة وركب وتوجه نحو مخيمه بأرض الحلفاء ونزل فيها . وتناهت الأخبار الى بلاد نيم روز بخروج پرويز فأعدّوا واستعدّوا واجتمعوا واحتشدوا وأقبلوا اليه بخيولهم وفيولهم .

§ ذكر الواقعة التى جرت بين پرويز وبين جوبين

قال : ولما سمع جوبين بانتعاش پرويز ، وتجدّد أسباب سلطانه ، وإقباله فى أنصاره وأعوانه استحضر رجلا كان من خواصه ونصحائه يسمى داناستاه [٣] . واستدعى كاتبه وأمره فكتب الى كل واحد من أركان دولة پرويز ، مثل خاليه وسائر الأعيان الذين كانوا حواليه ، كتابا يستدرجه فيه ويخدعه فى مطاويه ، ويذكر أن عيانكم قد بذّ الخبر ، وعلمتم أن الشجرة الساسانية كشجرة السَخبَر ، فهم لا يعرفون لذى حق قدرا ، ولا يجزون المحسن الوافى إلا إساءة وغدرا . ولا يخفى ما عامل به قباذ سوفزاى بالأمس وكيف عجّله مع حسن بلائه الى الرمس . فلا تأمنوا من پرويز ضيره ، ولا ترجوا خيره . فإن شجرة الصفصاف لا تكون مثمرة للجوهر الشفاف . فاذا وقفتم على كتابى هذا فاعلموا

---

§ لما ظفر پرويز بنجدة الروم سار فى ربيع سنة ٥٩١ فباغت أحد قوّاد بهرام وأسره ثم عبر دجلة وسار الى الجنوب حتى اتصل بالأمداد الآتية من آذر بيجان مع خاليه وغيرهما ، على حين سارت فرقة من الجيش الرومانى فاستولت على المدائن . ثم كانت وقعة عند الزاب الأصغر اخترق فيها الروم قلب جيش بهرام فأسند فى جبال زجرُس وكرّ على متعقبيه فردّهم خاسرين . ولكنه سار فى الليل الى جبال كردستان وعسكر قرب شيز ، وجاءته أمداد . ثم كانت الموقعة الثانية ، على خلاف رأى نرسى قائد الروم ، وكاد بهرام يخترق قلب الجيش لولا إنجاد نرسى . وكأن هذا ما تعبر عنه الشاه وغيرها بمطاردة بهرام پرويز ونجاة پرويز بالملك سُروش أو غيره . ثم اخترق قلب جيش بهرام فتقهقر ليحمى طريقه الى الرى وشرقى إيران ولكن أنصار پرويز أتبعوه وحاربوه فهزموه فسار مشرقا حيث سار دارا الثالث فارا من الاسكندر . ثم التجأ الى خاقان الترك [٤] .

---

(١) طا ، طر ، كو : فبادرها . (٢) طا ، كو : ضارعا . (٣) فى الشاه دارا پناه .

(٤) سيكس ، ج ١ : پرويز ، ورنر ، ج ٨ ص ١٨٩

أن مكانكم عندى عامر، وأن سحاب عنايتى عليكم هامٍ هامر . فانحازوا إلىّ وأقدموا علىّ . فإنى أستظهر بكم، ولا أحفل بقيصر ورجاله، وسأستولى بوطأة القهر على تخته وتاجه .

ثم دفع الكتب الى داناستاه، وأمره أن يخرج فى زىّ التجار . وأصحبه أحمالا من مُلَح الطُرَف ونخب التُحَف، برسمهم لينفذها مع الكتب إليهم . فخرج الرجل[1] سائرا فى هيئة التجار إلى أن قدم آذَربيجان . فلما وصل إليها ورأى مخيم برويز، ورونق سلطانه، وعظم شانه، وكثرة أنصاره وأعوانه، وبسطة جاهه، ورفعة مكانه بدا له فقال[2] : مالى أهلك نفسى وأوثر جوبين على ملك مثل برويز ؟ فقلب ظهر المجنّ، وحمل الكتب مع هدية سنية إلى برويز، وخلا به ودفع إليه الكتب . فسر برويز بذلك فأكرم[3] الرجل وأحسن إليه، وأفاض سحاب أياديه عليه . وأحضر كاتبه وأمره أن يجيب عن تلك الكتب عن[4] لسان كل واحد من المكتوب إليهم، ويقول : إنا وقفنا على كتابك وخلونا برسولك وسمعنا كلامه . ونحن وإن كنا فى الظاهر مع برويز فإنا بالقلوب معك . ومعاذ الله أن ندعك ونختار عليك غيرك . ومهما وصلت إلى هذه البلاد ترَكْنا برويز وانحزنا إليك . وحينئذ نضع سيوفنا فى أعدائك الصُهْب السبال (أ) ونبدّد شملهم ببيض النصول وزرق النصال . وحينئذ يهرب منك برويز لا محالة هرب الثعلب من الأسد الأغلب . ولما كتب الكتب سلمها إلى الرسول، ووعده ومنّاه وأعطاه حتى أرضاه، وأمره بأن يحمل الكتب إلى بهرام . فحملها وعاد على أعقابه إلى أن وصل إلى بابه . ولما وقف جوبين على تلك الكتب أجاب هوى النفس، وخالف مقتضى العقل، وعزم على ملاقاة برويز معتمدا على الكتب . وكثر عاذلوه وقل عاذروه على ترك دار الملك . فلم يسمع مقالة أحد وخرج فى عساكره من طَيسفون، وسار قاصدا قصد آذَربيجان إلى أن وصل إليها فخيم على القرب من مخيم برويز .

ثم إنه ركب فى عساكره لا على قصد اللقاء، ولكن ليقف على كمية عساكر برويز وأحوالهم . فركبت فرسان الروم واستأذنوا برويز فى قتاله فزحفوا كالبحر اللجىّ والليل الدجوجىّ . ولما رآهم جوبين سل سيفه وتقدّم وقال لأصحابه : اصطفوا على فضاء أرض الحلفاء، فإن نار الروم سريعة الانطفاء . ورتب يلان فى قلب عسكره، وأخذ، مثل الأسد الهصور، يطوف على صفوفه . وصعد برويز فى أصحابه الايرانيين تلّا . فلما رأى جوبين وعساكره ارتعدت فرائصه، واضطرب قلبه . فجعل

(أ) يريد الروم .

(١) صل : الرسل . والتصحيح من طا، اطر . (٢) طا، طر، كو : وقال . (٣) طر : وأكرم ؛

(٤) طا، طر، كو : على لسان .

يدعو الله تعالى ويسأله أن ينصره . فبينا هو كذلك إذ جاءه كوت الرومى مرتجزا برجوليتـه ، ومدلّا بشجاعته ، وقال : أيها الملك ! أرنى هذا العبد الذى هربت منه ، وانظر مبارزتى له . فعظم على برويز قوله : "هربت منه". فسكت . ثم قال له : عليك بصاحب الفرس الأبلق ، فإنه هو . ولا تلوعنانك عنه . فعاد وخرج من الصـف فى درعه الفضفاض يليح برمح كالحيـة النضناض . فلما رآه يلان قال لجوبين : كن على حذر من هذا الفيل القطم . فأقبل جوبين اليه بسيفه . فلما وضع الرومى الرمح[(١)] فى نحره لم ينفذ فيه[(٢)] . ورفع المجن على رأسه وضربه بسيفه ضربة نزلت من عاتقه الى صدره . فلما سمع برويز صليل صمصامة جوبين ضحك . وكان نياطوس أخو قيصر قريبا منه ، فأطرق واجما من ضحك برويز . ثم قال له : أيها الملك ! لايحسن الضحك فى مثل هذا المقام . أما علمت أن هزاره كان فارسا لم يعل مثـله ظهر فرس على وجه الأرض ؟ فقال برويز : إنى لم أضحك من قتـله ، ولكن ضحكت من قوله حين قال[(٣)] : "هربت من عبدك". والفرار من مثل هذا العبد ليس بعار . ثم أمر جوبين فشد المقتول على ظهر فرسه ، وطرد الى أن عاد الى أصحابه . فعظم ذلك على برويز وانكسرت قلوب الروم . ثم إن الفرسان من الجـانبين تشمروا للضراب والطعان فصافحت الصـفاح أشاجع الشجعان ، وقتـل خلق كثير من الروم . فقطع برويز رجاءه منهم ، وعلم أنه لا يجىء منهـم شىء . فقال لسركس : استريحوا أنتم غدا حتى أقاتلهم بأصحابى . ولـما أمسوا عادوا الى مضاربهم .

ولـما أصبحوا ركب برويز فى الايرانيين ، وصفّهم أمام جوبين ، فجعـل كُردويَه على الميمنة ، وجعـل موسيل صاحب الأرمن على الميسرة ، وأمر سابور وأنديان أن يتقدّما الصفوف للبارزة . ووقف كُستَهم محافظا للملك . فلما رأى جوبين أن عساكر الروم لم يتقدّموا للقاء ركب فيلا أبيض وتقـدّم[(٤)] حتى قرب من سابور ، وقال : أيها الفارس ! بغير هذا أتانى كتابك . فقال له سابور : أيها الشيطان ! أيش الكتاب ؟ وما هـذا الخطاب ؟ فضحك برويز ، ونادى جوبين ، وقال : قد غلطت فى ذلك الكتاب وسأخبرك بحديثه . فعلم جوبين بمـا تم عليه من الحيلة فالتهب كالنار ، وحمل على برويز . فأمر برويز فرشق فيـله بالسهام . فنزل وركب فرسا فرشقوه أيضا حتى ترجل . وركب فرسا وحمـل[(٥)] على صف برويز فمـزقه ، وعاد الى الميسرة فرأى أخاه كُردويَه فتعلق أحدهما بالآخر ، وأخذا يتضاربان ويتقاتلان زمانا . ثم قال له جوبين : من رأى أخا يقصد إراقة دم أخيـه ؟

(١) طا ، طر ، كو : رمحه . (٢) صل منه : والتصحيح من طا ، طر ، كو . (٣) كلمة «قال» من طا ، طر ، كو .
(٤) طا ، طر : فتقدّم . (٥) طا ، طر ، كو : فحمل .

فقال : يا عدو نفسه ! اسنت البائن أعلم . والبادئ أظلم (ا) فتركه جوبين وعاد الى صفه . فركض كُردويَه نحو الملك، ووجهه مسودّ من أثر المغفر، وغرته مبيضة من السرور والظفر . فذكر له ما جرى بينه وبين أخيه . فشكره برويز وأثنى عليه ودعا له .

ثم إنه قال لأصحابه : إنى لا أريد مقاتلة الروم فإنهم إن كسروا جوبين أو قتلوه شمخوا بآنافهم . وقد جربتهم وعرفت غناءهم . وما هم فى مأزق الحرب إلا مثل قطيع الغنم فى اليوم الشديد البرد . والأولى أن أبارز جوبين بنفسى ، والنصر بيد الله ، فاما مُلك وإما هُلك . فلم يستصوب ذلك كُستَهم وقال : أشفق على نفسك ، ولا تلق بيدك الى التهلكة . وإن كان ولا بد من المبارزة فالرأى أن تستصحب رجالا تستظهر بهم وتثق بمعاضدتهم فيقفون وراءك ويحفظونك . فأمره أن ينتخب له أربعة عشر نفسا من آساد الضراب والطعان وأعيان الشجعان . فكتب أسامى القوم وجعل نفسه أول الجريدة، وأحضرها بين يدى برويز . فاستحضرهم الملك واستحلفهم على أن يلازموه ولا يفارقوه فحلفوا له . فسلم العساكر الى إصبهبذ له يسمى بهرام، وساق فى أصحابه الأربعة عشر، وهم كُستَهم وبندويَه وأنديان وبالويَه وسابور وكُردويَه وثمانية آخرون من أعيان العسكر . فلما خرجوا وأصحروا أعلم جوبين باقبال جماعة من الفرسان فوثب(1) الى أعراف الأبلق مثل الفلق ازاكب أعجاز الفسق . فلما رآهم قال 
ليلان : هذا ابن الفاعلة قد خرج يريد المبارزة (ومعه أربعة عشر فارسا)(2) . ويكفيهم منا أربعة . فاستصحب يلان وآذركشسب وشجاعا آخر، وسلم عساكره الى أمير يسمى جان فروز(3) فتلق برويز . ولما رآه أصحابه تفرقوا عنه تفرق النقد من صولة الأسد فنكصوا على أعقابهم . ولم يبق مع برويز غير خاليه فأشارا بالإحجام عليه . فثنى عنانه، وتبعه جوبين . فالتفت وراءه فرأى جوبين أقرب الأربعة إليه وقد انفرد عن خاليه . فسنح له طريق فى الجبل فدخل بفرسه(4) فى الشعب خافق القلب منصدع الشعب، وجوبين فى أثره مع رفقائه كالسيل والليل، وإذا بالطريق ما له منفذ . فترجل وتوقل فى الجبل فتعذر عليه الصعود ولم يكن له سبيل الى النزول . فبقى متحيرا ، أمامه الجبل، ووراءه الأجل، وقد ضاقت به الحيل . فلما علم أنه لم يبق له معتصر ولا معتصم التجأ بصدق الجأ الى كاشف الضرّ ومجيب المضطر فإذا هو بفارس قد تراءى له فى الهواء على فرس أشهب فى ثياب خضر فأخذه(5) بيده ورفعه إليه بمرأى من

(ا) هذه العبارة من عند المترجم . وفى الشاه أن كردويه قال له : يا ذئب الغاب ! أما سمعت هذه الكلمة الحكيمة : من كان أخوه صديقه فطوبى له . فان صار عدوّا فخير له أن يهلك .

(1) صل، طا، طر : وثب . والتصحيح من كو . (2) ما بين القوسين من طا، طر . (3) صل : خان فروز، طا، طر : حاز فروز . والتصحيح من الشاه . (4) طا، طر : بفرسه الشعب . كو : الى ذلك الشعب .

(5) طا، طر : فأخذ بيده .

عدوّه ثم حطه الى السهل، على ما زعم صاحب الكتاب § فوقع البكاء على بر ويز متعجبا من صنع الله القوىّ العزيز . فقال للفارس : من أنت وما اسمك؟ فأخبره بأنه ملك من الملائكة، و بشره بأنه بعد نجاته من هذه،[1] يملك الأرض، ويتمادى ملكه إلى ثمان وثلاثين سنة — على مازعمه — وأوصاه ثم غاب عن عينه . فلما رأى جوبين ذلك قضى العجب وقال : قد كنت أقاتله حتى أعانتــه الشياطين . فالآن لا سبيل اليه ورجع .

وأما نياطوس وعساكر الروم فإنهم كانوا واقفين على الجبل . فلما رأوا ماتم على بر ويز قامت عليهم القيامة، ووقع فيهم الخوف والفزع ، وشملهم بفقده الهمّ والجزع . فخمشت مريم خدّها ، ونتفت شعرها، وهموا بالانسلال والانحلال . فلمـا عاد اليهم بر ويز عاد المأتم سورا، وآستحال الحزن سرورا فحكى لهم ما أنعم الله به عليــه، وأنه ما رأى أحد من الملوك من عهــد كيخسرو الى عهــد قُباذ ما كوشف به فى يومه ذلك . ثم أمر عساكره بالزحف الى صفوف العــدوّ . فتزاحفـوا وتداعت أركان الصفوف وتلاطمت أمواج الحتوف . وتقابل جوبين و بر ويز فرمى بر ويزّ بنشابة فعلقت بقزّ خَفتانه فانتزعها بعض غلمانه . فأقبل عليــه مشرعا لرمحه فطعنه طعنة انكسر فيهــا رمحه . فتضاربا بالعمد والسيوف حتى تشظت البيض على رءوسهما ، وتلطّت البيض من دمائهما . وظهــرت آثار غلبة بر ويز(أ) وكثر القتل فى أصحاب جوبين . وهجم الليــل فافترق الفريقان، وعادوا الى مضاربهم من الجانبين . وجاء بندويه بر ويز وقال : إن الناس فى هذه المعركة أكثر من عدد الرمل . والأولى أن نكف عنهم يد القتل ، وننادى فيهــم بالأمان حتى يأمنوا فيستأمنوا . فقال الملك : كل من آثر ترك قتالنا، وآعتصم بحبــل أماننا فهو آمن من عصفات سيفنا وسناننا . فركب بندويه فى الليــل،

§ فى الشاه أن بر ويز حين ضاق به الأمر لجأ الى الله وتضرّع اليــه فظهر له الملَك سُروش ، فى ملابس سندسـية راكبا فرسا أبيض، فأخذ بيــده ونجاه من هــذا المأزق . فسأله بر ويز باكيا : ما اسمك ؟ فقال سروش . وهدّأ روعه، و بشره بالملك وأوصاه بالتقوى . ثم اختفى .

وفى الأخبار الطوال : " فجمع كسرى نفسه فساعدته القوّة على تسنم الجبل . فلمـا نظر بهرام الى كسرى قد علا ذروة الجبل علم أنه قد نصر عليه فآنصرف خاسئا . وهبط كسرى من جانب آخر. وفى الطبرى : أن المجوس تزعم أنه " رفعه الى الجبل شىء لا يوقف عليه " .

(أ) فى الطبرى والغرر أن بر ويز اختطف رمح بهرام وما زال يضرب به على رأســه حتى تقصف فانهزم بهرام (طبرى ج ٢، ص ١٣٩ والغرر، ص ٦٦٩) .

(١) طا، طر، كو : نجاته هذه .

واستصحب مناديا، وسار الى أن قرب من مخيم جوبين فأمره فنادى وقال : من كان ذنبه أعظم وأفظع فليكن لعفونا أرجى وفى فضلنا أطمع . فإنا قد وهبنا المذنبين لله تعالى، وعفونا عنهم أجمعين . فلما سمع أصحاب جوبين ذلك النداء انحازوا بأسرهم الى معسكر برويز .

ولما طلع النهار لم يرجو بين معه غير خواصه (أ) فقال : الإحجام خير من الإقدام فى هذا المقام . فأوقر ثلاثة آلاف جمل من نخب الأموال وزبد الأثقال ، وولى ظهرا[1] لم يكن رئى فى حال من الأحوال ، وأخذ فى بعض عوادل الطرق . فلما علم برويز بذلك أمر نستور فركب فى ثلاثة آلاف فارس، وسار فى أثره . وكان جوبين يسوق مع يلان وايزدكشسب فى ناحية ممن معه من الفل . فانتهوا الى ضيعة وقد نال منهم العطش فرأوا عجوزا فاستسقوها . فسقتهم ماء، وقدمت إليهم غربالا مقطعا عليه أقراص شعير . فجلسوا عليها فأكلوها[2] . ثم طلبوا منها شرابا فجاءتهم بيقطينة فشرب منها جوبين حتى طابت نفسه . فقال للعجوز : ما الخبر عندكم اليوم؟ فقالت : قد استفاضت الأخبار بانهزام جوبين وغلبة برويز . فقال لها : هل كان جوبين فى قتال برويز مصيبا أم لا ؟ فضحكت[3] وقالت : كأن الشيطان خاط عينك . أما تعلم أن ابن كشسب اذا قاتل ابن هرمزد يضحك منه ويبكى عليه ؟ فقال جوبين : اختياره لذاك هو الذى أحوجه الى شرب الراح من اليقطين ، والقعود الى خوان الغربال على أقراص الشعير(ب) . فبات فى تلك الضيعة على تلك الهيئة .

ولما أصبح لحقه أصحابه وأعلم بأن برويز قد نفذ خلفه العسكر فركب فى أصحابه . وقد لحقه الطلب فى أرض قصباء فأمر برمى النار فيها فاشتعلت . ولما رأى نستور[4] بادره بنفسه ورماه بوهقه فاختطفه عن ظهر فرسه . فتضرع اليه نستور وطلب منه الأمان فقال : أنت أحقر من أن أمد يدى اليك لقتلك . فأطلقه وسار متوجها الى الرى عازما على قصد حضرة الخاقان (ج) .

وأما برويز فانه دخل الى معسكر بهرام جوبين فنزل فى مخيمه ، وأطلق يد النهب فى مخلفه شاكرا لله على نعمه . ثم استحضر الكاتب وأمره فكتب كتاب الفتح الى قيصر ذاكرا فيه جميع

(أ) فى الأخبار الطوال أنه بقى معه أربعة آلاف رجل .

(ب) فى الأخبار الطوال : « فمن أجل ذلك يشرب فى القرع ويتنقل فى المنسف » .

(ج) فى الأخبار : أنه سار الى قومس وحارب والى خراسان قارن النهاوندى وهزمه .

(١) طا، طر : كأن لم يكن . (٢) طا، طر، كو : وأكلوها . (٣) طا، طر، كو : فضحكت العجوز .

(٤) الشاه : نستوه .

ماجرى عليه فى تلك الوقعة ، ونفذ به بعض أصحابه . ولما[1] وصل المبشر الى قيصر نزل من تخته ، وكشف عن رأسه ، وحمد الله تعالى وشكره[2] على ما يسر له من النصر السنىّ والفتح الهنىّ . ثم كتب جواب الكتاب يعظه فيه وينصحه ويعرفه نعم الله عنده . وأخرج تاجا قيصريا وطوقا وقرطين ومائة وستين ثوبا منسوجا بالذهب ، وثلاثين حملا من الذهب والجوهر ، وصليبا مغرقا فى الياقوت والزبرجد ، وحقة مملوءة من حبات اللؤلؤ . واستحضر أربعة من الفلاسفة ونفذهم بتلك الهدايا الى برويز . فلما وصلوا اليه استحسن تلك الهدايا والتحف السنايا ثم قال لوزيره : إن هذه الثياب لم تنسج على منوال ديننا ، وإن لبس الثياب المصلّبة رسم النصارى وليس من آيين شرعنا . ولو لم ألبس لاستوحش قيصر وظن الظنون . وإن لبست قال الحاضرون : إنه تنصر واتبع ملة قيصر . فقال الوزير : أيها الملك[3] ! إن أمر الدين لا يتعلق بالملابس فانك على ملة زردُشت وإن كنت متصلا بقيصر . فلبس الملك خلع صهره ، وعلق التاج فوق رأسه ، وأذن للناس فدخلوا عليه . فلما رأوه فى ملابس الروم زعم الجهال منهم أنه قد صبأ من دينه . وأما العقلاء فقد علموا أنه اختار رضى قيصر فيما اجتاب . (٢٠٨)

قال : وفى اليوم الثانى استحضر نياطوس فمدّ السماط وحضر برويز فى الخلع القيصرية . ولما جلس على الطعام والشراب أعطاه خاله البرسَم فأخذه بيده وزمزم . فلما رأى نياطوس ذلك تنحى عن السماط وقال : كيف يجتمع البرسم والصليب؟ فإنه ليلحق المسيح من ذلك الظلمُ الصريح . فلما رأى بندوَيه ذلك لطم صاحب الصليب أو حامله بظهر يده . فغضب برويز واصفر وجهه . ولما رأى نياطوس ذلك وثب قائما وركب وعاد الى مخيمه فثارت أصحابه ولبسوا السلاح وركبوا وأقبلوا على سرادق برويز . فنفذ نياطوس إليه فارسا يسومه إنفاذ بندويه اليه ، ويوعده بأنه إن لم يفعل ذلك بلى منه بأشدّ مما بلى به من جوبين . فامتنع برويز من ذلك وكاد يثور من ذلك فتنة عظيمة . فقالت مريم له ، وكانت ذات رأى وعقل : سلم إلىّ بندويه فإنى أحمله الى نياطوس حتى يراه الناس فتخمد جمرتهم ، وتسكن فورتهم ، وأعود به الى حضرتك . فأجابها الى ما قالت ، ونفذ بندويه فى عشرة من غلمانه مع مريم إلى عمها ، وحملها رسالة له اليه . فركبت مريم . ولما دخلت على نياطوس ، ووقعت عينه على بندويه قام وتلقاه واعتنقه وأعزه وأكرمه ، وقال : إن ذلك خطب يسهل تلافيه ، وإن بساط السكر مطوىّ بما فيه . فخلع عليه وركب معه وعاد به الى حضرة برويز . ثم خلا بنياطوس واعتذر اليه وقال له فيما قال : إن هذا رجل لئيم بعيد عن الخير . وانه لم يرد بفعله ذلك غير الشر والضير . فاعمل أنت بمقتضى عقلك ، ولا تكدر علينا أمرنا ، ولا تقلع غرس الحسنى

(١) طا ، طر ، كو : فلما . (٢) طر : وأثنى عليه وشكره . (٣) طا ، طر : فقال الوزير : إن أمر الخ ؟

الذى غرسه قيصر بيننا . وأنا موغر الصدر على هذا الرجل بسبب قتله لوالدنا " . وجرت بينهما مفاوضات ومسارّات طويلة . ثم قام نياطوس وعاد الى مخيمه .

وأمر الملك خرّاذ بن برزين أن يحضر كاتب جيش الروم ، ويخلع منهم على كل من يستحق الخلع السلطانية ففعل . وأعطى نياطوس من الجواهر الثمينة والخيل والأسلحة والملابس والمفارش ما ضاق عنه نطاق الإحصاء والحصر. وكتب له عهدا على جميع بلاد الروم التى أخذها[1] قباذ وكسرى وهرمزد منهم. ثم جهزه وركب فى عشرة من أصحابه قاصدا قصد بيت النار (أ) فلما رأى قبته من بعيد ترجل ومشى خاشعا صاغرا إلى أن دخل اليه فاعتكف فيه أسبوعين يطوف حول سقط الزند ويزمزم بقراءة الزند . ووفى بما نذره من تفريق الأموال على كل عاف ومعتر ، وذى مسكنة وفقر . ثم عاد إلى مخيمه .

وارتحل من آذر بيجان وسار إلى أنديو من أرض سورستان فتسنم فى دار السلطنة تخت جدّه أنوشروان معتصبا بتاج الكيان . ثم تفرغ لترتيب أسباب الإيرانيين بمشورة فعقد لكُستَهم على خراسان ، وكتب له منشورا بذلك . وعقد اسابور على دارا بجرد واصطخر . وعقد لكُردويَه على إقليم آخر . وخص كل واحد منهم بكرمة سنية ونعمة هنية . وأمر الجميع بأن يوردوا ويصدروا عن رأى خرّاد ابن برزين ، وفوّض اليه دواوين المملكة التى دونها أنوشروان . ثم إنه شمل بإنعامه أصحابه الذين كانوا معه فى الوقعة ، على اختلاف مراتبهم وتفاوت طبقاتهم ، وجاوز الحدّ فى أعطياتهم وصلاتهم . وأمر مناديا فنادى فى رعيته بالالتجاء إلى ظل عنايته ، واستمطار سحائب نعمته ، والترفه فى كنف رحمته ، والاستظهار على نوائب الزمان بقوّة سعادته .

[بكاء[2] الفردوس على ولده

إلام أؤمل فى العيش رفدا	وجاوزت خمسا وستين عدّا؟
تعلمنى الحادثات الرشَد	حزينا معنًّى بفقد الولد
وكانت نواى فولى الفتى	وخلفنى جسدا ميتا
أعجّل علىّ أحظى به	فإن أحظ لم آل فى عتبه :
لماذا تُولّى وتقسو علىّ	وكان الردى نوبتى يا بنى؟
لماذا تركت الرفيق الهرم	وكنت له آسيًا ، لم ترِم

(أ) كان دأب الساسانيين أن يفتتحوا حكمهم بزيارة بيت النار فى شيز .

(١) طر : كانت قد أخذها . (٢) أبيات نظمها الفردوسي في رثاء ابنه وحذفها المترجم فترجمتها وأثبتها هنا

ألاقيت أتراب عمـــر نضـير فوليت عـــنى تحثّ المسـير؟
مضى حين لم يُلف فى العيش نفعا ولم يعـــدُ بعد الثلاثين سبعا
وكان مـــدى دهره قاسيــا ففــاجأنى قاطعـا زاريــا
مضى، وثوى الحزن لى مسقما، وأفعم عيــنى وقلـــبى دما
هو اليـوم فى النـور أرفع شانا سيختار للأب فيـه مكـانا
تمـادى الزمان وطال الأمـــد وما عاد من ذى الرفاق أحد
تؤملـــنى عينــه راقبـا ويشــوى لطول النوى عاتبـا
ثلاثين عاش وسـبع سنين وخمس وسـتون عمرى الحزين
وما سال ، حين مضى وحده، عن الشيخ ما خطبه بعـــده
وبطّأت حين طـــواه الأجل لأنظـــر ما ذا يردّ الأمـــل
أضـاء لك الروح رب العبـاد وحصّـــنها بالهـــدى والرشاد
سألت لك العـادل المفضلا وخالقنـا الرازق المسـبلا
ليمحـو بالفضـــل كل الأثام ويمـــلأ نورا عليك الظلام]

§ ذكر اتصال جوبين بالخاقان وما جرى[1] فى بلاده إلى آخر أمره

قال : وسار جوبين من الرى قاصـدا قصد الخاقان(ا) . ولمـا قرب منـه أمر فتلقاه عشرة آلاف نفس من أعيان التورانيـين ، وأدخلوه إلى بلادهم بأتم إعظام وأوفر إكرام . ولمـا مثل بين

§ تتضمن هذه القصة العنوانات الآتية فى الشاهنامه :

(١) قصة بهرام وخاقان الصين . (٢) قتـل بهرام مقاتوره . (٣) قتل السبع بنت الخاقان . (٤) قتل بهرام الأسد القردى . (٥) اطلاع خسرو على حال بهرام عند الخاقان، وكتابته الى الخاقان . (٦) تعبئـة خاقان الصـين الجيش . (٧) إرسال خسرو خرّاد بن برزين الى الخاقان واحتياله لقتل بهرام چوبينه . (٨) إرسال خراد بن برزين قلون الى بهرام . (٩) قتل قلون بهرام . (١٠) اطلاع خاقان الصين على قتـل بهرام ، وتخريبه بيت قلون وقتل أولاده، وإثابة خسرو پرويز — خرّاد . (١١) كتابة الخاقان الى كُرديه أخت بهـرام ، وجوابهـا . (١٢) تشاور كرديه وأبطالهـا، والفرار من مرو . (١٣) إرسال الخاقان طُورُك فى أثر كُرديه، وقتل كرديه إياه .

(ا) فى الغرر : أنه خاقان ابن برموذه . (١) طا، طر، كو : جرى عليه .

يدى تخت الخاقان قام اليه واعتنقه وقبل وجهه وأجلسه على تخته معه . فقال له جوبين : أيها الملك ! إنى دخلت عليك معتصرا اليك ومعتصما بحبلك . فإن كنت تقبلنى فأعلمنى حتى ألازم حضرتك، وأتدرع ملابس عبوديتك . وإن لم تقبلنى تجاوزت بلادك ودخلت إلى بلاد الهند . فقال الخاقان : معاذ الله أن أحوجك إلى ذلك ! وحلف بالأيمان المغلظة أنه ما عاش يواسيه، ويسعى فى[(1)] تحصيل مطالبه وتنجيز أمانيه، ويكون له معاضدا ومساعدا فى جميع ما يريده ويبغيه . فأمر فزينوا له إيوانين ورتبوا له فيهما جميع ما يحتاج اليه من الذهبيات والفضيات والخيل والأسلحة والجوارى والغلمان . واعتنى بأمره وشغف به فكان لا يصبر عنه ساعة ولا يفارقه لحظة .

قال : وكان فى خدمة الخاقان رجل شجاع يسمى مغاتوره (أ) لم يكن له فى جميع عساكره فى الشجاعة ثان، ولا له عن الاستيلاء على قصب السبق فى مضمار الرجولية ثان . وكان من عادته أن يدخل كل صبيحة على الخاقان فيخدم ويقف، ويقدَّم إليه من الخزانة ألف دينار . وكان بهرام يرى ذلك ويتعجب منه الى أن مضى على ذلك زمان . فضحك ذات يوم وقال للخاقان : ما بال هذا التركى يدخل كل يوم ويأخذ ألف دينار؟ أيأخذ ذلك أيها الملك ! كما تؤخذ الأرزاق والعشرينيات(ب) أم هو جار مجرى الصلات والهبات؟ فقال : إن هذا رسمنا فيمن كان من أصحابنا أشجع، وفى مستنقع الموت أثبت . وهذا الرجل إن لم نعامله بما ترى كل يوم لم نأمن شره ومعرته . فقال : أنت سلطت هذا العبد على نفسك حتى طمع كذلك فيك . فما رأيك فى أن أخلصك منه؟ فقال : إن فعلت ذلك فقد أرحتنى . فقال : غدا اذا دخل عليك فلا ترفع به رأسا، ولا ترد له جوابا . قال : فلما أصبح الخاقان ودخل عليه الناس حضر مغاتوره، وخدم . فلم يلتفت اليه الخاقان، ولم يبال به . فامتعض والتهب، وقال : أيها الملك ! مالى أرى اليوم ذلك القرب قد صار ازورارا، وطويل الكلام اختصارا (ج) . ولست أشك أن هذا الفارسى الذى اتصل بك فى ثلاثين فارسا يريد أن يبدد شمل جنودك، ويفسد عليك قلوب رجالك . فقال له جوبين : خفض عليك أيها الفارس المقدام !

(أ) فى الشاه : مقاتوره . وفى الأخبار الطوال : أنه أخو الخاقان وأن اسمه بغاوير . وفى الطبرى : الفارسى أن اسمه بيغو . (أخبار، ص ٩٥، ورزن، ج ٨ ص ١٩٠) .

(ب) العشرينيات ترجمة بيستكانى . ويراد بها الوظيفة . وفى فرهنك شعورى أن الفرس كانوا يعطون الوظائف لعمالهم كل عشرين يوما . فسميت الوظيفة عشرينية .

(ج) هذا من قول المتنبى لسيف الدولة .

أرى ذلك القرب صار ازورارا وصار طويل السلام اختصارا

(١) طر : الى تحصيل .

فان الأمر لو كان بيدى لم أتركك تدخل كل يوم وتنهب خزانة الملك. فإنك وإن[(1)] كنت فى قوة ثلاثمائة فارس فلا يساوى شغلك أن تكلف الملك كل يوم بحمل ذهب . فتنمر التركى وانتزع نشابة من تركشه، وقال : إن هذه ترجمانى . وغدا تعرف فى "الناورد" قدرى وشانى . وخرج مغضبا. ولما أصبح التركى من الغد لبس خفتانه، واستل صمصامه، وحضر الميدان . ولما علم جوبين بذلك لبس سلاحه وخرج . وركب الخاقان . فاختارا موضعا للبارزة والمقاتلة فصارا اليه . ولما تقابلا قال التركى : بماذا نفتتح فى قتالنا ؟ فألقى قرنه اليه زمام الاختيار . فأخذ القوس ورشقه بالنبال . فلم يتأثر بهرام[(2)] بشىء من ذلك غير أنه أظهر له أنه أثخنه بالجراح . فظن التركى أنه قد تلف أو كاد نثنى عنانه . فناداه جوبين وقال : لم تفرغ منى بعد فلا تعاود الخركاه . وانتزع نشابة وألقمها الوتر، وسددها نحوه . فلم يحس التركى إلا بها خائضة جوفه صارمة عمره . وكان التركى لما ركب للبارزة شدّ رجله على فرسه . فبقى كذلك على سرجه ميتا . فركض جوبين وجاء الخاقان وأعلمه بذلك فسر فى الباطن بذلك . وعاد إلى إيوانه وقد خلص من مقاساته . وأعدّ لبهرام خلعة سنية مع تحف ونُتف، وبعثها اليه .

قال : وكان إذ ذاك فى جبال الصين ثعبان عظيم — أطال صاحب الكتاب نفسه فى وصفه — (أ) وكان الناس منه فى تعب وعناء وشدّة وبلاء . وكان للخاقان بنت من الخاتون فى غاية الحسن والجمال . وكان أبوها يرى الدنيا بعينها . فاتفق أنها خرجت ذات يوم مع الخاقان الى بعض المروج . فركب هو للصيد، وبقيت هى فى ذلك المرج . فنزل الثعبان من الجبل وابتلعها . فلما سمع الخاقان بذلك اسودّ[(3)] وجهه جزعا، وكاد أن يهلك أسفا . ثم إنه لما فعل جوبين ما فعل من قتل مغاتوره التركى سألته الخاتون أن ينتقم لها من ذلك الثعبان ويقتله . فتلقى جوبين أمرها بالسمع والطاعة . ولما أصبح من الغد ركب ولبس سلاحه وجاء الى ذلك الجبل فانفرد عن أصحابه وسار حتى قرب من الثعبان . وكان يدعى السبع الكبّى (ب) . وكان إذا ابتل بالماء لم يؤثر فيه شىء . فلما رآه الثعبان خاض عينا هناك فخرج وتمرغ فى التراب . ثم زأر زأرة عظيمة وضرب بيده على الحجارة فقدحت نارا . فمسح جوبين معاطف قوسه ورشقه حتى أثخنه بسبع نشابات وضعهن فى مقاتله . ثم طعنه طعنة جائفة ثم استل سيفه ووسطه به، وتركه ونزل من الجبل . ولما رآه الناس قد عاد منصورا

(أ) فى الشاه : أنه حيوان أكبر من الفرس له ذؤابتان على رأسه كالرسن . أصفر الجسد ، أسود الأذن والفم ، له مخالب كبراثن الأسد ، يجاوز صوته عنان السماء . وفى الطبرى الفارسى أن دبّا اختطف البنت فخلصها بهرام (ورنر، ج٨ ص ١٩٠) .

(ب) معناه : السبع القردى .

(١) طر : ولو . (٢) طا ، طر : به بهرام . (٣) طا ، طر : سوّد .

كادوا يطيرون فرحا وسرورا . فجاءت الخاتون وقبلت يده ، وحضر الخاقان واعتنقه ثم عاد به الى إيوانه . وكان بعد ذلك يسميه الشهريار . ثم أنفذ اليه أموالا كثيرة، وزوّجه بنتا له . فارتفع بذلك شأنه وطاول الكيوان إيوانه . فبقى فى تلك البلاد عالى اللواء، راكبا صهوة العلياء، مرموقا من ملوك الترك بعين الإجلال، مبسوطا عليه من الخاقان ظل الإنعام والإفضال، لا يشتغل إلا بالعيش والطرب والصيد والطرد، على رسم الملوك وآيين السلاطين .

ولما تناهت الأخبار الى برويز بجلالة قدره عند الخاقان عظم ذلك عليه ، وتخوف صرف الزمان . فأرسل الى الخاقان رسولا ، ونفذ اليه كتابا حمد الله تعالى فيه وأثنى عليه ثم قال له[1] : جوبين كان لنا عبدا خامل الذكر فنوه به أبونا هرمزد ثم خرج علينا وجرى ما جرى . ولما طردناه من عندنا لم يتجاسر أحد على قبوله سواك فأخذت بيده، وجذبت من ضبعه . وأنا لا أرضى بذلك فإما أن تنفذه الىّ مكبلا مقيدا وإما أن تتشمر لقتال يبكى فيه الحديد دما ، ولا تورثك عاقبتها إلا حسرة وندما . فلما وصل اليه الرسول ووقف على الكتاب أجاب عنه وقال : قد وقفت على كتابك . وغير لائق ببيتك القديم وأصلك الكريم أن تخاطبنى بمثل هذا الخطاب، وألا تعرف الرءوس من الأذناب وأنا الذى تملك رقاب ملوك توران، وملوك الهياطله قاطبة . وقد مسحت بيدى يد بهرام، ولست ممن يخفر الذمام . فلا تسُمْنى ذلك فمالى سوى الله ناه ولا آمر . ولو فعلته لم أكن ذا أصل طاهر . وما أحوجك الى مزيد عقل تورد عنه وتصدر ! والسلام . فعاد الرسول بجوابه هذا إلى حضرة برويز فى شهر واحد .

ولما وقف على كتابه استشعر الخوف، واستحضر أصحابه، وعرض عليهم كتاب الخاقان ، وفاوضهم فى الأمر . فقالوا : أيها الملك ! لاتستصغرن هذا الأمر، ولا تغطّ بالرماد الجمر، وأرسل إلى الخاقان رجلا ألمعيا لا ترى فى رأيه خللا، ولا فى لسانه عيّا حتى يدخل عليه من باب المداراة واللطف، ويتباعد معه عن الخشونة والعنف، فيفهمه بطريق العقل الرزين والرأى الرصين أوليّة بهرام، وقماءة قدره على الجملة والتفصيل . فيقيم عنده شهرا، وإن احتاج حَوْلا حتى يبرم الأمر، ويخمد هذا الجمر .

قال : وعلم بهرام بمراسلة برويز للخاقان فقام ودخل عليه وقال : أيها الملك ! بلغنى أن ذاك الخبيث الجاهل يواصلك بمكاتباته . جهز العساكر حتى آخذ لك بلاد الفرس وممالك الروم، وأقطع رأس هذا الخبيث . فأنا[2] إذا شدّدت بين يديك نطاق العبودية استأصلت جرثومة الساسانية . فدخل

---

(١) طا ، طر : قال إن جوبين . كو : إن بهرام .
(٢) طا ، طر : وأنا ، كو : فانى .

رأس الخاقان من كلامه خُنزُوانة فاستحضر أصحاب رأيه ومشايخ دولته، وفاوضهم فيما ذكره بهرام. فقالوا : أيها الملك ! إن قلع الساسانيــة أمر صعب ولكنه سيتيسر بسعادتك . وبهرام إذا دخـل الى تلك البلاد انحاز اليه أكثر الإيرانيين لمحبتهم له وميلهم اليه . والرأى ما يرى بهرام . فليتبع فقـد سهل المرام . فوافق كلامهم هوى الخاقان فافتر ضاحكا، واستدعى أميرين من أمرائه : أحدهما يسمى جنويه . والآخر زنكويه[1]، وكانا أكثر قواده أتباعا وأشياعا، وجعل[2] تحت راياتهما عساكر عظيمة وأمرهما باتباع بهرام والانقياد له فيما يورد و يصدر . وأشار على بهرام بالارتحال فشدّت الكوسات على أكتاف الأفيال، وارتحل بهرام متوجها نحو إيران بعساكر كالجبال فى كثرة الرمال .

(٢١٠)

قال : ولما أتى الخبر برويز بأن ذئب الفتنة قد أصحر من غيضته ثانيا استحضر خرّاد بن برزين (ا) وقال : أنت عالم إيران وخطيبهم المصقع وأريبهم الأروع . فانهض لكفاية هـذا الأمر فإن المحـذور قد وقع . ثم فتح أبواب خزائنـه وأخرج من الجواهر والمنـاطق والأطواق والأقراط وغيرها ما بهر خراذ . وأمره بأن يحملها إلى الخـاقان . فأخذ خراذ فى طريق بلاد الترك وسار وقطع جيحون فى مخاضة مجهوله كان يعرفها هو . فلما وصل إلى باب الخاقان أعلم بقدوم رسول صاحب إيران فأمر بإدخاله عليـه . فلما مثل بين يديه خدم واستأذنه فى الكلام فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : أيها الملك ! إن برويز قريبك وحميمك . فإن جدّه من قبل الأم هو الخاقان جدّك . فعليك أن تبّل رحمه وتصل قرابته . وجرى فى مضمار الكلام حتى راقه بألفاظه الموشعة وعباراته المنمقة . فمدحه الخاقان وأثنى عليـه وأقعده معه على تختـه . فعرض عند ذلك ما استصحبه من الهدايا والتحف . وحضر الخازن فتسلمها . وأمر الملك فأخلوا لخرّاذ بهوا بهيّا وقصرا عليّا، ورتبوا له جميع ما كان[3] يحتاج اليه من الملابس والمفارش . فبقى عند الخـاقان يلازم خدمته فى الايوان والميدان . فوجده ذات يوم خاليا فانتهز الفرصة وقال : أيها الملك ! اعلم أن جوبين رجل لئيم لا يعرف قـدر من ينعم عليه . وقد كان فى الأول متطاطئا فى أطمار الخمور لا يعرف اسمه أحد . فاعتنى بأمره هرمزد ونعشـه فرفعه من الثرى إلى الثريا . فعامله بمـا رأيت . وها هو يعامل ولده بمـا ترى وأنت و إن بلغت معه فى الشفقة والعناية الى أقصى الغاية نقض عهدك بالآخرة أنكاثا، وطلق الوفاء لك ثلاثا . وكان خرّاذ يستعمل الفكر فى الاحتيال لإهلاك جوبين . فحصل بينه و بين رجل كان متولى أستاذ دارية

(ا) هو رسول هرمزد إلى الخـاقان حينما أرسل بهرام لحربه . واسمه فى الأخبار الطوال : هرمزد جرابزين .

(١) طا، طر : والآخر يسمى زنكويه . (٢) طا، طر، كو : بجعل .

(٣) طر، كو : جميع ما يحتاج .

الخاتون صداقة فكان[1] يجتمع كل واحد منهما بصاحبه . فاتفق أن أستاذ الدار قال يوما لخراذ : لو حصلت علم الطب كما حصّلت علوم الكتابة لكنت آية بين الخلق . فقال خراذ : لست تعدنم فيّ ذلك أيضا . فانى قد صرفت طرفا من أوقاتى الى تحصيل ذلك العلم . ففرح أستاذ الدار بذلك، ودخل على الخاتون وقال : إن هاهنا طبيبا حاذقا . وكانت ابنتها مريضة . فأمرت بإحضاره فجاء أستاذ الدار وأدخل خرّاد فى زى طبيب على بنت الخاتون . وكانت بها حمى محرقة فعالجها حتى لبست فضفاض العافية بعد أسبوعين . فسرّت به الخاتون، وأحضرت له هدايا كثيرة . فلم يقبلها وقال : إذا سنحت لى حاجة عرضتها عليك .

قال : وسار بهرام الى مرو، وكاتب الخاقان بألا يترك أحدا يعبر جيحون حتى لا ينتهى الخبر بالحال الى برويز . فأمر الخاقان فنادى مناديه بألا يمكن أحد من عبور جيحون إلا بطابع ختمه . وأقام خرّاذ شهرين فى تلك البلاد . فاختدع شيخا طاعنا فى السنّ يسمى قلوا (أ) . وقال[2] له، بعد أن عاهده على أن يطيعه فيما يأمره به : إن لى اليك حاجة إن قضيتها لم يخل أمرك من حالتين : إما مُلك أو هُلك، أسلم اليك سكينا فتخفيه، تحت فروة تلبسها، فى كمك، وتسير الى مرو فتقصد باب بهرام فى يوم بهرام . وهو يوم من الأيام المسترقة (ب) . فإنه يتطير من هذا اليوم و يتشاءم به . ثم تقول : إنى جئت فى[3] رسالة من عند الخاتون . فانه يحضرك بين يديه ويسألك أن تؤدى الرسالة اليه . فتقول : أمرت أن أناجيك بها . فاذا قربت منه فاهتك بهذا السكين حجاب قلبه . واذا فعلت ذلك اشتغل[4] غلمانه وأصحابه بنهب خزائنه وأمواله فيمكنك أن تنجو . فاذا[5] خلصت فكأنك اشتريت بذلك الدنيا وأدّيت ثمنها ، وذلك أنى آخذ لك من برويز مدينة تكون فيها سلطانا نافذ الأمر عالى القدر . و إن تكن الأخرى وقتلت فقد طال مكثك فى الدنيا، وعالجت فيها العسرى . فخلاصك منها غنيمة . فأجابه الشيخ الى ذلك وقال : إنى قد شارفت المائة . ومن بلغها فقد بلغ الغاية . وقد جعلت نفسى فداءك فاحكم فيها بما ترى .

قال : فخرج خرّاذ ودخل على الخاتون، وقال : إن لى جماعة وراء جيحون . فإن حصّلت لى علامة الملك حتى أنفذ اليهم من أصحابى من يعلمهم بحالى عندكم قلدتنى منة عظيمة . فأخذت

(أ) اسمه فى الشاه : قلون .

(ب) بهرام اسم اليوم العشرين من كل شهر . والأيام المسترقة، وتسمى بالفارسية « پنجۀ دزديده » ، خمسة أيام النسىء التى تكمل السنة ولا تعدّ فى شهورها .

(١) طا، طر، كو : وكان .

(٢) طا : طر، كو : فقال .

(٣) طر : برسالة .

(٤) طر، كو : اشتغلت .

(٥) طا، طر، كو : فان .

طينة، ودخلت الى الملك وهو سكران فوضعتها على خاتمه فانطبعت، وخرجت بها ودفعتها الى خرّاد. فأخذها وخرج ودفعها الى الشيخ المذكور، وأمره بالمسير وانتهاز الفرصة فى اليوم المعلوم . فأخذها وسار لابسا فروة سوداء حتى أتى باب بهرام فى ذلك اليوم . وكان من خوفه من شؤمه قد خلا مع غلام له فى دار . فلما أتى الباب قال للبوّاب : إنى أنفذت من حضرة الخاتون الى بهرام برسالة . فأُعلم بهرام بذلك. ولما سمع باسم الخاتون خرج الى باب الدار فدنا منه الشيخ ليؤدّى الرسالة ويناجيه بها فضربه بالسكين فى جوفه . فأنّ أنة وقال : آه قد هلكت . خذوا هذا الرجل واستنطقوه حتى يخبركم بالذى أمره بهذا الفعل . فأخذوه وأحدقوا به يضربونه ويستخبرونه عن الذى أشار عليه بذلك فلا يزيدهم الشيخ الطالح إلا سكوتا . ولم يزالوا يضربونه كذلك الى نصف الليل حتى أثخنوه بالضرب، وكسروا يديه ورجليه، وتركوه مرميا فى صحن الدار (أ) . وعادوا نحو بهرام وهو غريق فى الدم مضرج به من الرأس الى القدم . وحضرت أخته ووضعت رأسه فى حجرها تذرى دمعها، وتنتف شعرها، وتلطم خدها، وتندبه وتقول : لهفى عليك أيها الضرغام ! لهفى عليك أيها الفارس المقدام! من ذا الذى زعزع طودك الشامخ؟ ومن هدّ ركنك الباذخ؟ كم[1] نصحتك وقلت : لا تحم حول الجفاء ، ولا تقلع دوحة الوفاء فإن الساسانية لو لم يبق منهم سوى بنت واحدة كانت هى المعتصبة بالتاج المتسنمة سرير العاج . لكنك لم تسمع مقالاتى النافعة ، ولم تكن مواعظى فيك ناجعة» . فقال : أيها الأخت الطاهرة ! إن الذى تحذرين قد وقع، فأقلى الجزع . واعلمى أن هذا كان مكتوبا علىّ فى الأزل فأية فائدة الآن فى هذا اللوم والعذل؟ إن الشيطان أضلنى كما أضل جمشيذ وكيكاوس من قبل ، وهيهات أن تعود على أفواقها النبل . فكفّى هذا المقال فقد حان لى[2] حين الارتحال .

(٢١١)

وقال ليلان : إنى قد سلمت اليك هذه العساكر فتولهم . وعليك بملازمة هذه الأخت الطاهرة فلا يفارقن أحدكما صاحبه . ولا تمكثوا فى هذه الأرض وتوجهوا نحو برويز، واستأمنوا اليه . على أنى ما أشك أن هذا الذى جرى علىّ من غوائل الإيرانيين ومكائدهم . ثم أوصى الى أخته وصايا كثيرة ثم وضع خدّه على خدّها وقضى نحبه . فعملوا له تابوتا مركبا من ألواح الفضة، وبطنوه بالقصب والحرير، ونوّموه فيه . وأفرغوا عليه الكافور حتى غمره .

(أ) فى الأخبار الطوال والطبرى والغرر أن الخاتون هى التى أمرت بقتل بهرام، وفى الطبرى والأخبار أنه قتل ببلاد الترك .

(١) طا، طر، كو : كم قد نصحتك . (٢) طا، طر، كو : حان حين .

قلت : وقال غير صاحب الكتاب أن خرّاد خدع الخاتون بجوهر نفيس دفعه اليها فدست الى بهرام من قتله ، كما ذكر .

قال : ولما انتهى الخبر الى الخاقان بذلك تفجرت محاجره بينابيع الدماء، وتحطمت أضالعه بتمطى الزفرة الصعداء ، وأظلم فى عينه النهار الشامس حتى كأنما كرّت عليه الحنادس . فاستحضر أركان دولته وأعيان حضرته، وفاوضهم فيما جرى على بهرام . ولم يزالوا يبحثون وينقبون حتى وقفوا على الأمر . فأحضر ابنين لذلك الشيخ فأحرقهما . وأمر بجزّت الخاتون بقرونها ، وانتهبت خزائنها ودورها . وفرّق جماعة فى طلب خرّاد، وكان قد هرب، فما عثروا عليه . ثم قعد فى عزاء بهرام، وأمر جميع مماليكه وأصحابه فلبسوا ثياب السواد، وتسلّبوا على ذلك البهلوان الجواد .

ثم إنه بعد ذلك أرسل رسولا الى مخيم بهرام إلى أخته وأصحابه ليعزيهم عن بهرام ، ويذكر أنه معهم على العهد الذى كان بذله[1] لبهرام، وأنه سيبلغ فى الاعتناء بهم الى أقصى الغاية ومنتهاها . وكتب اليها كتابا يقول فيه : إنى تفكرت أيتها المرأة الطاهرة ! فى أمرك ظاهرا و باطنا واذا أنت لا يصلح لك غيرى بعلا وصاحبا . فاجمعى أصحابك ورجالك ، وشاوريهم فى ذلك ثم أعلمينى بما يخطر ببالك . ونفذ الرسول بهذا الكتاب . فلما وصل الى مرو احتفل له أكابر إيران الذين كانوا مع بهرام . فعزاهم الرسول عن لسان الخاقان ثم دفع ذلك الكتاب الى أخت بهرام فى السرّ ، وأدّى اليها رسالة حمله إياها فى معنى الخطبة . ثم إنها لما وقفت على الكتاب أجابت عنه بكتاب تدعو فيه للخاقان وتشكره وتقول فيه : إنى بعدُ فى المأتم، وليس هذا الوقت وقت هذا الكلام . وإن شرعت فيه عابنى الناس بقلة الحياء . ولعل ذلك لا يقترن من الخاقان أيضا بالارتضاء . واذا انتهى العزاء بعد أربعة أشهر أنفذ الى خدمة الملك رسولا ، وأطالعه بما فى نفسى جملة وتفصيلا . ثم لا أحيد عن أمره ولا أخرج عن حكمه. وخلعت على الرسول وردّته الى الخاقان . فخلت[2] بأصحابها ورجالها وأطلعتهم على ما طالعها به الخاقان . وقالت : إنه لاعار علىّ فى الاتصال بمثل هذا الملك ، ولكنى أعلم أنه لا يتولد من مصاهرتنا للترك غير الشر والهُلك . واستشهدت بقصة سياوخش وما جرى عليه فى تلك البلاد . ثم قالت : والرأى أن نستعدّ ونعود الى إيران . وقد كتبت الى أخى كُردويه فى هذا المعنى كتابا ليصلح بيننا وبين الملك برويز . وهو لا يخالفه فيما يقترح عليه لنا من الاعتناء بشأننا . فمدحها الحاضرون وأثنوا عليها بالعقل الكامل والرأى الصائب ، وقالوا : نحن عبيدك المطيعون لأوامرك ، المذعنون لحكمك . وأنت أعلم فافعلى ما رأيت . فلما سمعت ذلك أمرت

---

(١) صل : كان له . والتصحيح من ظا ، طر : كو .   (٢) طر : قال فخلت .

بوضع ديوان العرض فأعطتهم الأرزاق، وأجزلت لهم الصلات . ثم انتخبت منهم ألفا ومائة وستين فارسا كل واحد منهم عند الحاجة يقابل بعشرة . ثم قالت لهم : نحن قوم غرباء فى بلاد توران ما لنا معتصم ولا معتصر . ولا طاقة لنا بتحمل المذلة والاستكانة فى دار الغير . وقد عزمت على المسير عند دخول الليل فاستعدوا لذلك ، فركب يلان، وايزدكشسب، ومهرآذر ، واستحضروا ثلاثة آلاف جمل وحملوا الأثقال . ولما جن الليل ركبت اللبؤة شاكية السلاح ، وانطلقت تحت سجف الظلام طردا وركضا لا تجم الخيل، وتواصل بالإسآد والتأويب السير .

فانتهى الخبر بذلك الى طُبرك[1] أخى الخاقان فقام ودخل على أخيه وأعلمه بالحال . فعظم عليه ذلك ، وأشار عليه بأن يستصحب عسكرا ويتبع الهاربين . واذا وصل اليهم دخل عليهم من باب المداراة؛فان قبلوا وعادوا الى الحضرة فهو المراد . وإن أبوا فضع فيهم السيف حتى تحصدهم حصدا . فركب طُبُرك فى ستة آلاف فارس، وتبعهم فوصل اليهم بعد أربعة أيام . فلما رأت المرأة ذلك لم تحفل بهم، وجعلت الأثقال خلف ظهرها، ولبست سلاح أخيها، وصفت صفوفها . ولما تقابل الجمعان تقدم طبرك وقرب منها، وكان لا يعرفها، فسأل عنها وقال : معى اليها رسالة، وأريد أن أبلغها اليها . فقالت : ها هى أنا بين يديك كاللبؤة الضارية . فتعجب منها ثم قال لها : إن الخاقان قد اختارك ليستظهر بك، ويتسلى عن أخيك بمكانك . وهو يقول : إن كان ما قلته غير موافق لرأيك فاحسبى أنى لم أتلفظ بذلك ، وأنا راجع عنه . وأما أنت فرواحك من ها هنا بعيد من الصواب . والأصلح لك ألا تفارقى هذه البلاد . فإن[2] لم تقبلى هذا فقد أمرنى أن أقيدك وأحملك اليه . فقالت له : تعال حتى نتنحى عن هذا المعترك لأجاوبك عن كلامك . فانتقلا الى ناحية فنحت المغفر عن وجهها، وقالت له : هل رأيت بهرام وعرفت رجوليته؟ فقال نعم . فقالت : اعلم أنى وإياه من أب واحد وأم واحدة . فلنتبارز أنا وأنت الآن . فان رأيتنى أهلا للزواج أطعت أمرك . فركلت فرسها وأشرعت رمحها، واتبعها ايزدكشسب . فطعنت طبرك فى خاصرته طعنة نفذت فيه ومات منها . فزحف يلان الى صفوفهم فمزقها كل ممزق ، وقتل منهم قوم وجرح قوم ، وانهزم الباقون فتبعوهم مقدار فرسخين فلم ينج منهم إلا قليل . ثم إنها ارتحلت بهم متوجهة نحو إيران الى أن وصلت الى آمل طبرستان . وخيمت بها وأراحت واستراحت . وكتبت الى أخيها وأعلمته باقبالها، وما جرى لها من قتال من تبعها من الترك . ثم قالت : ومعى جماعة من أكابر إيران . فكلم الملك فى حقهم حتى يعفو عنهم، ولا يعاتبهم فى شىء . وأنا منتظرة لجواب هذا الكتاب[3] . والسلام .

(٢١٢)

---

(١) هو فى الشاه : طُورك . وفى الطبرى : نطر . (٢) طا ، طر : وإن . (٣) طا ، طر : المكتوب .

§ وأما برويز فانه لما فرغ سره من جهة بهرام استدعى دستوره ذات يوم وقال : حتام أخفى سرى ولا أبوح به ؟ كيف أتهنأ بالعيش وقاتل أبى أراه يتردّد بين يدىّ؟ فجلس فى مجلس الشرب ولما انتشى أمر بخاله بندويه فقيدوه ثم أمر فقطعوا يديه ورجليه ومات فى الحال . وكتب كتابا الى خاله الآخر المسمى كُستَهم يقول فيه : اذا وقفت على هذا المثال فسارع الى الخدمة . فلما وصل اليه الرسول بادر الامتثال وأقبل الى الحضرة . فلما وصل الى جرجان بلغه ما فعل الملك بأخيه فعض على يديه، ومزق ثيابه، ووضع التراب على رأسه، وعلم أن الملك يريد أن يقتله أيضا بأبيه، كصنيعه بأخيه، فثنى عنانه وعاد الى ما زندران . وأخذ يشن الغارة على تلك النواحى ومن بها من نوّاب برويز(١) . ثم إنه سمع بنزول أخت بهرام فى أرض آمل فركب وسار اليها . فلما رآها ركض اليها،وعزاها عن أخيها، وشرح لها ما جرى على بندويه . وقال لها ولمن معها من الأمراء والأكابر: ماذا ترجون من هذا الغادر؟ اعلموا أنه متى تمكن منكم فعل بكم مثل ما فعل بخاله . فايا كم أن تغتروا به وتعودوا اليه . وما زال بهم حتى صرف أخت بهرام عن رأيها ذلك . وخطبها الى يلان نخاطبها يلان فى ذلك فرضيت . فتزوّج[١] بها كستهم فاشتدّ بها ظهره، وأفرخ روعه . واجتمعوا وصاروا يدا واحدة فعظم خطبهم على برويز . وكان كلما أنهض اليهم عسكرا كسروه ونهبوه، حتى أعجزوه . فالتجأ إلى الحيلة وخلا بكُردويه أخى بهرام وقال : إن كستهم قد تقوّى بأختك . وإنى أريد أن تكتب اليها كتابا فى السر وتسألها أن تحتال فى اغتياله على أنى مهما فعلت ذلك تزوجت بها ، ولم أتعرض لها ولمن معها . فقال كردويه : لا بدّ من مكتوب بخط الملك مشتمل على هذا المعنى حتى أنفذه اليها ، وأحرضها على قتل زوجها . فكتب له الملك خطه بذلك . فأخذه كردويه وجعله فى طىّ كتابه ،

§ هذا هو القسم الثالث من أقسام قصص خسرو برويز، كما تقدّم أوّل الباب . وفيه هذه العنوانات فى الشاه :

(١) قتل خسرو بندوىَ بثأر أبيه هُرمُزد . (٢) كُستَهم يعصى خسروَ برويز، ويتزوّج كُرديه . (٣) كرديه تقتل كستهم باغراء خسرو وكُردوىَ . (٤) رسالة كرديه الى خسرو وخطبة خسرو إياها . (٥) كرديه تبين عن فروسيتها فى حضرة خسرو. (٦) سبب خراب مدينة الرى . (٧) تقسيم خسرو مملكته و بعثه الجيوش الى حدود إيران .

(١) انظر فى الاخبار الطوال تفصيل قتل بندويه وثورة بسطام وعاقبة أمره . وفى ورنر (ج ٨ ص ١٩١) أن بندويه قتل سنة ٥٩١ م . وأن ثورة بسطام أعقبت ذلك واستمرت حتى قتل سنة ٥٩٥ م .

(١) طا، طر، كو : وتزوّج .

وأعطاه لأخت له (ا) ونفذها اليه لتخدعها . فسارت وهى تظهر أنها تروح اليها لتعزيها عن بهرام وتجدّد عهدها بها .

فلما وصلت اليها فاتحتها بحديث بهرام وحادثته و بكت ساعة . ثم إنها خلت بها وأعطتها كتاب أخيها . فلما قرأته وقرأت كتاب الملك[1] انخدعت وأخذت فى التدبر والتفكر . فأطلعت خمسة أنفس من أصحابها على ذلك السر . ثم إنها صادفت كستهم ليلة سكران فقتلته خنقا . ولما أصبح شاع الخبر وجاش الخلق فأظهرت كتاب الملك فسكنت فورتهم وخمدت جمرتهم .

ثم إنها كاتبت الملك بما جرى فأتاها الجواب يستقدمها و يستعجلها . فقدمت عليه فأعظم الملك مقدمها وأركب جميع الأكابر لاستقبالها . فلما رآها الملك دهش لما رأى من جمالها وكمالها فخطبها إلى أخيها وجرى بينهما عقد النكاح، على رسمهم وآيينهم . فخلع الملك على جميع أصحابها، وأكرمهم بالخدم الوافرة والهدايا الكثيرة . ثم بنى عليها وخلا بها أسبوعين .

ثم قال لها : أشتهى أن تريني كيف بارزت أخا الخاقان وكيف[2] كان جولانك معه فى المعترك . فقالت : ليحضرنى الملك فرسا وسلاحا . فأمر باحضار ذلك فى بستان له . وحضرت شيرين زوجة برويز كالشمس المشرقة[3]، ووراءها ألف ومائتان من الجوار الحسان كالكواكب الدرّية . فلبست الدرع، وشدّت عليها المنطقة، ووضعت على رأسها المغفر، وأخذت الرمح فاستأذنت الملك وسعت نحو فرس أدهم قرّب لها فوضعت زج الرمح فى الأرض وقفزت على ظهر الفرس ، وأخذت فى الجولان فى ذلك الميدان . وكان الملك قاعدا على تخت من الذهب ينظر اليها . فقالت له شيرين: أيها الملك ! كيف تأمنها وأنت قاتل أخيها، وهى فى السلاح وأنت قاعد هاهنا فى ثياب البذلة ؟ فضحك الملك وقال لها : لا تظنى بها فى محبتها لنا إلا الحسنى . قال: ثم قال لأخت بهرام إن فى حُجَرنا اثنى عشر ألف جارية . وقد[4] جعلتهنّ كلهنّ تحت أمرك وحكمك . فسجدت له وقبلت الأرض بين يديه ودعت له[5] .

وصار الملك فارغ البال من كل عدو وكاشح فتفرّغ للشرب والطرب واللهو واللعب . قال : فبينا هو يشرب يوما إذ دفع اليه الساقى قدحا فرأى عليه اسم جو بين فذكره ورمى بالقدح، وأخذ يلعنه و يلعن بلده . ثم أمر بتخريب الرى ودوسها بأخفاف الفيلة لأنها كانت مسقط رأس جو بين.

(ا) فى الشاهنامه أن المرسلة امرأة كردويه لا أخته . وكذلك فى الأخبار الطوال .

(١) صل : فلما قرأت كتاب الملك . والتصحيح من طا ، طر، كو . (٢) صل : فكيف . والتصحيح من طا ، طو .

(٣) طر : الطالعة . (٤) طا : جارية قد . (٥) صل : لها .

وجزم القول بذلك. فقال له الوزير : أيها الملك ! إن الرى مدينة كبيرة فيها خلق كثير . وكيف يحل لك أن تخربها وتبدد شمل ساكنيها؟ قال : فإنى أريد رجلا خبيثا حتى أوليه إياها الآن، وأجعله مرزبانها ليخربها بالشوم وفعله المذموم . فقال : ليذكر الملك صفات هذا الرجل حتى يطلب و يولى المكان . فقال : اطلبوا رجلا كثير الكلام، قد ولد على أنحس طالع، أشقر اللون، ضعيف البدن، أقنى الأنف، أصفر الوجه، قصير القامة، أحول العينين أزرقهما، كبير الأسنان، سيئ الفكر، دغل القلب، يجمع بين الجبن والكذب والدناءة والقبح . فتعجب الموابذة من استقصاء الملك الأوصاف الدالة على الشر والخبث . فأخذوا فى طلب رجل على هـذه الصفة الى أن عثروا على واحد . فجاءوا به الى حضرة الملك . فلما رآه ضحك من ذلك المنظر القبيح فقال له : أى شيء تحسن من خصال الشر ؟ فقال : إنى رجل فارغ الكيس من العقل، لا أعرف الراحة، ورأس مالى الكذب، وعادى سبيل الى الصدق . فأمر بجعلوه مرزبان الرى، وكتبوا له منشورا بذلك، وضموا اليه جماعة من الأجناد المتفرقة فسار اليها . ولما تمكن منها[1] أمر بقلع المآزيب من الدور والقصور، وقتل ما يوجد فيها من السنانير . وقال : من أعاد ميزابا الى داره أو وجدت قطة فى بيته فدمه حلال، وماله مباح . ثم إنه أغرى بكل من له شيء بجعل يصادرهم ويعاقبهم ويعصبهم عصب السلم حتى أتى على جميع أموالهم . فلما جاء الشتاء وتتابعت الأمطار خربت الدور، وكثرت الجرذان فى البيوت فخلت من الناس وجلوا عنها . وبقى يسير بهـذه السيرة الى أن خربت الرى . وكان الخلق بها يتظلمون فلا يرون مغيثا، ويصرخون ولا يجدون مجيبا . قال : ولما دخل فصل الربيع وزينت الأزاهير وجه الأرض، وتصندل الماء، وتمسك الهواء، وخرجت النظارة للفُرَج، وظفرت أسرى البيوت بالفَرَج، وعزم برويز على البروز الى الصحراء والنزول بين الخضرة والماء عمدت زوجته أخت بهرام الى سنور كبير لها فشنفته بأقراط، وزينته بأنواط، وأركبته فرسا، وأمرت بأن يعدى الفرس بين يدى برويز . فلما رآه قهقه ضاحكا فقال لها : سليني حاجتك . فقالت : حاجتى أن تهب لى السنور فلا تقتله (ا) وأن تصرف عن الرى عامل الشوم الذى قتل سنانيرها وقلع مآزيبها حتى خربت دورها وتداعت قصورها . فأمر الملك حينئذ باسترجاع مخرب الرباع من تلك البقاع . وخلص الناس من شؤمه ولله الحمد .

(ا) ليس فى الشاهنامه سؤالها أن يهب لها السنور فلا يقتله . بل أول سؤالها عزل عامل الرى . وسياق الكلام هنا لا يلائم سؤالها ألا يقتل السنور .

(١) طا ، طر : فيها .

قال : ولما استتبت أمور برويز وانتظمت أسباب سلطانه ، وأذعنت الملوك طوعا وكرها لأوامره وأحكامه، وأظلت على العالمين سحائب عدله و إحسانه اختار من الايرانيين ثمانيـة وأربعين[(١)] ألف فارس كلهم ممن مارسـوا الأمور وكابدوا تصاريف الدهر حتى صاروا أفراد الزمان ، وآساد الضراب والطعان . فقسم الأرض أربعة أقسام : فنفذ اثنى عشر ألف فارس منهم الى حدود بلاد الروم، ونفذ اثنى عشر ألفا الى بلاد زابل، واثنى عشر ألفا الى اللان وحدود الخزر، واثنى عشر ألفا الى خراسان وحدود بلاد الترك . وأوصى الكل بالتيقظ والتحفظ وحفظ الممالك وضبط المسالك . ثم فتح أبواب الخزائن، وأخرج كل درهم ودينار وجد من ضرب أبيه هُرمُزد فتصدّق بها على الفقراء والمحتاجين . ونقب عن كل من كان معاضـدا ومعاونا لخاليه على خلع هرمزد وقتـله فقتلهم حتى أهلك كل من أظهر بذلك شماتة وسرورا . ثم قسم ساعاته وأيامه وشهوره على مصالح الملك والدين ومناجح العالمين؛ فقسم شهوره أربعـة أقسام : قسم للميدان ومبارزة الأقران وما يتعلق بهـا ، وقسم للصيد والطرد ، وقسم للعب بالشطرنج والنرد وغيرهما ، وقسم لإحضار الرسـل والإجابة عما صحبهم من الكتب والرسائل ، ومن يرى إقطاعه والتوقيع لهم على المناشـير والعهود . وقسم ساعات ليـله ونهاره على أربعة أقسام[(٢)] أيضا : فقسم منها للحضور مع موبذ الموبذان والاستماع الى كلامه فى مصالح الملك وأحوال الأجناد وما يتعلق بذلك ، وقسم للإصـغاء الى الظلامات وقضاء الحاجات ، وقسم للعبادة والطاعة ، وقسم للنظر فى علم النجوم وغيره والاستماع لأصحابه . وفى هـذا القسم كان يجلس فى مجلس الأنس ، ويشـتغل باللهو واللعب والعيش والطرب ، وذلك نصف الليل . ثم جعل يدبر الأمور، ويسوس الجمهور على هذه الطريقة . وكان كل سنة يكتنز كنزا من آثار العدل والعمارة .

§ ولما أتت على ملكه ست سنين رزق من بنت قيصر ابنا كالقمر . وكان من عادتهم اذا ولد لهـم مولود حضر أبوه وناجاه فى أذنه بالاسم الذى يريد أن يسـميه به بحيث لا يطلع عليـه أحد ، ويسـميه باسم آخر على رءوس الملأ فيشـتهر به . فحضر برويز وناجى المولود باسم قُباذ، ودعاه بين

---

§ هنا يبدأ القسم الرابع من أقسام قصص خسرو پرويز، كما تقدّم أول الباب . وفيه العنوانات الآتية فى الشاه :

(١) ولادة شيرويه بن خسرو فى طالع نحس . (٢) رسالة خسرو الى قيصر وجواب قيصر وطلبه صليب المسيح . (٣) جواب خسرو پرويز الى قيصر .

---

(١) صل : ثمانية وثلاثين . والصواب ثمانية وأربعين ، كما فى الشاه . (٢) طا ، طر : على أربعة أيضا .

الناس شيرويه . قال : ولما مضى ثلاث ساعات من الليل حضر المنجمون عند الملك فسألهم عن طالع المولود . فقالوا : أيها الملك! إن الأرض تمتلئ من هذا المولود شرا، ولا يحمد أحد سيرته . وهو يمرق عن الدين ، ويخرج عن طاعة رب العالمين . ولسنا نزيدك على هذا شيئا . فعظم ذلك عليه، وخلا فى بيته مهموما محزونا، وحجب الناس أسبوعا . فلما طال الحجاب اجتمع الأمراء والقوّاد على موبذ الموبذان، وقالوا : ما للملك قد احتجب ليس يقعد للناس؟ فركب الموبذ واستأذن ودخل على الملك وأدّى اليه ما قالوا[١] . فقال برويز: إنى ضيق الصدر مما ذكر المنجمون فى طالع هذا المولود . ثم أمر خازنه فأحضر حريرة فيها رقعة فدفعها الى الموبذ . فلما قرأها ضاق صدره وسكت ساعة . ثم قال : كفى بالله معينا . وإن كان قد جرى القلم بشىء فلا مرد له، ولا يدفع الهمّ شيئا منه . فدعا له وسلّاه وطيّب قلبه حتى سرّى عنه وضحك . وخرج من بيت الأحزان وقعد فى الايوان، واستحضر الكاتب وأمره فكتب الى قيصر كتابا يذكر فيه أنا رزقنا يوم السبت من شهر كذا (١) ولدا مباركا لم ير مثله أحد يصلح للتاج والتخت . وقد فرحنا بمقدمه وأعلمناك لتشاركنا فى السرور به .

فلما وصل الكتاب الى قيصر و بشر بولادة شيرويه استبشر وأمر بضرب البشائر على بابه . فطنّت أرجاء أنطاكية بأصوات البوقات والنايات، وأغاريد المسمعين باسم شيرويه والمسمعات[٢] حتى مضى على ذلك أسبوع . وفى اليوم الثامن أوقر مائة حمل من الدراهم، وخمسين من الدنانير، ومائتين من أنواع الثياب، وأحضر أربعين خوانا من العقيان بقوائم المرجان، وتماثيل عدّة معمولة أبدانها من الذهب وأحداقها من الجوهر، وحوضا معمولا من الذهب مرصعا[٣] بالجوهر . ونفذها كلها مع خراج الروم، وهو أربعة آلاف ألف دينار قيصرى، الى برويز. وأصحب الهدايا أربعين شخصا من أعيان الروم ، مقدّمهم[٤] رجل يسمى خانكى . ولما قربوا من برويز أمر سالارنيم روز المسمى فرّخ زاد باستقبالهم . فخرج وتلقاهم ودخل بهم الى حضرة الملك . فلما مثلوا بين يديه وضعوا جباههم على الأرض وخدموه، وتكلّم[٥] مقدّمهم ودعا ابرويز، ومدحه وهنّاه بالولد الذى رزقه . ثم قدّم تلك التحف الفاخرة والهدايا الرائعة فتسلمها الخازن . ودفع[٦] اليه كتاب قيصر فناوله الملك خرّادَ بن برزين

(١) لم أجد فى الشاه ذكر اليوم والشهر .

(١) طر : وأدّى اليه الرسالة وما قالوا . (٢) صل : المستمعات . والتصحيح من طا ، طر .

(٣) صل، طا ، طر : مرصع . (٤) طا، طر : يقدمهم . (٥) طا ، طر، كو : ثم تكلم

(٦) طا ، طر: ثم دفع .

فقرأه على رءوس الاشهاد . وكان مشحونا بدعاء[1] برويز، ووصف طهارة أصله، وكبر قدره، وقدم بيته، ومآثر آبائه، ومفاخر أسلافه . ثم قال فى آخر كتابه : ولنا الى الملك حاجة واحدة يسهل إنجاحها عليه . وهى أن ينفذ الينا صليب المسيح . فإن له فى خزانتكم مدّة . ونحن نرجو أن يمنّ الملك به علينا، ويرّده الينا . فانه اذا فعل ذلك فكأنه أنعم على جميع سكان بلاد الروم صغيرهم وكبيرهم . لأنهم قوم أصيبوا فى المسيح، وبخعوا به . وفى ذلك ما يقلّل[2] جزعهم، ويشفى غللهم . ومتى ما رددتم ذلك إلينا صح بين الناس أنكم أخرجتم العداوة من قلوبكم، وحصل الصفاء بينا و بينكم . (١) فلما وقف برويز على كتابه استبشر، وازداد سروره، ثم أثنى على مقدم الرسل وحمده وشكره . ثم أمر بإنزالهم و إدرار الأنزال عليهم . فأقام الرسول عنده شهرا . ثم كتب جواب الكتاب، وأجاب عن جميع فصوله بأبلغ إجلال وأتم إعظام . وأجاب عن استدعاء الصليب بأن قال : إنه لَيُضحك منا اذا تصدّينا لإنفاذ خشبة بالية من إيران الى أرض الروم . ونحن نخاف لو أظهرنا أمرها، ونحترز من أن يضع الناس فينا ألسنتهم فيوسعوا قِداحنا بريا، وجلودنا فريا، ويقولوا[3] : صبأ برويز عن ملته، وانتقل الى دين زوجته . ثم مهما سنحت لكم حاجة أخرى سواها فاعرضوها فهى لكم مبذولة، وأوامركم فيها مسموعة . ثم ختم الكتاب . وأمر فملئوا مائة وستين درجا أوكيسا بالجواهر الثمينة، وأوقروا ثلاثمائة جمل من طرائف الصين والهند ومصر وغيرها . وأفاض الخلع على الرسل وأجزل لهم الصلات والأعطيات، وردّهم بذلك كله الى قيصر .

قلت : وسبب حصول خشبة الصليب فى خزانة كسرى أنه نفذ بعض قوّاده فى واقعة الى بلاد الشام فدوّخها حتى انتهى الى أرض فلسطين، ووصل الى مدينة بيت المقدس فقبض على أسقفها ومن كان بها من القسيسين، وطالبهم بهذه الخشبة وألحّ عليهم حتى دلوه عليها، وكانوا وضعوها فى تابوت من الذهب، ودفنوه فى أرض فى بستان جعلوه مبقلة . فحفر عنها بيده وأخرجها و بعث بها الى كسرى . والله أعلم .

---

(١) هذه السفارة بين الروم والفرس كانت، كما تصف الشاه، بعد ست سنين من ملك برويز أى سنة ٥٩٦ م . والذى يعرفه التاريخ أن الصليب أخذ من بيت المقدس سنة ٦١٤ م . ثم استردّه هرقل بعد وفاة برويز سنة ٦٢٨ م كما يأتى .

(1) كو : بالدعاء لبرويز . (2) صل : مما يقلل . والتصحيح من طا ، طر، كو .

(3) صل : يقولون .

§ ذكر قصة شيرين مع كسرى برويز، وحكاية بهربذ المطرب (١)

قال صاحب الكتاب : كان برويز، فى مقتبل عمره وريعان شبابه فى حياة أبيه، لا يميل من نسائه وجواريه إلا الى شيرين . وكانت عنده بمثابة العين الباصرة، لا يثنى على غيرها خناصره. فلما ملك اشتغل عنها بسبب ما بلى به من وقائع بهرام جوبين. فلم تكن تخطر بباله لاشتغاله فى حاله . فلما انتهت تلك النوبة ، وتصرمت تلك النبوة ، وقتل بهرام ، وارتفعت العوائق والموانع، وتفرغ الملك، ودار على ما يريده الفلك استمر على إعراضه عنها واطّراحه لها . فجعلت تبكى وتجزع ، وعلى بعاده تتوجع . فاتفق أنه عزم على الخروج للصيد . وكان من عادته اذا ركب للصيد أن يقاد له ثلاثمائة جنيبة بعدة الذهب، ويسعى بين يديه ألف وستة وستون راجلا بأيديهم المزاريق، وألف وأربعون بأيديهم السيوف والعصى، ويخرج معه سبعمائة من "البازدارية"، وثلاثمائة من الفهّادين، وسبعون أسدا ونمرا معلمة ، مجللة بالديباج، مشدودة الأفواه بسلاسل الذهب، ويستصحب ألف عوّاد على رءوسهم أكاليل الذهب ، ومائتى غلام على يد كل واحد منهم مجمر يوقد فيه العود والعنبر

§ يختلف الرواة فى شيرين أهى فارسية أم أرمنية أم رومية؛ الشاهنامه تجعلها فارسية، ويقول صاحب تاريخ كزيده[١] أنها بنت ملك الأرمن . عشقها پرويز حين فر من أبيه هرمزد، كما تقدّم. وبعض الرواة يظنها رومية ، ومن هؤلاء من يقول أنها بنت قيصر التى تذكر فى الشاهنامه باسم مريم، وأن شيرين محرّفة عن "إيرينى" أو "سيرا"[٢] .

وفى ميرخوند أن شيرين كانت فى خدمة أحد أشراف الفرس، وكان خسرو پرويز فى صباه ينتاب دار هذا الشريف فأحب شيرين وأعطاها خاتما . فلما علم رب الدار أمر أحد خدّامه أن يغرقها ولكنها نجت ولجأت الى دير . ولما تولى پرويز أرسلت اليه الخاتم فذكرها وأخذها الى قصره[٣] .

وقصة شيرين وخسرو معروفة يرى القارئ بعض حادثاتها فى الشاه . ولشيرين قصة أخرى مع عاشق اسمه فرهاد؛ زعموا أنه أحبها فلما سمع پرويز بذلك كلفه أن يشق طريقا فى جبل بيستون من جبال كردستان، ووعده أن يهبه شيرين حين يتم عمله . فلما شق فرهاد الطريق أرسل اليه پرويز من يخبره كذبا أن شيرين ماتت . وقد ذهب فرهاد مثلا فى العشق كمجنون ليلى . =

---

(١) قصته بهربذ ستأتى بعد قصة طاق الديس . وليس فى الشاه ذكر بهربذ فى هذا العنوان .

(١) تاريخ كزيده ص ١٢٠ (٢) مول (mohl) ج ٧ ص XII، قاموس الأعلام : شيرين .

(٣) ودنر، ج ٨ ص ١٩٢

فى الموكب ، ومائتى نفس من الشبان معهم النرجس والزعفران يتقدمون الموكب حتى ترد الريح ريحها الى مشام الملك . وقدام هؤلاء مائة سقاء معهم قرب الماء يرشون الطريق حتى لو هب هواء لم يحمل غبارا من الأرض فيمسه به . وحواليه ثلاثمائة فارس من شباب أولاد الملوك فى ملا ن الوشى ، وعلى رأسه الدرفش الكابيانى يخفق .

فخرج برويز على هذه الهيئة . وسمعت به شيرين فظاهرت بين حليها وحللها ، وتبرجت فى وشائعها ورفارفها ، وصعدت الى سطحها . ولما قرب موكب الملك أشرفت عليه ، ووقفت بمرأى ومسمع منه وبكت ، وقالت بصوت رخيم : أيها الملك الهمام! أين ذاك الحب والغرام؟ أين تلك الليالى التى كنت لا تذوق فيها طعم المنام؟ أين تلك المواثيق والعهود؟ ترى تلك الأيام تعود؟ .

لا رأى السوء من يراك يد الدهر م وأحيا الإله من حياكا

أى نور لناظرى اذا ما مر يوم وناظرى لا يراكا

وطفقت تشكو اليه بثها وحزنها ، وتذرى دمعها ، وتمرى جفنها . فلما سمع الملك ذلك اصفر وجهه ، واغرورقت بالدموع عينه فنفذ اليها أربعين خادما ، ومركبا من المراكب الخاصة ، وأمر بأن تحمل الى حجرته المذهبة المرصعة . وسار فى طريقه الى متصيده . ولما قضى وطره من الصيد والقنص

= وقد نظمت قصة شيرين كثيرا بالفارسية والتركية ؛ نظم "خسرو وشيرين" من شعراء الفارسية نظامى الكنجوى وخسرو الدهلوى ، ومن شعراء التركية شيخى وعطائى وآهى . ونظم "فرهاد وشيرين" من شعراء الفارسية وحشى ، ومن شعراء التركية نوائى . ونظمها غير هؤلاء . وأشار اليها الشعراء فى شعرهم كثيرا . كقول كمال الخجندى :

لعل شيرين نصيب خسرو شد سنك بيهوده مى كندفرهاد

أى : صار عقيق شيرين (شفتاها) نصيب خسرو ، وعبثا ينحت فرهاد الأحجار .

وقول فضولى :

هر كسك حالنجه واردر بر تجليكاه عشق بيستون فرهاده كوه طورشكان كوستريز

أى : لكل انسان ، على قدره ، متجلى عشق ؛ فجبل بيستون يلوح لفرهاد كطور سيناء .

ويحتمل أن فرهاد كان المهندس الذى بنى لخسرو برويز طاق خسرو فى تحت البستان قرب كرمانشاه ، والقصر الذى فى مشيطة على خمسة وعشرين ميلا الى الشرق من المنتهى الشمالى للبحر الميت . ولا تزال بقية منه فى متحف القيصر فردريك ببرلين[1] . =

(١) وورنر ج ٨ ص ١٩٢

وظاف فى السهل والجبل ثنى عنانه نحو البلد فى تلك المواكب الرائقة، والكواكب المونقة. والأرض تطن بأغاريد القيان ، ونغمات المسمعات الحسان . فلما دخل الى الايوان خرجت شيرين وخرّت تقبل الأرض تحت قدمه . فدعا الملك موبذ الموبذان وأمره أن يزوّجه شيرين على رسمهم وآيينهم ففعل . واستفاضت الأخبار فى المدينة بتحوّل شيرين الى قصر الملك . فعظم ذلك على أكابر الدولة وأعيان الحضرة، وسائر الموابذة والعلماء فلم يدخلوا ثلاثة أيام على برويز . فقعد فى اليوم الرابع واستحضرهم واستدعاهم . فلما حضروا سألهم عن غيبتهم واستوحش لانقطاعهم . فلم يتكلم منهم أحد وأوموا الى موبذ الموبذان ليجيب الملك عنهم . فقام الموبذ وتكلم بفصل ثم قال : أيها الملك ! انما ضاقت صدورنا منك لأنك أعدت شيرين الى بيتك . وذكر فصلا فى مساويها . فسكت الملك ولم يحر جوابا . فقال الموبذ : غدا يجيبنا الملك عن كلامنا . فقاموا . ولما أصبحوا عادوا الى إيوان الملك فأمر برويز باحضار طست من الذهب الأحمر فيه دم عبيط . فوضع بين الناس فرأوا ذلك فتعجبوا[1] . ثم أمر فرفعوا الطست وأراقوا الدم ، وغسلوه ونظّفوه وطيّبوه ثم صقلوه حتى صار كأنه

= وقد حذف المترجم فاتحة قصة شيرين فى الشاه . ولا بد من إثباتها هنا لأنها تتضمن ، فيما أعلم، أول شكاة للفردوسى من حظه عند السلطان محمود . وهذه ترجمتها :

"تقادم العهد على هذا الكتاب — كتاب الغابرين المبين عن أقوال المصلحين وأعمالهم . وهأنا أجدّ كتابا يبقى ذكرا خالدا من هؤلاء الأبطال ، يتضمن ست عشرات من ألوف الأبيات ، كلاما يجلو الأحزان ويذهب بالهموم . وما يرى أحد كتابا فارسيا يحوى ثلاثة آلاف بيت (ثلاثين مائة مرة) واذا حذفت الأبيات الركيكة لم يبق خمسمائة .

إن هذا الملك العظيم الوهاب الذى يتلألأ نوره بين ملوك الأرض لم ينظر الى هذه القصص . وإنما أُتيتُ من سعاة السوء ومن الجدّ العاثر . فقد حسدنى المفسدون فكسدت عند الملك سوقى . ولكن الملك رب الجيوش العظيمة اذا نظر فى هذا الكلم البليغ قدره عقله المنير حق قدره ، فأسعدنى بهباته . وقاه الله سوء الأشرار . سيذكرنى الملك فيثمر كدّى — خلد الله عرشه وتاجه ، وجعل جدّه أضوأ من الشمس .

وقصة خسرو وشيرين تتضمن فى الشاه هذه العنوانات :

(١) فاتحة القصة . (٢) خروج خُسرَو للصيد ، ورؤية شيرين ، وإرسالها الى حرمه .
(٣) الأكابر ينصحون خسرو . (٤) قتل شيرين مريم وحبس خسرو شيرويَ .

(١) طا ، طر ، كو : وتعجبوا .

(٢١٥) ضرة الشمس الطالعة، وأعادوه الى المحفل . فقال الملك : هذا مثل شيرين . وأنها[١] لما تحولت الى بيتنا عادت طاهرة وان كانت من قبلُ مساويها ظاهرة . فرضوا عن الملك ودعوا له ، وانفض المجلس وعادوا الى منازلهم . قال : وكان الملك ليلا ونهارا مع مريم بنت قيصر فغارت منها شيرين حتى سقتها سما فماتت[٢] . ثم جعل الملك بعد سنة مكانها لشيرين .

وأما ولده شيرويّه فانه لما بلغ ست عشرة سنة طاول بقدّه أبناء الثلاثين فأحضره الملك المؤدبين والمعلمين . وكان الموبذ المعلم يرقبه ويضبط حركاته وسكناته، على مقتضى أمر الملك . فدخل عليه يوما ورآه وبيده كف ذئب وقرن جاموس يضرب أحدهما بالآخر، ويلعب لعب الصبي العارم (أ) . فتطير المعلم من كف الذئب وذلك القرن ، وتفرّس فيه الشر . فدخل على موبذ الموبذان وشكا اليه سوء أدب شيرويه ووقاحته . فحكى موبذ الموبذان ذلك للملك فعظم عليه وتذكر قول المنجمين وما رأوه فى طالعه فبقى من ذلك وقيذ القلب . فلما بلغ الشاب ثلاثا وعشرين سنة ضاق منه صدر أبيه، لما كان يصدر منه من حركاته الموحشة، فألزمه إيوانه، وجعله سجنا له لا يمكن من الخروج منه . وأحصوا رضعاءه وغلمانه فبلغوا ثلاثة آلاف نفس من صغير وكبير . فنفوا البعض، وأثبتوا البعض، بعد أن كانوا يدرّون عليهم أرزاقهم . وخرقوا القصور بعضها الى بعض حتى كان شيرويه يتردّد فيها . ووكلوا به وبمن معه أربعين نفسا يحفظونهم ليلا ونهارا (ب) . وسيأتى تمام ذكره بعد إن شاء الله تعالى .

ذكر طاق الديس الذى أعاده برويز

قال صاحب الكتاب : كان فى عهد أفريذون رجل مهندس يدعى جهن بن برزين ، وكان مشهورا[٣] مذكورا فى الآفاق . فعمل لأفريذون تختا مرصعا قد أبدع فى وضعه . فتعجب منه أفريذون فأعطاه ثلاثين ألف دينار وتاجا وقرطين، وأقطعه آمُل وساوه[٤] . وأعطى التخت لولده إيرَج .

قال : وخلف أفريذون بعده ثلاثة أشياء مذكورة : أحدها هذا التخت ، والثانى الجرز المعمول على صورة رأس الثور، والجوهرة المعروفة بذات العيون السبع ، ولما اخترم انتقلت

(أ) فى الشاه : رأى أمامه كتاب كليلة ودمنة ورأى بيده كف ذئب الخ . وفى الغرر : أنه كان بيده اليمنى مخلب ذئب وبيده اليسرى قرن وعل ، وهو يضرب أحدهما بالآخر، ويقرأ باب الأسد والثور من كتاب كليلة ودمنة .

(ب) كانت شيرين تود أن يكون الملك بعد برويز لابنها مردانشاه، وكأن برويز أطاع هواها فأبعد شيرويه وسجنه .

(١) كو : فانها . (٢) صل، طا، طر : ثم ماتت . والتصحيح من كو . (٣) طا، طر، كو : مذكورا مشهورا . (٤) طا، طر، كو : سارية .

الأشياء الثلاثة الى منوجهر . وكان كلما ملك ملِك زاد فى هذا التخت شيئا . فلما انتهت النوبة الى كيخُسرو زاد فى طوله كثيرا . وبعده زاد فيه لهُراسب . ولما ملك كُشتاسب قال لجاماسب الحكيم : اعمل فى هذا التخت شيئا يبقى ذكره أبد الدهر ، ويخبر الخلق بعلمك وحذقك . فنقش جاماسب عليه البروج الاثنى عشر، والكواكب السبعة السيارة ، وغيرها من الساعات وما يتعلق بالنجوم . وزاد أيضا فيه من بعده الى أن انتهت النوبة الى الاسكندر . فخالف الكل ، ونقضه وفرّق أجزاءه ومزّقه كل ممزق . فتفرقت ألواحه فى الأيدى السالبة . وكانوا يحتفظون بها . فلما ملك أردشير تتبع فوجد من ذلك التخت ألواحا مكسرة فجمعها وأعاد منه رسما (ا) . ولما انتهت النوبة الى برويز حشر صناع جميع بلاده حتى اجتمع عنده ألف ومائة وعشرون أستاذا كانوا يعرفون وضع ذلك التخت على ما وضعه جاماسب . وكان مع كل أستاذ ثلاثون تلميذا . فاشتغلوا بعمله سنتين . وجعلوا طوله مائة وسبعين ذراعا، وعرضه مائة وعشرين (١) ذراعا، وسمكه مائة وخمسين ذراعا بالذراع الشاهى، ومقداره ثلاثة أذرع بذراع اليد . وكان من اثنى عشر لوحا، وفيه مائة ألف وسبعون ألف ضبة من ذهب مرصع ، ومسامير الضبات من الفضة وزن كل مسمار مائة وستة وستون مثقالا . وكان اذا حلّت الشمس فى برج الحمل يكون وجه هذا التخت الى البساتين وظهره الى الصحراء، واذا حلت الشمس الأسد (٢) كان ظهره اليها ووجهه الى البساتين، وعند فصل الخريف وإيناع الثمار يكون وجهه الى البساتين حتى تصل روائح الفواكه الطيبة الى مشام القاعدين عليه، وفى فصل الشتاء تشدّ طاقاته بأُزُر الخز والحرير، ويحضرون بين يدى الحاضرين ألف كرة محماة من الذهب والفضة، وزن كل واحدة خمسمائة مثقال . وعملوا على التخت صور البروج والسيارة وأفلاكها ومنازل القمر ومقياس ساعات الليل والنهار حتى كأنما وضعت فيه السماء بما فيها . وكانت تلك التخوت بعضها من الذهب وبعضها من الفضة، مرصعة بجواهر أصغرها فى وزن سبعين مثقالا، وأكبرها فى وزن سبعمائة مثقال . وكان تحتها تخت يسمى "ميش سر" أى رأس الضأن، وفوقه تخت آخر يسمى اللازوردى، والذى فوق هذا يسمى الفيروزجى . وكان يرتقى من كل واحد الى الذى فوقه بأربع درجات من ذهب . فكان رأس الضأن مجلس الدهاقنة والرعية ، واللازوردى مجلس الأمراء والقواد ، والفيروزجى مجلس الدستور والوزير، ومن عند الدستور يرتقى الى مجلس برويز . وهو قاعد على بساط طوله سبع وخمسون ذراعا فى عرض مثله ، منسوج من الذهب والجوهر، قد صوّرت فيه صور البروج والكواكب مع صور

(ا) تحطيم الاسكندر هذا التخت ، وإعادة أردشير إياه مثال مما ينسبه الفرس الى الاسكندر مخرب مملكتهم ، وأردشير الذى ردّ اليهم مجدهم الغابر .

(١) كلمة "ذراعا" من طا ، طر . (٢) طا ، طر ، كو : فى الأسد .

جميع من ملك الأرض الى عهد برويز . وكان هذا البساط قد جاء به صانعه من بلاد الصين ، وأهداه يوم النيروز الى برويز، وكان قد بقى عمله[١] سبع سنين، فاستحسنه . ولما بسطه فى مجلسه استحضر الندماء واشتغل بالعيش والطرب . وكانوا يسمونه البساط الكبير .

(أ) قال : وشملت أيادي برويز كل ذى أدب وصاحب صناعة حتى توفرت حظوظهم وسعدت جدودهم سوى بهربذ العوّاد ذى الذكر الشهير والعلم الغزير فى صناعة الغناء ، وصاحب الأصوات المعروفة § . وكان قد قيل له : إن الملك استصفى من المغنين[٢] رجلا اسمه سركس(ب) ، وجعله ملك المطربين . ولو رآك وعلم بذكائك وحسن صنعتك لعزله ،لا محالة، وولاك . فقصد باب برويز، وكان يغشى المغنّين[٢] . فلما وقف سركس على جودة صناعته خاف أن يكون السبب لكساد سوقه ، ونضوب مائه . فصار الى حاجب الباب، ورشاه بدراهم كثيرة ودنانير وافرة ، وقال: اعلم أنه قدم مغنّ هو أحسن منى غناء، وأوفر غناء . ولو رآه الملك لاختاره علىّ ملتذا بحذقه، ومائلا الى جودته ، فيخمد جمرى ويتراجع أمرى . وسأله أن يحول بينه وبين الدخول على برويز . فضمن له الحاجب ذلك[٣] . فكان كلما حضر الباب منعه، واذا سأله أن ينهى حاله دفعه . فبقى هذا الأستاذ الحاذق

(٣١٦)

---

§ يذكر هذا المغنى فى الكتب العربية والفارسية باسم بهلَبد وبلهبد وبهلَبند وباربد وبربد وبهرَبذ وفهلَبذ وفهرَبذ . وقد جاء فى شعر خالد الفياض فى قصة خسرو پرويز، وجواده شبديز :

ورنّم البهلَبند الوتر فالتهبت — من سحر راحته اليمنى شآبيب

لولا البهلبند والأوتار تندبه — لم يستطع نعى شبديز المرازيب

وأصله الفارسى پهلَبَدَ . واختلاف صيغ الاسم على هذه الشاكلة يدل على أن قصته نقلت عن الفهلوية . فان اللام والراء لها صورة واحدة فى الكتابة الفهلوية وكذلك الألف والهاء .

ويروى أن بهربذ من مدينة مرو، وأنه ألف ٣٦٠ لحنا لپرويز فكان يغنى كل يوم من أيام السنة لحنا . وصارت ألحانه حجة أساتذة الموسيق . ويقول الثعالبي فى الغرر : " وهو صاحب الخسروانيات التى يتداولها المطربون الى اليوم فى مجالس الملوك وغيرهم[٤] " .

(أ) فى الشاه : هنا عنوان " قصة باربد المطرب " .

(ب) فى الشاه : سركش، وفى الطبرى الفارسى سرجيوس . ورنر، ج ٨ ص ١٩٣ .

(١) طا، طر : فى عمله . (٢) صل : المغنيين . (٣) طا، طر : بذلك . (٤) أنظر الأغانى ج ٥ ص ٥٥، البلدان ص ١٥٨، نزهة القلوب ص ١٥٧، الغرر ص ٦٩٤ و ٦٩٨، تاريخ گزيده ص ١٢٢، براون (Browne) ج ١ ص ١٥، معجم البلدان : شبديز .

ليس له على باب الملك مصادق ولا مماذق . فتحير فى أمره . وكان للملك بستان يخرج اليه كل سنة يوم النيروز، و يقبل فيه[١] على الشرب والطرب أسبوعين، وكان لهذا الباغ "باغبان" اسمه مردويه . فقصده بهربذ واختلف اليه حتى حصلت بينهما صداقة . فقال له ذات يوم : إن لى اليك حاجة يسهل قضاؤها عليك، وهى أن تمكننى، اذا صار الملك الى هذا الباغ، من النظر الى مجلسه حتى أراه فى حال أنسه . فأجابه الى ذلك، وتقبل له بقضاء حاجته . ولما قرب وقت خروجه الى ذلك البستان أتاه وأعلمه بذلك . فرتب بهربذ لنفسه دست ثوب أخضر، وعمل عودا أخضر، وحمله وسار الى البستان فلبس تلك الثياب ، وحمل العود، وصعد الى أعلى شجرة سرو كان الملك يجلس تحتها ، وتوارى فى أغصانها المتشابكة . فحضر الملك وقعد تحت تلك الشجرة، وحضرت المغانى، وسعت الغلمان الصباح بمصابيح الراح متقدة فى زجاجات الأقداح . فسكت الى أن صارت الشمس كعين الأحول، وتوارت[٢] فى حجاب الطَفَل . وعند ذلك رفع صوته ، وجسّ وتره، وغنى بصوت يسمى الآن "داذ آفَريد"[٣] فتحير جميع الحاضرين، ودهشوا أجمعين . وأمر الملك بتطلب صاحب الصوت فلم يهتدوا الى مكانه . فقالوا : لا بعد فى سعادة الملك ولا غرو أن تغنيه فى مجلس أنسه أغصان السرو(ا) . فطاب وقته ، وأمر الغلام أن يناوله جاما من المدام . فلما وضعه على كفه عاد ورفع صوته من أعلى الشجرة وغناه بصوت آخر يسمى الآن "پَى كارگُرد" (ب) فشرب برويز على ذلك الصوت[٤] ذلك الجام، وطرب طربا عظيما . وأمر بتتبع صاحب الصوت فطلبوه تحت الأشجار بالشموع والمشاعل فلم يعثروا عليه . فاستدعى الملك جاما آخر . فلما وضعه الساقى على يده رفع صوته ثالثا ، ونقر مزهره، وغنى بصوت آخر يسمى "سبزدَر سبز"[٥] فلما سمع برويز ذلك الصوت وثب من فرط الطرب، وأخذ رطليّة وشربها وقال : ليس هذا بصوت ملَك ولا جنّى . اطلبوا صاحبه حتى نملأ فاه دررا، وحجره جوهرا، ونجعله على العوّادين أميرا ، ونفيض عليه خيرا غزيرا . فنزل بهربذ عند ذلك من أعلى الشجرة ، ووضع خدّه على التراب بين يدى برويز، وانتصب قائما ودعا له . فسأله الملك عن حاله . فشرحه له من أوّله الى آخره . فنظر الى سركس نظر عاتب وقال : يا سيئ الأدب ! أنت كالحنظل ، وهذا كالسكر . لماذا حسدته وحلت بينه وبين مجلسى؟ وأقبل[٦] على بهربذ، وأمره

(ا) هذا كلام المغنى الآخر سركس ، كما فى الشاه . وقد عرف صوت باربد فأراد أن يصرف الملك عن تطلبه

(ب) فى الشاه : "پيكارگُرد" ومعناه : حرب البطل . وفى الغرر : پرتوفرخار .

(١) طا ، طر : و يقبل على الشرب . (٢) طا ، طر: فتوارت . (٣) فى الغرر : يزدان آفريد .

(٤) صل : الطرب . والتصحيح من طا ، طر، كو . (٥) فى الغرر : سبز أندرسبز .

(٦) طا ، طر : فأقبل .

فاندفع فى الغناء، واندفع هو فى الشرب وأكثر حتى ثمل . وأمر فحشوا فاه، وجعلوه ملك المطربين، وقدّموه على أقرانه من أهل زمانه .

§ ذكر بناء برويز إيوان المدائن

قال صاحب الكتاب : ونفـذ برويز إلى أقطار ممالكه ، وحشر الصناع والبنائين حتى آجتمع على بابه من بلاد الهند والروم وفارس ثلاثة آلاف نفس . فاختاروا منهم مائة، ومن المائة ثلاثة : فارسيا ورومبين . فحضروا عند برويز فأفاضوا[1] فى حديث البناء فظهر أحد الروميين على الفارسى . فاستدناه الملك وقال : إنى أريد أن تبنى لى إيوانا يدوم حتى يجلس فيه ولدى ومن يليه من أعقابى الى مائتى سـنة، لا يخرب ولا يتأثر بالثلج والمطر وغيرهما . فتقبل بذلك وخرج وشرع فى الأمر ، وأمر فحفروا الأرض مقدار خمسين ذراعا بذراع اليـد . ووضع أساس البناء، وأخذ يبنى بالحجـارة والجص إلى أن صـعد البناء، وبلغ حدّه المعلوم ، ولم يبق غير ضرب طاقه عليه . فحضر عند الملك وسأله أن ينفذ معه جماعة من الموابذة حتى يمسحوه ويذرعوه . فنفذ معه جماعة فأخذوا خيطا من الإبريسَم مفتولا، ووقفوا على مقدار سمك البناء من أعلاه إلى أسفله . ثم ختموا على الخيط وسلموه الى خازن الملك. ثم حضر عند الملك وقال : قد فرغت من بناء أركان الإيوان . والصواب أن نصبر أربعين يوما حتى تتراصّ أجزاؤه، ويتهندم بناؤه ثم نعقد عليه الطاق حتى لا يتطرق اليه خلل . فاستطال الملك المدّة ثم أمر له بثلاثين ألف درهم حتى يبسط ذلك فى أمله ، ولا يفتر نشاطه فى عمله .

---

§ إيوان المـدائن أو طاق كسرى، كما يسمى الآن ، ينسبه أكثر مؤرخى العـرب والفرس الى كسرى پرويز، وبعضهم ينسبه إلى كسرى أنوشروان[2] ، وبعضهم يقول: تعاون على بنائه عدّة ملوك. وكأن اختلاف الرواة كان من وحدة الاسم؛ فكلا الملكين يسمى "خسرو" . والمرجح أن الذى بناه كسرى أنوشروان . فإن كسرى پرويز أقام فى دستكرد لافى المدائن معظم عهده منذ سـنة ٦٠٣ الى أواخر عمره .

ولا تزال بقية الحادثات من الايوان قائمة شرقى دجلة على ٢٥ ميلا من بغداد. وكانت القبة وجدارا القصر عن يمينها وشمالها قائمة الى عهد قريب. ثم انقضّ الجدار الذى إلى شمال الإيوان . وترى اليوم الإيوان وقد انهدمت عالية جداره الخلفى، وسقط معظم قبته . وإن الناظر اليه لتروعه هذه المعجزة الخالدة: قبة ترتفع زهاء ١٠٠ متر محلقة على إيوان طوله زهاء ٨٠ مترا وعرضه زهاء أربعين . والبناء كله =

---

(١) طا، كو : وأفاضوا . (٢) نزهة القلوب : ص ٤٤ ، والغرر : ص ٦٩٨

فلما جن الليـل توارى وهرب بحيث لم يعرف به أحد . ولما علم الملك بذهابه عظم عليه ، وأمر بحبس جميع صناع الروم، وأمر جماعة من الصـناع بإتمام البناء فعجزوا . وبقى على ذلك الى تمـام ثلاث سنين . فظهر الأستاذ الرومى فى السنة الرابعة . فأخبر الملك بذلك وأحضر عنده ، وسأله عن عذره فيما فعل . فقال : إن نفذ الملك معى بعض ثقاته حتى ينهى اليـه ما يشاهده عذرنى وغفر لى ذنبى . فنفذ الملك معه بعض أمنائه . وأخذ الخيط الذى قدر به البناء، وعاود تقديره فنقص ثمانية أذرع بذراعهم . فرجع الى حضرة الملك وقد أعلم بذلك فقال : أيها الملك ! لو عقد[1] الطاق عليه قبل اليوم لم يثبت إلا قليلا، ولم يُجد عملى فتيلا . فصدق الملك قوله، واستصوب حزمه . واشتغل الرومى بإتمام العمل، وبقى يعمل فيه الى تمام سبع سنين . ولما فرغ منه أنعم عليه بأموال وأراض وأمواه .

قال : وكان من عادة الملك أن يجلس فى هـذا الايوان يوم النيروز . وكان فى طاقه حلقة كبيرة من الذهب فيها سلسلة متدليـة من الذهب الأحمر مرصعة باللؤلؤ والجوهر . فاذا جلس الملك فى الأيوان علق تاجه من هذه السلسلة فيجلس تحت التاج على تخت العاج (أ) . وكان الى جانب هذا الايوان مجلس أصحاب الدواوين والوزراء والكتاب ، ودونهم الأسواق المشتملة على النفائس والأعلاق ، ودونها موضع فقراء النـاس وأوساطهم ، وتحت الكل موضع إقامة الحـدود وإجراء السياسات . ومنادى الملك ينادى فى الجميع يعذر وينذر، ويردع ويزجر . وكان الملك فى هذا اليوم يتفقد الفقراء والمحتاجين فيفرق فيهم أموالا كثيرة .



= مشيد بالآجر والجص . وقد أعجب به القدماء أيما إعجاب ، ووصفه الشعراء، ووصفه البحترى فى سينيته المعروفة، وكانت لا تزال نقوشه وتصاويره رائعة، ووصفه غير البحترى[2]، وأمه من شعراء الفرس الخاقانى فى القرن السادس ، ولكن قصيدته رثاء وبكاء لا تبين عن الإيوان إبانة قصيدة البحترى .

وقد زرته فى بعثة كلية الآداب من الجامعة المصرية يوم الاثنين ٢٢ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ . فشهدت جلاد الزمان والإنسان وتخيلت الإيوان وقد تهدمت قبته وجداره الخلفى وانهدم القصر الذى كان على جانبيه إلا الجدار الأمامى من الجناح الأيمن — تخيلته نسرا هرما أنحى الزمان عليه فحص ريشه وهاض جناحيـه ولكنه بقى متجلدا مستكبرا شامخ الرأس يقلب عينيه فى لوح الجو محاولا أن ينهض الى مجاله القديم فى عنان السماء .

فهـو يبـدى تجلدا وعليـه   كلكل من كلاكل الدهر مرسى

(أ) انظر، فى وصف تاج كسرى، ابن هشام ج ١ ص ٦١

(١) طا، طر، كو : عقدت .   (٢) معجم البلدان : الايوان، والبلدان ص ١٥٨ و ٢١٣

قلت : وهذا الايوان هو الذى انشق طاقه بالمعجزة الصادعة الساطعة النبوية فإن الله تعالى لما بعث نبيه صلعم انفصم طاق هذا الايوان على برويز فعظم ذلك عليه ثم أمر بإعادته فأعيد . ولما جلس انشق عليه ثانيا ثم أمر فأعيد . ولما تسنم تخته ولبس تاجه تحته انفصم ثالثا عليه . وكان ذلك منذرا بزوال ملكه ، وخروج الأمر من يده وأيدى ولده من بعده . ولله الحمد على ذلك .

ذكر الخبر عن عظم سلطان برويز ، وانتظام أسبابه ، وما تعقب ذلك من زوال ملكه

قال صاحب الكتاب : ينبغى لمن يطالع أحوال برويز ويقرأ أخباره أن ينفض ذيله من الدنيا الغرارة الغدّارة فلا يسترسل اليها ، فإن سمها يغلب ترياقها ، وآمال بنيها تنتج إخفاقها ، ولا يمدّ اليها يد الحرص والأمل . وقبيح بالعاقل أن ينوى الاقامة فى المراحل . ألا إنها دار بنيت على المجىء والذهاب ؛ فواحد يدخل من ذا الباب وآخر خارج من ذلك الباب . ولو أمكن صرف صرف الزمان ، ودفع طارق الحدثان بالملك والسلطان ، والتمكّين[1] والإمكان ، والأنصار والأعوان لكان خليقا بذلك برويز الذى عم أمره طلاع الأرض ، وأطاعته ملوك الشرق والغرب ، وكان يحمل اليه خراج الهند والروم والترك والصين . فلم تكن تدخل تحت يدى الإحصاء كنوزه ، ويستعصى على العادّين مدّخره ومخزونه . وكان أول كنز كنزه كنز العروس الذى ملأه من خراج الهند والروم والروس . وكان له كنز آخر يسمى الخضراء طوله مقدار غلوة سهم ، وكان مملوءا من اللآلئ ، وكنز آخر يسمى "باذآورد" . وإنما سمى بذلك ، على ما قال غير صاحب الكتاب ، لأنه وجد ذات يوم على بعض السواحل سفائن مملوءة من الذهب والفضة والجوهر والمسك والكافور والعنبر ما معهن أحد ، وقد حملتهن الريح الى ذلك الساحل . فحملت الى خزانة برويز فكنز منها هذا الكنز وسماه "باذ آورد" أى محمول الريح . وكان له كنز آخر يسمى كنز أفراسياب ، وكنز آخر يسمى المحترق ، وكنز آخر يسمى الشاذَورد الكبير . وللمغنين صوت معروف باسمه . وكان له اثنا عشر ألف جارية ، ومائتا[2] فيل ، وستة عشر ألف فرس مذكور ، واثنا عشر ألف بغل لأثقاله الى غير ذلك مما لم تر العيون مثله (ا) . فاذ صار هو فى الهالكين ، وحاله ما وصفناه من الروعة والمهابة والبسطة والجلالة ، فلا تطمعن أنت فى البقاء . واذا أردت الذكر الجميل والثناء الحسن فعامل رعيتك بالعدل والإحسان ، وتجنب فيهم طريق الظلم والعصيان .

(ا) انظر ، فى وصف أبهة برويز وثروته ، الطبرى ، والمروج ، وحمزه ، وتاريخ كزيده ، والغرر .

(١) طر : التمكن . (٢) فى الشاه : ألفان ومائتا فيل . طا ، طر : ألف ومائتا .

قال : ولما استتبت أمور برويز، كما ذكر، آثر العتو والطغيان، ولازم الظلم والعدوان فسلط على رعيته علجا ظالما كان على حرس بابه يسمى زاذ فرُّخ فبسط يده فى مصادرتهم واستنزاف أموالهم وقلعهم واستئصالهم . وصار لا مقصد له غير جمع الرغائب وكنز الحرائب . وتأذت منه الأجناد ، ووجدت عليه الأمراء والقواد فكبا من سعادته الزناد (أ) . وكان له إصبهبذ يسمى جُرازا (ب) ، وكان قائد قواده وزعيم أجناده، وإليه حفظ ثغور الروم . فلوى رأسه عن طاعته وقطع مكاتبة صاحبه . ومالأه زاذ فرخ المذكور وصار معه يدا واحدة لكنه لم يفارق حضرة برويز، ولم يظهر العداوة . وكان يواصل كتبه الى جراز ويعلمه بجميع أسرار برويز . وكاتب جراز قيصر وحرضه على قصد بلاد إيران §.

وكان، على ما قال غير صاحب الكتاب، قد وقع بين برويز وبين الروم لأنهم قتلوا حماه أبا زوجته، وولّوا الأمر غيره . وكان للمقتول ابن فالتجأ الى برويز فأمدّه وجهز معه جنودا كثيرة الى الروم حتى خرب بلادهم وقتل رجالهم وقرّر الأمر عليه . فلما استقرّ فى مكانه قتل أو مات فولى مكانه هرقل . وهو الذى كتب إليه سيدنا رسول الله صلعم يدعوه الى الاسلام. وكان عالما فعلم بصحة نبوّته صلعم

---

§ أغفلت الشاهنامه الحرب المتمادية بين الفرس والروم أيام پرويز؛ فلا نجد فيها مما يتصل بهذه الحرب إلا طلب قيصر الصليب وإباء پرويز إرساله، كما تقدّم، وإلا ما يذكر من تعاون بعض قواد پرويز والروم وإيقاع پرويز بينهما .

وهذه من أعظم الحروب التى كانت بين الأمتين إن لم تكن أعظمها؛ دامت خمسة وعشرين عاما، واستولى فيها الفرس على مصر وكل ولايات الروم فى آسيا، وعسكر جيشهم على ضفاف البسفور، ثم ارتدّ الميزان ودارت على الفرس الدوائر .

وخلاصة وقائع هذه الحرب :

(١) أن الأمبراطور موريس[1] الذى أنجد پرويز وأمدّه حتى استردّ عرشه خلع وقتل سنة ٦٠٢م وخلفه فوكاس[2] . فصمم پرويز على أن يثأر لحليفه، وأطمعه فى ذلك عصيان القائد نرسى الذى قاد الجيش الرومى لمعاونة پرويز من قبل . بدأ الفرس الحرب واستمرت الوقعات تقضى لهم بالظفر=

(أ) انظر أسباب الثورة على برويز فى الطبرى ج ٢ ص ١٥٨

(ب) فى ورنرج ٨ ص ١٩١ ، أن جراز هو شهربراز أحد قواد الفرس فى حرب الروم . وفى الطبرى ج ٢ ص ٤٠ أن شهربراز اسم رتبة القائد، وأن اسمه فرهان .

(١) Maurice. (٢) Phocas.

فدعا عظماء الروم إلى متابعته ومشايعته فأبوا عليــه . فخافهم على نفسه وآثر الملك واتبع هواه وتنكب سبيل هداه لكنه أحسن الجواب وقارب الخطاب . لا جرم ثبت ملكه وملك بنيه. وأما برويز فانه جرى فى سنن الغواية واستولى على أمد الجهالة. فلما أتاه كتاب النبى صلعم مزقه فمزق الله ملكه وملك ولده، كما يأتى ذكره .

قال صاحب الكتاب : ولما[1] كاتب جُراز قيصر جدّ واجتهد، وجمع عساكره، وخرج ليتصل به ويقصد بلاد برويز . فعلم برويز بذلك، وكان قد أيس من جُراز أن يعود الى طاعته . فاحتال عليه وكتب اليه كتابا يشكره فيه ويحمده ويصف غناءه وعقله ودهاءه ومكره ، ويقول فيه : إنك بعد أن اجتررت قيصر، واستخرجته من بلاده فالزم مكانك . فإنى واصل على الأثر. واذا وصلتُ بعساكرى نهضتَ من ذلك الجانب فيصير قيصر بيننا فنحيط به وبمن معه فلا يفلت منهم أحد . واستدعى بعض ثقاته وشدّ ذلك الكتاب على عضده وقال له : "سر بهـذا الكتاب ، واجعل طريقك الى جراز، وارم بنفسك بين أصحاب قيصر حتى يأخذوك ويأخذوا الكتاب الذى معك ويحملوك اليه. فيفتح الكتاب ويقرؤه ويسألك عن حالك فتقول : أنا رسول برويز الى جراز" يريد بذلك أن يفرّق بينهما ويشتت شملهما . (٢١٨)

= فأخذوا مدن الجزيرة، واجتازوا الفرات ، واستولوا على حلب وغيرها، وغزوا أرمينية، وتوغلوا فى آسيا الصغرى حتى رأى أهل القسطنطينية النيران التى أضرمها الفرس فى قرى الروم .

ثم ثار النـاس على الامبراطور فوكاس، وقدم هرقل من أفريقيـة فتولى الملك . وعاود پرويز الحرب سنة ٦١١ م فاستولى الفرس على أنطاكية وغيرها حتى أخذوا دمشق سنة ٦١٤م . واصطبغت الحرب بصبغة الدين فدعا قوادُ الفرس إلى استئصال النصارى . وعاونهم اليهود فاستولوا على بيت المقدس وأخذوا الصليب الذى صلب عليه المسيح، بزعم النصارى، وهو أعز شيء لديهم . ويرى فى كتاب پرويز الى هرقل إذ ذاك كيف بلغ به الكبر وازدراء الروم . ثم تقدّم الفرس فأخذوا مصر سنة ٦١٦ بعد تسعة قرون ونصف من خروجهم منها أيام الاسكندر . وسـنة ٦١٧ استولى القائد الفارسى شاهين على خلكدونيا إزاء القسطنطينية . وقابله هرقل فأشار عليه القائد أن يرسل سـفيرا إلى پرويز يدعوه إلى السلم فأخفقت السفارة وسجن پرويز السفراء، وأرسـل إلى قائده يوعده بالموت على أنه لم يأته بهرقل مقيدا . =

---

(١) صل : كلما . والتصحيح من طا ، طر .

نخرج الرجل بالكتاب وفعل ما أمره برويز فوقع الكتاب الى قيصر. ولما وقف عليه انخدع وظن أن بين برويز وبين صاحبه مواطأة عليه، وأن جُراز قد احتال عليه ومكر به (أ). فارتحل بخيله ورجله ونكصوا على أعقابهم، وعادوا الى بلادهم راضين من الغنيمة بإيابهم وكتب الى جراز يعيره ويوبخه ويقول : إنك قصدت أن تسلم الى برويز تاجى وتختى. وكنت فى مكاتبتى مماذقا غير مصادق[1]، ومكاشحا غير موافق . فكتب اليه يبرئ نفسه من ذلك ، ويستطعفه ويستميله ويسأله الرجوع والعود . فكان من جواب قيصر له[2]: كيف أعود وهذا أثر فواسك؟ وأنّى آمن وقد عرفت ربوضك لافتراسك؟ فلم يرجع قلبه له . وكأنما وافق قول الشاعر قوله حيث قال، وهو النعمان بن المنذر ملك العرب :

قد قيل ذلك إن حقا وإن كذبا فما اعتذارك من شىء اذا قيلا

وأما برويز فإنه كتب الى جراز كتابا يقول فيه : أيها الخبيث الغادر! كم أكاتبك وأستدعيك وأنت مصرّ على المخالفة ؟ وقد بلغنى أن العساكر الذين جعلناهم تحت رايتك يكاتبون قيصر، ويصادقونه. فإذا وقفت على كتابى هذا فنفذ إلى من تتهمه منهم بذلك. فلما قرأ كتابه نفذ أليه ممن معه من العساكر اثنى عشر ألف فارس . وأمرهم بالتظاهر والتوافق . فساروا الى أن وصلوا الى أردشير خُرّة فنزلوا جميعا فى مكان واحد ينتظرون أمر برويز . فنفذ اليهم برويز ذاد فرّخ، وأمره أن يقول

= ورأت قبائل الأوار فرصة للإغارة على عاصمة الروم فأغاروا . وضاق هرقل ذرعا بهذه الخطوب فعزم على الفرار إلى قرطاجه، ووضع ذخائره فى السفن ولكن الناس نذروا بذلك فثاروا . وانتهى الأمر بأن حلف هرقل فى كنيسة صوفيا ألا يترك القسطنطينية .

وبعد سنين جمع هرقل أمره وأعانه القسيسون وغضب معه الناس حمية لدينهم الذى استباح برويز حرمته بالاستيلاء على بيت المقدس وازدراء المسيح فى كتابه إلى هرقل . وكانت وقائع من سنة ٦٢٢ الى ٦٢٧ م جزر فيها سلطان الفرس شيئا فشيئا، وانتصر هرقل فى مواقع عدّة حتى أحس برويز الخطر فأعدّ ما استطاع من قوة، وحالف الأوار سنة ٦٢٦ وأرسل جيشا لمقابلة هرقل وآخر لمشاركة الأوار فى حصار القسطنطينية، ولكن الروم استطاعوا أن يدفعوا الأوار عن المدنية ويهزموا القائد شاهين الذى لم يستطع عبور البسفور لمعاونة الحلفاء . وقد غضب برويز على قائده وشتمه وأوعده ثم مثل بجثته حين مات . =

(أ) يظهر أن هذه واقعة محرّفة والصحيح أن برويز أرسل يأمر بقتل قائده فأسر الروم الرسول وأعلموا القائد بأمر برويز فادعى القائد أن الملك أمر بقتله وقتل ٤٠٠ رئيسا فثار الجند وصالحوا الروم وأخلوا خلكدنيا ورجعوا . (ورنر، ج ٨ ص ١٩١).

(١) صل : صادق . والتصحيح من طا ، طر . (٢) طا، طر : له (لا)

لهم : لم فتحتم طريق قيصر حتى جاوز طوره ، ووطئ بلادنا؟ فسار زاذ فرُّخ وأدّى رسالة برويز . فعمهم الوجوم وارتعدت فرائصهم من الفزع . فلما رأى زاذ فرخ خورهم وضعفهم خلا بهم وأظهر أنه مع جُراز وقال لهم : لا تخافوا برويز، وأغلظوا له فى الجواب ، وأطلقوا ألسنتكم بشتمه وشتمى ، واطردونى . فان برويز لا يقدر على مقاومتكم . ولم يبق على بابه أحد يميل إليه . وقد استوحش منه أخى رستم وهو فى عشرة آلاف فارس . وأراه لم يبق من ملكه إلا قدر مصّ نواة . فحرّشهم به وأغراهم، ومن جلباب الحشمة عرّاهم . ففعلوا ما أمرهم من السفه والإهجار والإفحاش . فعاد زاذ فرخ وأعلم برويز بتمردهم عليه وطغيانهم . فعلم من أين أُتى ، وأن زاذ فرخ هو الذى أغراهم بذلك . فسكت ولم يتجاسر على البطش به لخوفه من رستم أخيه . فقعد زاذ فرخ على باب الملك وقال : قد حان حين خلعه ، ونقل الملك عنه الى بعض أولاده . وكان يصحبه شيخ طاعن فى السن فعزم عليه بما فى نفسه واستعجله فيه . فبيناهما فى ذلك الحديث إذ جاء الخبر بقدوم قائد من قواد برويز يسمى تخوار فوافق زاذ فرخ على رأيه . فتم الباب وشرعوا فى خلع برويز وإخراج ولده شيرويَه من الحبس، وتقرير الأمر عليه (٢) .

= ثم سار هرقل ميمما دستكرد مُقام الملك پرويز ، على ٧٠ ميلا شمالى المدائن، وهزم الفرس فى موقعة نينوى ١٢ ديسمبر سنة ٦٢٧ ثم قصد المدينة ففر پرويز شطر المدائن وعبر دجلة الى بِه أردشير آخذا معه شيرين وابنين منها وثلاثة أزواج من بناته . وهنالك أرسل حرسه الخاص لمعاونة الجيش الفارسى المنهزم . فاجتمعت قوى الفرس وفيها مائتا فيل على النهروان قرب المدائن . وفى يناير سنة ٦٢٨ تقدّم هرقل من دستكرد حتى عسكر على ١٢ ميلا من النهر. فلما عرف قوة الفرس آثر الرجوع فأمضى الشتاء قرب بحيرة أُرمية . وما وهن پرويز ولا رجع عن غلوائه فما زال هرقل يدعوه الى السلام فيأبى . ولكن ثار الفرس عليه فخلعوه وقتلوه . وسيأتى بيان ما كان بين الفرس والروم بعد پرويز (١) .

وظاهر أن هذه الحرب هى التى أهمت العرب ونزلت فيها الآية : ﴿ غلبت الروم فى أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ .

(٢) يروى أن برويز حينما فرّ من دستكرد كان مريضا ، وأنه أراد أن يعهد الى ابنه من شيرين — مردانشاه . فأتمر الرؤساء ليملكوا شيرويه أكبر أبناء پرويز . وكان بين المؤتمرين ابنان لجراز (شهر براز) . وقد تم ذلك فى ٢٥ فبراير سنة ٦٢٨ (ورنر، ج ٨ ص ١٩٦) ويقول الطبرى فى يوم آذر من شهر آذر .

(١) سيكس (Sykes) ج ١ : پرويز، ورنر، ج ٨ ص ١٩٠ وما بعدها . وانظر الطبرى، والأخبار الطوال، والمروج، والتنبيه والإشراف.

وكان شيرويّه محبوسا فى عقر بابل، وحارسه إصبهبذ فى ستة آلاف فارس . فسار تخوار الى محبس شيرويه فالتقى مع الإصبهبذ وجرت بينهما واقعة فقتله تخوار، ودخل الى الحبس فى سلاحه لإخراج شيرويه . فلما رآه على تلك الهيئة كاد تنشق مرارته من الفزع وبكى وقال : ما الذى حل بالملك حتى جئتم فى طلبى؟ وخاف على أبيه من القتل . فقال له تخوار : إن لأبيك خمسة عشر ابنا سواك . فان سكت وخرجت ولينـاك وإلا قتلناك وولينا بعض إخوتك . فأجابه عند ذلك الى الخروج، وجاء معه الى المدائن .

وأما زاد فرّخ فانه كان ملازما لباب برويز لا يخلى أحدا يدخل عليه . وأمر حراس الليل أن يرفعوا أصواتهم فى الليل بالدعاء لقُباذ ، وهو شيرويّه ، وينادوا بذلك كما كانوا يرفعون أصواتهم بالدعاء لبرويز . فلما جنّ الليل رفع الحرّاس أصواتهم وذكروا قباذ ، ولم يذكروا برويز . وكانت شيرين عند رأس برويز . فلما سمعت ذلك أيقظت برويز وقالت : أيها الملك ! قد حدث حادث عظيم فإنى أسمع الحرّاس يدعون لقباذ ، ولا يذكرون الملك . فقام برويز وتنفس الصعداء وقال : الآن قد ظهر صدق قول المنجمين ؛ إن قباذ هو شيرويه . وأنا سميته بهذا الاسم ولم أطلع عليه أحدا . والرأى أن أخرج مغلّسا هاربا الى ملك الصين وأستعين به على هؤلاء البغاة . فاستدعى بسلاحه فلبسه ، واستصحب غلاما ، وخرج من دار السلطنة ، ودخل الى باغ له قريب من قصره يدعى باغ الهُنـدُوان ، فاختفى فى شجراته . ولما طلع النهار هجم الهمج الرعاع على مستقرّه، وأخذوا فى نهب خزائنه، ثم طلبوه فلم يجدوه .

قال : واحتاج برويز ضحوة النهار الى الطعام فقطع علاقة من علائق منطقته المرصعة، ودفعها الى غلامه، وأمره فأعطاها "باغبانا" هناك ليشترى له بها طعاما . فلما عرضه فى السوق أُخذ وقيل: من أين سرقت هذه العلاقة المرصعة؟ فحملوه الى زاد فرخ فأدخله على شيرويه، وكان قد وصل مع تخوار، فأُعلم بما عثر عليه على يده . وهو العلاقة المرصعة . فأوعده بالقتل وهدّده وسأله عن الذى أعطاه تلك العلاقة . فقال : الذى أعطانى هذه هو فى "الباغ" . وهو رجل شاكى السلاح، فى قدّ السرو، كأنه أنت بالشمائل والشكل، ومعه ترس من الذهب قد علقه ببعض الأشجار، وجلس تحته، وبيده قوس، وتحت ركبته سيف . فعلم أنه أبوه برويز . فنفذ ثلاثمائة فارس ليقبضوا عليه . فلما قربوا من الباغ منعتهم هيبته من القرب منه فرجعوا . فركب[1] زاد فرّخ فى جماعة من الفرسان، ودخل الباغ وقرب منه وجرت بينه وبين برويز مقالات . ثم إنه قال له : هب أنك قتلت ألف فارس . فما الذى

(١) طا، طر : وركب

يكون بعد ذلك ؟ إن جميع أهل هذا الاقليم قد خرجوا عليك، ولا يمكنك أن تنجو منهم . فقال : لقد صدق قول المنجم حين قال: "اذا رأيت سماءك من ذهب، وأرضك من حديد فقد قرب انتهاء أمدك" . وعنى بذلك ترسه الذى علق من الشجر فوق رأسه، وسيفه الذى كان تحت ركبته . ثم جاءوا بفيل عظيم فركبه برويز . وأمر شيرويه أن يدخلوا به الى طيسفون ويحبسوه فيها، ويوكلوا به كلينوس مع ألف فارس . فحبسوه على هذه الصفة . وكان ذلك اليوم تمام ثمان وثلاثين سنة من ملكه .

(٢١٩)

٤٣ — ذكر نوبة قُباذ بن برويز بن هُرمُز بن كسرى . وهو الملقب شيرويَه وكانت ولايته سبعة أشهر §

قال صاحب الكتاب : فلبس شيرويه تاج أبيه، وتسنم تخته. وحضره الايرانيون فتكلم عليهم، ودعا له الحاضرون وأثنوا عليه . فقال : أول ما نبدأ به مراسلة برويز ثم نشرع فى أمر السلطنة وترتيب قواعد المملكة . فقال : أريد شيخين طاعنين فى السن عارفين بأحوال الملوك حتى أرسلهما اليه . فأشاروا عليه بخرّاد بن برزين ورجل آخر من مشايخ الدولة يسمى أسفاذ كشَسب (أ)

§ قباذ بن برويز أو قباذ الثانى، ويسميه الفرس المشئوم[1]، ملك من فبراير الى سبتمبر سنة ٦٢٨م وفى فارس نامه أن أمه مريم بنت قيصر . وقد ورث ملكا مضطربا وأمرا مريجا فرضى بقتل أبيه، وقتل إخوته وكانوا، فيما يقال، ثمانية عشر[2] . وفى تاريخ حمزة أنه قتل اثنين وأربعين من إخوته وبنيهم .

وقد بدأ عهده بمسالمة الروم فوضعت الحرب أوزارها، بعد أن استمرت ستة وعشرين عاما، على أن تطلق الأسرى وترد الأرض المفتوحة من الجانبين ، وأن يرد الصليب — وقد احتفل هرقل بردّه الى بيت المقدس فى سبتمبر سنة ٦٢٩ — ولكن شهر براز لم يطع أمر قباذ بتخلية الأرض الرومية الخ .

وهلك قباذ بالطاعون وعمره اثنتان وعشرون سنة[3] . وهلك فى هذا الطاعون مائتا ألف ، وقيل هلك نصف الناس أو ثلثهم[4] . =

(أ) فى الطبرى : أسفاذ جُشنَس رئيس الكتبة . وفى الأخبار : يزدان جشنس رئيس كتاب الرسائل . وفى الغرر : أسفاذ كشنسب . وفى الشاه : أشتاد كشَسب .

(١) مروج الذهب . (٢) فارس نامه ص ١٠٨ (٣) فارس نامه وتاريخ كزيده .

(٤) مروج الذهب .

فقال لهما : نريد أن تركبا إلى طيسفون، وتقولا لأبينا : اعلم أن الذى جرى عليك ما كان لى فيه ذنب، ولا لأحد من الإيرانيين بل كان ذلك جزاءك على سيرك القبيحة، وأفعالك الذميمة التى منها سعيك فى دم أبيك، و بسطك يد الظلم فى رعيتك، و إجحافك بمن تحت أمرك (ا). ومنها إساءتك إلى جميع أجنادك بتفريقك بينهم و بين أولادهم وإخوتهم، فجهزت البعض الى الروم والبعض إلى الصين . ومنها إساءتك أيضا إلى الروم ، مع ما عملوا معك من الجميل حين ردّوك إلى ملكك وسلطانك ، ولما استقام أمرك أرسلوا اليك يطلبون منك خشبة بالية لاتضر ولا تنفع فلم تسعفهم بها (ب). ومنها أنه كان لك ستة عشر ابنا فحبستهم أجمعين فشددت وثاقهم وضيقت خناقهم . فكانوا معذبين فى يدك ليلا ونهارا يشكونك سرا وجهارا . وينبغى لك الآن ألا تحيل ما ألمّ بك إلا على أمر الله فتقلع عما كنت عليه وتتوب اليه . فلعل الله يأخذ بيدك، ويختم بالخير عمرك .

فلما سمع خرّاذ وأسفاذ هـذه الرسالة توجها نحو طَيسفون . فلما قربا من المحبس صادفا كلينوس (ح) الموكل به قاعدا على بابه مع رجاله فى عددهم وأسلحتهم . فقام وتلقاهما وأكرمهما وأجلسهما ثم سألهما عن مجيئهما . فقال خراذ : إن شيرويَه حملنا رسالة الى برويز، وجئنا لأدائها اليه . فقال كلينوس : إن شيرويه أمرنى ألا أمكن أحدا يكلم برويز إلا بما لا يخفى علىّ . فقال أسفاذ : الرسالة التى معنا ليست برسالة سر . فاستأذن على برويز، واسمع ما نخاطبه به". فقام ودخل على الملك، وكفر فى خدمته . فقال : أيها الملك ! إن على الباب خرّاذ وأسفاذ . وقد نفذا من تلك الحضرة برسالة اليك، وهما يستأذنان فى الدخول . فتبسم وقال : لست بملك حتى يحتاج الى استئذانى فى الدخول علىّ . فخرج ورفع دونهما الحجاب فتلثما بمنديلين إما من الحياء أو من الهيبة (ى)، ودخلا عليه فسجدا له ثم مثلا قائمين بين يديه، وهو قاعد على بساط كبير منسوج من الذهب، مرصع باللؤلؤ والجوهر، وتحته لحاف

= وسيرته فى الشاه ٦٠٤ بيت فيها العنوانات الآتية، فى الشاه :
(١) فاتحة القصـة وفيها رسالة قباذ الى پرويز . (٢) جواب خسرو پرويز الى قباذ .
(٣) ندب باربد خسرو . (٤) طلب الكبراء من شيروى قتل خسرو، وقتله على يد مهر هرمزد .
(٥) قصة شيرويه وشيرين امرأة خسرو پرويز، وقتل شيرويه .

(ا) هذه التهمة، كما فى الشاه، تتضمن ظلم الرعية والشدّة عليهم فى أمر الخراج فهى تطابق جواب پرويز الآتى
(ب) فى الشاه، بعد هذه التهمة، اتهام پرويز بالطمع فى أموال الفقراء .
(ح) فى الطبرى : جلينوس، وفى ورنر : كلينوس . وهو الذى يذكر فى وقائع الفتح الاسلامى .
(ى) «إما من الحياة أو من الهيبة» من عند المترجم .

من الديباج الأصفر، وفى يده سفرجلة، وهو محزون منكبّ على وسادة عنده . فاستوى لهما ووضع السفرجلة على الوسادة فزلقت وسقطت على الحاف وتدحرجت حتى نزلت من البساط إلى الأرض . فبادرها أسفاذ، وأخذها من الأرض، ومسح التراب عنها، ووضعها على رأسه ثم حطها بين يديه . فأعرض برويز وتطير من تدحرج السفرجلة، وامتلأ همّا ثم رفع رأسه الى السماء وقال : إلّهى : لارافع لمن وضعت ، ولا جابر لمن كسرت . ثم قال لأسفاذ : إن هذه السفرجلة أخبرتنا بخروج الملك من يدنا وأيدى أولادنا ومصيره الى غيرنا(ا) . ثم قال : فهات ما معك من عند ذلك الصبى الخبيث الدخلة القصير العمر". فاندفعا فى أداء الرسالة . فلما فرغا منها تنفس الصعداء وقال : احفظا الجواب وبلغاه إلى شهريار كم الجديد، وقولا : العاقل من شغله عيبه عن عيوب غيره . أما قولك : سعيتَ فى دم أبيك فاعلم أنه لا يخفى على العالمين أن المفسدين سعوا بيننا و بينه حتى خفنا على أنفسنا فآثرنا ترك الوطن ، وخرجنا من دار الملك الى أن جرى ما جرى . ولما رجعنا دهمنا قتال بهرام وتتابعت محنه الى أن جلونا الى الروم . ثم لما رزقنا الظفر وعدنا الى مستقرنا افتتحنا بالانتقام لأبينا فقطعنا أطراف بندويه وقتلناه، وتتبعنا كُستَهم حتى فرغنا منه — كما ذكر — وهما اللذان لا يخفى غناؤهما، وما ثبت لهما من الحقوق حيث جعلا أرواحهما وقاية لنا، وخاضا غمرات المهالك دوننا . فلم نبال بذلك حتى أهلكناهما طلبا للتشفى والانتقام . وأما قضية حبسك و إخوتك فإنا فعلنا ذلك خوفا من الذى حصلنا فيه اليوم . ولم يكن عليكم من الحبس إلا الاسم . فإنا(١) جعلناكم فى قصور منخرقة مفتّح بعضها الى بعض، وفى بساتين تمكنتم فيها من الطرد والصيد واللعب واللهو . وقد كنت أخبرت بما قد(٢) شاهدته منك فى كتاب عالم الهند (ب) فلم أبطش بك مع كونك حقيقا بذلك . والمكتوب مودع عند شيرين . فان أردت الوقوف عليه فأحضره . وأما الذين حبسناهم فإنا لم نتعوّد إراقة الدماء فاقتصرنا لذلك فى المذنبين ومن يستحق القتل على الحبس ، كما جرت(٣) به عادة الملوك . وأما ما ذكرت من ظلمنا للرعية فإنا لم نطالبهم قط إلا بواجب الخراج، وما طالبناهم بذلك إلا ليشتدّ(٤) ظهر ملكنا بالكنوز التى كنزناها . وهى الآن كلها بين يديك ، ومفاتيحها ملقاة إليك (ح) . وأما ما ذكرت من أمر الروم وسعيهم فى إعادة الملك إلينا فاعلم أنا لما ظفرنا فى تلك الوقعة لم نعرف ذلك

(ا) فى الطبرى : "إن السفرجلة التى تأويلها الخير سقطت من علو الى سفل" . و فى الغرر : "وكفاك بتدحرج هذه الثمرة، التى معناها الخيرية، الى التراب طيرة" . وتفسير هذا أن السفرجلة باللغة الفارسية "بهى" . وهى كلمة معناها الخير أيضا .

(ب) فى الشاه : ملك الهند . واسمه فى الطبرى فرميشا . وفى الأخبار الطوال : قرميسيا .

(ح) حذف المترجم هنا جواب پرويز عن اتهامه بتجمير الجند وتفريقهم فى الأقطار، كما فى الشاه .

(١) طا، طر : فانما . (٢) طا، طر : بما شاهدته . (٣) طا، طر : جرت بذلك .

(٤) طا، طر : لنشدّ .

إلا من فضل الله وقوته . ومع قلة غنائهم فى تلك الوقعة فقد عرف واشتهر ما أفضناه على نياطوس وحبوناه به من الجواهر والذهب والفضة والخيل والأسلحة . وأما امتناعنا من إنفاذ خشبة الصليب اليهم فان ذلك لأنا استحيينا من إهداء عود بال من إقليم الى إقليم . فانا لو فعلنا ذلك لصرنا ضحكة بين الخلق، ونسبنا الى الجهل وقلة العقل (١) .

ثم أمرهما بتبليغ جوابه الى شيرويه ، وودعهما وكلمهما بما فاضت منه العيون، واضطرمت منه القلوب . وقاما من عنده يلطمان وجوههما، وخرجا وقد شقا من الأسف والجزع جيوبهما . وعادا الى شيرويه، وبلغاه جواب أبيه فأخذ يبكى ويتوجع . ولما خلا المجلس من الذين خلعوا أباه نزل من التخت، وأخذ فى البكاء والعويل . ثم أمر صاحب طعامه بأن ينفذ الأطعمة اليه، ولا يمنعه شيئا مما يريد . فكان لا يأكل شيئا مما يحملونه اليه، وإنما كان يأكل مما تصلحه شيرين .

قال : وبلغ الخبر بما جرى عليه الى بهربذ العوّاد الذى سبق ذكره ، وكان بجهرم، فخرج باكيا مهموما مصفر الوجه محترق القلب ، وسار حتى قدم طيسفون . فدخل على برويز ورآه فى محبسه فكاد يهلك من الأسف والجزع . ثم خرج وهو يندبه بالغناء الفهلوى ويقول : لهفى عليك أيها الملك الهمام ! لهفى عليك أيها الشهريار المقدام ! أين روعتك وجلالتك ؟ أين بسطتك ومهابتك ؟ أين ذاك الطاق؟ أين ذاك الرواق ؟ أين تلك المجالس ؟ أين تلك الأوانس؟ أين تلك الرايات والأعلام؟ أين تلك السيوف والأقلام ؟ أين شبدازك الذى كان تحتك يقمص ، ومن فرط المراح فى الميدان يرقص ؟ أين تلك الجواشن المضيئة ؟ أين تلك المغافر الفضية ؟ أين آساد فرسانك ؟ أين رجالك الآخذون بركابك وعنانك ؟ أين تلك الخيول الطوامح ؟ أين تلك الفيول الجوامح ؟ مالك جالسا وحيدا ، وعن ندمائك وجلاسك فريدا ؟ طلبت الولد حتى يشدّ أزرك ، ولم يخطر ببالك أنه يريد أسرك . لقد نقص بدرك حين نشأ هلالك، وتقصّد رمحك لما انبرى خلالك . من رأى أكثر من عساكرك الجرارة، وأطمى من بحارك الزخارة ؟ ما أكثر[١] ما كانوا يوم الطمع ، وما أقل ما وجدوا عند الفزع !

(١) يرى القارئ أن إجابة برويز ليست على ترتيب رسالة قباذ . ثم يزيد الطبرى على هذه التهم إكثاره من النساء فى قصره والاضرار بهن ، وتزيد الأخبار الطوال أمره بقتل ٣٠ ألفا بدعوى انهزامهم من الروم ، وقتل النعمان بن المنذر . ورسالتا قباذ وبرويز مفصلتان فى الطبرى مسهبتان .

(١) صل : وما أكثر . والتصحيح من طا ، طر .

قال : فبكى الحرس من غنائه هذا . ثم إنه نذر أنه[١] لا يمس بعده مزهرا، ولا يجس وترا (أ) وقطع أربعة من أصابعه، وقبض عليهن، وجعل يفيض عليها من مدامعه . ودخل دارا، وأوقد نارا . وأحرق ما كان له من ملاهيه (ب) . وعاش[٢] بعد برويز ما عاش حليف الهم والحزن، نديم الويل والحَرَب .

ثم إن زاذ فرُّخ وأقرانه وأعوانه الذين كانوا السبب فى خلع برويز خافوا من اتفاق الوالد والولد فاجتمعوا ودخلوا على شيرويَه وقالوا : متى اجتمع سيفان فى غمد ، وملكان فى مكان واحد؟ وقد خاطبناك مرارا فيما نحن بصدده» . يلوّحون بذلك الى قتل برويز، والفراغ منه، مع إيعاد منهم له وتهديد إن لم يفعل . وكان قد صار فى أيديهم أسيرا . فخافهم على نفسه وقال : ارجعوا اليوم إلى منازلكم، وآنظروا من يباشر هذا الخطب الجسيم والأمر العظيم بحيث يكفيكم هذا المهم فى السر . فانصرفوا ولم يجدوا أحدا يقدم على ذلك ويتجاسر عليه . وعلموا أن من تعرّض لذلك الأمر الجليل فكأنما يعلق من عنقه ركنا من جبل . وما زالوا يتطلبون من يقوم بذلك حتى صادفوا رجلا مارا فى الطريق قبيح الصورة حافيا حاسرا جائعا . فعرضوا عليه ذلك . فقال : أنا لكم بهذا الأمر ، ولكن بعد أن تشبعونى . فقال له زاذ فرخ : افرغ من هذا وعجل فإنى أعطيك كيسا من ذهب . فدخل إلى محبس برويز . فلما رآه بكى وأحس بالأمر وقال : من أنت وما اسمك ؟ ثكلتك أمك . «فقال : أنا رجل غريب أدعى مِهر هُرمُزد (ح) . وكان[٣] عنده وصيفة أو وصيف قائم على رأسه فقال له : هات الطست والإبريق، وهات ثوبا جديدا . فلما أتاه الغلام بذلك زمزم وتاب وغطى وجهه بذلك الإزار حتى لا يرى وجه قاتله . فبادره العلج الفاجر بخنجره، وهتك عن قلبه حجاب صدره فانصرم حبل عمره . وتلك عادة الزمان يتقلب بأهله حتى يصير العزيز ذليلا، والعظيم ضئيلا . والعاقل من الملوك يعتبر ببرويز، ويحذر فى سلطانه القوى العزيز . فلا يتنكب طريق العدل والسداد، ولا يقدم إلا على ما فيه صلاح البلاد والعباد :

(أ) فى الشاه : أُقسم بيزدان وباسمك أيها الملك ! وبالنوروز والمهرجان والربيع السعيد الخ .

(ب) يعنى آلات اللهو ، كما فى الشاه : همه آلت خويش يكسر بسوخت .

(ح) هو فى الطبرى : مهر هرمز بن مردانشاه والى نيمروز الذى قطع پرويز يده (طبرى ، ج ٢ ص ١٦٥) .

(١) طر : ألا يمس . (٢) طا ، طر : فعاش . (٣) طا ، طر : كانت .

هي الدنيا تقول بملء فيها : حذار حذار من بطشى وفتكى
ولا يغرركم حسن ابتسامى فقولى[1] مضحك والفعل مبكى
بكسرى برويز اعتبروا فإنى أخذت الملك منه بسيف هلك
وكان قد استطال على البرايا ونظم جمعهم فى سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما لقال لها عتوا : أف منك !
ولو زهر النجوم أتت رضاه تأبى أن يقول : رضيت عنك
فأمسى بعد ما ملك البرايا أسير الموت فى ضيق وضنك

قال : ولما شاع خبر قتله بادر الطغاة الملاعين ، والبغاة الشياطين الى محابس أولاده ، وكانوا خمسة عشر نفسا ذكورا ، فقتلوهم جميعا ، ولم يكن شيرويه لدفعهم مستطيعا . لأنه كان فى أيديهم اسيرا ولأوامرهم مطيعا . فبكى كثيرا ثم نفذ جماعة من الحرس إلى حجر نساء أبيه ليحفظوا أستارهن .

وبعد ثلاث وخمسين يوما من مقتله أرسل الى شيرين ، وأوعدها وهدّدها ، وخاطبها بالساحرة الفاجرة ، واستدعاها الى حضرته . فلما أتاها الرسول خلت ، واستحضرت كاتبا ، وأوصت اليه وأطلعته على جميع أحوالها وأسرارها . ثم ردّت جواب شيرويه ، وقالت للرسول : قل لشيرويه تسربل الحياء ، ولا تخاطبنى بمثل هذا المقال ، وحاشا أن أنسب الى شىء مما ذكرت من قبيح الفعال . إن أباك لما توسم اليمن فى ناصيتى ، وتفرّس البركة فى عقبى اجتبانى ، ومن بين نسائه اصطفانى . فخف الله واحذر عقابه ، ولا تنسبنى الى القبيح . فلما أتاه هذا الجواب اغتاظ ، وردّ اليها الرسول وقال : لابد لك من الحضور . فعظم ذلك على شيرين ، وردّت اليه فى الجواب أنى لا أحضر عندك إلا اذا كان بين يديك خمسون من مشايخ الدولة وأعيان الحضرة . فأحضرهم وأرسل اليها فاستحضرها[2] . فلبست شيرين ثياب الحداد ، وظاهرت بين البياض والسواد (١) ، (٢٣١)

---

(١) فى الشاه : مول ، وورنر ، تبريز : لبست السواد والزرقة :

چوشيرين شنيد آن ، كبود وسياه بپوشيد وآمد بنزديك شاه

(1) طا ، طر : فوجهى مضحك . (2) طا ، طر : واستحضرها .

واستصحبت قطعة سم . وحضرت فى مجلس "شاذ كان" عند شيرويه، وقعدت من وراء الستار . فأرسل اليها شيرويه وقال : قد مضى اليوم شهران من عزاء الملك . وإنى أريد أن أتزوّج بك ثم أعمل معك من الجميل فوق ما عمل برويز، وأعتنى بأمرك، وأحسن اليك . فقالت : أنصفنى فى ثلاثة أشياء، ثم هأنا بين يديك فاحكم فىّ بما تشاء . فرضى شيرويه بما قالت، وسألها عن الأشياء الثلاثة . فقالت من وراء الحجاب : أيها الملك ! إنك رميتنى بالفجور والسحر، وزعمت أنى بعيدة من الطهارة والعفة . فقال شيرويه : قد صدر منى ذلك عن رأس الحدّة والغرّة . والشباب لا يؤاخذون بمثل ذلك . فلما سمعت ذلك قالت للحاضرين : إنى كنت ست إيران ثلاثين سنة . فان كنتم سمعتم فى هذه المدّة المديدة أنى قرفت يوما بريبة أو رأيتموها علىّ فاذكروا ذلك . فرفعوا أصواتهم ببراءتها وتزكيتها، وشهدوا لها بطهارة الذيل ونقاء الجيب . فقالت : اعلموا أن النساء يحمدن بثلاثة أشياء : أحدها يمن الأثر مع الحياء وموافقة الزوج، والثانى النجابة فى الولد، والثالث وفور الجمال والحسن . وقد عرف واشتهر حال الملك لما قدم من بلاد الروم . وقد رأيتم ما صار اليه من الجلالة والبهاء بيمن نقيبتى فى آخر الأمر . وأما النجابة فقد رزقت منه أربعة من البنين لم يولد أمثالهم من جمشيد ولا أفريذون . وأما الجمال فهو معلوم، وإن لم تصدّقونى فانظروا إلىّ . وكشفت الحجاب، وحطّت النقاب . فدهشوا لما رأوا من وجه كالنهار الشامس، وشعر كالليل الدامس . فلما رآها شيرويه كادت تزهق روحه شغفا بها، وقال[(١)] : اذا كنت لى فلا أريد من الدنيا غيرك . وقد اجتزيت من ملك إيران بك . فقالت : أريد من الملك إسعافى بالحاجات الثلاث . فضمن لها إنجاحها، وسألها عنها . فقالت : إحداها أن ترد إلىّ جميع ما كان لى من صامت وناطق . والثانية أن تكتب خطك فى هذا المكتوب بإمضاء جميع ما فيه . فأسعفها بالحاجتين . فعادت الى دارها، وأعتقت مماليكها، وأعطتهم بعض تلك الأموال، وفرّقت الباقى على الفقراء والمساكين والمحتاجين صدقة عن برويز . قال : وسألها عن الحاجة الثالثة . فقالت : أن تمكننى من الدخول الى ناووس أبيك حتى أجدّد به العهد . فأمر ففتحوا باب الناووس . فدخلته وهى تبكى وتندب فوضعت خدها على خدّ برويز ثم تناولت السم الذى كان معها فماتت من ساعتها . فانتهى[(٢)] الخبر بذلك الى شيرويه فعظم عليه، وأخذ فى البكاء والعويل حتى مرض من فرط الجزع . ثم إنهم سموه بعد سبعة أشهر ومات . وانتقل الأمر إلى ولده من بعده .

(١) طا، طر : فقال .

(٢) طا، طر : وانتهى .

٤٤ — ثم ملكوا[1] أردَشير بن شيرويَه بن برويز[2] وكانت مدّة ولايته سنة واحدة §

قال : فلبس التاج بعد أبيه . وحضره الناس فوعدهم من نفسه بحسن القول والعمل، وسلوك سبيل السلاطين الأول فى بسط العدل، وإفاضة الأمن . فدعوا له، وسرّوا بمكانه . ثم إنه فوّض بهلوانية جنوده إلى رجل يسمى فيروز، موصوف بالشهامة والرجولية .

وانتهى الخبر بموت شيرويه وقيام أردشير مقامه الى جُراز إصبهبذ حدود الروم فكتب الى مشايخ ايران كتابا يلعن فيه شيرويه لما صدر منه من الأمر بقتل أبيه، ويقول : لم يخطر ببال أحد أن هلاك مثل ذلك الملك الكبير يتيسر على يدى ذلك الشقى الحقير . وقد جاء البشير بموته وقيام ولده مقامه . وأنا غير راض بذلك، وسأقدم عليكم بعساكر الروم والفرس، وأقلع جرثومته وأحسم مادته، ثم أنظر[3] من يصلح لهذا الأمر . وكتب فى السر الى فيروز كتابا يقول فيه : اعلم أن دولة الساسانية قد انتهت، ومعاقد أمورهم قد انحلت ووهت . ولا بدّ من سائس مهيب يتولى الأمور، ويسوس

---

§ أردشير الثالث الملقب "كوچك" أى الصغير[4]، أوتى الملك صبيا، كان فيما يقال، ابن سبع سنين[5] . وحضنه رجل يقال له مِهآذر جُشنَس رئيس أصحاب المائدة[6] .

ودام ملكه سنة وستة أشهر (فبراير سنة ٦٢٨ — إبريل سنة ٦٣٠ م) .

والذى ثار عليه وقتله هو شهر براز الذى دبر خلع برويز، كما تقدّم . وخلاصة ما فى الطبرى أن شهر براز كان فى ثغر الروم على جند ضمهم اليه برويز وسماهم السعداء . وكان برويز وشيرويه يكتبان اليه ويستشيرانه . فلما لم يشاوره عظماء الفرس فى تمليك أردشير اتخذ ذلك ذريعة الى الخلاف والتعتب طمعا فى الملك . فقدم فى ستة[7] آلاف جندى الى طَيسبون فحاصرها، ودافع عنها مِهآزر الوصىّ . ثم احتال شهر براز حتى خدع رئيس حرس أردشير، وإصبهبذ نيم روز . ففتحا له المدينة فدخلها وأمر بقتل أردشير فى السنة الثانية من ملكه، ماه (شهر) بهمن، ليلة روز أبان فى إيوان خسرو شاه قباذ .

وكان شهر براز قد عاهد هرقل على أن يرد اليه مصر وسورية وآسيا الصغرى . وأكدا العهد بالمصاهرة فأمن مخالفة الروم عليه[8] .

---

(١) طا، طر : ثم ملك . (٢) طا، طر، برويز بن هرمزد بن كسرى أنوشروان . (٣) طا، طر : أنظر فيمن . (٤) الآثار، ص ١٢٢ (٥) تاريخ كزيده والطبرى وفارس نامه . (٦) الطبرى، ج ٢ ص ١٦٦ (٧) فى الغرر : عشرون ألفا . (٨) ورنر، ج ٩ ص ٤٤

الجمهور . فدبر الآن فى إهلاك أردشير . ومهما فعلت ذلك فقد أدركت جميع آمالك . واحفظ هذا السر فانك إن أطلعت عليه أحدا لم تلق[1] خيرا . واعمل بمقتضى أمرى ، ولا تستصغرن شأنى . والسلام .

فلما وصل الكتاب[2] الى فيروز ترك رشاده ، وملك الشيطان قياده ، وأخذ فى التدبير على الملك أردشير . فاستصحب جماعة من غلمانه ذات ليلة وحضر بابه . ففتح له الطريق فدخل فوجده فى مجلس الشرب . فرحب به وأظهر السرور بحضوره ، واندفع معه فى الشرب . وقعد فيروز عنده الى أن ثمل الندماء وقاموا وخلا المجلس ، وبقى هو مع أردشير وحده . فوثب عليه ووضع يده على فمه حتى طفئ ومات (أ) . فماج الناس بعضهم فى بعض ، وشهروا السيوف غير أنهم كانوا موافقين لفيروز فيما فعل فسكنوا . ولما أصبح فيروز كتب الى جُراز بما فعل . فلما وصل اليه الكتاب أقبل فى عسكر عظيم حتى قدم طَيسفون .

٤٥ — ثم ملكوا فرائين فلم يبق سوى شهر وثمانية أيام . وكان هذا الرجل لم يكن[3] من بيت الملك §

قال : فلما لبس التاج فرح بالسلطنة ، وقال : لأن أعيش يوما واحدا على التخت خير من أن أعيش ستين سنة وعلىّ أمر لأحد . وكان له ابن فقال له : إن السلطنة تتعلق بالمال والعسكر ،

= ثم قد تقدّم أن الصليب الذى أخذه پرويز من بيت المقدس استردّه هرقل واحتفل لذلك ١٤ سبتمبر سنة ٦٢٩ م[4] . فان صح هذا التاريخ فاسترجاع الصليب إنما كان فى عهد أردشير . وكأن الفرس ، وهم فى أمر مريج ، أرادوا كف عادية الروم برد الصليب اليهم .

وقصة أردشير فى الشاه ٦٤ بيتا فيها العناوين الآتية :

(١) جلوس شيرويَ على العرش ، ونصحه الكبراء . (٢) نفوركُراز من تملك أردشير ، وتدبيره لقتل أردشير بيد فيروز خسرو .

§ تختلف الكتب فى تسمية الملوك الساسانيين بعد أردشير بن قباذ بن پرويز ، وفى سياق تاريخهم . فحمزة الأصفهانى يقتصر على ثلاثة . ويعدّ الطبرى وابن البلخى فى فارس نامه ثمانية . وفى الإشراف والتنبيه وجدولين فى الآثار الباقية سبعة . وفى الشاه وتاريخ كزيده والجدولين الآخرين فى الآثار خمسة . وإجماع الكتب على ثلاثة : بوران دُخت ، وآزرمى دُخت ، ويزدجرد . وتكاد تجمع على الخمسة الذين ذكرتهم الشاه . وهم : =

(أ) فى الغرر : أنه وضع له سما فى طعام (ص ٧٣٢)

(١) طا ، طر : لم تر . (٢) طا ، طر : هذا الكتاب . (٣) كذلك فى النسخ كلها . (٤) ص ٢٥١ السابقة .

وإذا كان ذلك(١) فقد ملكت . فان أفريذون كان ابن آبتين ، ولم يرث منه التاج والتخت ، وإنما ملك بالمال والعسكر(أ) . فطاب قلبه بهذا الكلام ، وأمر بوضع ديوان الجيش ، واستحضر الأجناد ، وبذّر فى الإعطاء ، وأفاض الخلع على من لم يستحقها من الأجناد فأفرغ خزائن أردشير فى أسبوعين حتى لم يبق فيها ولا زيشة نشابة . ثم أقبل على الأكل والشرب والإسراف فيهما وفى الإنفاق والإتلاف بسببهما . فتغيرت عليه القلوب . فقال بعض أمراء اصطخر لقواد إيران : إن أمر هذا الرجل قد ثقل على قلوبنا ، فانه يستخف بالأكابر ولا يلتفت الى الأماثل ، فلا تسكتوا عنه . فقالوا : إنه لما تبذلت السلطنة لم يبق فى قلب أحد غيرة حتى يقتل هذا الدعىّ الخبيث الأصل . فقال جُراز : إن وافقتمونى فى الأمر ولا تمدّوا إلىّ يد الشر ، ولا تجنبوا طريق الحرية نكسته اليوم من التخت . فقالوا : نحن كلنا معك . وحاشا أن نمسك بسوء ، ونقصدك بمكروه .

= (١) كراز . وهو شهربَراز . (٢) بوران دُخت بنت پرويز . (٣) آزرمى دخت بنت پرويز . (٤) فرُّخزاذ بن پرويز(٢) . (٥) يزدجرد بن شهريار بن پرويز .

والأسماء الأخرى التى تختلف عليها الكتب كثيرا هى :

(١) كسرى بن قباذ أو ابن مهرجُشنَس . (٢) فيروزجشنس بنده . (٣) خرداذ خسرو ابن پرويز (ويظهر أنه فرخزاذ) . (٤) كسرى خُرّهان بن أرسلان . وقد انفرد بذكره ابن البلخى . وغريبٌ التسمية بهذا الاسم التركى "أرسلان" .

فأما فرائين فيسمى فى الشاه : فرائين كُراز . فهو القائد الذى دبر قتل أردشير بيد فيروز ، كما تقدّم . وهو أحد القوّاد العظام الذين قادوا جيش الفرس فى الحرب المتمادية بينهم وبين الروم . ويسمى فى الطبرى والغرر : شهر براز . و"براز" هى "كراز" التى يذكرها الفردوسى اختصارا . وقد تقدّم أن "شهر براز" اسم الرتبة . واسم القائد فرُّخان ماه اسفندار . والظاهر أن فرائين تحريف فرخان فى الفهلوية . ففرائين كراز هو اذا فرخان شهر براز . وبذلك يفهم اختلاف الكتب فى تسمية الرجل الذى ولى الملك بعد أردشير بن قباذ . ويذكر فى الأخبار باسم شهريار . وقد أغفله حمزة ، وذكر بوران دخت بعد أردشير . =

(أ) فى الشاه أن ابنه الأكبر حذره عاقبة الأمر لأنه ليس من عنصر الملك وأن ابنه الأصغر قال : إن الملك بالمال والجند وإن أفريدون لم يكن آبن ملك الخ . وفى الغرر نحو هذا (ص ٧٣٤) .

(١) طا ، طر : لك ذلك . (٢) الغرر الطبرى .

فأخرج نشابة عليها نصل من الفولاذ، وقد حضروا مع الملك فى الميدان ، فأخذ ينزع فى قوسه تارة من اليمين وتارة من الشمال . فسدّد فى أثناء ذلك يده نحو الملك فوضعها فى وسط ظهره حتى خرج نصلها مع روحه من صدره . فثار الأجناد فى الميدان ، وسلوا الأسياف يضرب بعضهم بعضا إلى أن تفرّقوا .

٤٦ — ثم ملّكوا بوران بنت كسرى أبرويز . وكانت ولايتها ستة أشهر

قال : فطلبوا من يملكونه[1] فلم يجدوا أحدا . وكانت لبرويز بنت تسمى بوران فملكوها . ولما لبست التاج وتسنمت التخت وعدت الحاضرين بأنها تسير فيهم بأحسن سيرة وأعدل طريقة .

= ومدّته فى الشاه ٥٠ يوما . وفى الطبرى والإشراف ٤٠ يوما . وفى الآثار الباقية شهر . والمرجح أنه حكم ٤٠ يوما (٢٧ أبريل — ٩ يونيه سنة ٦٣٠ م) .

ثم قصته فى الشاه ٦٨ بيتا فيها عنوانان :

(١) گراز يغتصب السرير . (٢) قتل فرائين بيد شهران گراز .

وينبغى التنبيه هنا الى أمرين : الأوّل أن جراز القاتل يذكر فى الشاه باسم هُرمُزد شهران گراز، وأن جراز الذى يذكر منذ أيام پرويز هو شهر براز القائد العظيم الذى تولى الملك باسم فرائين . والثانى أن الأمير الذى سماه المترجم "بعض أمراء اصطخر" هو جراز نفسه الذى انتدب لقتل فرائين، يفهم هذا من الشاه .

وفى الطبرى أن الاصطخرى اسمه فسفروخ، وأنه ائتمر هو وأخواه، وكانوا فى حرس الملك، فلما مر شهر براز بين سماطين من الجند، كدأ به اذا ركب، طعنه فسفروخ ثم طعنه أخواه فسقط عن دابته ميتا فشدّوا فى رجله حبلا وجروه إقبالا وإدبارا . وفى فارس نامه : أن بوران بنت كسرى حرضت عليه بسفَرّخ فقتله .

وأما بوران دُخت ففى الآثار[2] أنها لقبت "السعيدة" وأنها بنت مريم بنت قيصر . وفى الغرر: أنها تشبهت بخُمانى بنت بهمن، وحكمت الناس من وراء حجاب، وأمرت بقتل خسره فيروز قاتل أردشير.[3] وفى الطبرى : أنها صيرت مرتبة "شهر براز" لفسفرخ (قاتل شهر براز) وقلدته وزارتها .

وكان ملكها ثمانية عشر شهرا أو ستة عشر (من صيف سنة ٦٣٠ — خريف ٦٣١ م) .

وقصتها فى الشاه ٢٣ بيتا .

---

(١) طا، طر : من يملكونه من أولاد الملوك . (٢) آثار ص ١٢٢ (٣) الغرر: ص ٧٣٥

فنثروا عليها الجواهر، وأظهروا البشائر. ثم إنها تتبعت فيروز قاتل أردشير، وأرصدت له حتى قبضت عليه . فأمرت به فكتف وربط بمهر ريض، وأمرت غلمانها فعدّوا المهر فى الميدان حتى تطايرت أشلاؤه ، وتفرقت أجزاؤه . وبقيت ترعى الرعية وتحسن السيرة . فلما انقضت من ولايتها ستة أشهر مرضت وماتت .

وقال غير صاحب الكتاب أنها ردّت خشبة الصليب على ملك الروم (أ) .

وكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

٤٧ — ثم ملكوا آزَرم دُخت بنت كسرى أبرويز أيضا . وكانت ولايتها أربعة أشهر (ب)

قال صاحب الكتاب : فملكت بعد أختها . ولما لبست التاج وجلست على التخت قالت : إنا نضع أمورنا على قواعد العدل، ونبنى أحوالنا على قوانين السداد . وكل من أحبنا أحسنا اليه، وكل من لوى رأسه عن طاعتنا قتلناه كائنا من كان . فبقيت تنهى وتأمر إلى تمام أربعة أشهر من ولايتها فقضت نحبها ولحقت صحبها .

وقال غير صاحب الكتاب : إنه ملك بعد بوران رجل من بنى عم برويز الأبعدين، وكان ملكه أقل من شهر، ثم ملكت آزرم دخت ، وكانت من أجمل النساء . وكان عظيم فارس يومئذ رجل يسمى فلانا، وكان إصبهبذ خراسان ، فأرسل اليها يسألها أن تزوجه نفسها . فأجابت وقالت : إن التزوج بالملكة غير جائز . وقد علمت أن غرضك قضاء شهوتك . فصر إلىّ فى ليلة كذا وكذا. ففعل وركب اليها فى تلك الليلة . وكانت الملكة تقدّمت إلى صاحب حرسها أن يترصده فى الليلة التى تواعدا الالتقاء فيها فيقتله ففعل . ولما قتله جر برجله وطرح فى رحبة دار المملكة . فلما أصبحوا وجدوه قتيلا فأمرت فغيبت جثته . وعلم أنه لم يقتل إلا لعظيمة . وكان لهذا الاصبهبذ ابن يسمى رُستَم، وهو الذى وجهه يزدجرد بن شهريار لقتال المسلمين، وكان خليفة أبيه بخراسان . فلما سمع بما جرى على أبيه أقبل فى جند عظيم حتى نزل على المدائن فحاصرها وأخذها . وقبض على آزرم دخت وسمل عينيها ثم قتلها .

(أ) فى الطبرى : أنها ردّت خشبة الصليب على ملك الروم مع جاثليق اسمه إيشوعهب .

(ب) فى الطبرى : ستة أشهر . وكان حكمها أواخر سنة ٦٣١ وأوائل سنة ٦٣٢م . وقصتها فى الشاه ١٤ بيتا .

٤٨ — ثم ملك فرُّخ زاد . وكانت ولايته شهرا

وهو من ولد برويز . وكان عند مقتله هرب إلى حصن بناحية نصيبين يقال له حصن الحجارة (أ) فجاءوا به وتوجوه . فملك[1] بعد آرزم دُخت ، واعتصب بتاج الملك . وبقى شهرا من الزمان ثم سقى سما فعاش سبعة أيام ومات (ب) .

وقال غير صاحب الكتاب أنهم ملكوا بعد آرزم دخت رجلا ولد من بعض بنات كسرى أنوشروان (حـ) وكان عظيم الرأس فلما توجوه قال : ما أضيق هذا التاج ! فتطيروا من كلامه وقتلوه فى الحال . ثم جاؤا بفرخ زاد فملكوه .

٤٩ — ذكر نوبة يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز . وهو آخر ملوك العجم . وكانت مدة ولايته عشرين سنة §

قال غير صاحب الكتاب : كان لبرويز ابن هو أكبر أولاده يسمى شهريار . وكانت شيرين قد تبنته فكانت تشفق عليه وتحبه . قال : وكان المنجمون قد قالوا لكسرى برويز : سيلد بعض بنيك ولدا يكون خراب هذا البيت وانقضاء دولتهم على يديه . وعلامته نقص يكون فى بعض جسده . فحصر أولاده عن النساء . فغلبت شهوة الجماع شهريار حتى سلبته النوم والقرار . فبعث الى شيرين يشكو اليها ما به من الشبق ، ويسألها أن تدخل عليه امرأة كائنة من كانت ، وإن لم تفعل قتل

---

§ يزدجرد بن شهريار بن پرويز كان ممن نجا من سيف عمه شيرويه حين قتل إخوته وبنيهم ؛ هرب به ظئره الى بعض الأطراف[2] . وكان تمليكه بعد ظفر أنصاره على أنصار عمته آزميد خت أو أنصار فرخزاد[3] . وكانت سنه إذ ذاك خمس عشرة أو ست عشرة سنة[4] . وقد عاش بعد تمليكه عشرين سنة أمضى منها زهاء سبع سنين بالمدائن ثم خرج منها حين قاربها العرب وظل يطوف فى أرجاء إيران حتى قتل فى خراسان حوالى سنة ثلاثين من الهجرة فى خلافة عثمان[5] . =

(أ) قوله "وهو من ولد برويز — الحجارة" ليس فى الشاه بل فى الطبرى .

(ب) فى الشاه : أن عبدا من عبيده أحب جارية فى القصر فأرسل اليها فشكت إلى فرخ زاد فسجنه . ثم أطلقه بشفاعة بعض الناس وقرّبه فوضع له السم فى الخمر .

(حـ) اسمه فى الطبرى : فيروز بن مهران جُشنس .

(١) طا ، طر : قال : فلك . (٢) حمزة ، ص ٤٣ (٣) الأخبار ، ص ١١٩ ، وفارس نامه ١١٢

(٤) الأخبار ، ص ١١٩ ، وفارس نامه ص ١١١ ، والآثار ، ص ١٢٢ (٥) الغرر ، والأشراف ، والأخبار ، وحمزة .

نفسه . فأدخلت جارية كانت استعملتها فى الحجامة . فوثب عليها شهريار فحملت . فحجبتها شيرين حتى ولدت يزدجرد فكتمت أمره خمس سنين . ثم إنها قالت ذات يوم لبرويز : أيسرك أن ترى لبعض بنيك ولدا ؟ فقال نعم . فأمرت بإحضار يزدجرد عنده فى الملابس الرائقة . فلما رآه أحبه بحيث لا يكاد يصبر عنه . فبينا هو يلعب بين يديه إذ ذكر قول المنجمين . فعرّاه ونظر الى ما أقبل منه وما أدبر فرأى فى أحد وركيه نقصا . فاستشاط وحمله ليضرب به الأرض فتعلقت به شيرين وقالت : إن كان قد قدّر شىء فلا مردّ له . فقال : أخرجيه عنى حتى لا أنظر اليه . فأخرج مع ظئورته الى بعض النواحى فبقى فيها . وجرى ما جرى من تقلب الأحوال، وتعاقب الأدوار الى أن ملك فرخ زاذ . فوجده أهل اصطخر عندهم فى بيت نار يدعى نار أردشير . فتوجوه هنالك وقدموا به المدائن فسمُّوا فرخ زاذ، وأقعدوه مكانه وهو حدث . فكان وزراؤه هم الذين يدبرون أمره .



قال صاحب الكتاب : ولما تسنم يزدجرد سرير الملك، ولبس تاج السلطنة، وحضرته الأمراء والأكابر والأعيان والأماثل قال : أنا الولد الطاهر الذى ورثت هذا الملك كابرا عن كابر . وسأجذب بأعضاد الأصاغر، وأزيد فى مراتب الأكابر، وأتجنب فيكم العتو والطغيان، ولا أوثر إلا العدل والإحسان . فانه لا يبقى للملوك سوى ذكر جميل هو للانسان عمر ثان . وما أحسن حلية العدل والدين على نحور السلاطين ! ورأيى فيكم أن أفرغ وسعى فى قلع شأفة الشر، وأقصر جهدى على إحياء معالم الحق .

قال : فبقى ينهى ويأمر، ويبرم وينقض، ويورد ويصدر حتى أتت على ملكه ستة عشر عاما فآذن بناء الدولة الساسانية بالانقضاض، وتسلطت من المسلمين على قواعد ملكهم أيدى الانتقاض

= وكان ملكه من سنة ٦٣٢ أو ٦٣٤ الى سنة ٦٥٢ م . وأتخذ ملكه مبدأ التاريخ اليزدجردى الذى يبتدئ ١٦ يونيه سنة ٦٣٢م . ولا يزال مؤرّخا به بين البارسيين . ولا يزالون يعيّدون بجلوسه على العرش كل سنة . وقصة يزدجرد فى الشاه ٨٨٦ بيت . وفيها العناوين الآتية :

(١) ملك يزدكرد . (٢) إغارة سعد بن أبى وقاص على إيران وإرسال يزدكرد رستم لحربه . (٣) رسالة رستم الى سعد . (٤) جواب سعد . (٥) مبارزة رستم وسعد وقتل رستم . (٦) مشاورة يزدكرد الايرانيين، وذهابه الى خرسان . (٧) كتاب يزدكرد الى ماهوى السورى ومرازبة خراسان . (٨) ذهاب يزدكرد الى طوس، واستقبال ماهوىَ السورى إياه . (٩) تحريض ما هوىَ السورى بيرن على حرب يزدكرد، والتجاء الملك الى طاحون . (١٠) قتل يزدكرد بيد خسرو الطحان . (١١) جلوس ماهوى السورى على العرش . (١٢) سوق بيرن الجيش لحرب ماهوى السورى . (١٣) قتال بيرن وماهوى، وقتل ماهوى .

وحينئذ امتلأ صاع ملوك العجم واستعلت[١] الأنوار الإسلامية فزحزحت تلك الظلم . فنفذ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لقتالهم . فلما بلغ ذلك يزدجرد جمع عساكر كثيرة خذلهم التوفيق، فجعلهم تحت راية رستم الذى سبق ذكره، وكان بهلوانا شجاعا وفارسا مقداما ، فجهزه بهم الى القادسية حين وصلت اليها عساكر الإسلام . فالتقوا هنالك وجرت بينهم وقعة عظيمة . وكانت الحرب بينهم[٢] أولا سجالا فقتل من الجانبين خلق كثير . ثم ظهرت الغلبة الاسلامية . وكان رستم منجما فرأى طالع الفرس منحوسا، وعلم أن نعيمهم عاد بوسا . فكتب كتابا الى أخيه مشحونا بالأسف والحزن، يذكر فيه أنى نظرت فى أسرار الكواكب، واستشففت أستار العواقب فرأيت بيت ملك الساسانية خاليا، ورسم سلطانهم عافيا، واتفقت الشمس والقمر والزهرة فى طالع العرب . فلن يروا سوى الخير والعلاء . وأما من جانبنا فقد صار الميزان خاليا فلسنا نرى غير العناء والشقاء . ولقد أمعنت النظر، وبين أيدينا أمر عظيم وخطب جسيم . والأولى أن أوثر السكوت وأفوّض الأمر الى مالك الملك والملكوت (ا) . وقال فى كتابه : وإن الرسل تختلف بيننا وبينهم . وهم يلتمسون أن نقاسمهم[٣] الأرض فيكون لهم ما وراء الفرات، ويكون لنا ما دونه على أن نفتح لهم الطريق الى السوق حتى يدخلوا إليها ويتسوّقوا §

§ فى الشاه : نقتسم مع الملك الأرض من القادسية الى شاطئ النهر، ويفتح لنا وراء النهر طريق الى مدينة ذات سوق لنبيع ونشترى . ولا نبغى وراء ذلك . ونؤدّى الجزية ولا نطمع فى تاج العظماء، ونطيع الملك، ونبذل له الرهائن إن شاء .

وقد ترجم مول وورنر الجملة الأولى : "نترك للملك الأرض من القادسية الى شاطئ النهر" . وهذا لا يستقيم فى القصة ولا يلائم طلبهم أن تفتح لهم وراء النهر طريق السوق . وقد أصاب المترجم العربى وأخطأ مول وورنر . وظاهر أنهما أخطأا فى ترجمة هذا البيت :

كه أز قادسى تالب رودبار   زمينرا ببخشيم با شهريار

ترجما "ببخشيم" نعطى . وهى هنا بمعنى نقسم . وبذلك اضطرا الى حذف ترجمة كلمة "وزآنسو" من البيت التالى :

وزآنسو يكى بركشايند راه   بشهرى كجاهست بازاركاه

لأنها تدل على طلب العرب طريقا وراء الفرات .

(ا) فى الشاه : وستمضى أربعمائة سنة دون أن يملك واحد من هذه الذرّية .

(١) طر، كو : اشتعلت . (٢) طا، طر، كو . أولا بينهم . (٣) صل : نقاسم بهم .

هذا قولهم، و ياليته وافقه فعلهم . ثم إنه يجرى كل يوم وقعة يهلك فيها خلق من الايرانيين . والذين معى منهم قوم مغترون بشجاعتهم ورجوليتهم ووفورة عددهم وعُددهم ، ومستصغرون أمر العدو القادر ، ولا يدرون سر الفلك الدائر . فاذا وقفت على كتابى هذا فاجمع أموالك وخزائنك ، وخيلك ورجلك، وانهض الى آذربيجان، واعتصم بتلك البلاد . واشرح لأمى حالى وسلها الدعاء . فانى وأصحابى فى عناء وتعب وهمّ وأسف . وأنا أعلم أنى لا أسلم بالآخرة من هذه الوقعة . ثم عليك بحفظ الملك فانه لم يبق من هذه الشجرة أحد سواه . فالله[١] يحفظه ويتولاه . ثم أطال ذيل الكتاب فى هذا المعنى (أ) . ولما ختمه نفذه الى أخيه . وكتب كتابا الى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، على الحرير الأبيض . وشحنه بالوعد والوعيد، وجعل[٢] عنوانه من رُستَم بن هُرمُزد الى سعد بن أبى وقاص . وافتتح كتابه بحمد الله والثناء عليه ثم الدعاء[٣] ليزدجرد صاحب التاج والتخت . ثم قال : أعلمنى بما أنت عليه من دينك ، ورسمك وآيينك . وأخبرنى من سلطانك وبمن اعتضادك واعتصامك . فقد جئت فى عساكر حفاة عراة بلا ثقل ولا رحل ولا فيل ولا تخت . ثم بلغ بكم الأمر من شربكم ألبان الإبل وأكلكم أضباب[٤] القيعان إلى تمنى أسرّة الملوك العجم أرباب التخوت والتيجان . فأقبل الى خدمة الملك حتى ترى من اذا تبسم وهب أثمان جميع رءوس العرب ، ولا ينقص ذلك كنزه شيئا . وهو الذى على بابه من السباع الضوارى المعلمة والجوارح اثنا عشر ألفا بأطواق الذهب وأقراطه، وتزيد نفقاتهم لسنتهم الواحدة على جميع حاصل بلاد العرب .

وأخذ فى كتابه يرفع أمر العجم بالملابس والمفارش، ويضع قدر العرب بالمطاعم والمكاسب، ولا يعرف أن المجد وراء ذلك . ثم إنه التمس فى كتابه أن يرسل اليه رسولا يطلعه على مقصوده من قتال العجم حتى ينفذه الى حضرة يزدجرد، ويعرض عليه ماتحمله[٥] .

ختم الكتاب وبعثه الى سعد رضى الله عنه على يدى فيروز بن سابور أحد أمرائه ، فى جماعة من أماثل الفرس، فى الملابس الخسروانية، والمناطق المرصعة، والأسلحة المحلاة بالذهب . فاستقبلهم سعد وأكرمهم ثم أنزلهم فى منزله ، وطرح رداءه تحت فيروز، واعتذر اليه عن رثاثة الملبوس والمبسوط، وقال : إنا قوم لا نعوّل إلا على الصفاح والرماح، ولا نقول بالديباج والحرير والمسك والعبير، ولا نفتخر بالمطعم والمشرب . ثم سمع رسالته وقرأ كتابه . فكتب الجواب، وافتتح الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم

(أ) أطال الفردوسى ، على لسان رستم ، بيان الفوضى والشر والشقاء الذى يصيب الناس بعد الساسانيين .

(١) طر، كو : والله . (٢) طا، طر : بجعل . (٣) طا، طر : ثم بالدعاء .

(٤) طا، طر : لضباب . (٥) طا : يحمله .

والصلاة على محمد خاتم الرسل والهادى الى أقوم السبل، الذى هو خيرة الخلق، والصادع بالصدق والحق، النبى الهاشمى المبعوث الى الجنى والآدمى . وشحنه بالوعد والوعيد، ومواعظ القرآن المجيد، وسائر ما يرجع بالتعظيم لله والتمجيد، والتقديس والتوحيد . ووصف الجنة ونعيمها ، وذكر بعض ما فيها من الحور العين، والماء المعين، وشجرة طوبى، وجنات الفردوس الأعلى . ثم وصف السعير والعذاب والزمهرير . ثم قال : وإن تبع ملككم هذا النبى الطاهر، وزين بقبول رسالته الباطن والظاهر، فملك الدارين له مسلّم، وهو على التاج والتخت مقرر محكّم. وكان رسول لله صلى الله عليه وسلم له شافعا مشفعا . ثم قال : ما باله يستعظم هكذا أمر تاجه وتخته، ويُعجب بسواره وطوقه، ويزهى بمجالسه وملابسه ؟ ألا يعلم أن شعرة واحدة من حورية خير من جميع ذلك ؟ ولمَ يربط قلبه بدنيا لا تساوى عند العاقل شربة ماء ؟ فان أنتم تبعتم الأمر وأسلمتم فالجنة مأواكم، وإن أبيتم وحاربتم فالجحيم مثواكم . فأعلمونى بما يسفر عنه آراؤكم . والسلام .

(٤٢٣)

نختم الكتاب ونفذه مع شُعبة — هكذا قال (ا) . فأقبل متقلدا سيفه حتى قرب من مخيم رستم فأعلم بوصول رسول سعد(١) . فاحتفل وجلس فى سرادق من الديباج، وحضر عنده ستون نفسا من أكابر إيران فى الأطواق والأقراط، والمداسات الذهبية . فأذن لشعبة بالدخول فدخل حاملا سيفه، وعليه ثوب ممزق الأذيال . فما وطئ تلك البسط، ولا داسها برجله، بل سار على التراب رهوا رهوا لا يلتفت الى أحد حتى قرب من رستم . فقال : إن قبلت الدين فعليك السلام (ب) . فعظم تحيته على رستم فأعرض بوجهه، وتلوى على نفسه . ثم تناول منه الكتاب . ولما قرأه قال : ما أقول لسعد وشكايتى من طالع لى نحس؟ (حـ) . ولكن الموت تحت ظلال السيوف أحب إلىّ من حياة فى ذل .

فردّ شعبةَ، وعزم على القتال، وأمر بدق الكوسات، والنفخ فى البوقات والنايات . وعند ذلك ثار المسلمون الى أعراف الخيول، واعتقال الرماح، واخترط السيوف . وتدانى الفريقان، والتقى الجمعان، ونشبت الحرب بينهم ثلاثة أيام . وثقلت على الإيرانيين أسلحتهم حتى كادت تحترق أجسادهم

(ا) فى الشاه : شعبة بن المغيرة . والمراد المغيرة بن شعبة .

(ب) فى الشاه أن المغيرة قال هذا ردًا لتحية رستم : « سعدت نفسك، وعمر بالمعرفة روحك وجسمك » .

(حـ) فى الشاه هنا بيتان يقول فيهما رستم : « إن يصر محمد إمامى، وأستبدل الدين الجديد بالدين القديم فسيبقى كذلك معوجًا أمر هذا الفلك الأحدب، وسيظل قاسيا علينا » .

(١) طر : رضى الله عنه .

تحت الدروع، وتذوب أفئدتهم بين أحناء الضلوع . وغلبهم العطش حتى عصبت أشداقهم، وغارت أحداقهم . وبلغ بهم وبدوابهم الأمر الى أن أكلوا الطين والتراب المبلول . فلما رأى رستم ذلك بارز سعدا فغلبه سعد، وضرب على رأسه ضربة تشظت منه بيضته، وانفلقت هامته فضربه ضربة ثانية نزلت من عاتقه الى صدره (أ) . والله يختص من يشاء بنصره . فهلك رستم وانهزم الفرس فتبعهم المسلمون فقتلوا بعضهم ، ومات من العطش بعضهم . فباخ جمرهم وصاروا رمادا تذروه الرياح . فركب المسلمون صهوات النصر راكضين ليلا ونهارا فى عساكر كالسيل والليل حتى نزلوا على بغداد — هكذا قال — (ب)وفيها يزدجرد. فعبر فرخ زاذ أخو رستم المقتول دجلة وتبعته عساكر المدينة. فلقيهم المسلمون فى الكرخ، وجرت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الفرس، وجرح منهم خلق آخرون . فانصرف فرخ زاذ ودخل على يزدجرد وقال : لا تقم بهذه المدينة فقد أصبحت هاهنا وحيدا، وحواليك من العدو مائة ألف . فاخرج الى خراسان حتى تجتمع عليك العساكر هناك . فخلا يزدجرد بأصحابه ، وفاوضهم فيما أشار عليه فرخ زاذ فاستصوبوا رأيه . فتردّد فى ذلك ثم صمم العزم على المسير، وقال : الأصوب أن نسير الى خراسان فان لنا فيها جماعة من المماليك . واذا حصلتُ هناك، لا محالة ، يأتينا رسل الخاقان ، وأكابر الصين فتجرى بيننا و بينه مصاهرة ونعتضد به ثم نشتغل بكفاية العدو . وأيضا[1] فان صاحب مرو المسمى ماهويه يمدّنا و يؤثر معاضدتنا ومظاهرتنا . فإنه كان راعيا من رعاة خيلنا، ونحن جذبنا بضبعه، ونوهنا بذكره . و إنه و إن كان لئيم الأصل فهو لاينكر أنه من إنشاء نعمتنا وصنائع دولتنا . وقد قيل : احترز ممن أسأت اليه وآذيته، وارجُ من أحسنت اليه وربيته . ونحن لم نؤذ ماهويه فلعله لا ينسى أيادينا . فصفق فرخ زاذ بيديه، وقال : أيها الملك ! لا تأمن خبيث الأصل فانه يكون مجبولا على الشر . ولا يخفى على العاقل أن الطباع تأبى على الناقل . فقال : أيها البهلوان ! نحن نجربه، ولا يضرنا منه شيء .

ولما أصبح من الغد ركب وخرج من بغداد، وأخذ فى طريق خراسان فتبعه أهل المدينة يبكون ويضجون . فوقف ساعة وودعهم ، وكان ذلك آخر عهده بهم . وسار يصل السير بالسرى الى أن وصل الى الرىّ فأقام بها أياما حتى استراح وأراح . فارتحل منها وسار الى بُست وكتب كتابا الى

(أ) فى الشاه أن رستم ضرب بسيفه حصان سعد فقتله وهم أن يقطع رأس سعد فلم يره فى ظلمة العثير . ثم نزل ليضرب سعدا فحجب النقع بصره فلم يره وأقبل سعد فضربه الخ . وهذه المبارزة ينكرها التاريخ .

(ب) كأن المترجم ينكر أن تذكر بغداد فى حوادث ذلك العصر . ولكن اسم بغداد كان معروفا قبل الاسلام، فى أمكنة على شاطئ دجلة الغربى شملتها بغداد الاسلامية من بعد .

(١) صل : بكفاية العدو أيضا . وزيادة الواو من طا ، طر .

ماهويه يذكر فيه ما جرى عليه وعلى عساكره فى قتال المسلمين ، ويقول له : إنى اذا وصلت الى نيسابور لا أقيم فيها أكثر من أسبوع . وسأقدم مرو . فأعدّ واستعدّ . وطير بهذا الكتاب راكبا الى مرو . وكتب أيضا الى والى طوس ، والى سائر ولاة البلاد المتاخمة لها يعلمهم بحاله ، ويأمرهم بالاجتماع والاحتشاد . ثم[1] إنه ارتحل من بُست (أ) وسار الى نيسابور ، وسار من نيسابور نحو طوس . فلما سمع ماهويه بذلك تلقاه . ولما وقعت عينه على طلعة الملك ترجل ، وعفر وجهه فى التراب بين يديه ، وأخذ يمشى فى موكبه وهو يبكى ويتوجع لما حزب الملك حتى اضطرّ الى مفارقة الوطن . ولما رآه فرُّخ زاد على تلك الهيئة ونظر الى عساكره الكثيفة سر بذلك فوعظه ونصحه وبالغ وقال له : أيها البهلوان ! إنى قد سلمت اليك هذا الملك . فينبغى لك أن تجدّ وتجتهد وتكشف دونه عن ساق جدّك حتى لا يمسه سوء ولا يصيبه مكروه . فانى لا بدّ لى من الانصراف الى الرى ، ولست أدرى هل أرى هذا التاج مرة أخرى أم لا فقد قتل كثير من أمثالى فى هذه الوقائع . وإنما أذهب لأجمع عساكر الرى وأصبهان ، وأقدم بهم على الملك . فقال ماهويه : إن الملك أعز علىّ من هذه العين الباصرة ، ونصحك مقبول ، وقولك مسموع . فثنى فرخ زاد عنانه ، وتوجه نحو الرى باذن الملك .

قال : وانتهى الخبر الى مرو بأن عساكر سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أخذوا المدائن وسائر ما تاخمها من بلاد المملكة فعظم ذلك على يزدجرد . ولما علم ماهويه بأن أمره قد أشفى على الزوال دار فى رأسه هوى السلطنة فقلب ليزدجرد ظهر المجن فتمارض أياما ، وصار لا يواظب على إقامة شرائط خدمته ، كما كان يواظب عليها من قبل § وكان لسمرقند ملك من ملوك الترك يسمى بيَزَن . وكان شجاعا بطلا مشهورا بالرجولية والبسالة . فكتب الخائن اليه كتابا يعلمه فيه

---

§ يرى القارئ أن موقف ملك الترك فى هذه الحوادث ليس بيّنا . وذلك أن المترجم اقتضب الكلام . وفى الشاه ما يبين كيف انقلب ملك الترك على ماهويه بعد أن نصره . وخلاصة ما فيها أن بيزن سمع أن ماهويه تملك فسأل كيف أمكنه الملك . فقال برسام : إنى حينما قدت الجيوش اليه وعد أن يعطينا سرير الملك المذهّب ، وتاجه وفرسه وكنزه . فقاتلت فى مرو ثلاثة أيام ثم صدقت القتال فى اليوم الرابع فولى ماهويه ظهره . فنادى ملك إيران أعوانه وقتل من رجالنا كثيرا ثم ولى مدبرا حين قتل أصدقاؤه . فلما استولى ماهويه على الكنوز تغافل عنا وليث بمرو شهرين لا ينظر الينا . وقد أنبأنى الربيئة أن جيشه مقبل الينا » .

(أ) عجيب ذكر بُست هنا الا أن يكون بلدا آخر غير المدينة المعروفة فى سجستان .

(١) طا ، طر : ثم ارتحل .

بحصول ملك إيران فى مرو ، ويشير عليه بأن ينهض اليه وينتهز الفرصة ويقبض عليه . فلما أتاه الكتاب شاور وزيره فى ذلك . فقال : الرأى أن تندب لهذا الأمر ولدك برسام ، ولا تفارق أرضك . فإنك إن فعلت ذلك نسبوك الى النزق والطيش . فانتخب عشرة آلاف فارس وجهزهم تحت راية ولده الى مرو . فوصل العسكر من بخارا الى مرو فى أسبوع فدقوا الكوسات فى جنح الليل، والملك فى شغل شاغل عن ذلك . ولما أصبح ماهويه أتاه فارس وقال له فى السر: إن العسكر قد وصل فافعل ما ترى . فردّه وركّب[1] فى عساكره مظهرا لمنابذتهم . ولبس الملك سلاحه . وتلقوا العدو . فلما اصطف الفريقان وتقابل الجمعان وقف الملك فى القلب فتتابعت عليه حملات الأتراك فخاض بنفسه غمرة الحرب، وردّ فى وجوههم بعض تلك الحملات . فتهازم ماهويه عند ذلك فى جنوده، على مواطأة كانت بينه وبين الترك ، فالتفت يزدجرد، ولما رأى صنيع ماهويه أحس بالحال فولى ظهره للفرار، وتبعه الأتراك كالماء والنار[2] . فرأى طاحونة على ماء الزرق فنزل عن الفرس وتركه ، ومشى حتى دخل الى الطاحونة واختفى فيها . وكانت فرسان الأتراك فى أثره فرأوا فرسا عائرا مغمورا فى الذهب فأحدقوا به وأخذوا فى قسمة عدّته، واشتغلوا بذلك حتى أمسوا فانصرفوا . وبقى يزدجرد فى الطاحونة حليف الحَرَب والويل باكيا طول الليل .

ولما أصبح جاء الطحان فدخلها فرأى رجلا كالسرو الباسق، على رأسه تاج مرصع، وعليه قباء من الديباج الصينى مذهب ، وفى رجله مداس ذهبى، وهو قاعد هناك على الحشيش والتراب ،

= فقاد بيزن جنوده حتى قارب بخارا ثم أمر جنوده أن يبطّئوا حتى يعبر جيش العدو النهر اليهم . وقال لهم : لعلى أنتقم للملك منه . ثم سأل أبقى للملك أخ أو ابن أو بنت فنحضره الينا ونعينه على ما هويه ؟ فقال ابنه برسام : قد انقضى عهد هذه السلالة وقد استولى العرب على ديارهم فما بقى ملك ولا عابد نار . ثم أقبل جيش ماهويه ووقعت الحرب كما وصف المترجم .

ويتبين من هذا أن الترك نصروا ماهويه ثم سخطوا عليه حين لم ينالوا ما أملوا، وأن كلا من ماهويه وملك الترك، كما تصف الشاه، جعل الانتقام ليزدجرد ذريعة الى بلوغ مآربه .

وفى الطبرى أن الأحنف بن قيس غزا خراسان سنة ٢٢ من الهجرة فاستنجد يزدجرد خاقان الترك فلم يستطع إنجاده حتى عبر اليه النهر (جيحون) منهزما . فأنجده الخاقان وحشر أهل فرغانة والصغد وسار معه لحرب المسلمين، ثم رجع الترك الى بلادهم بعد أن رأوا بأس العرب . ثم تبعهم يزدجرد=

(١) طا، طر : وخرج فى عساكره . (٢) طا ، طر : كالماء أو النار .

يظهر عليه أثر الحزن والاكتئاب . فقال[١] : أيها الشهريار! من أنت؟ وما الذى ألجأك الى الدخول الى هذا الموضع الخراب، والجلوس على فرش الحصى والتراب؟ فقال : أنا رجل من الفرس هربت من الترك[٢] الى هذا المكان، واختفيت منهم فيه . فقال : أى شىء أصنع لضيف مثلك و إنما عندى أقراص شعير لا غير ؟ فقال يزدجرد : أحضر ما عندك . فجاء بطبق خلاف عليه قرص شعير، وباقة بقل . فطلب يزدجرد منه البرسم . فخرج الرجل يطلبه له فجاء إلى بيت زعيم الزرق لطلب البرسم . فقال له : لمن تريد ذلك ؟ فذكر أنه وجد فى الطاحونة[٣] رجلا من صفته كيت وكيت . وقد قدمت اليه شيئا يأكله فطلب البرسم . فعلم الزعيم أنه الملك . فأمره بأن يقصد باب ماهويه، ويقول له ذلك . ووكل[٤] به رجلا، وأنفذه اليه . فدخل عليه وسأله (ا) عن الحال فجعل العلج يصف له شكل الملك وشمائله وحليته[٥] . فعلم الخائن الغادر أنه هو فقال : ارجع الساعة واقطع رأسه . و إن لم تفعل قطعت رأسك . فأنكر عليه ذلك[٦] جماعة من الموابذة كانوا عنده حاضرين، وقالوا : لا تغمس يدك فى دم مولاك، ولا تأمن دوائر الأفلاك . واعلم أن الملك والنبوة فصان فى خاتم . ومهما كسرت أحدهما فقد كسرت الخاتم، وأقمت بذلك على الدين والدنيا المآتم . واذكر

= بعد أن هزمه المسلمون. ولبث فى الترك الى أن انتقض أهل خراسان فى عهد عثمان فأقبل يزدجرد حتى نزل بمرو . " فلما اختلف هو ومن معه وأهل خراسان آوى الى طاحونة فأتوا عليه يأكل من كرد حول الرحى فقتلوه ثم رموا به فى النهر" . ثم سار الأحنف الى الخاقان وهو ببلخ فعبر الخاقان النهر ونزل الأحنف بها[٧] .

وفى الأخبار : " وهرب يزدجرد نحو خراسان فأتى مرو فأخذ عامله بها، وكان اسمه ماهويه، بالأموال . وقد كان ماهويه صاهر خاقان ملك الأتراك . فلما تشدد عليه أرسل الى خاقان يعلمه ذلك . فأقبل خاقان فى جنوده حتى عبر النهر مما يلى آمويه . ثم ركب المفازة حتى أتى مرو ففتح له ماهويه أبوابها وهرب يزدجرد على رجليه وحده الخ[٨] " .

وخلاصة ما فى الغرر أن يزدجرد طالب ماهويه بالأموال فراسل الخاقان فى إرسال جيش الى مرو للقبض على يزدجرد فأرسل خاقان نيزك طرخان فى جيش فلما ورد كشميهن مشت السفراء بينهما =

(ا) أى دخل الطحان على ماهويه فسأله ماهويه عن الحال .

(١) صل . وقال : والتصحيح عن طا، طر، كو . (٢) طا، طر، كو : من الأتراك .

(٣) طا، طر، كو : طاحونه . (٤) طا، طر، كو : فوكل . (٥) طا، طر، كو : وحليته وهيئته .

(٦) طا، طر : عليه جماعة . (٧) الطبرى، ج ٤ ص ٢٦٦ (٨) الأخبار، ص ١٤١

مبدأ أمرك إذ كنت راعيا من رعاة البَهم بجعلك هذا الملك حاميا من حماة الدهم . ولم يزل يمدّ بضبعك حتى صيرك صاحب جيش خراسان ، وقائد قوّاد آل ساسان . فلا تقابل حق نعمته بالكفران ، ولا تلق قيادك الى يد الشيطان" . واتفقوا[1] على لومه وتعنيفه ومنعه وتوبيخه — وأطال صاحب الكتاب نفسه فى حكاية خطابهم له فى ذلك — فكان كلامهم عنده كالماء يجرى على الصخرة الصماء . وكان هوى السلطنة قد تمكن من دماغه وقلبه ، وغطى على بصر بصيرته فصار لا يفرق بين رشده وغيه . فقال لهم : انصرفوا الآن حتى نفكر الليلة فى أمره . فقاموا فاستحضر[2] جماعة من جهلة أصحابه ، وخلا بهم وقال : قد ظهر الآن هذا السر ، وعلم به الناس وشاع بينهم . وإن تركنا يزدجرد ولم ننزع منه رداء الحياة لم نأمن شره ومعرّته . فإن العساكر يجتمعون عليه ، لا محالة . وعند ذلك يقوى عضده ويشتدّ ساعده فلا يبقى منا عينا ولا أثرا ، ولا يترك فى بلادنا نجما ولا شجرا . فقال له بعض الحاضرين : إن هذا كان خطأ من الابتداء . ولا شك أنك

= فجاء نيزك الى مرو مسالما وسجد ليزدجرد . وأفضل عليه يزدجرد وأكرمه ونادمه . وأراد ماهويه أن يوقع بينهما فأشار على نيزك أن يخطب الى يزدجرد بنته . فلما فعل أنحى يزدجرد عليه بالسوط وثارت الفتنة بينهما . وبرز الفريقان للحرب . فلما التقى الجمعان انحاز ماهويه الى الترك فانهزم يزدجرد وألجأه الهرب الى طاحونة لماهويه ... الخ[3] " .

فالروايات تجتمع على أمرين :

(١) أنه وقع بين يزدجرد وبين قومه فى خراسان .

(٢) وأن الترك شاقّوا يزدجرد فى النهاية ، على اختلاف الروايات فى أنهم قدموا لحربه أو لنصرته .

وليس بعيدا أن يكون الترك آنسوا اضطراب الحبل فى إيران فأغاروا وداراهم الايرانيون وبذلوا لهم من أموالهم أو وعودهم . ولا يبعد كذلك أن يكون يزدجرد استنجد الترك حين ضاق ذرعا بالعرب وأنهم نكصوا حين رأوا شدّة العرب فى الحرب . وليس يتسع المجال هنا لتمحيص هذه المسألة .

وأما الحرب بين ماهويه والترك ، وانتقام الترك ليزدجرد فأحسبه اختراع القصاص ليشفوا غلة الناس من ماهويه ، كما ختموا حياة ملك الترك بالجنون والانتحار جزاء إعانته على يزدجرد . وفى الأخبار : أن ماهويه ، بعد أن قتل يزدجرد ، هرب من أهل مرو الى أبرشهر فمات بها[4] . وفى تاريخ حمزة : "وأولاد ماهويه الى الساعة يسمون بمرو ونواحيها خُداكُشان[5]" . ومعنى "خداكشان" قاتلو المولى .

(١) طا ، طر ، كو : فاتفقوا . (٢) طا ، طر ، كو : واستحضر . (٣) غرر : ص ٧٤٦

(٤) الأخبار ، ص ١٤٢ (٥) حمزة ، ص ٤٣

إن قتلت ملك إيران لم ترخيرا، وإن تركته لاقيت شرا وضيرا . ولا يخفى ما فى قتله من المكاره، فان الله هو الطالب بثاره . فقال له بعض بنيه : اعلم أيها البهلوان ! أن يزدجرد لو سلم اجتمعت عليه عساكر الصين فضيقوا علينا الأرض . وقد قدرت فافعل فعل الرجال وافرغ منه . فإن الايرانيين لو رفعوا شقة من ذيل قميصه على رأس رمح لقلعوك، واستأصلوا شأفتك . فأقبل الغادر الفاجر عند ذلك على الطحان وقال : قم واستصحب جماعة من الفرسان ، وانهض بكفاية هذا الأمر وإخماد ذلك الجمر . فخرج يبكى ويتوجع، وسار الى الطاحونة . ونفذ الغادر خلفه جماعة أمرهم أن يحفظوا تاج يزدجرد وقرطه وثيابه حتى لا تضرج[1] بدمه . فدخل الطحان على الملك ومشى نحوه وقرب منه فعل من يريد مسارّته فضرب جوفه بخنجر معه . فتأوه وخرجت روحه ، وخر صريعا . فلما علم غلمان الغادر قتله دخلوا عليه ونزعوا ثيابه وحملوا تاجه وطوقه وخاتمه ومداسه، وتركوه مطروحا على التراب . وتوجهوا نحو صاحبهم يلعنونه ويدعون عليه . فلما أتوه وأعلموه بما عملوه أمر بطرح جثته فى الماء . فجاؤا وجرّوه ورموه فى ماء الزرق فحمله الماء .

ولما طلع النهار رأى بعض الرهبان، من دير كان على شط الماء، جثة يزدجرد فنزل اليه مع جماعة من أصحابه فخاضوا الماء وأخرجوه منه ، وأخذوا يبكون وينوحون عليه (ا) . ثم كفنوه وعملوا له ناووسا ووضعوه فيه . فبلغ الخبر بذلك الى ذلك الغادر فأنكر ما فعله الرهبان فنفذ اليهم جماعة من أصحابه، وقتلهم وخرب ديرهم .

ثم إنه خلا بأصحابه وفاوضهم فيما جرى على يده من قتل يزدجرد فعض على يديه بعد أن زلت به القدم،وندم ولات حين مندم . وقال لوزيره : كيف يمكننى الجلوس على تخت يزدجرد وجميع أهل إيران عبيده ؟ ومتى أتهنأ بذلك ؟ فقال الوزير : إن الايرانيين ما حضروا هذه الوقعة[2] . ومن الذى شاهد قتلك ليزدجرد؟ والرأى أن تحضر وجوه الايرانيين، وتدّعى أن يزدجرد لما ضاق به الأمر من أيدى الترك أوصى اليك ، وسلم تاجه وخاتمه اليك ، ونص فى ولاية عهده والقيام بالأمر من بعده عليك، وأنه زوّجك بنتا له صغيرة، وأمرك بالدفاع عنها والقيام بالأمر دونها . فإن هذا كذب يشبه الصدق، وباطل يحاكى الحق . ثم اقعد عند ذلك على سرير السلطنة ، ومشّ[3] أمرك . فضحك



(ا) ينظر فى الشاه ما قيل من المراثى قبل دفن يزدجرد، وخاتمة الفصل للفردوسى .

(١) صل : يضرج . (٢) طا : الواقعة . (٣) طا : فاستصوب

واستصوب ما أشار به الوزير، واعتمد عليه، وعمل بمقتضاه . وأطاعه ولاة تلك البلاد وتيسر له ملك جميع خراسان .

فجمع العساكر وعبر جيحون، وقصد بيزن الذى كان استعان به على إهلاك يزدجرد (أ) . فلما انتهى اليه الخبر ركب فى عساكر الترك وتلقاه . فلما تدانى ما بين الفريقين عبّى جنوده . فقابله ماهويه بمثل ذلك فألقى الله الرعب فى قلبه فولى الأتراك ظهره من غير قتال . فنفذ بيزن ولده برسام خلفه ، وهو الذى باشر وقعة يزدجرد، فلحقه فمكنه الله حتى قبض عليه وكتفه وقيده وانصرف به عائدا الى أبيه . فلما قرب منه شب به فرسه فوقع، واندقت رقبته (ب) . وحُمل ماهويه اليه فلما وقعت عينه عليه قال : أيها الكلب الغادر والعبد الكافر ! أبسطت يدك الى قتل مالك رقك ، وتجاسرت على إهلاك صاحب أمرك؟ فقال الخائن الحائن : إن جزاء ذلك أن تضرب هذه الرقبة . وقصد بذلك أن يعجل ضرب رقبته خوفا من أن يمثل به . ففطن لذلك فأمر أن يقطعوا[1] يديه ، ثم أمر فقطعوا رجليه (ح) ، ثم أمر فسلّوا سيرا من مفرق رأسه الى فقار ظهره ، وسيرا آخر من جبهته الى سرته، واجتروه وطرحوه فى الرمضاء حين حمى وطيس الهاجرة ثم ضربوا رقبته . وكان قد قبض له على بنين ثلاثة فأحرقهم مع جثة أبيهم . وأمر مناديا فنادى : ألا إن هذا جزاء من قتل مولاه، وكفر نعماه . والسلام .

وكان على بيزن هذا كِفل من دم يزدجرد على ما سبق . فقيل إنه جنّ فى آخر عمره، وقتل نفسه بيده، ولحق بمن مضى من صحبه .

وكان (ى) فى انتهاء أمر يزدجرد انتهاء أمر ملوك العجم، وإصحار أسود العرب من الأجم. فملك ديارهم أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب ، رضوان الله عليه، واستأثر بعقيلة مُلكهم مع كثرة الخطّاب . وانتهت النوبة اليه، واتفقت الألسن عليه . واستحالت السلطنة خلافة، وآض التخت منبرا، وعاد الحق عيانا، والباطل خبرا . ولله الحمد والفضل والثناء الحسن .

(أ) فى الشاه : أن ماهويه ادّعى أنه يريد أن ينتقم من ملك الترك، كما أمره الملك يزدجرد .

(ب) لم أجد هذه الجملة فى الشاه .

(ح) فى الشاه : مول، ورنر، تبريز أنهم قطعوا أذنيه وأنفه أيضا .

(ى) هذا الكلام الى آخر الفصل ليس فى الشاه . وهناك بيت واحد معناه : وبعد هذا كان دور عمر ؛ جاء بالدين فصار السرير منبرا .

(١) طا، طر، كو : فأمر فقطعوا .

§ قال الفردوسى صاحب الكتاب الذى كتابنا هـذا ترجمته (١) : لم أترك ممـا طالعت من أخبار ملوك العجم حديثا الا نظمته، وفى سـلك البيان رصفته . وكأنى قد نشرت بهذا الكتاب السلاطين الماضين والملوك الأقدمين، بعد ماطالت عليهم أدوار الزمان، وطُوى ذكرهم فى تضاعيف النسيان . وهأنا، بعد خمس وستين سنة أنفقتها من عمرى، قاعد حزينا كئيبا لا أرى سوى « أحسنت » من

§ فى ترجمة الخاتمة هنا نقص ومخالفة لنسخ الشاه التى عندى . ولذا ترجمتها من نسختى مول وتبريز، وعارضتها على ترجمة ورنر، وأثبتها هنا :

حينما مضى علىّ خمس وستون سنة زدت همى ونصبى، وشقيت بتاريخ الملوك ونُحس كوكبى . والكبراء والأحرار أولو العـلم كتبوه جميعه مجانا وهم ينظرون إلىّ من بعيـد كأننى كنت أجيرهم . ولم يكن حظى منهم إلا "أحسنت" . لقد تحطمت قوتى تحت قولهم أحسنت . زمّوا رءوس البدر العتيقة، فانقبض صدرى المنور . ولكن لعلى الديلمى (٢)، بين أكابر المدينـة ، نصيب موفور . ذلك الرجل ذو البصيرة يسّر عملى وسنّى نجاحى . وأبو نصر الورّاق (٣) كذلك نال بهـذا الكتاب من الكبراء شـيئا كثيرا . وحسين بن قتيب (٤) ذلك الحـر الذى لم يبغ منى الكلِم بغير جزاء، كان منه الطعام واللباس والفضـة والذهب ، وبه تحركت يدى وقدمى ، مستريحا من الخراج أصـله وفرعه متقلبا فى رغد ورفاهية .

ولمـا بلغت السنين إحدى وسبعين علا على الفلك شِعرى . خمسا وثلاثين عاما فى هـذه الدار الحائلة قضيتها أحمل النصب من أجل الذهب . فلما ذَروا نصبى على الريح ذهبت الخمس والثلاثون سدى . والآن يناهز عمرى الثمـانين وقد ذهبت كل آمالى أدراج الرياح .

انتهت الآن قصة يزدجرد فى يوم أرد من شهر سـَفندار مُذ (٥)، وختمت هذا الكتاب الملكى حين مضى من الهجرة أربعمائة عام .

عمر الله سرير محمود، وأدام شـبابه وسرور قلبه . له الرأى والعلم والنسب، وهو سراج العجم وشمس العرب . بمدحته والكلام يبقى على مر الزمان ظاهرا وخفيا . وسيحمدنى الكبراء فيزيد=

---

(١) طر، طا : رحمه الله . (٢) فى نسخة مول : على الديلمى أبو دلف ، وفى چهار مقالة : على الديلمى وأبو دلف .

(٣) أبو نصر غير مذكور فى نسخة تبريز وورنر ولا فى الأبيات التى فى چهار مقالة . (٤) فى چهار مقالة : حيى .

(٥) أرد هو اليوم الخامس والعشرون من كل شهر . واسفندار مذ الشهر الثانى عشر من السنة . وذلك ٢٥ فبراير سنة ١٠١٠ م .

أبناء الزمان نصيبا ، ربقوا على الحقيقة أعناق البدر العتيقة . فعيل صبرى وضاق صدرى . وكم تعب تحملت ، وكم غصص تجرعت حتى تسنى لى نظم هـذا الكتاب فى مدّة ثلاثين سـنة آخرها سـنة أربع وثمـانين وثلثمائة . وهو يشتمل على ستين ألف بيت . وجعلته تذكرة للسلطان أبى القاسم محمود بن سُبُكتِكين . لا زال نافذ الأمر عالى القدر . وصلى الله على محمد وآله[1] وصحبه أجمعين .

= مدحه بكرة وعشيا . يدعون أن يخلد الرجل الحكيم وأن يجرى على تأميله كل عمل عظيم . وقد تركت له هذا الكتاب ذكرا تبلغ أبياته ست عشرات من الألوف عدّا . وقد سار فى السهل والحزن كلامى حين ختمت فى هذا الكتاب نظامى . لا أموت من بعدُ فإنى مخلَّد بمـا نثرت بذر الكلام المجوّد . وكل ذى رأى وعقل ودين سيحمدنى بعد الموت فى الآخِرين . آلاف[2] التحية وآلاف الثناء على المصطفى (خاتم الأنبياء) . وأرتل الثناء على أهل بيته تقربا واحتسابا .

تمت شاهنامة الفردوسى الطوسى

(١) كو ، طر ، طا : محمد وأهل بيته الطاهرين .

(٢) الثناء على الرسول وأهل بيته ليس فى نسخة تبريز ولا ترجمة ورنر .

خاتمـــــــة

قال مترجم الكتاب المملوك الأصغر فتح بن علي[1] الأصبهاني : قد أعان الله وله الحمد على امتثال مراسم مولانا السلطان "الملك المعظم" ملك ملوك العرب والعجم، ضاعف الله اقتداره، وأعز أنصاره، فى ترجمة هذا الكتاب البارع المشتمل على بحار لآلئ الحكم، ومعادن جواهر الكلم. فنزعت عن أعطافه أسمال اللسان العجمى، وكسوت معانيه أفواف البيان العربى، بألفاظ رشيقة، وعبارات أنيقة، وأسلوب يسلب القلوب، ويسحر العقول. ووشحته بقلائد مناقب الحضرة المعظمة السلطانية سالكا سبيل عبوديتها عن خلوص الطوية، وصفاء النية. وخلدت بها ذكره مثبتا على صفحات الأيام، مجددا على تعاقب الشهور والأعوام، مطبقا طلاع الخافقين، سائرا فى أكناف بلاد المشرقين. فإن هذا الكتاب ليس كسائر الكتب التى لاتفارق رباع المؤلفين، ولا تجاوز ديار المصنفين. لكونه مما ترتاح القلوب بمطالعة غرائبه، وتهتز النفوس الى استماع قصصه وعجائبه. وليس قولى هذا إدلالا بما أتيت، وإعجابا بما ألفت. فإنه لولا روائح سعادات هذه الحضرة التى لا تزال تهب علىّ وعلى العالمين جنوبا وشمالا، وميامنها التى تكتنفنى وإياهم يمينا وشمالا لاستصعبت حوشيات ألفاظه النافرة من أن تخزم، وفى سلك البيان تقطر، واستعصت ريضات معانيه الجامحة أن تلجم[2] بشكائم التقييد وتسطر. وقد كنت، فى مقتبل تعرّضى له ناقلا، وجدتنى وكأنى خلفت فى العىّ باقلا. فأنطقتنى أياديه حتى صرت أساجل الإيادى فأملأ الدلو الى عقد الكرب. وحلت مساعيه عقدة العىّ عن لسان قلمى حتى كأنه مصقع أخضر الجلدة من بيت العرب (أ). وليس بدعا من سعادته أن تزيل عن المفحمين العىّ والحصر، وتهدى الى المحجوبين البصيرة والبصر.

هذا. ولئن تشاكى الفردوسى فى خاتمة كتابه حين لم يبلغ من سلطانه ما تمناه، ولم تصدقه مخيلة يمناه فلقد وجدت فى هذا الجناب ما فقده من ضالّة الكرم، وبلغت مالم يتمنه من الفواضل والنعم. وصادفت مع "أحسنتَ" إحسانا وإفضالا، وقبولا وإقبالا. وحصلت من الانتماء الى عبوديته مفاخر وشّحت بها مساعى الآباء والأسلاف، ورفعت بها على تعاقب الأحقاب أسامى الأعقاب

(أ) فى هاتين الجملتين إشارة الى البيت :

أخضر الجلدة من بيت العرب * يملأ الدلو الى عقد الكرب

(١) "على" ساقطة من الأصل. والتصحيح من طا، طر. (٢) طا : عن أن تلجم.

والأخلاف، إذ فزت بسلطان لو رآه أفريذون عاقد التـاج ، وآنوشروان فارع سرير العاج لتضاءلا لرفيع قدره، وتصاغرا لعظيم أمره، واغترفا من بحار فضله و إفضاله ، وخفضا طوامح أبصارهما دون مراقى سنائه وجلاله . ولو أدركه محمود لاقتبس من أنوار علومه، واهتدى بأضواء نجومه، وأسس مبانى ملكه على قواعد عدله و إحسانه ، ورأى العجب العجاب من آثار سيفه وسنانه ، فلم يفتخر فى نوادى المآثر بسود الأصابع ، وتطامن لمن يبـاهى ببيض الأيادى وغرّ الصنائع . فان شكا الفردوسى سوء حظه فى عهده[1] فإنى شاكر فى هـذا العهد وفور الحظ وسـعادة الجد حتى لو بلغت درجة الطائيين نظما، ونلت منزلة الصادين نثرا (أ)، وملأت صحائف الزمان حمدا وشكرا لم أقم بحق رشحة من بحار عواطفه الزاخرة ، ولم أف بوصف قطرة من ديم فواضله الهامرة . فالله[2] تعـالى يديم ملكه وسلطانه ، و يعز أنصـاره وأعوانه ، و يرفع فوق معارج السناء مكانه، ويمتعه بأولاده و إخوته الملوك والسلاطين ، ويخلد ملك المشارق والمغارب فى أعقابه وأعقابهم الى يوم الدين[3] .

(٢٣٧)

آخر[4] الكتاب ولله الحمد

نقله من خط مترجمه، المعتمد على ربه يوسف بن سعيد الهروى
فى سنة خمس وسبعين وستمائة

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى وآله وصحبه وسلم

(أ) فى نسخ الترجمة : الطايين والصادين وأحسب الأولى الطائيين أى أبا تمـام والبحترى ، وأظنه يريد بالصادين الصابى والصاحب ابن عباد .

(١) كلمة «فى عهده» من طا ، طر . (٢) طا : والله . (٣) فى حاشية الأصل هنـا : بلغت المقابلة بالأصل المكتوب بخط معربه . (٤) طا ، طر ، كو : وهذا آخر .

المراجع التى ذكرت فى حواشى الكتاب والمدخل

الآثار الباقية (أو الآثار) — كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبى الريحان البيرونى المؤرخ الفلكى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ طبعة لبسك سنة ١٩٢٣ .

الأبستاق — انظر أفستا .

ابن اسفنديار — انظر تاريخ طبرستان .

ابن حوقل — كتاب المسالك والممالك لأبى القاسم بن حوقل من رجال القرن الرابع الهجرى طبعة ليدن سنة ١٨٧٢ م .

ابن هشام — السيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ ، طبعة القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .

الأخبار الطوال (أو الأخبار) — كتاب الأخبار الطوال لأبى حنيفة الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ، طبعة القاهرة سنة ١٣٣٠ هـ .

الإشراف والتنبيه — انظر التنبيه والأشراف .

الاصطخرى — كتاب مسالك الممالك لأبى اسحاق محمد بن ابراهيم الاصطخرى من رجال القرن الرابع، طبعة ليدن سنة ١٨٧٠ م .

أفستا — The Zend - Avesta, translated by Darmesteter. — الجزء الأول الطبعة الثانية فى أكسفورد سنة ١٨٩٥ م . والجزء الثانى الطبعة الأولى فى أكسفورد سنة ١٨٨٣ م وهما المجلدان الرابع والثالث والعشرون من سلسلة (كتب الشرق المقدسة) The Sacred Books of the East.

أوراق أسيوية — "Asiatic Papers"; papers read before the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society by Jivanji Jamshedji.
طبعة بمباى سنة ١٩٠٥ م .

براون — كتاب تاريخ الآداب الفارسية لبراون
A Literary History of Persia by Edward G. Browne.

الجزء الأول	الطبعة الثالثة	سنة	١٩١٩ م	
« الثانى	«	«	«	١٩٢٠ م
« الثالث	« الأولى	«	«	
« الرابع	«	«	«	١٩٢٤ م

البلدان — كتاب البلدان لأبى بكر أحمد بن محمد الهمذانى المعروف بابن الفقيه
طبعة ليدن سنة ١٣٠٢ هـ ، ١٨٨٥ م .

البيرونى — انظر الآثار الباقية .

تاريخ طبرستان — تاريخ طبرستان لمحمد بن الحسن بن اسفنديار . ألفه حوالى سنة ٦١٣هـ
"Abridged translation by Edward G. Browne"
طبعة ليدن ولندن سنة ١٩٠٥ م .

تاريخ گزيده — لحمد الله المستوفى القزوينى . ألفه نحو سنة ٧٣٠ هـ ، نشره Edward G. Browne
طبعة لندن سنة ١٣٢٨ هـ ، ١٩١٠ م (Fac-simile)

التنبيه والإشراف — كتاب التنبيه والإشراف لعلى بن الحسين المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ
طبعة ليدن سنة ١٨٩٤ م .

الحماسة الإيرانية — "Das Iransche Nationalepos" ألفه بالألمانية الأستاذ نلدكه Nöldeke
وترجمه الى الانكليزية L. Bongdanov . ونشره K. R. Gama Oriental Institute بمباى
سنة ١٩٣٠ م .

حمزة الأصفهانى — تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء لحمزة بن الحسن الأصفهانى، من
مؤرخى القرن الرابع الهجرى، طبع بمطبعة كاويانى ببرلين سنة ١٣٤٠ هـ .

چهار مقاله — كتاب چهار مقاله لأحمد بن عمر بن على النظامى العروضى السمرقندى . ألفه فى حدود سنة ٥٥٠ هـ . طبعة ليدن ١٣٢٧ هـ .

سيكس — A History of Persia by Sir Percy Sykees. الطبعة الثانية سنة ١٩٢١ .

الطبرى — تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ . طبعة القاهرة المطبعة الحسينية (ما لم ينص على غيرها) .

الطبرى الفارسى — ترجمة تاريخ الطبرى الى الفارسية . ترجمة الوزير أبى على البلعمى من وزراء الدولة السامانية .

العتبى (أو تاريخ العتبى) — الكتاب اليمينى لأبى نصر محمد بن عبد الجبار العتبى المتوفى سنة ٤٣١ هـ . طبعة القاهرة (على حاشية الشرح) سنة ١٢٨٦ هـ .

الغرر — غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ . نشره زوتنبرج، طبعة باريس سنة ١٩٠٠ م .

فارس نامه — تاريخ ولاية فارس وجغرافيتها لابن البلخى، ألفه فى أوائل القرن السادس الهجرى . طبعة كمبردج سنة ١٣٣٩ هـ ، و ١٩٢١ م .

الفهرست — كتاب الفهرست لأبن النديم المتوفى فى حدود سنة ٤٠٠ هـ . طبعة ليبسك سنة ١٨٨٢م .

معجم البلدان — كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ .

معجم شمس قيس — المعجم فى معايير أشعار العجم لشمس الدين محمد بن قيس الرازى، ألفه فى أوائل القرن السابع الهجرى . نشره الأستاذ براون Edward G. Browne، وطبع بمطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٣٢٧ هـ .

مول — الشاهنامه والترجمة الفرنسية للأستاذ M. Jules Mohl . طبع بباريس على نفقة الحكومة الفرنسية وانتهى طبعه سنة ١٨٧٨ م .

مروج الذهب — كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي . طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ .

نزهة القلوب — المقالة الثالثة من كتاب نزهة القلوب لحمد الله المستوفي القزويني من رجال القرن الثامن الهجري طبعة ليدن سنة ١٣٣١ هـ .

ورنر — الترجمة الانكليزية للشاهنامه by Arthur George Warner and Edward Warner الطبعة الأولى . لندن سنة ١٩٠٥ — ١٩٢٥ م .

ياقوت — انظر معجم البلدان .

يتيمة الدهر — كتاب يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر . لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ . طبعة دمشق سنة ١٣٠٣ هـ .



كشاف (١)

هذا الكشاف يبين الأسماء فى المدخل ومتن الكتاب وحواشيه . وقد رمزت للمدخل بالحرف (م) وللحواشى بالحرفين (حا) ووضعت أعداد كل قسم فى أسطر على حدة . ووضعت هذه العلامة + قبل صفحات الجزء الثانى من المتن والحاشية . واكتفيت بأعداد الآحاد بين كل عقدين . مثلا لبيان الصفحات ١٠، ١١، ١٥، ١٧، ١٩ يكتفى بالأعداد : ١٠، ١، ٥، ٧، ٩ ؛ ولبيان الصفحات ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٤٦ يكتفى بالأعداد ٣٤٠، ٤، ٦ . وهكذا . وعلامة = تدل على أن العلَم الذى قبلها ذكر بالاسم الذى بعدها فى موضع آخر من الكشاف .

(١) اخترت هذه الكلمة للدلالة على هذا الضرب من الفهاوس . وأود أن يشيع استعمالها فى الكتب .

(پ)

(چ)

(ح)

(د)

(ز)

(ص)

(ع)

(ڤ)

(ك)

(گ)

(ل)

(و)

الكلمات الفارسية والتركية التى جاءت فى أثناء الكتاب

آذينات : جمع آذين وهو الزينة .
آيين : المذهب والطريقة والسيرة .
أستاذ دار : يُتوهم أنها "أستاذ الدار". ولكن يظهر أن أصلها سِتددار أى متولى الأخذ . ومعناه قيم الدار .
باج : الجزيه .
باد آورد : باد = الريح . آورد = أحضر . أى جَلَبُ الريح .
باز دار : باز = البازى، دار تدل على القيم على الشىء . فمعناه الموكل ببزاة الصيد
باغبان : البستانى .
برده دار : الموكل بالستر أى الحاجب .
بزه كار : الأثيم .
بهلوان : البطل .
بهلوانية : الكلمة التى قبلها بعد إلحاق ياء المصدرية .
تذاريج : جمع تَذَرج وهو معرّب تذْرو أى الدرّاج .
تركش : جعبة السهام .
جرخ : العجلة والفلك .
جُرز : المقمعة أو الدبوس الذى كان يستعمل فى الحرب .
جنك : الرباب .
جنكية : ضاربة على الرباب .
جوبان : الراعى .
جوبانية : نسبة الى جوبان فمعناه الرعى . وأراد بها المترجم الرعاة .
جوشن : الدرع .
خاتون : السيدة .
خركاه : الخيمة الكبيرة .
خفتان : جبة تلبس فى الحرب (قفطان) .

خوان : المائدة .
خوانسلار : قيم المائدة .
دِرَفش : اللـــواء .
درگاه : العتبة والفناء ، ويطلق على منازل الملوك والعظماء .
دست : المنصة ومقدار كامل من الثياب ونحوها .
دستور : القانون والوزير والمقدّم فى دين زردشت .
دهخداء : رئيس القرية .
دِهقان : معرّب دهگان أى صاحب القرية .
ديدبان : أصله ديده بان ومعناه الحارس .
رسول دار : الموكّل بالرسُل .
زندبيل : أصله زنده پيل ومعناه الفيل العظيم .
زه : حسن وجميل وبمعنى مرحى .
زهان : جمع ما قبله .
ساربان : جمّال أى قائد الإبل .
سالار : رئيس وقائد .
سالاريّة : رياسة، قيادة .
سمند : الحصان الأكهب أو الكميت .
سهر : بقــرة .
سور : وليمة . وفى الحديث عن غزوة الخندق " إن جابرا صنع سورا " .
سوتام : قليـــل .
شادآورد : كذلك فى الكتاب . وأحسب صوابه شادورد . ومن معانيه سرير الملك . وهو اسم كنز من كنوز برويز .
شاذكان : يحتمل أنه جمع شاذه أى مسرور .
شاهنشاه : مخفف من شاهان شاه أى ملك الملوك .
شاهنشاهية : الكلمة التى قبلها بعد الحاق ياء النسبة أو ياء المصدر .
شهرستان : مدينة محصنة .
شهريار : ملك .

فرجار : معرّب پركار .

فرده : عِدل، رزمة . ويحتمل أن الكلمة عربية .

فرزان : حكيم، عالم .

قُهُندز : معرّب كُهُن دِزْ أى قلعة عتيقة .

كبى : قرد .

كوس : طبل كبير .

ماهى خوران : ماهى = سمكة . خوران = آكل .

مردانه : شجاع .

مرزبان : صاحب الثغر، ويطلق على الحاكم .

موبذ : لقب صنف من رؤساء الزردشتيين . انظر المدخل ص ٧٧

ميش سر : ميش = شاة . سر = رأس، أى رأسه كرأس الشاة .

ناورد : حرب .

نيرنج : معرّب نيرنك، أى الشعوذة .

نيكوكار : نيكو = حسن . كار = فعل . أى حسن الفعال .

هربذ : لقب صنف من رؤساء الزردشتيين . وهم الموكلون ببيوت النار .

يزك : طلعة الجيش، حارس .



وكان تمام طبع الجزء الثانى من كتاب الشاهنامه بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم الأربعاء ٢٦ محرّم سنة ١٣٥١ (أوّل يونيه سنة ١٩٣٢) م

محمد نديم

ملاحظ المطبعة بدار الكتب المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٢٠٠/١٩٣٠/٨٩٧)

